

دِيُونَارِ
هَاتِيهِ الرَّوْحِ
سِرِّهِ
«الْحَبْرُوعَةُ الْكَامِلَةُ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دُورَات
فَائِزَات
سِرِّ تَجَانُّهِ
"الطَّبِيعَةُ وَتَوَجُّهُهَا إِلَى اللَّهِ"

مقّمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والشكر له على نعمائه
ومنته، والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم
الدين وبعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لديوان، الشاعر المرحوم
هاشم الرفاعي بعد أن نفذت معظم الطبعة الأولى إن
لم تكن جميعها(١)!!!!..

وميزة هذه الطبعة أنها منقحة، وفيها قليل من
الزيادات والملاحظات، إضافة إلى إعادة ترتيب
الديوان على أساس الموضوعات، بينما كانت الطبعة
الأولى قد رتبت وفقاً لتواريخ القصائد والمقطوعات،
مما جعل كثيراً من محبي الشاعر يصدمون وهم يقرأون

(١) لقد اقتصر توزيع الطبعة الأولى على المملكة العربية السعودية - ولم ترسل أية كمية
لغيرها من البلدان إلا ما حمل من النسخ بأيدي أصحابها الذين يعملون في
المملكة.

أول ما يقرأون شعره المتعثر ونظمه الضعيف الذي يعبر
عن سن الثالثة عشرة...

مما جعل بعضهم يغير شيئاً من رأيه بالشاعر،
لأنه لا يصل إلى شعره القوي إلا بعد منتصف الديوان
تقريباً، لهذا عمدت إلى ترتيبه حسب الموضوعات،
واجتهدت في هذا أن أجمع القصائد التي نلتقي في
موضوع واحد، وإن لم يكن ذلك الأمر دقيقاً، وربما
كانت القصيدة الواحدة تشترك بين عدد من
الموضوعات، ولكن هذا الترتيب يتيح للقارئ أن
يجد شعراً متنوعاً، ومقطوعات مختلفة من حيث القوة
والضعف، ومن حيث القدم والحداثة. وإذا كان
للطريقة الأولى في ترتيب الديوان أهمية عند
الدارسين، لأنها تتيح لهم بسهولة معرفة التطور الدقيق
للشاعر من حيث الفن والفكر. فإنَّ الطريقة الجديدة
تعطي صورة عن التنوع، والصدق أيضاً.

وإنني بهذه المناسبة أشكر كل الذين كتبوا لي،
أو نشروا أو تحدثوا عن الديوان، فلقد سمعت من
عبارات الثناء والتشجيع ما جعلني استسهل ما عانيت
في سبيل إخراجه، وكذلك فإنني أهمس بأذن الذين
صدموا بعد رأوا الديوان، وتغيرت صورة الشاعر
عندهم، أهمس لهؤلاء قائلاً: بأن الشاعر هاشم
الرفاعي كبقية الشعراء، إنسان مرهف الحس، يعكس
صورة صادقة لنفسه ولمجتمعه وفكره، فهو ليس
شاعر قصيدة واحدة، أو قصيدتين أو ثلاثة مما عرفنا

من شعره الجيد، بل هو شاعر الخاطرة، والمناسبة،
والذكريات، والطبيعة، والشباب كما هو شاعر إسلامي
أصيل، يعبر عن تجربته وسط الأجواء العاتية والطغيان
الظالم، في الوقت الذي سكت فيه كبار الأدباء
والمفكرين يؤثرون السلامة، أو ينافقون للسلطة
الحاكمة...

إننا حينما ننشر الديوان الكامل للشاعر نضعه
بواقعيته، وحقيقته أمام القراء، إنساناً فيه من الضعف
كما فيه من القوة، فيه الفكر وفيه العاطفة، يمر
بلحظات الضعف الإنساني، والنزوة الجامحة كما يمر
بلحظات الإشراق والإيمان المتأجج.. ولقد
ألمحت إلى هذا في مقدمة الطبعة الأولى عند حديثي
عن الديوان....

وأملّي أن أكون في هذه الطبعة قد قدمت
الشاعر إلى قرائه بصورة أفضل إخراجاً وترتيباً
وتدقيقاً^(١)، وأن يأخذ طريقه إلى أيدي القراء في
شتى أقطار الوطن العربي ليكون مساهمة جديدة في
بناء الأدب الإسلامي المعاصر، والله ولي
التوفيق..

* . * . * . *

(١) لقد أساء أحد الناشرين، والمطبعة للديوان، بعد أن التزم بطباعته، ومضت سنة دون
الوفاء بالتزاماته مما دفعني لسحبه منه بعد مناقشات، ولكنه ألزمتنا بالمطبعة وهذا
الشكل مما جعل الطبعة الأولى غير جيدة.

1

2

3

4

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيْنَ يَدَيِ الدِّيَّانِ لُوحَاتِ مَصَوْرَةٍ مِنْ مَخْطُوطَاتِ الدِّيَّانِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم ألهمنا الرشد، واجعلنا من الصالحين وبعد: فإن قصتي مع هذا الديوان طويلة وقديمة، ابتدأت منذ عام ١٩٥٩ م، حينما كنت طالباً في المرحلة الثانوية. أستمع إلى القصائد التي ألقيت في مهرجان الشعر الأول^(١) في دمشق، وكنت إذ ذاك أعشق الكلمة المجنحة، والعبارة الشفافة، وأهوى المطالعة، فإذا بي أسمع شاعراً يخاطب أباه بثقة وإيمان:

أبتاه ماذا قد يخط بناني والجبل والجلاد منتظران
ثم يستمر وهو يحكي قصة المأساة لجيل كامل على لسان الشهيد الذي
ينتظر تنفيذ الحكم فيه حتى يقول:

أهوى الحياة كريمة لا قيد لا إرهاب لا استخفاف بالإنسان
فإذا سقطت سقطت أحمل عزتي يغلي دم الأحرار في شرياني
ويتابع الشاعر إلقاء قصيدته، وينال إعجاب سامعيه، وتتحدث عنه

(١) كان ذلك في عام ١٩٥٩.

الصحف، ويظفر بالجائزة الأولى لهذا المهرجان من بين عشرات الشعراء العرب الذين اشتركوا في المهرجان.

وتمنيت حينها أن أكون قريباً من الشاعر أراه وأعرفه، ولم يكن ذلك ممكناً. ورحت أبحث عن هذه القصيدة في الصحف، ولكنني لم أعثر عليها وانقضت تلك الذكرى ومضت الأيام.

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن ألتقي بالشاعر مرة أخرى. حين أعلنت وزارة التربية في الجمهورية العربية المتحدة - آنذاك - عن مسابقة ثقافية للقراءة الحرة لطلاب المرحلة الثانوية، ففوجئت بديوان شعر لهاشم الرفاعي بين الكتب الموزعة على الطلاب المشتركين بالمسابقة.

واغتبطت بهذه المصادفة السعيدة، ولكنني حزنت عندما عرفت من الديوان بمقتله. ومن ذلك اليوم وأنا أبحث عن آثار الشاعر، وكان ديوانه المطبوع مصدراً أساسياً لمعرفتي به، ثم صدر كتيباً صغيراً في سلسلة إقرأ بعنوان «الشاعر الشهيد - هاشم الرفاعي» بقلم محمد كامل حتة، ناشر الديوان الأول وهو يحتوي على المقدمة التي كتبها للديوان، مع كلمات الرثاء التي ألقيت في حفل تأبين الشاعر يوم ٢٧ أكتوبر تشرين أول ١٩٥٩، بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة. وختم هذا الكتيب بمختارات من شعره..

*** .. *** .. ***

ثم حاولت دراسة هذا الشعر، والكتابة عن الشاعر، وجعلت ديوانه ذاك والكتيب الذي نشر عنه مصدراً أساسياً في ما كتبت. ونشرت عنه موضوعين في مجلة حضارة الإسلام^(١) التي تصدر في دمشق، ثم تابعت الكتابة عنه

(١) نشر المقال الأول بعنوان (هاشم الرفاعي - حياته) في العدد رقم ٢ عام ١٩٦٩ م. والمقال الثاني بعنوان (هاشم الرفاعي - شعر الطبيعة) في العدد (٥-٦) عام

حتى كدت أنتهي من الدراسة المطولة لشعره، ثم توقفت لأستكمل معرفتي
بآثار الشاعر لا سيما عندما نشر الأستاذ عبد الحي دياب كتابه «مع الشعراء
المعاصرين في مصر» وأشار إلى شعره المخطوط.

وحاولت التعريف بالشاعر في كل نطاق يمكنني أن أتحدث فيه، ومن
ذلك إلقائي محاضرة بعنوان «هاشم الرفاعي - شاعر الشباب»^(١).

** .. ** .. ** .. **

وخلال دراستي للديوان كانت هناك أسئلة كثيرة لم أجد لها جواباً،
ولا سيما بعد أن أمعنت النظر في ما نشر من شعره، فرأيت أن ناشر الديوان
قد وضع مقدمات للقصائد المنشورة، ولا سيما ما كان يتعلق بالأحداث التي
كانت تجري في مصر وسوريا والسودان، وبعض هذه المقدمات لا يتألف
مع مضمون هذه القصائد، ولا تتوافق مع آراء الشاعر المنشورة في الديوان.
وكان ذلك محل تساؤل..

وكذلك فإن ما نشر عن وفاة الشاعر كان مثيراً للعجب، ويدعو إلى
التساؤل عما يدور وراء هذا الحادث الذي أودى بحياته.

** .. ** .. ** .. **

وحاولت الإتصال بعائلة الشاعر، ولكن أنى لي ذلك، وأنا لا أملك ما
يعينني على السفر إلى مصر لجمع ما أستطيع عنه وعن آثاره، وبقيت أنتظر
فرصة سانحة حتى هيا الله لأخ كريم السفر إلى القاهرة بقصد الدراسة^(٢)،
وكان يهتم مثلي بالشاعر ويحبه، فطلبت منه أن يقوم بهذا الاتصال، وقام -

(١) ألقى هذه المحاضرة بقاعة المركز الثقافي العربي في التل.

(٢) هو الأستاذ الكريم منير غضبان، حيث كان يدرس في معهد الدراسات العربية
ويحضر لنيل شهادة الماجستير سنة ١٩٦٩ م.

جزاه الله خيراً - في تحقيق رغبتى، واتصل بالشيخ مصطفى الرفاعي شقيق الشاعر - رحمه الله (١) وكان اللقاء مثمراً، فظفرت من شقيقه . بمعلومات كثيرة عن حياة هاشم وظروف وفاته، وعن شعره، وأجاب على كثير من الأسئلة التي كتبتها له، وكان مغتبطاً بعملى لحبه لهاشم، وشكرنى على اهتمامى بالشاعر، وكان حين يتحدث عن أخيه تدمع عيناه، ويبدو عليه التأثر.

وعاود الأخ منير الإتصال بشقيق الشاعر مرة أخرى فوجده على فراش الموت في النزع الأخير، واكتفى بهذه الزيارة الأخيرة حيث قرأ نعيه بعد يومين في صحف القاهرة.

ثم واصلت الإتصال بشقيقه الآخر، وأطلعت على ما كتبت عن الشاعر فزادت معرفتى بهاشم . وقد أفادتني هذه الصلة بمعلومات كثيرة، وكشفت عن غوامض لم أكن أعرفها، وأدركت أن شاعرنا كان في سنواته الأخيرة صوتاً إسلامياً، يصارع تيار الفساد والتجهيل والإرهاب بشعره، ونشاطه الإجتماعي .

وكان أخوه المرحوم - وهو عضو في مجلس الأمة آنذاك - يخشى من بطش السلطات إذا ما خرجت أشعار أخيه، لهذا لم يجرؤ على إعطاء شعره لمن يتصل به، بل كان يكتفي بقراءة بعض الأبيات من القصائد الرائعة التي كتبها الشاعر وأخفاها بعيداً عن عيون الرقيب الظالم .

ومرت سنوات أخرى، فعاودت الإتصال مرة أخرى بأسرة الشاعر وسافرت إلى القاهرة، وإلى أنشاص، وجهدت في معرفة كل ما يتعلق بشاعرنا، ولم أترك فرصة تمنحني هذه المعرفة إلا واهتبتها بل دأبت على ذلك واتصلت بالأصدقاء والمقربين من الشاعر حتى حصلت على دواوينه

(١) توفي شقيق الشاعر الشيخ مصطفى الرفاعي سنة ١٩٧٠ م .

وقرأت مذكراته، وصوّرت آثاره، وعدت بظفر سمين.

ولقد كنت حريصاً على جمع الديوان كله، وتحقيقه ونشره، وعلى معرفة آثاره ودراستها ونشر ما يصلح منها. ولهذا عكفت على دراسة ما حصلت عليه سنتين كاملتين في أوقات الفراغ، حتى أنجزه هذا الديوان وسرت خطوات مهمة في الدراسة المفصلة عن الشاعر.

لقد بذلت ما أملك من طاقة، ما بخلت في سبيل ذلك بالراحة والوقت والمال، ولا يثت طوال عشرين عاماً من تحقيق هذه الرغبة، رغم ما كنت أراه في المجلات من موضوعات تنشر، ومقالات تكتب، عن الشاعر^(١) وقصائد تنشر له ومعها تعليقات صحيحة أو خاطئة، ولكنني في كل ما قرأت كنت أشعر أن كاتبها يعتمدون على دراسة «محمد كامل حته» في ما نشره عن هاشم الرفاعي في ديوانه المطبوع، ولا يملكون مصدراً آخر.

وكان شاعرنا - كما كان غيره من المشهورين - عرضة للاستغلال والسرقات حتى دأبت بعض دور النشر على طباعة قصائد له في مجموعات صغيرة، لا سيما قصيدته «رسالة في ليلة التنفيذ» و«شباب الإسلام» دون إذن من أحد بغية الربح والتجارة، وهذه عادة يؤسف لها، فيها من الاستهانة بالفكر وأصحابه، وإيثار المصلحة الخاصة على القيم ما لا يقبل.

ولهذا فإني اعتبرت هذه الطبعة للديوان هي الطبعة الأولى الكاملة لشعر هاشم، وهي الطبعة المشروعة. لأن الطبعة الأولى التي نشرت لم تكن كاملة من ناحية وكذلك فقد أضيفت إلى القصائد مقدمات توحى بأفكار خاطئة عن الشاعر وتوجه القارئ إلى فهم القصائد بشكل يتلاءم مع

(١) آخر ما نشر عن الشاعر نبذة عنه مع مقتطفات من شعره في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية» الجزء الثالث لمؤلفيه: أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم جرار.

الأوضاع التي كانت قائمة آنذاك فضلاً عن كونها طبعة رسمية بإشراف وزارة التربية، لهذا كان توزيعها محدوداً .

** .. ** .. ** .. **

وكما قلت قبل قليل فقد آثرت التوقف عن دراسة شعر هاشم لإنجاز ما وعدت نفسي به من جمع ديوانه وتحقيقه ونشره. وسوف أتبع هذا الديوان - إن شاء الله - بالدراسة المستفيضة، فإذا أوجزت في الحديث عن شعره هنا، أو تركت الحديث عن ميزاته، واقتضبت في البحث عن مراحل تطوره وجزئيات حياته، فإني سأفصل ذلك هناك إن شاء الله .

وأنا أعلم أن كثيرين كتبوا عن الشاعر أو حاولوا ذلك، ولديّ قائمة بالمقالات والموضوعات التي تناولت الشاعر، ولكن أكثر هؤلاء كان يعتمد على ما نشر من شعره تحت إشراف وزارة التربية بمصر، أو بما استقوه من الأخبار القليلة من إخوانه وزملائه، دون أن يكون عند أحدهم هذا الاستقصاء الذي حاولته .

وأرجو أن يخدم عملي هذا هؤلاء الدارسين، بعد نشري للديوان والدراسة بما فيها من آثار كتابية، ومخطوطات ومذكرات تركها الشاعر. وسيلقي ذلك ضوءاً على حياته ويكشف عن كثير من مميزاته، ولقد شجعني على هذا العمل استفسار الكثيرين عن الشاعر والحاحهم في نشر ما حصلت عليه، وأرجو من الله سبحانه التوفيق على إتمام هذا العمل ابتغاء لمرضاته إنه نعم المولى ونعم النصير.

* * *

لمحة عن حياة الشاعر

لقد حان الوقت للتحدث عن الشاعر ذاته، وإلقاء بعض الضوء على حياته، ولن أستفيض في الحديث عن ذلك، لأنني سأرجيء هذا إلى الدراسة إن شاء الله.

اسم الشاعر الحقيقي هو: سيد بن جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي، ولكنه اشتهر باسم جده هاشم لشهرته ونبوغه، وتيمناً بما عرف عنه من فضل وعلم.

وعرف شاعرنا بهذا الاسم، وانطوى الاسم الحقيقي عنه.

وله أخ بهذا الاسم - هاشم - وكذلك له ابن عم أيضاً.

وكان والده جامع شيخاً لإحدى الطرق الصوفية المنتشرة في مصر وقد توارثها عن أجداده، وأصبح رائداً لها بعد أبيه.

ولم يكن والده متعلماً، إذ لم يدرس في المعاهد العلمية، بل تربى على يد والده وأخذ عنه العلوم الدينية، وحفظ القرآن الكريم، وتوفي عام ١٩٤٩م. أما جده «هاشم» فقد كان من الأفاضل، العلماء، تسلم قيادة الطريقة بعد والده مصطفى - جد العائلة - وتلقى العلم على والده في الأزهر، وكان يطوف على تلاميذه ومريديه في الأقاليم ويفقه الناس في الدين، ويدرس شروح البخاري، وكان يؤثر عنه شدة تأثيره على المنحرفين، وقد عاد كثير منهم من ضلاله إلى الله تائباً على يديه.

وكان لجده هذا أخ شقيق اسمه جامع، مات في شبابه وترك بعض
الأناشيد والأشعار الصوفية.

أما جده الأكبر - مصطفى الرفاعي - فقد كان من علماء الأزهر، وشيخ
الطريقة الرفاعية، وله مؤلفات في التصوف والفقه والأدب، وله ديوان شعر،
وكلها مخطوطة.

وهكذا فشاعرنا سليل أسرة متدينة، عرفت بريادتها لطريقة من طرق
الصوفية، نشأ في بيت يعنى بالعلم، ويهتم بالتفقه في دين الله، ويحرص
على التربية الإسلامية^(١).

وكان الشاعر يحضر مجالس أبيه، ويستمع إلى دروس العلم،
والأناشيد، ويحضر الاحتفالات الدينية، ويستمع إلى شاعر الربابة في قريته
وقد يذهب ليستمع إلى قصائد التي تروي قصة (أبي زيد الهلالي) للشاعر
فرج السيد.

أما أخوة الشاعر فهم:

١ - الشيخ مصطفى الرفاعي، الذي سماه أبوه باسم الجد الأكبر وقد
أصبح شيخ الطريقة الرفاعية بعد وفاة أبيه، وأباً للعائلة يرعى إخوته بالقدوة
الحسنة والتوجيه الرفيق، وترك أثراً كبيراً في نفوسهم ولا سيما عند شاعرنا
لهذا نراه يهدي له واحداً من دواوينه المخطوطة «نسيم السحر»، وينم
إهداؤه عن إعجاب وحب كبيرين.

تخرج من كلية أصول الدين في الأزهر، وعمل مدرساً للغة العربية
والمواد الدينية في المدارس المتوسطة والثانوية بأشخاص، وكان يقول

(١) مع أن هناك كثيراً من الملاحظات على الصوفية، وما اختلط فيها من مفاهيم بعيدة
عن حقائق الإسلام، وستة رسول الله ﷺ، فإن أثرها في أتباعها كبير، فإذا كان
شيخ الطريقة تقياً صالحاً، فسوف يترك أثراً عند أتباعه.

الشعر. وله ديوان مخطوط، ومن شعره بعنوان «الزائرة» يقول:

لا تسألني فؤاده ودعيه بالذكريات يعيش في ماضيه
واقني ضياءك في الغرام فإنما هذا التبذل سوف لا يرضيه
إن كنت صادقة المزاعم في الهوى أو كنت كاذبة، فمن يدريه؟
الحب يا هذي، أراه خطيئة ضلّ الذي بين السورى يبيغه
إنني خبرت العاشقين فلم أجد غير الخداع الصرف والتمويه
وشربت كأس الحب من كرم المنى والحب فيه من الأسى ما فيه
فرجعت مكلوم الفؤاد كأنني طيرٌ أصاب جناحه راميه

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان «الجبان»:

هلا سألت الشمس عن أجدادنا وسألت ركب الدهر عمّا كانا
فعرفت حقاً أن قومي من هم تخذوا السماء محلة ومكانا
رفعوا لواء الدين خفاقاً كما قادوا الزمان وسيروا الركباناً^(١)

وقد كان المرحوم ينشر بعض المقالات في الصحف والمجلات يبيّن فيها المفهوم الصحيح للتصوف، ويحاول تنقيتها من البدع والمفاهيم الخاطئة التي دخلتها.

وانتخب عضواً في مجلس الأمة ما بين عامي ١٩٦٤ - ١٩٦٨ م، وكان ينادي دوماً بالقيم الروحية والأخلاقية في المجلس.
وقد توفاه الله سبحانه في عام ١٩٧٠ م.

٢ - أما أخوه الثاني فهو «محمد» وهو يقرأ ويكتب، وليست له أي نشاطات مميزة.

(١) هذه المقتطفات من مجموعة مخطوطة للمرحوم الشيخ مصطفى الرفاعي، وقد حصلت على نسخة مصورة من هذه القصائد، سوف أعود إليها في الدراسة إن شاء الله.

٣ - ويأتي الشاعر بعد أخويه مصطفى ومحمد.

٤ - ويأتي بعده أخوه هاشم ، وهو يقرأ ويكتب، ولكن شاعرنا اشتهر بهذا الاسم.

٥ - ويأتي بعده أخوه عبد الرحيم، وهو متخرّج في كلية الزراعة ويدرس مادة العلوم في المدارس الإعدادية والثانوية.

٦ - ثم أخوه أحمد وهو مدرّس لمادة العلوم، وقد أصبح رائد الطريقة الصوفية بعد وفاة أخيه مصطفى، يقول الشعر، وله قصائد كثيرة ومشهورة بين طلبة الجامعات لأنها أُلقيت في مواقف مهمة على منبر الجامعة^(١).

٧ - ويأتي بعده سالم وهو متخرج من كلية الفنون الجميلة.

أما والدة الشاعر فهي امرأة عادية لا تقرأ ولا تكتب.

** .. ** .. ** .. **

نشأ الشاعر في هذه الأسرة، وتربى على يد والده، الذي أثر عنه الحزم في التربية، وكان يريد أن يربي الشاعر تربية خاصة، ليكون رائد الطريقة من بعده، ولكن الشاعر أبى ذلك ورغب أن يدرس في الأزهر، فرفض أبوه تحقيق رغبته وحاول أن يثنيه عن رغبته تلك فأبى فعالجه باللين ثم بالضرب، ولكن الشاعر زاد إصراراً وتمسكاً برغبته رغم صغره، واشتدت الأزمة بينهما وحرار الوالد في أمر ابنه العصي ولكن الطفل الذكي لجأ إلى طريقة أخرى، فاتصل ببعض أقاربه وأصدقاء أبيه، وأقنعهم برغبته، وطلب منهم إقناع والده بها، وفعلوا ذلك ورضخ الوالد لهذه الرغبة أمام تدخل الأقارب والأصدقاء، وهكذا ذهب إلى الأزهر والتحق بمعهد الزقازيق الديني الذي يتبع الأزهر سنة ١٩٤٧ م وحصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية في

(١) أرجو الله عز وجل أن يعينني على دراسة آثار إخوته جميعاً.

عام ١٩٥١ م ثم أكمل دراسته الثانوية في هذا المعهد وحصل على الشهادة الثانوية في عام ١٩٥٦ م ثم التحق بدار العلوم، وتوفي قبل أن يتخرج سنة ١٩٥٩ م .

وكان في مراحل دراسته كلها بارزاً بين زملائه، كان يقول الشعر ولما يبلغ الثانية عشرة من عمره، ويقود الطلبة في المظاهرات والاحتفالات ضد الاحتلال البريطاني، والأوضاع الفاسدة السائدة في مصر، ولقد أصيب برصاصة طائشة تركت أثراً في أعلى رأسه، وفُصل من معهد الزقازيق مرتين: الأولى قبل قيام الثورة، والثانية بعدها ولمدة سنتين من سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٥٦، وكان فصله في المرة الثانية لقيادته للمظاهرات التي خرجت من معهد الزقازيق ضد رجال الثورة الذين ضربوا الاتجاه الإسلامي وأقصوا محمد نجيب عن قيادة الثورة ورئاسة الجمهورية.

ولكنه عاد بعد قصيدة ألقاها أمام المهندس سيد مرعي - وزير الإصلاح الزراعي - آنذاك في احتفال أقيم في أنشاص، ثم تقدم إليه بعد الاحتفال بعرض لمشكلته.

وبعدها زار السادات - رئيس مجلس الأمة آنذاك - أنشاص فألقى الشاعر قصيدة بين يديه وعرض عليه الأمر أيضاً، ثم استطاع أن يتصل بكمال الدين حسين وزير التربية وأعيد إلى المعهد مرة أخرى، وهذه السنوات التي أُبعد فيها عن المعهد جعلته يتأخر عن بعض زملائه.

وفي كلية العلوم برز بين الطلاب شاعراً، ثم تولّى مسؤولية النشاط الأدبي في الكلية التي كان عميدها الأستاذ الشاعر علي الجندي وكان معجباً به، يتنبأ له بمستقبل عظيم ولهذا قال عنه في رثائه:

لهف نفسي على الصِّبا المنصورِ لَفَه الغدر في ظلام القبورِ
لهف نفسي على القريض المصفى صَوَّحت زهره عوادي الشرورِ

لهف نفسي على النبوغ المسجى
فجعتنا عصابة الكفر والإلحا
بالمجلى السامي على كل قرن
بالرفاعي في غرائب ما يأتي
بالمكتى في شعره بابن أوس
ذبحوه، ويأرج المسك مذبو
قتلوه بغياً ليخفوا سنه
برداء من البلى والدثور
د والبغي والخنى والفجور^(١)
في مجال المنظوم والمشور
ه من زخرف ومن تحجير
والمسمى بالبحترى الصغير^(٢)
حاً، وبالذبح كان فخر العطور
كيف يخفى سنى الصباح المنير؟

وكان يتنبأ له أن يصبح أشهر شعراء العربية في العصر الحديث.

وفي سنة ١٩٥٩ في الثاني من يولييه تموز قتل الشاعر على يد بعض حساده ومبغضيه من الشيوعيين الذين حاربهم وكشف ضلالهم وخداعهم ولؤم نفوسهم.

وكانت الأحداث الظاهرة التي أدت إلى مقتله هي الخلافات التي وقعت بين الشاعر ومؤيديه وبين فئة أخرى من الشيوعيين ومؤيديهم في نادي أنشاص الرياضي الثقافي.

وحصل صراع بين الفريقين حتى حاول الفريق الآخر تشكيل مجلس إدارة للنادي في ٥ أغسطس آب ١٩٥٨، فقام هاشم وزملاؤه بالاستيلاء على النادي وشكلوا مجلس إدارة وأخذوا أغراض النادي.

واشتد الصراع حتى تدخلت السلطة في الأمر.

وفي ٢٨ أغسطس اجتمع الطرفان في منزل واحد منهم، واتفقوا جميعاً وعاتد أغراض النادي إلى المقر الجديد.

(١) إشارة إلى قاتليه من الشيوعيين.

(٢) ابن أوس هو أبو تمام واسمه حبيب بن أوس الطائي.

ولكن هذه التسوية الظاهرة لم تكن إلا تسوية مؤقتة، لا سيما بعد أن رأوا هاشماً يزداد تألقاً، وتزداد مكانته وشهرته بين الشباب المثقف في أرجاء الوطن العربي فضلاً عن بلده.

وكان واضحاً أنه يمثل الإتجاه الإسلامي في الصراع الدائر في مصر بين المسلمين وأعدائهم، وكان الشيوعيون من ذوي النفوذ في تلك الفترة، يحاولون طمس الإتجاه الإسلامي والتنكيل بأصحابه.

اجتمعت كل هذه العوامل لتؤدي إلى استدراج الشاعر إلى خصام مصطنع في ملعب النادي، وطنعه بالسكاكين.

ويشاء الله أن يموت الشاعر، الذي لحق بمن طعنه ليثأر لنفسه حتى نزفت دماؤه وسقط ميتاً.

وظل سؤال يدور على الألسنة: هل كان قتل الشاعر نتيجة لهذا الحسد والخلاف بينه وبين هؤلاء؟

أم أن لقصائده التي ذاعت، وحملها الشباب، وأنشدها المظلومون وشباب المسلمين في السجون والشوارع هي التي دفعت إلى قتله؟

وهل كانت هناك أصابع خفية أرادت أن تستغل هذه الصورة الظاهرة من الخلافات بينه وبين أقرانه لتقضي عليه دون ضجة؟

كل ذلك ممكن، لا سيما وأن صوراً كثيرة كانت تحدث للذين يختفون فجأة بعد أن تشير تقارير العيون والجواسيس إلى خطورتهم.

وتنتطوي صفحات حياتهم فجأة، بحادث مصطنع، أو مرض مفاجيء أو... أو... فهل لقي شاعرنا هذا المصير وبهذه الطريقة بتدبير خفي أم أن موته كان ضربة غادرة لم تحسب للمصير حساباً..؟

** .. ** .. **

هكذا ظهرت قصة هاشم، قصة الشاعر الفذ كما قال أخوه مصطفى -
رحمهما الله -: «كذلك كان هاشم يا أحباب»:

مصباح أشرق ثم اختنق، وزهرة زهت وألقت ثم ذبلت وصوحت،
وحلم جميل طاف بنا ثم دنا في عنف إلى الواقع المر.
وأمل تلاًلاً ثم بان أنه ومض سراب بقية، وبيرق طوي ونكس وانفضَّ
عنه السامر الحزين.

** .. ** .. ** .. **

أما المؤثرات التي تركت بصماتها لدى الشاعر، فهي حفظه لكتاب الله
عز وجل منذ صغره، ووالده وأجداده وما تركوه له من مكتبة تحتوي على
المؤلفات الإسلامية، مع تربية تهتم بالجانب الروحي والخلقي، ثم ما كان
يقرأه من الكتب والمؤلفات، ولا سيما كتب التراث الإسلامي، والأدبي، .

يقول أخوه: إنه كان يحفظ كثيراً من شعر القدامى، ويحفظ المعلقات
السبع وشعر المتنبي والبحتري. وأعجب أيضاً بشوقي وغيره من الشعراء
المحدثين ولقد ترك مجموعة مختارة من شعر المتنبي، مما يدل على شدة
حبه له وإعجابه به^(١)، وكذلك فقد كان لأستاذه الشاعر علي الجندي أثر
كبير لديه، ونصح أخوه مصطفى بالإنصال به، وفعل ذلك، فأعجب به
الجندي، وجعله مسؤولاً عن لجنة الشعر في الكلية.

وكان يطالع لعدد من الكتاب والأدباء أمثال العقاد وطه حسين والرافعي
وغيرهم.

ولم يكن موقفه سلبياً مما يقرأ، بل كانت له مواقف ضد طه حسين في

(١) انظر اللوحة رقم - ١ - ٢ - ٣ - وهي نسخة مصورة من بعض صفحات هذه
المختارات.

الكلية وردة على آرائه التي يشاع فيها المستشرقين ويفتري على الإسلام
والعربية.

** .. ** .. ** .. **

وكان لمنطقته الجميلة، وما فيها من مناظر طبيعية خلابة، وصفاء
واخضرار أثر في نفسه، لقد أحب تلك الطبيعة الوداعة، أحب صفاءها
وألفتها وطهرها، وبعدها عن زيف المدينة، وفساد المدينة^(١).

** .. ** .. ** .. **

وكان قوي الشخصية، شديد الثقة بنفسه، يعتد اعتداد المتنبي، ويفتخر
افتخار الفرزدق، ويخاطب حساده وأعداءه من علي مخاطبة جرير^(٢).

ولكن هذه الثقة، كان لها ما يبررها: فهو يثق بأن المسلم عزيز بربه،
قوي بالله عز وجل مترفع عن الصغار ممن يغرقون في الفساد.

وهو شاعر متفوق بين زملائه، بل في مصر كلها.

وهو جريء يتحدى الطغيان ويصرخ هاتفاً قبل سنة ١٩٥٢ «يسقط
الملك الفاسد» «يسقط الاستبداد» يوم كان الناس يتساقطون لتقبيل الأيدي
والأقدام، وهو شجاع ينشد بإسم الدعاة، ويتحدى الظلم:

أهوى الحياة كريمة لا قيد لا إرهاب لا استخفاف بالإنسان
فإذا سقطت سقطت أحمل عزتي يغلي دم الأحرار في شرياني

ثم يقول متحدياً:

دمع السجين هناك في أغلاله ودم الشهيد هنا سيلتقيان

(١) انظر إلى القصائد التي قالها في الطبيعة والريف.

(٢) انظر إلى قصيدة «صور نفسية».

حتى إذا ما أفعمت بهم الربى لم يبق غير تمرد الطغيان
وتتابع القطرات ينزل بعده سيل يليه تدفق الطوفان
وحيثما سقط - سقط ودموع الناس تشيعه، وحبهم يدعوه
بالرحمات والغفران..

** .. ** .. ** .. **

آثار الشاعر

لقد بدأ شاعرنا يقول الشعر مبكراً، وكان في أول أمره يقلد بعض الشعراء كشوقي والمتنبي^(١) وقال أول شعره ولم يبلغ الثالثة عشرة. وكانت طموحاته كبيرة، وثقته بنفسه عظيمة، لهذا نراه منذ تلك السن الصغيرة ينظم الشعر، ويجمع ما ينظم في مجموعات ودواوين^(٢).

وكلما مرت سنة أو سنوات، يعود لجمع ديوان آخر، ويرجع إلى قصائده القديمة فينقحها، ويزيد فيها أو يحذف منها.

ودواوينه التي تركها مخطوطة هي ما يلي:

١ - «نسيم السحر» وهو مجموعة صغيرة، تضم - ١٣٠ - بيتاً، نسخها الشاعر بخطه، ورتب قصائدها ومقطوعاتها بطريقته الخاصة، ووضع فيها تقریظات زملائه المعجبين - وقال في مقدمتها:

«هذه أول جولة في عالم الشعر، استلهمت أبياتها من الأحداث والمناسبات فإذا كان هناك بعض الأخطاء، فذلك راجع إلى أنني لم أصل بعد إلى مرتبة الرقي في الشعر والسمو عن الأخطاء. وإنني إذ أجمع هذه الأبيات في هذا الكتيب أضرع إلى الله أن يجعلها مفتاح الغزير من البيان

(١) طالع قصائده الأولى في «البراعم»، والقصائد التي نظمها في عامي ١٩٤٨ -

١٩٤٩ م.

(٢) انظر اللوحة رقم - ٤ - ٥ - .

السليم القوي من الأشعار». [المؤلف]

ثم كتب في الصفحة الثالثة الإهداء، فكان كما يلي :

«إلى من أقتبس من نوره وأسير على هديه، إلى تلك العقلية الجبارة،
والبقرية الفذة، إلى الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى الرفاعي أهدي باكورة
أشعاري». [هاشم جامع هاشم الرفاعي]

هذه المقدمة تبين ثقة الشاعر بنفسه، رغم حداثة سنه، وطموحه إلى أن
يكون من أصحاب القلم، وأرباب البيان، وهي تكشف عن وعي الشاعر
ومتابعته لما يدور حوله، فلا يترك مناسبة إلا ويكتب فيها ما توجيه له من
شعر، والإهداء يبين تأثر الشاعر بأخيه مصطفى رحمه الله، حيث كان له -
بعد وفاة أبيه - الأخ والأب والصديق. وكان محباً ومخلصاً له، يسدي له
النصح، ويأخذ بيده إلى كل ما ينفعه.

ثم يترك الصفحتين الخامسة والسادسة لتفريظات زملائه حيث كتب ابن
عم له واسمه هاشم أحمد هاشم الرفاعي ما يلي :

«أخي الأستاذ هاشم جامع الرفاعي :

أقرر في غير تملق ولا مراعاة أنني لمست فيك شاعراً مجيداً، وأديباً
مذلاً له القول، وليس الحين حين إطراء ولا وصف، ولكني آمل أن
تصبح قريباً ممن تعتز مصر بينوتهم وتفخر بجليل أعمالهم، حقق الله لك
ما ترجو، وإلى الأمام».

هاشم أحمد الرفاعي - معهد الزقازيق

ثم كتب له زميله الآخر ما يلي :

أخي الأستاذ هاشم جامع الرفاعي

لما أطلعت على باكورة شعركم داخلني سرور شديد، فقد قبض الله

لأنشأ شاعراً مجدداً، وكلني أمل أن تصبح قريباً مثل عباقرة الشعر
وجهاذته أمثال شوقي والجارم، وأرجو من الله العليّ القدير أن يوفق أخي
إلى ما فيه رفعة بلده ووطنه وجعله فخراً لأنشأص التي أنجبتته^(١).

أخوك

مصطفى السيد الزق من طلاب القسم الثانوي

أما قصائد هذه المجموعة، فهي على التوالي:

صديقي - يوم النصر - ميلاد الرسول ﷺ - آلام عاشق - أحزان - نهج
البردة - اليمن - فلسطين «ويقول عن هذه القصيدة: إنها باكورة شعره» -
صور ساخرة - حسرة وندم - خيانة - صداقة «وهي ثاني قصيدة نظمها
الشاعر» - هجاء - إلى بطل قصة مأساة - ملل وضجر - تحية^(٢).

ثم قال في آخر هذه المجموعة:

«تم بحمد الله كتابة هذه النسخة في يوم الاثنين الموافق ٢٢ / رمضان
١٣٦٨ هـ الموافق ١٨ / يولييه حزيران ١٩٤٩ م، فله الحمد.

وكتب بعدها كلمة الشكر التالية:

أشكر الأخ الأستاذ هاشم أحمد هاشم، والأخ مصطفى السيد الزق،
والأخ البسيوني قنعان على كتابة تقاريطهم القيمة لهذا الكتيب، وأسأل الله
أن ينفعنا بهم، ويجعلهم من أئمة هذا البلد إنه سميع مجيب.

[المؤلف]

(١) انظر اللوحة رقم - ١٠ - .

(٢) سيجد القارئ الكريم أكثر مقطوعات هذه المجموعة في الجزء الأول - قسم
البراعم.

وصنع به كأى كتاب مطبوع: زينه بالصور والرسوم والخطوط البديعة. كل ذلك مما توحىه المقطوعات والقصائد، وأشار إلى مؤلف آخر له فقال «مأساة يتيم، أو النفس المعذبة»^(١)

«قصة واقعية تصور حياة طفل من أولئك الكثيرين الذين اصطلوا بنار القدر، والذين كتب عليهم الشقاء حتى أودي بحياتهم».

ومن استعراض هذه المجموعة نرى أنها تتألف من مقطوعات كان يقولها في مناسبات مختلفة، يقلد في بعضها الشعراء المشهورين كشوقي وغيره، مع ترتيبه ورسومه مما يدل على موهبته المبكرة في الشعر والتأليف والتنسيق والإخراج،! وهي تنم عن ذوق فني أصيل تجلى في هذه الطريقة الجميلة التي جمع فيها هذه المجموعة وغيرها.

٢ - المجموعة الثانية وتشبه مجموعة «نسيم السحر» وقد جمعها الشاعر سنة ١٩٤٩ م، أيضاً، وتحتوي على اثني عشرة ورقة وتحتوي على التوالي المقطوعات والقصائد التالية:

المقدمة - الإهداء - أخي الأستاذ مصطفى الرفاعي كما أعرفه - اليمن - نهج البردة - أحزان - يوم النصر - ميلاد الرسول ﷺ - آلام فلسطين - صور ساخرة - خيانة - هجاء - صداقة.

وهذه المجموعة تشبه إلى حد كبير المجموعة الأولى، وقصائدها تشبه قصائد المجموعة الأولى من حيث عدد الأبيات والموضوعات مع بعض الزيادات التي لم تضمها المجموعة الأولى.

(١) هذه القصة مخطوطة، ولدي نسخة مصورة منها، وسوف أتحدث عنها وعن بقية كتابته النثرية في الدراسة المنتظرة عن الشاعر (هاشم الرفاعي حياته وشعره) إن شاء الله.

٣ - المجموعة الثالثة: «المختار من أشعاري» وهي مجموعة أكبر من سابقها تحتوي على خمس وعشرين ورقة، كتب في صفحاتها الأولى: بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.. إنَّ من البيان لسحرا وإنَّ من الشعر لحكمة.

وقسمها إلى عدة أقسام وهي:

أ - السياسيات : ويضم القصائد التالية:

عهد وعهد - الدستور الخالد - نحو المجد - جهاد ضائع .

ب - الغزل ويضم القصائد التالية : قلب ممزق - يا إله الحب - دمع وحب - لوعة وشجن .

ج - الإجتماعيات ويضم القصائد التالية:

ميلاد الرسول ﷺ - تحية إلى الزميل الشيخ أحمد علي أحمد - النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد - هزيمة المعهد - تحية الشباب - الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم - الأديب بدر مصطفى يوسف - من وحي المولد النبوي الشريف - مولد الرفاعي - الذكرى العطرة .

د - المراثي ، ويضم القصائد التالية: الشهيد أحمد عبد العزيز - عزاء - عزيز يفارق - الشهيد أحمد عمر .

وبدأت المجموعة بمقدمة قال فيها:

« هي ثمرة كفاح طويل شاق، وجهاد مرير صعب - كفاح من أجل القراءة وجهاد من أجل الإطلاع، إنها قطعة من روح هامت بالأدب، فحلقت في سماء أسفاره تستقي منها ما يروي الغلة ويظفيء اللهب... »

إن كل بيت من أبياتها ليروي لك قصة مضمية أليمة، هي قصة السهر والعرق والدموع، قصة العمل المتواصل، والسعي الدؤوب، العمل على

تحقيق الغاية والسعي في سبيل إشباع الهواية^(١)».

وحين نقارن هذه المقدمة بمقدمة المجموعة الأولى نجد فرقاً واضحاً، فالمقدمة الأولى تشير إلى البداية المتعثرة، ويتعذر فيها عن الأخطاء، ولكنه يوميء إلى أمله البعيد.

بينما نجد الشاعر قد صلب عوده، وكثرت قصائده، فاختر من أشعاره أصلحها، وصحح بعض الأخطاء التي وقع فيها، وعدّل الضعيف منها، ولهذا نراه يقول في كل مناسبة تمر به في المعهد، أو المجتمع، ويشارك في الاحتفالات ويتابع الأحداث، حتى ينل على هذه القصائد المناسبات. ولعلّ الإهداء الذي بدأ به المجموعة يدل على نفسية الشاعر في هذه المرحلة حيث قال فيها:

«إلى أحبائي وأصدقائي ممن يودون لي الخير والتقدم في هذا المضمار، وإلى أعدائي وحسادي ممن يحزنهم ويؤلم نفوسهم أن أتقدمهم وأسمو عليهم، وإلى الأحباء والأصدقاء، لتقرّ أعينهم وتفرح قلوبهم، وإلى الأعداء والحساد ليزدادوا كمداً وغيظاً.

[هاشم]

هكذا يبدأ نبوغه وظهوره، وهكذا يتقدم على زملائه، فيغبطه بعضهم ويحبه ويعجب به، ويغضه آخرون ويحسدونه ويكيدون له، وتبرز شخصيته قائداً للطلبة، وزعيماً لهم، لهذا كثر حساده ومبغوضه، وهذا شأن المتفوقين، الذين تبرز مواهبهم، ويتقدمون على غيرهم بسرعة.

وكذلك كان شاعرنا يزين هذه المجموعة برسومه وخطوطه الجميلة.

٤ - المجموعة الرابعة وأساها «آهات شريدة» وتحتوي على خمس

(١) انظر اللوحة رقم - ٢٠ - .

وأربعين ورقة قسمها إلى الموضوعات التالية بعد المقدمة والإهداء:

أ - السياسات : وتضم القصائد التالية مرتبة كما يلي: (١)

بين عهدين - الدستور الخالد - مصر الجريحة - مصر في الميدان -
جهاد ضائع - صوت الوطنية «إلى الزعيم مصطفى النحاس» - تحية الشعر
إلى الزعيم مصطفى النحاس - مأساة زعيم - صيحة البعث - صوت
التحرير.

ب - الغزل ، ويضم القصائد التالية:

قلب ممزق - لوعة وشجن - دمع وحب - أنشودة عاشق - من أغنيات
الربيع.

ج - الاجتماعيات، ويضم القصائد التالية:

ميلاد الرسول ﷺ - النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد (١) - تحية
الشباب - الشهيد أحمد عمر - وحي المولد - مولد الرفاعي (١) - الذكرى
العطرة - النائب المحترم (٢) - مولد الرفاعي (٢) - عيد الهجرة - عدلي
لملوم - ذكرى المولد - عود حميد - عزيز يفارق - صريع الحقد - زيارة -
تحية الأشبال - صورة نفسية - سامبا.

د - أشتات ، ويضم القصائد التالية:

عودة الأبطال - محنة المعهد - ميلاد الرسول ﷺ - الشهيد أحمد عبد
العزيز - عزاء - مأساة يتيم - عبد المجيد سليم - ندم - الجهول.

هـ - دعابات ، ويضم القصائد التالية:

هزيمة المعهد - زارع الخيار - هجاء - تهنئة - تحية - نجاح كاذب -

(١) انظر اللوحة رقم - ٢٢ - صفحتان من مجموعة «آهات شريفة».

شادي الشرق - دعوة الحبيب - قلوب العذارى - المطالب الأزهرية - الخيبة الكبرى - رد على رد - عاد الغبي - يوم القيامة - ليلة الفرح - دعابات .

وفي هذا الديوان جمع الشاعر ما كتبه في المجموعة السابقة بعد أن نقحها، وهي من أكبر المجموعات التي تركها.

٥ - المجموعة الخامسة : وهي مجموعة كبيرة، وأظنها المجموعة الأخيرة التي تركها الشاعر، وتحتوي على سبع وخمسين ورقة، وقد احتوت على أكثر القصائد التي وردت في آهات شريفة، وزاد عليها قصائد ومقطوعات أخرى جديدة.

وقسمها إلى أقسام كبيرة، ورتب داخلها القصائد التي جمعها، وقد صدر المجموعة بالبيتين الآتيين:

أأقضي حياتي بين هم وحسرة إذا رمت من دهري هناء به أبي
فواحسرتا إن لفتني غيبه البلى ولما أنلُ قصداً ولم أقض مأرباً

ورتب القصائد على الشكل التالي:

أ - في المجتمع : الذكرى العاطرة - جهاد ضائع - شادي الشرق - عيد الهجرة - قلوب العذارى - ذكرى المولد - صريع الحقد - عودة - المطالب الأزهرية - زورة - صوت التحرير - صور نفسية - نشيد الوادي - سامبا - زفاف صديق - مولد الرفاعي - قصة كتاب - صلاح ذهني - أم النوائب - الزهرة الذابلة - ميلاد الرسول ﷺ - يوم الحرية - محنة المعهد - في ظلال الريف - الأسد السجين محمد مصدق - عودة المنتصرين - فرحة الشفاء - الأزهر - تهنئة - فتية التحرير - توزيع الملكية - تحية الشعر - إلى وزير المعارف - دماء في السودان - فتحي رضوان - دمعة على زميل راحل - موكب الربيع - الحياة - يوم الجلاء - أيام الطفولة - فقيد أنشاص - علي هاشم - شرق وغرب - مولد النور.

ب - مع العاطفة : قلب ممزق - دمع وحب - واقفة - أنشودة عاشق - في شم النسيم - غادة الريف - فتاة القرية .

ج - النحاسيات : إلى الزعيم مصطفى النحاس - تحية للزعيم مصطفى النحاس - المؤامرة الكبرى .

د - متفرقات : النائب عبد العظيم عيد - دعوة الجيب - عدلي لملموم - الخيبة الكبرى - رد على رد - تهنيئة - العميد الرجعي - آخر خيبة - أنور السادات - إبراهيم جادو - عبد السميع السنباطي .

وكما رأينا فأكثر القصائد تتكرر في المجموعات كلها، وربما يزيد عليها أو يجري بعض التنقيحات الطفيفة، ويزيد في كل مجموعة عدداً من القصائد الجديدة التي لم تكن في المجموعات السابقة، ولذا فإنه يكفي مقارنة هذه القصائد في المجموعات كلها ثم إثباتها.

أما آثاره الشعرية الأخرى فهي

١ - ديوان «جراح مصر» وهذا الديوان مجموعة شعرية تحتوي على عشر قصائد رتبها الشاعر حسب تاريخ نظمها، وكلها تصف الأوضاع التي سادت مصر إبان حكم عبد الناصر ما بين سنتي ٥٤ - ١٩٥٦ م. وتحلل الأحداث الجارية - وتصور المأساة التي عاشها الشعب باسم الثورة، والديمقراطية والشعب و.....

لقد كانت القصائد العشر بركاناً يحكي ألم الناس، ويصور أحاسيس الشباب الذين آلمهم أن يرو آمال الأمة تتحطم أمام الطغيان وشهوة التسلط .

لقد رأى كيف يساق الناس بلا ذنب إلى المحاكم ليسمعوا هناك الأحكام المقررة سابقاً، وينكل بهم .

وهكذا كانت هذه القصائد، ولقد جعلها الشاعر في مجموعة خاصة وأسمائها - جراح مصر - ولذلك جعلتها الجزء الثاني من هذا الديوان مرتبة كما رتبها الشاعر ذاته.

ولقد كان الشاعر حريصاً عليها يخاف أن تقع في يد السلطات، ولذلك أخفاها عن يد الرقباء والزوار، ولم يكن يعلم بها إلا الأقربون من الأصدقاء والأخوة.

وعندما تحدث أخوه الشيخ مصطفى - رحمهما الله - عنها كان حريصاً أن لا يشاع حديثه، لأنه كان يخشى البطش والتعذيب، ولكن هذه القصائد كانت تتسرب عن طريق الشاعر وأصدقائه، ويتناقلها المظلومون دون أن يُعرف قائلها.

ومن يطالع هذه القصائد يدرك حقيقة الشاعر، ويعرف زيف الصورة التي أرادوا أن يظهروه بها عند نشرهم لديوانه. وإني أعرف مدى إعجاب الأستاذ حته وحبه للشاعر هاشم، ويبدو ذلك واضحاً من الدراسة التي صدر بها الديوان، لكنه لم يكن في نشره لبعض شعر هاشم إلا موظفاً من موظفي وزارة التربية، له مكانته، وله علمه، وهو من منطقة الشاعر أيضاً. لذلك أوكل له جمع شعره ولم يكن يستطيع أن يكتب إلا ما كتب لأنه مأمور بذلك أيضاً.

وربما يتساءل القارئ: كيف كان الشاعر يقف أمام عبد الناصر وغيره لينشد الشعر ويمدح العهد؟

والحقيقة أن الشاعر كان محاطاً برعاية هادفة، لكي تقطع عليه الطريق فلا يقف ضد العهد، ولا ينقم عليه، وبعدها يجرونه إلى الانخراط في عداد المادحين عندما يغمرونه بالأعطيات والجوائز، وهكذا كان.

لقد أعادوه إلى المعهد بعد فصله لمدة عامين، ثم بدأوا يشعرونه بالثقة

والتبني، فيدعونه في كل مناسبة ليلقي قصيدته، وأعطوه لقب الطالب المثالي في الجمهورية العربية المتحدة، ولكن ذلك كله لم يقنع الشاعر، والبرهان على ذلك أنه في اليوم الذي ألقى فيه قصيدته «في عيد الوحدة» أمام عبد الناصر، وتيتو، ونال إعجاب الرئيس، وأخذت له الصور التذكارية وهو يتوسط عبد الناصر وتيتو، عاد إلى البيت مضطرباً وتمنى أن يقتل عبد الناصر لينهي آلام الأمة، فتعجب أخوه الذي عرف منه ذلك، وسأله: أتمنى هذا وقد حزت على هذه المكانة؟

فقال نعم: إنه سبب هذا الشقاء الذي يعيش فيه الشعب.

وفي مذكراته الخاصة رأيت ما يشير إلى تكليفه شخصياً بنظم هذه القصائد من قبل السيد كمال الدين حسين في المناسبات القومية، ولم يكن في مقدور الشاعر أن يرفض، رغم إعجاب كمال الدين حسين بالشاعر ورعايته له^(١).

٣ - وللشاعر مسرحية شعرية بعنوان «شهيد بني عذرة» جعلتها الجزء الثالث من هذا الديوان، ولقد نشرها الشاعر في سنة ١٩٥٥ بعد أن حصل على تصريح بذلك في ١٤ / ١١ / ١٩٥٥ .

وكتب في الإهداء ما يلي:

إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير يس سويلم العميد السابق لمعهد الزقازيق الديني .

وإلى صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير عبد السلام جاويش وكيل المعهد .

إلى هذين الأبوين العظيمين اللذين لولا جهودهما الصادقة لما قدر لهذه

(١) انظر اللوحة رقم - ٢٣ - واللوحة رقم - ٢٧ - .

المسرحية أن ترى النور.

وإلى أساتذة المعهد. وطلابه، وموظفيه جميعاً أهدي هذه المسرحية في عامي الأخير بالمعهد، للذكرى والوفاء.

الزقازيق - أول ديسمبر - كانون أول - ١٩٥٥

أما المقدمة فقد كتبها له الأستاذ محمد مرسي «كبير أساتذة معهد الزقازيق» وقال فيها:

«و شاء الأستاذ هاشم الرفاعي أن يساهم في أدب القصة، فأخرج هذه الباكورة «شهيد بني عذرة» وهي قصة شعرية من الأدب الرفيع، وفيها الحب والجمال، والعشق النزيه العفيف.

وقد عهد الأستاذ في تصوير القصة إلى خيال الشاعر المطبوع الذي يرسل الشعر إرسالاً لا تكلف فيه ولا تعمق، فجاءت قصته قطعة أدبية ممتازة يستعذبها قارئها وأعتقد أنه لا يكتفي بقرائتها مرة بل سيطالعها مرات». وقد نُشرت المسرحية في الديوان الذي نشرته وزارة التربية أيضاً^(١).

*** .. ** .. **

وكذلك فقد ترك هاشم شعراً فكاهياً جميلاً، نشر بعضه في مجلة «البعكوكة» التي عنيت بالفكاهة وكتب كثيراً من الشعر الزجلي، وكان يدخل معارك زجلية في بلدته والمعهد والجامعة، وعلى صفحات هذه المجلة، وقد جمعت هذه الأشعار بعد تصويرها، وجعلتها الجزء الرابع من هذا الديوان.

وعندما انتهيت من جمع هذه الأصول بدأت مقابلة القصائد المروية في

(١) سأكتب فصلاً كاملاً عن شعر المسرح عند الرفاعي في الدراسة المنتظرة عنه إن شاء الله.

المجموعات السابقة أو في بعضها، لأتبين روايتها، وعدد أبياتها، وما طرأ عليها من زيادة ونقصان، وكان الاختلاف طفيفاً يكاد ينحصر في القصائد الأولى التي نظمها في سنواته المبكرة.

إضافة لهذا فقد قارنت هذه القصائد كما وردت بالأصول مع روايتها في الديوان المنشور بإشراف محمد كامل حته، ولم أجد اختلافاً إلا في وضع المقدمات لهذه القصائد، وحذفت بعض الأبيات التي لم يجدها مناسبة، فضلاً عن إهمال عدد كبير من القصائد التي لا تتوافق والغاية التي أوكلت له في نشر هذا الديوان.

ولقد أثبت كل القصائد والمقطوعات، والأبيات التي رأيتها في هذه المجموعات المخطوطة، ولم أحذف إلا أبياتاً قليلة، لم تصلح أوزانها، أو خرجت عن حدود الأدب العام^(١).

ورغم حصولي على هذه المجموعات المخطوطة فقد وجدت عدداً من القصائد التي نشرت في الديوان المطبوع دون أن يكون لها أصول في النسخ المخطوطة، ولهذا اكتفيت بروايتها تلك.

ولكن هذا يشير إلى فقدان بعض الأصول عند طباعة الديوان بإشراف وزارة المعارف، ولعل بعض القصائد الأخرى قد فقدت أيضاً أو فقد بعضها، ما دامت هذه الأصول التي أخذت منها هذه القصائد قد ضاعت لأن ناشر الديوان كان يحذف بعض الأبيات، ويستبعد بعض القصائد من الديوان، والتي رأينا أصولها كاملة، فما الذي يمنعه من حذف ما يريد، وترك بعض القصائد التي لا تأتلف مع الغاية من نشر الديوان، ولا تتوافق الظروف التي كانت سائدة آنذاك...!؟.

(١) لم تزد الأبيات المحذوف عن عشرة.

هذا هو الديوان للشاعر هاشم الرفاعي، وقد حصرت على جمع كل ما حصلت عليه من شعره ليضم أعماله الشعرية كلها، فإذا فاتني شيء مما لم تصل يدي إليه فهو قليل، إن شاء الله.

وأستطيع أن أطمئن إلى صحة ما أنسبه إلى شاعرنا - رحمه الله - بعد أن امتلكت نسخة مصورة لكل هذه الأصول، وأخذت إذناً مشروعاً بهذا العمل.

وبقي علي أن أبين الطريقة التي اخترتها لترتيب الديوان.

لدى استعراضني لقصائد الديوان ومقطوعاته، وللطريقة التي رتب فيها مجموعاته تلك، رأيت أن مضامين هذه القصائد سوف لا تتوافق كثيراً مع العناوين التي وضعت للأبواب، فضلاً عن أن هذا الترتيب لا يعدو أن يكون تقليدياً.

ومهما حاولت من جهد لتصنيف القصائد حسب الموضوعات فإنه يبقى هناك اجتهادات أخرى يمكن أن تضيف أو تغير من وضع القصائد.

لذلك اخترت ترتيب القصائد وفقاً لتاريخ نظمها أو نشرها لا سيما وأن الشاعر كان يحدد ذلك بدقة.

وهذا الترتيب يرسم لنا صورة واضحة ودقيقة عن تطور الشاعر بمشاعره، وأفكاره، وأطواره، وقدرته الفنية.

لهذا جمعت القصائد والمقطوعات في مجموعات، وكل مجموعة تشير إلى سنة من السنوات التي نظمت فيها، وتأخذ كل قصيدة ترتيبها ضمن المجموعة طبقاً لتاريخ نظمها في الشهر واليوم.

ومن هنا يمكن أن نتبين بسرعة الخط البياني لتطور الشاعر فكرياً وفنياً ويمكن المقارنة بين سنة وأخرى، أو شهر وآخر من حيث غزارة الانتاج أو

ضآلته، ومن حيث المضامين وغير ذلك من الأمور التي تهمل الدارس^(١).
ووضعت في مطلع الديوان، القصائد الأولى التي نظمها، وهي باكورة
أعماله وأسميتها «البراعم» وتضم أكثر ما في مجموعة «نسيم السحر»^(٢).
ومع أن الشاعر كان حريصاً على تسجيل تاريخ كل قصيدة فهناك قصائد
لم تحدد تواريخ نظمها، وقد اجتهدت في تحديد السنة التي نظمت فيها
ووضعتها في أواخر المجموعات التي اخترتها.

** .. ** .. **

فضلاً عن ترتيب الديوان بهذا الشكل فقد حرصت على ضبط الرواية
بالشكل المناسب، وشرح بعض الألفاظ التي قد تخفى على القارئ
العادي، وتوضيح الإشارات الفنية أو الأدبية أو غيرها من الأشياء التي
أحسب أن بعض القراء الكرام سيتوقفون عندها مستفسرين.

وحافظت على المقدمات التي أثبتتها الشاعر لقصائده، والإشارات التي
أشار إليها، والتاريخ الذي ذيل به القصائد، والعناوين التي اختارها لهذه
القصائد.

وكنت أشير بـ(*) إلى تعليقات الشاعر وشروحه، بينما اخترت
الترقيم العددي ١-٢-٣- للملاحظات والشروح التي أضفتها وختمت
عملي بفهارس تساعد القارئ والدارس وضمنت هذه الفهارس ما يلي:

١ - الفهرس العام ويحتوي على عناوين القصائد حسب ترتيبها في

(١) سوف أتناول هذه المقارنة إن شاء الله في الدراسة المفصلة.
(٢) كان هذا في الطبعة الأولى، ثم عدلت عنها في الطبعة الثانية بعد أن وردتني بعض
الملاحظات من الإخوة القراء وشعرت أن تفرق القصائد ذات الموضوع الواحد شتت
ذهن القارئ فلم يستطع تكوين فكرة صحيحة عن الشاعر.

الديوان مع بيان لتاريخ النظم وعدد أبيات القصيدة، وإثبات لمطلع القصيدة.

٢ - فهرس الموضوعات، وهو تقسيم اجتهدت فيه توزيع قصائد الديوان على موضوعات عديدة اخترتها وفقاً لمضامين هذه القصائد^(١).

٣ - فهرس الأسماء وجمعت فيه كل الأسماء الأعلام من رجال ونساء ودول ومدن وأنهار ودلالات تاريخية... دون تخصيص لأي جزء منها بفهرس خاص.

٤ - فهرس القوافي وأشرت فيه إلى مطالع القصائد حسب حرف الروي.

وأحسب أنني بهذه الطريقة حافظت على الصورة الواقعية للشاعر في تطوره الفكري والفني والنفسي، وفي مواجهته لأحداث الحياة واجتهدت في وضع شعره بشكل مضبوط وميسر بين أيدي قرائه ومحبيه بعد غياب طويل.

وإنني - بمشيئة الله - سوف أتبع ذلك بدراسة مفصلة عن هذا الشاعر وحياته وشعره، وأعرض فيها لأثار الشاعر، ومكانته، وأفضل عن حياته منذ الولادة حتى الوفاة مستفيداً مما حصل لي من معلومات ووثائق في مذكرات الشاعر وأوراقه، ورسائله إلى كثير من زملائه ومحبيه، ولم أرغب في الإسهاب هنا في تقديم الديوان عن هذا كله حتى لا أحرم القارئ من الاستمتاع بشعره، واستخلاص الصورة التي يراها للشاعر المرحوم.

*** . . . ***

(١) لم يعد حاجة لهذا الفهرس بعد ترتيب الديوان على أساسه وأصبح هو الفهرس الأصلي.

آثاره الأخرى

لقد ترك الشاعر بعض الكتابات الثرية الأخرى. بعضها موضوعات ألقاها في مناسبات إسلامية، أو في محافل في بلده أو معهده، ولقد اخترت أحسنها، ولم أستبعد إلا القليل منها، وحصلت على نسخة مصورة لها، للاستفادة منها في الدراسة فضلاً عن نشر ما يصلح منها.

وترك أيضاً بعض المحاولات الشعرية في المسرح، وبعض القصص الثرية وهي:

١ - مسرحية شعرية بعنوان «دماء في الإسلام» كتب أهم أفكارها وأحداثها نثراً تمهيداً لصياغتها شعراً بعد ذلك.

وتدور أحداثها حول الفتنة التي ثارت في خلافة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقسم هذه المسرحية إلى ثلاثة فصول، ولكنه لم يتم نظمها.

٢ - مسرحية شعرية عن بلده أنشأها، وهي مسرحية رمزية يدور الحوار فيها بين أنشأها والتاريخ، ويشترك فيها المثقف والفلاح والعامل، ويقول فيها:

أنشأها:

أيها التاريخ سجّل لوعتي وبكائي عزّتي في العالمين
لم تذق في مصر غيري بلدة ألم الجور، وظلم الظالمين
ضرنّي أن كنت فيها منزلاً ومحطاً لرجال المالكين^(١)

(١) إشارة إلى قصر الملك فاروق وإقطاعياته في أنشأها، حيث كانت مركزاً للهوى وفجوره.

إن عيني لتسحّ الدمع من
التاريخ :

فتاتي! علام، وفيم الأنين؟
أشخاص :

أتجهل في مصرنا بلدة
التاريخ :
أشخاص :
أجل إنني

أنا البلد المكتوي بالفساد
أنا من شربت كؤوس العذاب
ولم أشك إلا لربّ العباد
إذا ذكر الناس أمجادهم
أطأطء رأسي كسير الفؤاد
تفرق أهلي فيما بينهم
مدى العصر من ألفة واتحاد
وحولي تنال القرى ما تريد
وأعجز عن نيل بعض المراد

** .. ** .. **

التاريخ :

إنني أراك ظلمت نفسك فارفعي
كم في سجل المجد قد كتبت يدي
رأساً فلست كما رويت الآن لي
من نهضة لي في الزمان الأول
نزل الملوك العرب أكرم منزل
أو لست قبلة قاصديك ومن بها

** .. ** .. **

ويمضي وهويشيد بأشخاص ، ويصور فساد الملك ، وفجوره ومبأذله
فيقول :

التاريخ :

إن كنت يوماً قد منيت بعصبة
طلعوا عليك بكل فعل مخجل

وشهدت أخلاق الملوك رذيلة من كل باغ فاسد متبذل
فلقد خلعت - وقد رماهم جيشنا بسهامه - ثوب الظلام المسدل
هذي الرياض الناظرات كأنها عدن بها من كل واد مقبل
إبليس غادرها رجيماً إنَّه لم يرع حق المنعم المتفضل
إنَّ الإله لممهل لكنه ما كان يوماً للغوي بمهمل

ويتتابع رجال أنشاص ليتكلموا وهم: العالم ، والموظف ، والفلاح
ويتعاهدون على التعاون والإصلاح، وتنتهي بما يلي:
أنشاص :

أيها التاريخ فاشهد إنهم قطعوا العهد على نشر الوفاء
ينشد الجميع :

ندرك العلياء في حاضرنا قدماً والله خير الشهداء
ندرك العلياء في حاضرنا مثل ماض قد تولى فارتقاء

*** .. *** .. ***

وكان الشاعر يرمز من خلال بلدته أنشاص إلى مصر كلها، ويدعو إلى
التعاون والإصلاح، ويحدد بعض المشكلات الإجتماعية التي ينبغي أن
يتعاون الجميع على محاربتها كالجهل، والتفرقة، وعادة الثأر وغير ذلك
من المفاسد الاجتماعية.

٣ - وهناك محاولة لكتابة مسرحية نثرية بالعامية، ولم أتبين لها
عنواناً ولكن أحداثها تدور حول قضية المرأة في الريف، وامتهان كرامتها
وضياع حقها.

واختار حادثة خطوبة تجري في الريف، يأتي الخاطبون ليسألوا والد

الفتاة خطبة ابنته، ويقع الالتباس، حتى يتفق الجميع، فإذا بالوالد يفاوض على بيع الهجاموسة، والخاطبون يفاوضون على خطبة الفتاة، وحين ينكشف الأمر، تستمر المفاوضة، وتعدد الصفقة ولا يجد الأب حرجاً - أو الخاطبون - في استبدال الهجاموسة بالبنت أو بالعكس.

ويعتمد فيها على الفكاهة واختيار الجمل التي يصح فيها أن تفهم بمعنيين وهكذا، وقد كتبها في ١٠ أبريل / نيسان ١٩٥٥ م .
ولعله كان يريد صياغتها شعراً بعد رسم أحداثها نثراً.

٤ - وكتب الشاعر قصة قصيرة، وما تزال مخطوطة^(١) اسمها «مأساة يتيم أو النفس المعذبة».

وقال في إعلانه عنها في آخر مجموعته «نسيم السحر».

«قصة واقعية - ١٩٤٨ - حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف»، وقد وشحها بصورة طفل يذرف الدمع.^(٢)

ثم قال عنها «قصة واقعية تصور حياة طفل من أولئك الكثيرين الذين اصطلوا بنار القدر، والذين كتب عليهم الشقاء حتى أودي بحياتهم».
ولعله كان يترسم خطأ المنفلوطي ومدرسته في هذه القصة.

٥ - وكان قد أعلن - في مراحل الأولى - عن قصة واقعية أسماها «الأيام» وهي كما وصفها أخوه: سرد بديع لقصة سائقة تروي حياة المؤلف.

٦ - وأعلن عن قصة أخرى أسماها «الانتقام» وهي قصة خيالية تصور

(١) حصلت على نسخة مصورة منها.

(٢) انظر اللوحات رقم - ١٣ - ١٤ - ١٥.

شعور شاب غضب حقه، وظلمه أهله وأقاربه، فبدأ يفكر كيف ينتقم لنفسه.

٧ - وهناك قصة أخرى واقعية أسماها «إصبح القدر» وهي مأساة دامية ومفجعة لرجل طارده الأقدار^(١).

وبعد فهذه قصة الديوان، للشاعر هاشم الرفاعي، الذي رددت قصائده ألوف من الشباب، وحفظت رائعته «رسالة في ليلة التنفيذ» ألوف وألوف يوم سكتت الشفاه عن النطق، وألجم الخوف الناس.

لقد خطا الشاعر نحو المجد بخطوات سريعة وثابتة حتى شاء الله عز وجل له أن يلقاه فمضى في غمضة عين، وأصبح تاريخاً يذكر.

وإنني أشعر بأن كثيراً من المتحمسين سيجد في ديوانه ما لم يحسب وسيرى قصائد المناسبات، والمديح، والنفثات، وأحسبهم سيقولون لا، لا يصح أن يكون هذا لصاحب «رسالة في ليلة التنفيذ» و«شباب الإسلام» وغيرهما.

وسيجد الآخرون قصائد تقول لهم: هذا ليس شاعركم، مهما كانت المناسبات التي وقف فيها يقول ويمدح.

فإلى هؤلاء وهؤلاء أسوق هذا الديوان، حقيقة واقعية، وطبعة أولى تضم المجموعة الكاملة لشعره، رواية أمينة، ورعاية مخلصه.

والشاعر الذي أحبيناه، أو غضبنا منه، أو أبغضناه، بشر من البشر فيه حالات من الضعف، وفيه حالات من القوة، فيه العاطفة والنزوة وفيه الفكر والإشراق والسمو.

(١) يلاحظ من أسماء هذه القصص أو موضوعاتها تأثره بما كتبه المنفلوطي من قصص حزينة وما كان يترجم من الآداب الأجنبية آنذاك.

وهكذا ننظر إليه بمنظار واقعي، وبموضوعية، ليأخذ مكانه الحقيقي بين شعراء هذا الجيل، بل في الطليعة منهم^(١).

ولعلي قصرت في أشياء، أو أخطأت في أخرى، فعذري أنني اجتهدت وثابرت، وما بخلت بجهد من أجل إخراجه بالصورة الأمينة اللائقة، وأنفقت من عمري سنوات غالية.

وكم يسعدني أن أسمع ملاحظات القراء الكرام كتابة أو مشافهة، لأستفيد منها، وأتعلم من النقد والتوجيهات، وأعدل ما أراه صواباً في الطبغات الأخرى إن شاء الله والله الموفق.

محمد حسن بريغش

الرياض ١٦ صفر ١٣٩٩ هـ

الموافق ١٤ كانون الثاني ١٩٧٩ م

** ** * *

يمكن إرسال الملاحظات

إلى العنوان التالي:

الرياض - البطحاء - مكتبة الحرمين

المملكة العربية السعودية

** .. ** .. **

(١) لقد سمعت ما توقعت من بعض الإخوة المخلصين الذين يريدون من الشاعر أن يكون صفحة بيضاء ناصعة، ليس عنده إلا «رسالة في ليلة التنفيذ» وأمثالها ولكنهم نسوا أنه كتب شعره هذا كله في عمر لم يتجاوز الخامس والعشرين، وأن كثيراً من القصائد التي لم تعجبهم كانت في سني عمره المبكرة، فهلا أعطوه العذر.

هاشم الرفاعي

مختارات
شعر
المتنبي

[اللوحة رقم - ١ - غلاف المختارات الشعرية من شعر المتنبي]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِهِ نَتَقَدُّ

وبعد : فإنه ملاكاه عتراً على المرء أنه يحفظ
كل ما يقع تحت يده من شعر الشعراء ودواؤهم
فقد رأيت على أنه أختار من شعر كل شاعر ما يوافق
لي ويوافق قهوه في نفسى وديانم ذوقه وطبيعته
غير ناظر إلى شئ سوى ذلك ، وهذا أنه يتم
اختيارى انقل ما اخترته من كتابه لهذا الرسم
رحطه والاحتفاظ به .

وشاعر هذه المجموعة هو أبو لطيف السبى ...
ومثله لست مكانه بخافيه على قالى
الأرب والشعر . وقد ولد بالكويت سنة ١٠٤٠
هجرية ولحقه ليل ولد سنة ١٢٧٠ وكان مقعد
سنة ١٢٥٤ في أواخر رمضان

[اللوحة رقم ٢ - الصفحة الأولى من اختيارات الشاعر من شعر المتنبي]

قال بمدح سيف لدولة

لعينك ما يلقي لفتؤاد وما لقي
وللحب ما لم يبوه مني وما يقى
وما كنت ممن يدخل لغتوه قلبه
وتلك منه بصره منقول بعينه
وبينه ليرضى ولسخط ولقرتة ولنفوى
مجال لدفع القلة المترددة
وأهل ليهوى فاشك في الوصول شه
ومن للاحر ، فهو له هرب جود
ونحضى به ليل لال ملكي به ~~لصبي~~
تفقتة الهمامه شجابين برتوه
وأشيب رسول لتفبات واضع
سرتة فمن عنه فقيل ففرق
وأجبار غزلاه كجيدك زرتي
فانم أتيته عما طلامه مطوره
وما لمره يهوى يعف إذ خلا
عفا من ، ورضه لجهو ~~لصبي~~

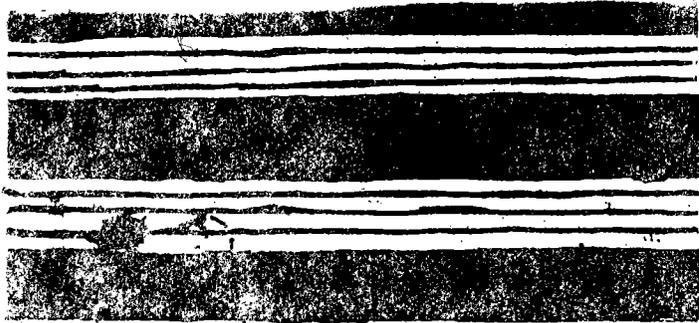
[اللوحة رقم - ٣ - الصفحة الأولى من اختيارات الشاعر من شعر هاشم الرفاعي]

والعين أخضره لأطول مشرفة
 لأنه نور عسله يعلو كما
 أحنية للحرارة الصرفة حسوا
 جميعه مدحوه بالذي فيها
 وعظم قدره من الأفاضه أو همن
 أنت بقله ما أنتفت أحوها
 ولو نقصت كما قد زدت منه كرم
 علم لوري لراؤن مثل ما نكها
 ما زلت تتبع ما تولى تبا به
 حين ظننت حيا من مه أبادها
 فانه نقلها فغادان عرفنا
 وانه نقل لا فلا يستغربا فولا

وكانه لفرانجيه من كتابه هذه المختارات بحمد
 الله وعونه من تمام السائمين الثاني منه بعد
 ظهر في سنة ١٤٥٢ ديسر ١٩٥٢
 نساك له لتوضيه ودوام النجاة

باسم الزمان

[اللوحة رقم - ٤ - الصفحة الأخيرة من مجموعة المختارات من شعر المتنبي]



نسيم الصحراء

الجزء الأول

١٩٤٩

[اللوحة رقم - ٥ - غلاف مجموعته الأولى «نسيم الصحراء»]

الأهداء

إلى من أقتبس من نوره وأسير
على هديه .

إلى تلك العقلية الجبارة ،
والعقريّة الفذة .

إلى الأستاذ الجليل الشيخ

مصطفى الرفاعي أهدى بالورة

أشعاري ...

صلى الله عليه وسلم

[اللوحة رقم - ٦ - الإهداء لمجموعته الأولى «نسيم السحرا»]

مقدمة

هذه أول جولة تلي في عالم الشعر
استلهمت أبحاثها من الأحداث
والمناسبات . فإذا كان هناك
بعض الأخطاء ، فذلك راجع إلى
أنني لم أصل بعد إلى مرتبة الرقي
في الشعر والسجع والأخطاء .
وإنني إذا أجمع هذه البيانات
في هذا الكتاب أضع إلى الله
أن يجعلها مفتاح الفزير من
البيان والشعر السليم القوي
من الأشعار .

المؤلف
تحيته

[اللوحة رقم - ٧ - وهي مقدمة مجموعة «نسيم السحر»]

كلمة الخ

أخبر الأستاذ هاشم جوامع إرفاعي

أقر في غير تعلمه ولا مראה أنني لم
فك شاعرًا مجيدًا وأديبًا مبدعًا
له القول
وليس لي فيه إطراد ولا وصف
ولكني آمل أنه تصبح قريبًا مني تغز
مصريين وهم تغز بجميل أعمالهم
معه الله لك ما ترجو
والله أعلم

المخلص
هاشم أحمد هاشم إرفاعي
معيد الزقازيق
الثانوي

كلمة زميل

أضئ الأستار ذهاباً جامع هائم
لما اطلعت على بالورة شعركم داخله
سرور شديد فقد قضيت لله ليلنا
شاعراً مبدداً.

ولكن أملٌ أنه تصبغ قريباً مثل
عبارة المعروف بلانته أمثال
توقى والجارم.

وأرحم منه الله لعله يقدر أنه
يوقفه أخيراً إلى ما فيه رفعة ليله
ووطنه وعمله فجز الإنشاص
التي أجبته.

اخون
مصطفى لبيد الزرق
من طهر بياضاً للشانوي

يوم النصر

القوة الفالوجة وقائدها
"الضيق الأسود"



أعد اليوم لفظك والظنما
لتهديتها التمية والسلاوما
جنود كالأسود أماتراهم
أبوا الأذلال فارتدوا الراما
وعاشوا عيشة ضنكا ولكن
رعو الشرف الرفيع مع الزاما
ولانوايا لكون العشب علما
بأن سواه لن يجدوا طعاما
وجاءت حاملت الموت نرى
حماهم كي قصيره راما

[اللوحة رقم - ٩ - القصيدة الأولى من مجموعة نسيم السحر]

دعهم سلحوا ما اذا عليهم

فليس لنا غنايا او مرموما

ولكن الأسود ائتت وطلت
مناضلة وصارعت الحماما

لين حسبوا احصا هو يوثى
الى قوا انهم موتا زوا اما

فقد ضلوا ووزى اذا ارادوا
عمدا للاسود او انزوا اما

فلم نسمع بان الذئب يوما
قد اتخذ العرين له مقاما

.....

ويا له .. عظمت بكل قطر
وبالاعمال قد لت الوساما

فمن قرع وعين رعب نراهم
الجماما
اضافوا لا سمك الضبع الجبل

تبيك النيل والاهرام فخرا
بجند نورا نه هيا تقاما

يرد فعال صديون عليهم
ويجتفن الادرامل واليتامى

[اللوحه رقم ١٠ - القصيدة الاولى من مجموعة (نسيم السحر)]

سحر

أعتقد أنك في الاستاذ هاشم محمد هاشم
والأخ مصطفى السيد لوزة والأخ
البيوني قنانه على كتابة تقاريرهم
القيمة لهذا اللبيب .

وأشكر الله أنه نفعنا بهم وبجملتهم
من أئمة هذا البلد .



إنه أصبح مجيب

لؤي

صالح جابر صالح



مأساة اليتيم

رواية

من روح القرآن
قال تعالى

«وَأَمْ وَالْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ»

النفس المخذبة

قصة واقعية

١٩٤٨

محموق الطبع والنشر محفوظه

للمؤلف

[اللوحة رقم - ١٣ - غلاف قصة «مأساة يتيم»]

الإهداء

إلى الذين غلظت ألبادهم وقتت
قلوبهم فرى كالحجارة أو أشد
قسوة .
إلى الذين لا يعبرون من الرحمة
إلا اسمها ولا من الشفقة إلا
لفظها . أهدى بالكورة قصصى
اعلمهم يتتهون

المؤلف

[اللوحة رقم - ١٤ - الصفحة الثالثة من قصة «مأساة يتيم» وتتضمن الإهداء]

شكر

أشكر الأخ الأستاذ هاشم محمد الرفاعي
على كتابته وتقديم لهذه القصة ...

كما أشكر الأخ الشيخ مصطفى
السيد الرزق والأخ إبراهيم افندي
محمد رشيد على قراءتهما لهذه القصة

جعلهم الله من العاملين
لرفعة هذا البلد

«الجمعة»
٤٧ شعبان ١٣٦٨ هـ
٤٤ يونيو ١٩٤٩ م
المؤلف
هاشم جبار هاشم الرفاعي
مدير الزقازيق

[اللوحة رقم - ١٥ - لقصة مأساة يتيم وشكر من الشاعر]

كلمة حديقه

أخي العزيز الشيخ هاشم :
قرأت قصتك المثيرة ، وأساسة يتيم
وألمت بحوادثها متأثراً . ولقد كنت
أثناء قراءتي لها أشعر بأنه الأحداث
نعم أمان عيني ، وتلم سكت
الدمع في كل فصل من فصوله
قصة لا بأس بها . وإنني أريد الألف
أشرك بمستقبل بارع وقريباً
شاك إن شاء الله من نهار حال
الفضيلة .
آثر الله من أمثالك .

أشكوك

ابراهيم مصطفى خورشيد

المقدمة

أيها القارئ :

قد يتبادر إلى ذهنك أن هذه القصة
الدرامية من وضع القلم ونسج الخيال
ولكنها بعيدة كل البعد عن ذلك إنما
قصة من تشجير الدهر ووضع القدر
أبطالها ما زالوا على قيد الحياة -
والأسماؤ وحدها هي التي بدلت لهذا
السبب - لإبطالها الأول الذي
ذهب ضحية الإهمال والظلم والذي
كسب عليه الشقاء حتى أودى بحياته
فمن ذمة الله أيتها النفس المعذبة
أذهبي إلى ربك راضية مرضية
فستجدين بحواره رحمة لم تألفها
عند الإنسان الظالم الذي طبعت
نفسه على الشر وغرست فيها بذور الظلم

[اللوحة رقم - ١٧ - مقدمة إحدى قصصه]

أيام مضت وما أسرع ما تخلص الأيام
معت صوت نحيب وبكاء يرن في أجواء الفضاء
فأسرعت لأعلم السبب ... فعلمت أن ...
وحيداً قدمات ... فوقع الخبر على وقع الصاعقة
وانتهرت الدموع من عيني .. وعدوت خلف مشهد
فوجدت أمه تكاد تبني من الحزن وشاهدت حده
وأعمامه يبيون . فقلت : أن تكون وأنتم قائلوه؟
والذي نفسى بيده لن تفر وأمن عقاب الله
وليساً لتكم يوم القيامة عما كنتم تعملون ...

.....
ويا لها من لحظة رهيبه ... تلك التي أودع
فيها وحيداً أجوف القبر . لقد تراجمت لهووع
في المقل . وارتفعت الأصوات بالنحيب . وقال
الجميع : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقفل الناس راجعين إلى بيوتهم صومئين
بأن لهذا المصير خيراً وسبيلته ^{لا تكن} ^{راحة} ^{وهدمها}
ن يتدفقه في حياته ... ١

[اللوحة رقم - ١٨ - صفحة من قصة للشاعر]

لا وأسدل الستار على مأساة ذلك
الطفل المسكين.. الذي ذهب
ضحية الإهمال والظلم... إلا
قاتل الله من قتلوه... عليه
الرحمة والرضوان»

ونظرت إلى صديقي فوجدته قد أدار
وجهه عن ليغفر دموعه حزنه حالت في
عينيه...»

تقنت
محمد الله

تم تأليف هذه القصة في يوم :

١٦ أيلول ١٩٤٨ م

١٤ ذوالحجة ١٣٦٧ هـ

وتم كتابة هذه السيرة في يوم

٤ يونيو ١٩٤٩ م

[اللوحة رقم - ١٩ - وهي الصفحة الأخيرة من قصة «مأساة يتيم»]



هذه المجموعة

هي ثمرة كفاح طويل وشاق، وجراد مرير صعب ...
انها قصة صدرونا هامة بالزهد فخلقت من سما ...
أسفاره تستر بين ما يروي الغلة ويطفن للصيب
إلهابية من أبحاث لروي قصة مضية البرية،
هن قصة السر والعروة والدموع ... قصة العمل
المتواضعا والسر البديوي: العمل على كصمه
الضاية - والسر من سبل إسماع الهواية .

[اللوحة رقم - ٢٠ - وهي تقديم مجموعة «المختار من شعر هاشم الرفاعي»]

الإهداء

إلى أصدقائي وأصدقائي ممنه يودون
والنقد في هذا المضمار
وإلى أعدائي وهناري ممنه
ولولم تقوم لهم أنه أنقذهم وأسمو
غالي الأجر والبرصقاء... لقر أعينهم ،
وإلى الأعداء والحساد... ليزدادوا كمنه

[اللوحة رقم - ٢١ - وتضم الإهداء لمجموعة (المختار من أشعاري)]

بين عهدين ...

القيّة في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإنشائه في يوم
٢٥ ديسمبر ١٩٤٩ بحضور نائب إنشائه الشيخ محمد العظيم عبد

إبه اللسانه محمد ووليد
بشرى لطيفه نغواد وبيد
وصحة بيده ترما كزرد
لما الفقه عهد لغزاة الدائم

أبه البنايه أصوغه وأنفرد
قد أمكته غداة عم سرورنا
عفت البئر مبلت ومكبرا
نزاه العناد وفك قيد جحرنا

عند الرصاصه من لصدور سيد
بأسم الصيانة والوايه أفدا
في الزمره مما هه يستود
ظلمافسقا أبا السعيد
وبأه جود في مضاهير وتدوا
ياضه بجد صمت فهم كرموا
لعنانه و... وتمنم تصعد
أهنا...

حكم العناه فما أبت بعدهم
يا مصر قد عانت بأرضك عصية
تتلوا أهبان الجامعات وهندوا
سالت دماء الأبرياء ذكوة
ناذا جنوا حرن أوقت دماهم
لله عظيم أذم لم يجر موا
تعلبك منه الساء تنزلت
أهنا...

[الوحه رقم - ٢٢ - القصيدة الأولى من مجموعة «أهات شريده»]

مصر...
بِهِ اجْتِلالِهِ

لا تطعموا من نبل لا مستقل إله الخلاء تحطم الأغلال نحيا نمر فريسة الإذلال في البطش يبلغ سالم وجمال	قالوا: الجلاء.. فقلت: جامل خيال ليس الخلاء رحيل هشة فاصب إله يترك ليواري الرخيل فأضنا سالكه هذا الأجنبت بيالغ
--	--

وغدت بلودك رصية الأبطال تسكولقيود، وما له من وال سخرني عما رصعه الأبطال هبطت للطمانه ربي الأبال عارة الخنوة بجبهة الأبطال زهر لسانه لمذي الأبال باتت تلتم رنة الإعمال نجد النفاة رضىه الأبطال بعض النفوس حقة بالمال حربة الأبال والآقوال	يا سيرة، السيل قد بلغ الزوى الشعب مشدود بيباركهم ولقد طننا أننا فن عهدهم حتى تكلف للبلاد خباياهم طعنوا جبارة الكف والأقوال ورموا بخمر كدمه قد سوا هم أخرجوا الأصوات عن أنط هم طعموا الأقال... سائر كوالنا بنوا عمويه الضرب نفا، واستروا وامتد لفر الغيب حتى أخرجوا
---	---

تأمله الكريم يظن أهدم الرياض لثافته
والبحر يدرك أنه أهدانا سجين حراسه
وتترك الأسطول ينهض بالأسود للثمن
بالأحرار عار كعندية ما ولا يملكه والبقود العار
وتصفق الآمال في صدح الجوع القاصم
الضرور لفتح ربيع و أمينات طالت
وغرورها المنيون كمدوها مترجع سالم
للرقص عند السين "والثاني" كانت واهم

فلا حظ ما وجهوه وصطافا صحيدا - كما به صبرا
وتراجع الليل الذي نسبه يوما كما به صبرا
والقاع لم تدر كما منقوده بل صفناه نبرا
والسحب لم يترجم كما عسروه بل وجهوه صبرا
فليسوا بمنورهم وعنادهم، جوار نبرا
إني صفناه نشاطا بالبارود قد أعدت نبرا
ط، أولام، لا بد منه صبر شير الأول، صبرا
لا أهدوا صبرا، فإني قد جئت البرص وبرا

[اللوحة رقم - ٢٤ - (تفصيلة بيور سعيد)]

كلمة صديق



صديقك شاعر:
فص الشعراء واللفاء بمدح الرسول صلى الله عليه
وسلم ولقد قرأت بردة البوصيري وريدة
سوقى فأعجبت بها أيتها العجائب، وقرأت
وقصيدتك نزه البردة، فوجدتها لا تقل
عنهما في قليل أو كثير.

أى صديق:
لا تقل عن إعجابي بقصائدك وأشعارك
فأنا محب للشعر والشعراء، فأرسل يا صديقي
نقلك العناية فإنه لك بثمة شأنه وسر
في طريقك ومدون لأمل ويسودك لرجاء

المخلص ليسوني قنقارته لعمارة
لنا من الشرق - بيتنا

صديقي

السيد إبراهيم رضوان .. كما أعرفه

أديب إى ورزى لا يدانى

و تجر من علوم لا يبارى

يفوق الكل علماً واطلاعاً

وتبياناً لنا أو قل مناراً

يفنى لنا الطريقة إذا هدنا

بنصح فهو نور ليس ناراً

يسود الناس بالأخلاق جمعاً

فقد أخذ الكمال له شتاراً

للم أهواه من قلبى وروى

وأدعو خالقى الأليفاراً

ألقى يوم ١٥ يناير ١٩٤٩م

[اللوحة رقم - ٢٦ -]

نواب، الأمة

عالم كما يحوى ... فتحركهم ذمى
 إنا لنعلم أنهم قد جتموا
 وهم الذم إذا صببت لظالمى
 لم تلو حنونا منه ولو سريعا
 قد كنت مكثوف لنوايا فأخذ
 وسلطوة قبل اليوم أخذ ردا عما

أرى السامية اجتهال فكنف في
 كم رقتنا لا تسمى و بمثلنا
 كالماتك الجوفاء كما به لطيفنا
 تناب في آذاننا مرسولة
 وظللت تسج جهنة من أحرف
 غمرتنا لولا القفال وكنت لا
 ودعوتنا لنقيم محاسن أمة
 فأبنت إلا أنه تكونه كعهدنا
 ونجعت أمنا بمجال الذي

إحكام تدبير المكيدة فالهما
 بشر وجهته في خدائنا وما
 صرخات ذنب في إهليل قد نما
 وإذا جهلها الذوق كانت علمنا
 للشعب .. يلتمس الفداء جهنما
 تنقله انه ذكر الصدا مقربكما
 حرت .. نصدقا وقلنا : ربنا ..
 بك في الدعوة والفرادة أقرنا
 شقتم إليه .. موافقه، ونوبا

القسم الأول

في أحضان الطبيعة

1

1

1

1

بِسْمَةِ الْحَيَاةِ (*)

على شطِّ من الألحا ن والأزهارِ والمعطرِ
 بروضِ الحبِّ والأنفا م والإخلاصِ والطهرِ
 تعالي نَقَطْعُ الأيا مَ في حلمٍ على النهرِ
 نرى الدنيا وقد فاضتْ أفانين من السحرِ
 ونصفي للنسيمِ الصبِّ يُزجي الشوقَ للزهرِ
 فلا يَنفكُ نَشواناً بغيرِ الكأسِ والخمرِ

* . * . * . * . *

ونجوى مثلُ نَجوانا لعشاقِ من الطير
 مضت في حُبها تُفْضي^(١) بمكنونٍ من السرِّ
 وطوراً حينَ يُضينها هوى في القلبِ كالجمرِ
 تنالُ الراحةَ النشوى بتقبيلِ على الشفْرِ!

* . * . * . * . *

وعندَ الشاطيءِ المزدانِ بالياقوتِ والدرِ
 كسَّ شمسُ الأصيلِ الما ءِ أثواباً من التبرِ^(٢)

(*) نشرت بجريدة الزمان في ٣٠ مايو أيار ١٩٥٢ .

(١) تفضي : تبوح .

(٢) التبر : الذهب .

وفوق اليمِ ملاح! يُعدُّ الفلكَ للسيرِ
مضى يَشْدُو بِالْحَانِ تمسُّ النفسَ كالشعرِ
وموجُ البحرِ ما أضنا هُ طولُ الكُرِّ والفرِّ
صراعُ خالِدٍ قد قام بينَ الموجِ والصخرِ
إذا ما لَفْنَا لَيْلُ تجلَّتْ بِسَمَةِ البدرِ
ونمضي في المنى حتى نرى إشراقةَ الفجرِ
تعالني فالربا تهت ز بالأفراح والبشرِ
قريباً تُظلم الدنيا وتمضي بهجةَ العمرِ

* . * . * . * . *

في ظلال الريف(*)

ذكرى كفتوح العبيرُ هاجت بأحناء الصدور
واستيقظت في النفسِ يُشد عليها كجياشِ الشُّعور
دُعَ عهدها فلقد تولى عنك في عمر الزهور
لنَ يرجعَ الماضي ولنَ يتحققَ الأملُ العسير
فانسَ الحديثَ عن الأحـ بةِ والليالي والبُـدور
وظباءُ حُسنٍ في ربو عِ الريفِ من غيدٍ وهور^(١)
تَيَمَّنَ قلبكُ وامتلكن زمامهُ فهو الأسير^(٢)

* . * . * . * . *

كَمْ بالقرى من غادةٍ حسناء كالرشأ الغرير^(٣)
النائماتِ لدى العشيِّ القائماتِ لدى البكور
الحاملاتِ جراهنَّ وقد سعينَ إلى الغدير
لا الجسمُ أضناه التـ ودُ لا ولا أنتكتِ الثُحور^(٤)

(*) نشرت في مجلة «النهضة» الأزهرية ١٥ فبراير - شباط - ١٩٥٤ . نظمت في نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٣ .

(١) الغيد : جمع غيداء أو غادة وهي المرأة الناعمة .

الهور : النساء اللواتي عيونهن كبيرة وهي شديدة البياض والسواد .

(٢) تَيَمَّنَ قلبك : أي أخضعه وأذلله من الحب .

(٣) الرشأ الغرير : الرشأ هو ولد الظبية الصغير .

(٤) التأود : التكسر والتلوي .

الحافظاتِ على اليا
 الشافراتِ وفي شما
 وبرزْنَ في أخلاقهنَّ
 سُقيا لعهدٍ قد تولد
 أيامَ ألهو في الحقو
 وأجرُ في أرباضها
 ذاكَ الزمانُ مضى بهِ
 لا الطفلُ طفلاً في الحقو
 أينَ الليالي الحاليةا
 وَعَصاً تَأدبنا بها
 وفضائِرُ الصفصافِ قد
 لثمتُ صحيفةً وجهه
 ماضٍ تولى من صبا
 وعلى ضفافِ النهرِ تحد
 يمشي بها ثورٌ تغشُد
 حَجَبُوا العيونَ فما رأى
 قَدْ أَحزنتها حالُهُ
 ويحئُهُ من خلفه
 قَدْ أَمسكتُهُ يدُ بها

لي قُدسَ عهدٍ للعشير
 ئلهنَّ حصنٌ للسفور
 حياءُ ربَّاتِ الخدور^(١)
 في ربا الريفِ التُّضير^(٢)
 لِ فراشةً أخذتُ تطير
 ذيلَ الطفولةِ في سرور^(٣)
 كُرُّ الليالي والشهور
 لِ ولا الصغيرُ بها صغير
 تُ بساطعِ البدرِ المنير^(٤)
 في مكتبِ الشيخِ الضرير
 مالتُ على الماءِ النمير
 فانسابَ يهمسُ بالخير
 عُصنٍ ومن بشرٍ قصير
 تَ التوتِ ساقيةً تدور
 أه الكلالُ فلا يخور^(٥)
 في أيِّ دائرةٍ يسير
 فبكتُهُ بالدمعِ الغزير
 سوطُ له لفحُ السعير
 لشقاءِ صاحبها سطور

-
- (١) الخدور: من الخدر بمعنى الستر. أي النساء العفيفات المتحجبات.
 (٢) سقيا لعهد: يدعو لذلك العهد بالخير لأن السقيا من الخير والبركة.
 (٣) ربض الشيء: ما حوله.
 (٤) الحاليات: بمعنى الطيبات.
 (٥) الكلال: التعب. يخور: الخور صوت الثور.

في شقوةٍ يحيا على
 قد عَضُّهُ البؤسُ الممضُ
 وعلى احتمالِ أسي الحيا
 وهناك فوق الأرضِ قو
 وعلى الفؤوسِ قد انحنثُ
 الكادحونَ وما اشتكوا
 والشاربونَ لدى إنبلا
 ولربِّ طائفةٍ عليـ
 صاغتُ حشاشةً قلبها
 يا ريفُ يا مهدَ الجمالِ
 يا أيها العاني المر
 أبك الكهوفُ منازلُ
 كيف اتقاء الداءِ بعـ

الأيامِ في عيشٍ مريـ
 ضُ بنابِه وهو الشكور
 عِ يَعِينُهُ ولدُ أجير
 مٌ يعملونَ بلا فُتور
 منهم وقوسِ الظهور
 حرَّ الظهيرةِ والهجير
 جِ الفجرِ كأسُ الزمهير
 ها مالكُ أبداً يحور^(١)
 ذهباً لأربابِ القصور^(٢)
 ومصدرَ الخيرِ الوفير
 يضُ أما لموتك من نشور؟
 أم تلكَ أبياتُ ودور؟
 د العيشِ في هذي القبور؟

* * * * *

حيثُ يا حصنَ الفضيلةِ
 مَنْ لَمْ تُدَسُّ أرضُهُ
 إن طالعتك لها المعـ
 كم أهملوا الإصلاحَ فيـ
 كم أخلفَ الوعدَ الذي
 فاخلعُ رداءَ الجهلِ إنَّ
 والبسُ ثيابَ المجدِ أنـ

يا جِمي الشرفِ الغيور
 مدنيةً كذبُ وزور
 ولُ حُطِّمَتْ فوق الصخور
 كُ وأنتَ عانٍ لا تبور
 أعطاكهُ منهم وزير
 العلمَ بينَ الناسِ نور
 تَ بثوبه أبداً جدير

(١) حار : حار يحور حوراً، وحوراً: رجع ونقض، وهنا بالمعنى الثاني.

(٢) الحشاشة : ما يضمه باطن الإنسان.

موكب الربيع (*)

ألا حبّذا جلسةُ الرباية على شاطئِ الترعَةِ الجارية
وقد لبسَ الريفُ ثوبَ الربيع فنَبّه جناتِهِ الغافية
وظلّت على الأيكِ فوق الغصون طيورٌ بألحانها شادية^(١)
تُهايمسُ بالحبِّ عشاقتها فتنقله النسمةُ الواشية

* . * . * . * . *

إذا جاء عهدُ الربيعِ الجميل فقمْ نظر الحسنِ في ضاحيه^(٢)
هناكُ الجمالُ جمالُ الحقولِ هناكُ الطبيعةُ كالغانيه
نرى الزهرَ كللَ هامِ الرُبي فأكسبها فتنةً طاغيه
فكم لوحهٍ لبديعِ الرياض هنالك عن سترها عاريه
ألا إنّ هذا لعيدُ النفوسِ ففيمَ الأنينُ أيا ساقيه

* . * . * . * . *

هناكُ مُكبٌّ على أرضِهِ سعيداً بغلتها الناميه^(٣)

(*) مايو - أيار - ١٩٥٤ .

(١) الأيكُ الشجر الملتف الكثير، والغبيضة تُنبت السدر والأراك، أو الجماعة من كل الشجر

حتى من النخل. الواحدة أيكة، شادية: مغنية.

(٢) الضاحية: ما تنحى عن المساكن وكان بارزاً.

(٣) النامية: المتكاثرة.

وعانٍ تَفِيئاً عِنْدَ الْمَقِيلِ من التوتِ ظَلَّتُهُ الدانِيهِ (١)
ومن راح يسعى إلى جدولٍ لتشربَ من مائه الماشِيهِ
ومن فوقه نِسوةٌ قد جَلَسْنَ لغسلِ الثيابِ أو الأنيهِ
فمن عذبةِ النطقِ ثرثارةٍ إلى ذاتِ سرِّ بهِ ساعِيهِ (٢)
حياةٌ لها البشرُ، فيها الهدوءُ عليها السلامُ، بها العافيهِ

* . * . * . * . *

وفيما ترى العينُ صفصافةً ومن تحتها طفلةٌ جاثِيهِ
ترى بهجةَ العيشِ في قطعةٍ من الطينِ ظلَّتْ بها لاهِيهِ
وتنظرُ فيها نعيمَ الحياةِ به كل ألوانها الزاهِيهِ
بها أسرعُ عن فُصولِ العيونِ إلى الظلِّ وانتبذتِ ناحِيهِ (٣)
تصوُّرٌ منها عروسَ الخيالِ وتمنُّحها البسمةَ الرأضيهِ
على أيِّ معنى لبشرِ القلوبِ تدل سعادتها الباديهِ
إلى أيِّ قدسٍ لظهرِ النفوسِ تُشيرُ براءتها الطافيهِ

* . * . * . * . *

وطفلٌ تسلَّقَ حتى ينالَ من التوتِ دوختَه العالِيهِ
إذا ما ارتقى فوقها قِمَّةً وشارفِ أغصانها الواهيهِ
تُهددهُ في اهتزازِ بهِ كأمٍ على طفلها حانيهِ (٤)
ويأكلُ حتى إذا ما بدا

(١) عان : من العاني وهو المتعب .

(٢) ساعية : يقصد أن هذه المرأة تحدث بسر عندها وتذيعه .

المقيل : ما بين الظهر والعصر .

(٣) انتبذت ناحية : انتقت ناحية بعيدة وجلست تلعب بها .

(٤) تهدده : كأنها تهزه هزاً رقيقاً لينام .

يهزُّ إليه بأفنانها فتغدق كالديمة الهاميه
وتسقط أثمارها في القناة تحالط أوراقها الذأويه
فيأكلُ منه الرفاق الصغار وتسحقه الأرجل الحافيه

* . * . * . * . *

حبيبي إذا ما أتانا الربيعُ وعاد ببهجته النائية
وعادت ليالي الصبا والجمال إلى ضفة لهوى ثانيه
ورنَّ على الشطِّ ناي الغرام فغنى على لحنه راويه
بنا قم إلى موكب العاشقين نعب كؤوس الهوى صافيه
فليس حياة لنا غير ما نقضيه من ساعة حاليه^(١)

* . * . * . * . *

(١) هذه أوهام المراهقة . فالحياة الهائثة هي في رضوان الله ، ولنا من دنيانا أعمالنا التي نحاسب عليها .

في دائرة الأسرة

1

1

1

1

مولد الرفاعي (*)

بات الفؤادُ صبايةً يتحرَّقُ وبه إلى دار الحبيبِ تَشوُّقُ^(١)
 نأتِ الأحبَّةُ، فالديارُ بعيدةٌ والقلبُ من نارِ الجوى يتمزَّقُ^(٢)
 عاهدتُّهم عهداً وإنِّي إذ ناوأ باق عليه ولَنْ يحلَّ المؤثَّقُ^(٣)
 يا راكباً، وأراه ولَّى وجهه شطرَ الأحبَّةِ إنني لمؤرَّقُ
 قف واحملنْ فتىً أضربُ به النوى يبغي المسيرَ إلى الحبيبِ ويعشق
 كم فاضَ وجداً للاحبَّةِ قلبه حتى غدا وهو العليلُ المرهقُ
 وأنخِ ركابك إن وصلتِ بساحة من نورها وجهُ الفضائلِ مشرق
 هي بعدَ بيتِ الله أعظمُ كعبة حجَّ الأكارمُ صوبها وتدفعوا^(٤)
 قد شيَّدت أركانها أيدي الألى بيمينهم قبسُ الهدى يتألقُ
 هم نبعُ كلِّ كريمةٍ وأساسها وبفضلهم غصنُ المروءةِ فورق
 وبهم يسيرُ الهدى وثابَ الخطى ويخرُّ شيطانُ الضلالِ ويصعقُ^(٥)
 هم سرحةٌ بالهديِ بوركِ غرسها إن جفَّ أصلُ قام فرعُ معرق^(٥)

(*) القيت في الاحتفال بالليلة الختامية لمولد جدي السيد هاشم الرفاعي بحضور النائب المحترم

الشيخ عبد العظيم عيد نائب أنشاص في ٣١ مايو- أيار- ١٩٥١ .

(١) الصباية: رقة الشوق.

(٢) الجوى: المحرقة وشدة الوجد.

(٣) ناوأ: ابتعدوا.

(٤) في الأبيات مبالغة في الفخر واعتزاز بالنسب.

(٥) السرحة: الشجرة الطويلة العظيمة.

يُعْطَى الْفَقِيرُ بِهِ الْعَطَاءَ وَيَرْزَقُ
 وَسَمَا لَدَيْنَ اللَّهِ صَرْحٌ شَاهِقٌ
 وَنَرَى وَجْهًا بِالْجَلَالَةِ تَنْطِقُ
 وَلَهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ قَلْبٌ يَخْفِقُ
 فَشْرَابُهُمْ، نَعَمَ الشَّرَابُ الرَّيِّقُ
 وَمَلَائِكُكَ مِنْ فَوْقِهِمْ قَدْ حَلَقُوا
 كَلَا وَلَا شَمْلٌ هُنَاكَ مُفَرَّقٌ
 وَاللَّهُ جَلٌّ إِلَى الرَّشَادِ مَوْفِقٌ
 مِنَ الْبِنْدَاءِ مِنَ الْأَحْبَةِ أَخْلَقُ؟^(١)
 وَالْبَابُ دُونِي - لَا أَظُنُّ - سَيَعْلَقُ
 فَالْعَطْفُ أَحْرَى بِالْكَرَامِ وَالْيَقِ
 أَمَلٌ وَيُدْفَعُنِي رَجَاءٌ صَادِقٌ
 يَوْمَ الْغَمَامِ بِهِ السَّمَاءُ تَشَقُّقُ
 يَسْقِيهِ مِنْ كَأْسِ النِّعَمِ الْخَالِقُ
 وَالرَّأْسُ مِنْكَ مِنَ الْمَهَابَةِ مُطْرَقٌ
 لِهَمَا مَنَارٌ لِلرَّشَادِ وَمَشْرُقٌ^(٢)
 كَمْ أَحْرَزَا مِنْ رَفْعَةٍ لَا تُلْحَقُ!
 مَا مَالٌ بِالْأَرْجَاءِ غَضْبٌ بَاسِقٌ
 وَأَائِمَةٌ فِي كُلِّ فَضْلٍ تَسْبِقُ
 عِطْرُ الثَّنَاءِ لَهُ جِزَاءٌ أَلْيَقُ

سَوْقًا أَقَامُوا جُلَّ سِلْعَتِهِ نَدَى
 فَبَنُوا مَنَارًا لِلْحَنِيفَةِ عَالِيًا
 أَسْرَعُ فِدَيْتِكَ كِي نَلَمَّ بَدَارِهِمْ
 وَنَشَاهِدُ الْأَحْبَابَ إِذْ جُمِعُوا بِهَا
 تَمَلُّوا بِشَرِبِ الْهَدْيِ مِنْ كَأْسِ التَّقَى
 وَرِعَاهُمْ الرَّحْمَنُ جَلًّا جَلَّالُهُ
 لَا الْبُغْضُ شَقٌّ إِلَى النُّفُوسِ سَبِيلُهُ
 بَلْ ثُمَّ دَيْنٌ خَالِصٌ وَهَدَايَةٌ
 أَجْهَرُ بِصَوْتِكَ إِنْ وَصَلَتْ وَنَادِهِمْ
 يَا قَوْمُ إِنِّي قَدْ وَقَفْتُ بِبَابِكُمْ
 عَطْفًا عَلَيَّ، وَلَسْتُ أَنْشُدُ غَيْرَهُ
 وَدَعْتُ قَوْمِي وَانْطَلَقْتُ يَسُوقُنِي
 وَأَتَيْتُكُمْ أَبْغِي النِّجَاةَ مِنَ الْأَذَى
 وَإِذَا اهْتَدَى عَبْدٌ بِهَدْيِ أَوْلَى التَّقَى
 وَاخْشَعَ مَلِيًّا بِالضَّرِيحِ مُسَلِّمًا
 قَبْرٌ طَوَى عِلْمِينَ فِي جَنَابَتِهِ
 كَمْ جَاهَدْنَا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ
 لِهَمَا مِنَ الرَّحْمَنِ أَلْفُ تَحِيَّةٍ
 وَإِذَا ذَكَرْتَ أَوْلَى الْمَرْوَةِ وَالنَّدَى
 فَادْكُرْ بِخَيْرٍ فِي الْمَحَافِلِ سَيِّدًا

(١) هذا البيت وإلى البيت (وإذا اهتدى عبد) غير موجود في نسخة «آهات شريفة» بل هو في «المختارات» أخلق: أجدد وأحق.

(٢) يقصد بالعلمين جده هاشم ووالده مصطفى الرفاعي.

وانشد: أبا عيد^(١) أتيتك مادحاً
 إن البيان بخيله وبرجله
 لن يستطيع مديح ذاتكم التي
 في كل عام أنت درة حفلنا
 وإذا الوجوه رأته بهاك جرى بها
 فخر الرجال العاملين وخير من
 إني أراك لدى السلام مسالماً
 فإذا رضيت فأنت نور مشرق
 يا من له عند الشيوخ مكانة
 إن كان بين الناس بر صادق
 أو كان ثمة من يقول بأنه
 فلأنت في كرم الشمائل «حاتم»
 عودت جاهك بالنبي فإني
 فلعلني فيما أقول أوفق^(٢)
 مهما مكثت أصوغه وأنمق
 أنى تسيّر بها المهابة يحدق
 تُضفي علينا من سنائك وتغدق
 ماء النضارة صافياً يترقرق^(٣)
 في البرلمان به الأكف تصفق
 وأراك سيفاً في الشدائد يمحق^(٤)
 وإذا غضبت فأنت نار تحرق
 وبه الشباب متيم ومعلق^(٥)
 بالمعوزين فإن برك أصدق
 يعلوك قدراً فهو غر أحمق^(٦)
 ولأنت في صدق العزيمة «طارق»^(٧)
 أخشى عليك من الحسود وأشفق^(٨)

* . * . * . * . *

- (١) أبو عيد : يشير إلى أحد أعضاء البرلمان في منطقته وهو الشيخ عبد العظيم عيد.
 (٢) من «المختارات».
 (٣) البهاء : الحسن. النضارة: الحس والروتق،
 (٤) هذا البيت والبيتان اللذان بعده من نسخة «المختارات».
 (٥) متيم : محب ومعلق أيضاً.
 (٦) غر : جاهل.
 (٧) هذا البيت من نسخة «المختارات».
 حاتم الطائي ويضرب به المثل بالكرم، وطارق بن زياد هو القائد المسلم المشهور الذي فتح
 الأندلس ويضرب به المثل في الشجاعة.
 (٨) في القصيدة كثير من المبالغات ولكن ذلك يتعلق بالسن المبكرة التي قال فيها هذه القصيدة،
 إضافة إلى أن التعود بالنبي لا يجوز ولا تكون الاستعانة والتعوذ إلا بالله العلي العظيم.

مولد الرفاعي

[أُقيمت في حفل الليلة الختامية لمولد جدي السيد هاشم الرفاعي
بإنتصاب في ٢٢ مايو - أيار - ١٩٥٢، بحضور الشيخ عبد العظيم عيد
نائب إنشاص].

دعاني إلى الإنشادِ شوقٌ سما ليا
رمتني صروفُ الحادثاتِ بسهما
أأخفي وفي الإخفاءِ نازٌ ولوعةٌ؟!
وقد بتُّ يُضنيني حديثُ عواذلي
يقولون صبُّ قد ألمَّ به الهوى
ألا قاتلَ الله البكاءَ فإنه
سيرثي لحالي من أطالوا ملامهم
يقول خليلي عندما شَفَّنِي الأسي
ألا أيها الباكي على طَلَلِ الهوى
وتشدو قريضاً كلُّه الحب والنوى
وما كنتُ لولا هِزَّةَ اشوقِ شاديا
وحسبي شقاءً أن أرى الحبَّ دائيا
وأكتمُ والكتمانُ يُدمي فؤاديا
إذا ما رأوا دمعي على الخدِّ جاريا^(١)
فأورثهُ سقماً على الوجهِ باديا
بما في فؤادي كان للقومِ واشيا^(٢)
إذا حملوا في حُبِّهم بعض ما بيا
فرحْتُ أناجي الربيعَ هيمانَ صاديا^(٣)
تنادي: سقى الله العمودَ الخواليا^(٤)
به الشوقُ والذكرى لك الله لاهيا

(١) العواذل : جمع عاذل وهو اللائم المبغض.

(٢) الواشي : المخبر بالأسرار.

(٣) شَفَّنِي الأسي : أهزلني الهم . الربيع : مكان نزول القوم وهو مشتق من الربيع . هيمان صاديا :

عطشان كثير العطش أهييم على وجهي من شدته .

(٤) الطلل : ما شخص من آثار الديار . الخوالي : التي مضت .

دع الوجدَ واتركَ ذكركَ العشقَ جانباً
وسرُّ بالقوافي نحو قومٍ أعزّةٍ
رجالٌ إذا ما المزنُ ضنّتْ بماتها
متى تأتِهمُ تلقُ السماحةَ والندی
أبوهم إمامُ الهدى والجدِ هاشمُ
همامُ بنى للدينِ مجدداً مؤثلاً
تَعْنَى مقيمٌ في السديارِ بپرّه
يجودُ إذا ضنَّ الجوادُ بنفسه
ولا خيرَ إلا كانَ للخيرِ رائداً
هو العلمُ والتقوى. بهالخيرِ والهدى
فهذا الذي إن عاشَ يحيا مكرماً

* . * . . . * . *

المِّ بقبر الشيخ إن جئتَ زائراً
هناك وجوهٌ، ظلّها الله بالهدى
دعاها إلى الخيراتِ داعٍ فأسرعت
وليسَ لعمري من بيتٍ على هدى
مجامعُ للإرشادِ من حجّ نحوها
تجد عندَ قبرِ الشيخِ للخيرِ ناديا
وصبّتَ عليها من سنأه الغواديا
تليبي إلى الخيراتِ في الله داعيا
كمن باتَ من ثوبِ الفضائلِ عاريا
يكن في الورى من عثرة الإثمِ ناجيا

(١) التشبيب : التغزل بالنساء .

(٢) يقصد بالقوافي : الشعر .

(٣) المزن : السحابة البيضاء أو الممطرة . والغيث هو المطر .

(٤) الندى : الكرم .

(٥) المؤثّل : الأصيل .

(٦) آسيأً : مداويأً .

أقام لها ركناً أخو الهدى جامع
عليه سلامُ الله كم كان ذا تقى
قضى عمره مثل الزهورِ فعيشها
بناها له الحسنى فأعلا المبانيا^(١)
وكم كان براً للحوائجِ قاضيا
قصيراً ولكن تترك العطرَ زاكيا

* . * . * . * . *

وإن شئت عداً للكرامِ أولي النهى
فلا تنسَ بالذکر المعطرِ سيداً
جوادَ عهدناه إلى البرِّ مسرعاً
وما الثُّبُلُ من عبد العظيمِ تطبعُ
عرفنا له في كل مكرمة يداً
وهمتُه في الحقِّ دون ثباتها
عظيم رفيعُ القدر، يسعى إلى العلا
لئن شئت إحصاءً لكل خصاله
ويكفي أباعيدٍ من المجد أننا
وما الوفاءُ إلا الحقُّ والقوة التي
رجالُ نراهم ما ارتضوا أن يُذلنا
يسير بهم للنصرِ إقدامُ مصطفى
زعيمٍ أبى أن نقطع الدهرَ كله
فهبَّ إليهم طالباً لجلالتهم
وجاهدهم باللين والحلم تارةً
فأضرمَ نيراناً وأشعلَ ثورةً

وكنت بذكر الأكرمين مناديا
لما نال من فضل مشى الدهر راويا
إذا عزّه في البرِّ أيدي توانيا
ولكنه طبع به عاش حالياً^(٢)
ونعلمه للبذل في الخير ساعيا
ثبات قوي الطود قد بات راسيا
ويعشق في نفع البلادِ التفانيا
لأعجزت عن سردِ الخصالِ المعانيا
نرى غصنه في دوحة الوفاءِ ناميا
تضم صنائداً وتحوي دراريا
عدو فجاؤه أسوداً ضواريا
قوى الحجا من عاش للنيل حاميا^(٣)
عبيداً لأعداء لنا ومواليا
ينادي بأن النيل ما عاد غافيا
فما كان منه اللين في الحق كافيا
وجرد أسيفاً وهز عواليا

(١) اسم والد الشاعر جامع .

(٢) النائب الشيخ محمد عبد العظيم .

(٣) يشير إلى مصطفى النحاس زعيم الوفد . وكان الشاعر متأثراً ببيئته ويرى أن حزب الوفد أمل

مصر، والمحافظ على مصالحها .

وجمّع من كلّ البلادِ كتاباً
كذلك شأنُ الحرِّ إن ضاعَ حقُّه
فمن مثلهُ في الناسِ يوماً وقد مضى
يذودُ عن الحوضِ الكريمِ بهمةٍ
ويدفعُ عن أرضِ الكنانةِ غاصباً
ويا رُبَّ شرِّ كانَ للشرِّ حاسماً
أقامَ غداةَ الروعِ ليشاً مُظفراً
ونحنُ لهُ جندٌ نُضحِي بنفسنا
بذلنا لها الأرواحَ عن طيبِ خاطرٍ
فلما مضينا في طريقِ جهادنا
ولاحَ لنا فجرُ الجلاءِ بضوئه
تكشَفَ ما أخفى الهوى من مكيدةٍ
وألقى زعيمُ النيلِ رُمحَ طعانه
لقد كانَ سيفاً صادقاً يمحِقُ العدا
وما الذنبُ ذنبُ السيفِ في جوفِ غمده

وسيرَ جنداً للأسنةِ شاكياً
أناةً، فإن لم تُغنِه قامَ غازياً
يؤدبُ جباراً، ويكبُحُ عاتياً
وعزيمةً صنديدٍ تهدُ الرواسيا
ويحمي بحدِّ السيفِ للنيلِ واديا
ويا رُبَّ داءٍ كانَ للداءِ شافياً
وعن مصرِ والسودانِ ردَّ العواديا
ونُرخصُ في حُبِّ الكنانةِ غالياً
وسالَ دُمَّ الأبطالِ أحمرَ قانياً
ملياً وكِدنا أن ننالَ الأمانيا
فبتنا نرى النصرَ الذي كانَ دانياً
وأبدتْ لنا الأيامُ ما ظلَّ خافياً
فخلفَ صرحاً في الكنانةِ دامياً
ومضربُهُ ما كانَ بالأمسِ نايباً
لحا اللهُ قوماً ينصرونَ الأعاديا

* . * . * . * . *

مولد الرفاعي (*)

لعبت بلبك ذات طرفٍ أكحلٍ وحنث عليكِ بيسمةٍ لمُقبِلِ (١)
لما رمتك من العيونِ بفاتكِ ورنثٍ إليكِ بمثلِ حدِّ المنصِلِ (٢)
تركتك نهياً للوساوسِ تتقي تفنيدَ خالٍ أو شماتةَ عُذِلِ (٣)
وطوتُ ضلوعك خافقاً عبثت بهِ وتقصدتهُ لدى الهوى في مقتلِ
ووشتُ بأسرارِ الغرامِ إلى الدجى عيناكِ إذ همتا بدمعِ مُسبِلِ (٤)
رقدتُ جفونُ العاشقين فكيف لمُ ترقدتُ جفونُ الساهرِ المتململِ (٥)
حتى متى هذا العذابُ وإنه للظى سعيبرٍ في فؤادك مُشعلِ
وإلامَ تستجدي الظلامَ خيالها حتى يبدهُ صباحُ مُنجلي

* . * . * . * . *

عادتُ بما تلقاهُ نظرةُ شادينِ كلفٍ بتحطيمِ القلوبِ موكلِ (٦)

(*) أقيمت في الإحتفال بالليلة الختامية لمولد جدي السيد هاشم الرفاعي بإنشاص في ١٣ أغسطس -
آب - ١٩٥٣ . (المجموعة الأخيرة) .

(١) اللب : العقل . الطرف الأكحل : العين التي يعلو جفنها سواد مثل الكحل . المقبل : الفم .

(٢) رنا : أدام النظر إليه . المنصل : السيف .

(٣) التفنيد : تضعيف الرأي واللوم . خالٍ : الخالي .

(٤) وشت : من وشى : بمعنى أخبر وأذاع . همتا : من هما : بمعنى سال . المسبل : من أسبل ،

بمعنى هطل .

(٥) المتململ : من تمللمل : إذا لم يستقر .

(٦) شادين : الغزال الذي يستغني عن أمه ويظهر قرناه . كلف : مولع .

ما كَانَ أَهْوَنَهَا عَلَيْهِ وَإِنْ تَكُنْ
 ماذا لقيست من الهوى، ونعيمه
 أما الحسودُ ففي غرامِكِ لائِمٌ
 جهلَ الذي تلقاهُ من ألمِ الهوى
 إن التي قد غادرتك بسُحرةٍ
 بأن الخليطُ بها فعزُّ نوالها
 يا راكبَ الوجناءِ قد حثَّ الخطا
 إن أبصرت عيناكِ شامخَ قُبّةٍ
 ورأيتِ ساحاتٍ لها قد زُينت
 خفقتُ بها لله أرفعُ رايّةٍ
 فاقصدُ إلى بيتِ العُلا من هاشمٍ
 قسماً بهم لو زرتهم لوجدتهم -
 تلك المنازلُ قد أقامَ بها الهدى
 يرثُ السنا والمجدَ فيها كابرٌ
 سوقاً أقاموا فيه بذلَ للقري
 تركتك عن سُبُلِ الهناءِ بمعزلٍ
 ناراً، وحلُو مذاقِه كالحنظلِ
 تباً لهذا اللائِمِ المتدفلِ
 ما كان يُزجي اللومَ لو لم يجهلِ (١)
 تركتك نضو تفرّقٍ وتزِيلِ (٢)
 واحرَّ قلبك من هوى المُترحلِ (٣)
 في إثرِ ركبٍ في الدجى متحمّلِ (٤)
 غراء تجتازُ السحابَ وتعتلي
 فبدتُ لعينك ذاتِ ثوبٍ أجملِ
 في ظلّها الأملأُك تهيطُ من علِ
 وبيابِ أربابِ الندى فترجّلِ (٥)
 أندی عليك من الغمامِ المُثقلِ (٦)
 عنها مدى الأزمانِ لم يتحوّلِ
 عن كابرٍ علمٍ أغرَّ محجلِ (٧)
 للبايسِ العافي وإن لم يسألِ (٨)

(١) تزجي : من زجى . تزجيه بمعنى تدفعه برفق .

(٢) السحرة : السحر قبل انصداع الفجر . النضو : البعير المهزول .

التزِيل : من زيل بمعنى المفارقة والتباين .

(٣) بان : افترق وابتعد المفارقة والتباين . الخليط : المخالط والجلس والنديم . عز : صعب .

(٤) الوجناء : الناقة الشديدة ، وقيل العظيمة الوجنتين .

(٥) الندى : الكرم .

(٦) لقد غفل الشاعر عن عدم جوار القسم إلا بالله ودفعته عاطفته نحو آياته للقسم بهم .

(٧) الأغر : الذي في جبهته بياض وهو كناية عن شهرته بين الناس المحجل : هو الفرس الذي في قوائمه بياض وهنا كناية عن شهرته .

(٨) القري : الإحسان للضيف وإكرامه . العافي : والجمع عفاة ، وهو طالب المعروف .

قد جُمعَ الأحبابُ في ساحاتِهِ
 المانحُ المسكينَ - حينَ يجيئُهُ -
 والمصدرُ الصادي - أضرَّ به الظما -
 في زخرفِ الدنيا وفي لألائِها
 سلكَ الطريقَ إلى محبَّةِ ربِّه
 وحبَّاهُ منه برفعةٍ موصولةٍ
 من كلِّ ساعٍ للشوابِ مُعجَّلِ
 من فيضِهِ برَّ الكريمِ المجزَلِ^(١)
 من بعدِ ما يرويه عذبُ المنهلِ^(٢)
 ما كانَ غيرَ الذاهلِ المتبتلِ^(٣)
 فجزأهُ بالذكرِ الحميدِ الأطولِ
 وعلاً تعزُّ على السماكِ الأعزَلِ^(٤)

* . * . * . * . *

يا نضرَ الرحمنُ قبراً قد ثوى
 من معشرٍ باعوا الإلهَ نفوسَهُمُ
 الذاكرينَ اللهَ في حلكِ الدجى
 والمنتمينَ إذا نسبتَهُمُ إلى
 في جوفِهِ للبرِّ أكبرَ موئَلِ^(٥)
 يرجونَ منهُ مثوبةَ المتقبَّلِ
 والراكعينَ بعبرةٍ وتذللِ^(٦)
 عُصنِ الفَخارِ من النبي المرسلِ

* . * . * . * . *

يا ربَّ عشنا في الكنانةِ حُقبه
 مرت بنا الأيامُ في لونِ الدجى
 تركوا ديارَهُمُ فتلكَ جُموعُهُمُ
 نادى منادِيَهُمُ بيابِ خيامَهُمُ
 نهبُ الكوارثِ والخطوبِ التُّنزلِ
 نشكو إليك جنائيةَ المتوغلِ^(٧)
 حَجتَ إليه وأقبلتَ في جَحفلِ^(٨)
 يا طالباً للزادِ نيلاً أقبلِ

(١) المجزَل : المكثِر.

(٢) المصدر : المرجع . الصادي الظمان . المنهل : المورد.

(٣) اللألأ : اللمعان . الذاهل : ذهل عن الشيء ونسيه . التبتل : الانقطاع عن الدنيا .

(٤) السماك الأعزل : من منازل القمر .

(٥) الموئَل : الملجأ .

(٦) الحلك : الظلمة والسواد .

(٧) الجنائية : الجريمة . المتوغل : الممعن في الجريمة .

(٨) الجحفل : الجيش .

وبكلِّ ناحيةٍ وكلِّ محلَّةٍ
«قومي أولئك يا فرزدق فألقني
«قومٌ نماهم للمكارمِ هاشمٌ
ربُّ الندِيِّ وصاحبُ الساحاتِ مَنْ
ألقى له الأشرافُ غايةَ مجدهمُ
وأقامَ للدينِ الحنيفِ دائماً
أما الفقيرُ فقد أجازَ حياءهُ
وهدى الغويُّ إلى طريقِ نجاتِهِ
فمنارُ إرشادٍ وكعبةُ قاصدِ
إذ مصرُ قد رُميت من القومِ الألى
حكَمَ الكنانةُ خائنٌ مستهترُ
إن شيدَ الإصلاحُ صرحَ كرامَةٍ
حتى إذا شاءَ الإلهُ نجاتنا
وثبتَ على العرشِ البغيضِ جماعةُ
أعمى الضلالُ العينَ منه فما رأى
حتى إذا عزلوه أدركَ أنه
سائلُ هناكَ القصرَ عن ربِّ الهوى

ينسابُ للقرآنِ صوتُ مرثلٍ
إذ ما فخرتَ على جريرِ بنهشلٍ (١)
فخرُ المجامعِ في الزمانِ الأولِ
كان السحابُ لكلِ وادٍ ممجِلٍ (٢)
شهدتُ له الأضيافُ أرحبَ منزلٍ
ومضى على السننِ القويمِ الأفضلِ
وحماه من صرفِ الزمانِ الحوَلِ (٣)
من شرِّ شيطانٍ وغيٍّ مضلٍ (٤)
وغيثُ مذعورٍ وغيثُ مؤمِّلٍ
ملكوا أزمتهَا بداءٍ مُعضلٍ (٥)
طاغٍ بشأنِ بلادهِ لم يحفلٍ (٦)
يسعى إلى هدمِ البناءِ بمعولٍ
من جائرٍ في حكمِهِ لم يعدلٍ (٧)
من جيشنا المتحفِّزِ المستبسلِ
أمر الذين عيونهم لم تغفلِ
من يبغِ للنيلِ المهانةَ يُخذلِ
والليلِ، كيفَ نهايةُ المتبدِّلِ (٨)؟

(١) هذا البيت وما بعده لجرير يضمنهم شاعرنا ليفخر بأجداده.

(٢) الوادي المحمل : الذي لم يأت المطر ولم ينبت نباتاً.

(٣) الحوَل : المتقلب.

(٤) الغيِّ : الضلال.

(٥) الداء المعضل : الداء الشديد الذي يصعب شفاؤه.

(٦) يقصد بذلك الملك السابق فاروق.

(٧) جائر : ظالم.

(٨) المتبدِّل : المسرف على اللهو والمفاسد.

يا قصرُ ما كانَ الغداةُ بمانعٍ
تلكَ الرياضُ الناضراتُ كأنها
إبليسُ غادرها رجيماً إنه
طلعت عليه الشمسُ وهو مملكُ
في هذه الدنيا وفي أحوالها
إن الإلهَ لممهلاً ، لكنَّهُ
يا ربِّ ماضينا تولى وانقضى
أيدي العدالةِ كلُّ بابٍ مقفلٍ
عدنٌ بها من كلِّ وادٍ مُبقلٍ^(١)
لم يرعَ حقَّ المنعمِ المتفضلِ
وغدا الطريدَ مع الظلامِ المُسدلِ
عِظَةُ اللَّيْبِ وعِبْرَةُ المتأملِ
ما كانَ يوماً للغويِّ بمهمِلِ
بعهوده، ندعوكَ للمستقبلِ

* . * . * . * . *

(١) المبقل : الذي ينبت فيه البقول والزرع.

ذكرى مولد الرفاعي (*)

إليك سعى الأحبابُ والصحبُ يا جَدُّ يُحرقُهُم شوقٌ ويدفعهم وجدُّ
فجائبُ أضناها المسير بأهلها

وطال بها التأويب^(١) والرمل^(٢) والوخد^(٣)

فما أقدَّ الساعي لأرضكِ نأيها ولا أعجز الساعي على رجليه بعد
وذو الظمأ المشتاق لا يعرفُ الونى ولا الضعفَ حتى يستبين له الوردُ
نفوسٌ هي الإيمان والطهرُ أبلت يفيض بها حبٌ ويملؤها ود
وأفتدةٌ من كلِّ صوبٍ، تجمعتُ على طاعةِ الرحمن يُمسكها عهد
أتتك زرافاتٍ تغالبُ شوقها وجاء إليك الوفد يتبعه الوفد
وفي الساحةِ الكبرى أُقيمت منازلُ يُرى عندها الإكرامُ والخيرُ والوفد
خيامٌ لساداتٍ رفيعٍ عمادها يشبُّ إذا أمسوا لنيرانهم وَقَدُ
بها البذلُ للعافين^(٤) والزادُ والقري

* . * . * . * . *

(*) أقيمت في الليلة الختامية لمولد الرفاعي ١١ أغسطس / آب سنة ١٩٥٥.

(١) التأويب : السير طول النهار.

(٢) الرمل بفتح الميم : الهولة. وهي هنا ساكنة للضرورة.

(٣) الوخد : إسراع البعير وهو يرمي بقوائمه كالنعام.

(٤) العافون : الضيوف ، طالبوا الرزق.

وقبرك فيه الزهد والعلم يا جدُّ
وأخراك فيها مجمع الهدى والرشد
وغيث رفيع القدر ما انتظم اللحد
وفخر الألى في الله شفهم السهد
إلى كل ركن في المكارم تمتد
ومن ليس يعدوهم إلى سؤدد فرد
هم القوم عاشوا والزمان لهم عبد
كثير إذا نودوا، قليل إذا عدوا
تواضعهم جم، فضائلهم عدَّ

ضريحك مثوى البر والفضل والتقى
ودنياك كانت للأنام هدايةً
وفي الأرض من النبل يا جد والسنا
فيا فرع أسمى دوحه نبوية
ويا غصن أزكى سرحة^(١)
لأنت ابن من سادوا الأنام بدينهم
فلا تنزل العلياء إلا بدارهم
كراماً إذا أعطوا، شمس إذا بدوا
حسان سجايهم، جزيل سخاؤهم

* . * . * . * . *

مقيمين مذ ألوى^(٢) بصارمك الغمد
فآزره فالسوق^(٤) تنمو وتشتد
ولذ ثماراً عندها يُطلب الشهد
مناثر للارشاد أمجادها تلذ^(٥)
ومن يدهم في كل نائبة برد^(٦)
وكل كريم عنده يصدق الوعد
فزانوه إجلالاً وزانهم البرد
لمثلك يهدى الشعر والشكر والحمد

ويا أبتا، إنا على العهد لم نزل
غرسك لا غرسا فأخرج شطاه^(٣)
فأينع أزهاراً وطاب مجانياً
وأنت الذي شيدتها فرفعتها
من الباذلين الخير في ساحة
ومن صدقوا لله وعداً وموثقاً
ومن لبسوا برد الحنيفة طاهراً
فإن صغت فيك الشعر دُرّاً فإنما

(١) السرحة : الشجرة الطويلة، لا شوك فيها.

(٢) ألوى به : ذهب.

(٣) الشطاء : ما يحيط بالنبات كالأوراق أو اللحاء.

(٤) السوق : جمع الساق.

(٥) تلذ : بضم التاء وسكون اللام، بفتح فسكون، بفتح ففتح. ومثله تالد وتلاد وتلبد : الشيء كان

أو ولد في بيتك من قديم، وعكسه طارف وطريف.

(٦) برد : سكينه.

مَعَ ذَكَرِيَّاتِ الدَّرَاسَةِ وَالتَّعْلِيمِ

1

1

1

1

صورة ساخرة (١)

[٧ مارس - آذار - ١٩٤٨]

[«وهل الحياة إلا صور ساخرة، منها ما يبعث على الضحك ومنها ما يبعث على الرثاء؟... وفي الصفحات التالية أقدم صوراً ساخرة في مقطوعات شعرية.

حسرة .. وندم .. «حيث لا تنفيذ الحسرة.. ولا ينفع الندم»]

قذِفَ الزمانُ بسهمِهِ فأصابَ مني مقتلاً
ليسَ الزمانُ بظالمٍ في حكمِهِ كلاً ولا
فأنا الذي أمضي تُتْ عامي لاهياً متجولاً^(٢)
فإذا ذهبْتُ لمعهدٍ أغدو له متثاقلاً^(٣)
وإذا صحتُ مُبَكِّراً فلكي أعدُّ المأكلاً
وإذا سهرتُ جعلتُ من دار الخيالةِ منزلاً^(٤)
كيفَ النجاحُ إذا ولم أك للعلومِ محصلاً^(٥)
حكمَ الإلهُ ولم يكن مُتغيراً مُتبدلاً

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة في إحدى مجموعاته بعنوان (ندم).

(٢) كانت في نسخة «نسيم السحر» (لأعبا) بدلاً من لاهياً ثم صححها في نسخة آهات شريفة على الصورة هذه.

(٣) كانت في نسخة «نسيم السحر» (متباطئاً متثاقلاً).

(٤) كانت في نسخة «نسيم السحر» وإذا سهرت فللخيالة قاصداً ومغولاً ثم صححها في نسخة آهات شريفة على الصورة هذه. والخيالة: السينما.

(٥) كانت في نسخة «نسيم السحر» وأروم نجحا بعد ذلك ولم أكن متأهلاً.

خيانة

[في امتحان الدور الأول للسنة الثالثة الابتدائية وقع بيني وبين الأخ «شوقي أحمد سليم» من ميت يزيد شرقية ما جعلني أرسل له هذه الأبيات مازحاً].

[١٢ مارس - آذار - ١٩٤٨]

قل لي برِّك هل رأيت صديقاً للسرِّ يسرقُ أو يخونُ رَفيقاً
إنَّ الصداقةَ في الأمانةِ إنَّها أسُّ الفضائلِ، فاسلكنَّ طريقاً
فأرض الصديقِ وكن أميناً عنده والسرُّ لا تسرقُ تكنَّ صديقاً
لا تفتحنَّ أوراقَ غيرك مطلقاً واحفظْ عهدِي لا تكنْ زنديقاً

* . * . * . * . *

صداقة

[وهذه بعض أبيات كتبها على سبيل الذكرى للأخ علي محمد سليم بالسنة الثانية الثانوية، وهذه الأبيات هي ثاني قطعة شعرية نظمتها].

عليّ للعلا أهلٌ وكفاء جديرٌ بالمحبَّةِ والودادِ
صديقٌ لا يعادلهُ صديقٌ لديّ فإنَّه خيرُ العبادِ
صحبُ الدهرِ ستَّةَ عشرَ عاماً وطُفْتُ جميعَ آفاقِ البلادِ
فلمْ أرْ غيرهُ خِلاً وفيأ يصادقُ منْ أصادقُ أو يُعادي
عدويّ. فهو للإخلاصِ رمزٌ جديرٌ بالمحبَّةِ والودادِ^(١)

(١) يلاحظ في القصيدة الضعف والمبالغة التي تتناسب والسن الذي نظمت فيه.

نجاح كاذب (*)

مضى يفتخر بنجاح كاذب كلمعة الآل في الصحراء القاحلة، وحين
جاوز الحد في إظهار سروره بهذا النجاح الذي ليس له فيه أدنى حق كتب
فيه :

يا صاحِ! ياذا الصبر في الأحداث قم سائلُ حُسِينَا
ما بأله قَدْ مال فخرًا واثني تيهًا علينا
إن سرَّةَ هذا النجاحِ فإننا منه استحينَا
فالعَارُ في نقلِ كهذا يورثُ الإنسانَ شِينَا^(١)
إنا يلمُّ بنا الرسوبَ ولا ننال الفوزَ مِنَا^(٢)
والعلمُ فوق الجهلِ - لا قر الجهولُ الوغدَ عينا

* . * . * . * . *

(*) مايو - أيار - ١٩٥٢ .

(١) الشين : العيب .

(٢) المين : الكذب .

عود حميد (*) (١)

رجعنا، وخاب المنذر المتوعدُ
 خرجنا رجالاً يعرف الكلُّ بأسهمُ
 ظلمنا فما لانت لنا من عريكةِ
 فقولوا لشيخِ سوءٍ لا بوركِ اسمه
 أبالحقِّ أم بالزورِ تمشي هنا؟ وهل
 وهل جئت شيخاً أم ترى جئت غازياً
 أفي شرعةِ الإسلامِ هذا الذي نرى
 أم هديُهُ أن يحرمَ العلمَ فتيةً
 وما كانَ منهم من أتى بجريرةِ
 وأقسمُ لو شئناه ما كنتَ بالذي
 وعُدنا بعونِ الله، والعودُ أحمدُ
 وجئنا وفي أضلاعنا العزمُ موقدُ
 ولا نالَ من أسدِ الشرى المتأسدُ
 ولا عاشَ باسمِ العلمِ فينا يُقيدُ
 إلى العدلِ أو للظلمِ تهدي وتُرشد
 فأنتَ على الطلابِ صخرٌ وجلمدُ (٢)
 من الجورِ؟ أو هذا الأذى المتعمدُ
 فهذا أخو نأيٍ وهذا مشردُ؟
 ولا ساعةَ الإضرابِ مُدَّت لهم يدُ (٣)
 يكيّدُ لنا أو يعتليكَ المهندُ (٤)

(*) في يوم السبت ٢٢ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٢ أصدرت إدارة المعهد منشوراً بإبعاد ثلاثة

وثلاثين طالباً طوال العام الدراسي - وكنت من بينهم - وفي أول يناير - كانون الثاني - ١٩٥٣ عدنا
 إلى مواصلة الدرس فنظمت هذه القصيدة لهذه المناسبة. [الشاعر].

(١) وكان الشاعر قد أبعده مرتين حيث أشار في مذكراته ورسائله إلى ذلك. وورد في رسالة وردت له من

أحد زملائه (ي . ن) بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٩٥٥ يهنئه بالعودة للمعهد ويقول له فيها

«واستحلفك بالله إن استطعت أن لا تحضر الآن لأن الجونحوكم لا زال فيه شيء من الاختبار»

وهذا ينفي ما زعمه (الأستاذ حته) من أن إبعاد الشاعر كان في عهد الملكية.

(٢) الجلمد : الصخر.

(٣) يشير الشاعر إلى الإضراب الذي كان يتزعمه في معهد الزقازيق وطرده بعده.

(٤) وأقسم لو شاءوه ما تراجعوا ولو كان يحميك الحسام المهند

[في نسخة أخرى]

لحا الله أعواناً لثاماً تجمعوا
 ترى بينهم من يرتدي زيِّ عالمٍ
 وتحسبُهُ عند الملاقاة مصلحاً
 دليلٌ يرى «زغلول» رباً مُعظماً
 وينصب فوق الرأسِ منه عَمامةً
 ولم ألقه إلا خثوناً وواشياً
 ويظهرُ فينا عالماً متعبداً
 يلوموننا أن لم ندعْ عزيمةً لنا
 لقد حرمونا حقبةً من دروسنا
 وقالوا عن الإبعاد: هذا عقوبةٌ
 فما سرّني أن عدتُ للدرسِ ثانياً
 تمرُّ بنا الأيامُ، والعهدُ بيننا
 دَعِ الدهرَ يمضي، والليالي تنقضي
 وإن كان هذا اليومُ قد ساءَ حطُّنا
 إذا نحنُ لمْ نثارَ لما قد أصابنا

هم الذئب عذراً والرياء المسجد
 فقيهه وفي أثوابه الجهلُ يرقدُ
 ولكنَّهُ فينا خبيثٌ ومفسدُ
 يكاد له خوفاً يُصلي ويسجدُ^(١)
 تشعُّ بياضاً بينما القلبُ أسود
 إلى منصبٍ بالدسِّ يرمي ويقصدُ
 لقد ضلُّ هذا العالمُ المتعبداً
 ألا خابَ لآحينا وخابَ المفندُ^(٢)
 فما خاننا أو غابَ عنا التجلُّدُ
 وللبعدِ عنهم معشرِ سوءِ أسعدُ
 ولا ساءَني أن قيلَ: أنت مُبعدُ
 على الثأرِ من جلادنا يتجددُ
 فنحنُ على الأيامِ للقومِ رُصدُ
 فصبراً إلى ما سوفَ يأتي به الغدُ
 فلا ضمنا في حجرةِ الدرسِ معهدُ^(٣)

* . * . * . * . *

(١) يشير إلى تعصب بعضهم إلى سعد زغلول، وهذه بداية وعي للشاعر حيث يتخلص من الولاءات والتعصب.

(٢) اللاحي : اللائم . المفند : المكذب .

(٣) لقد نشرت هذه القصيدة بالديوان المطبوع بإشراف وزارة التربية والتعليم تحت عنوان «عودة» وهي مؤلفة من /١٣/ بيتاً هي على الترتيب الأبيات: (١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥).

وهناك بعض التغيير في الأبيات كما يلي:

الثالث : فما أوهن الإبعاد منا عريكة .

السادس : اجثت عميداً ؟ أم ترى جثت غازياً .

التاسع : فما كان منا من أتى بحريرة ولا ساعة الإضراب مدت لنا يد =

أم النوائب(*)

أعوذُ بالله رب الخلقِ والنَّسَمِ
 هذي النوائبُ يا للناسِ قد نُصِبْتُ
 ماذا فعلنا لهم حتى يضايقنا
 هذه العمائمُ فوقَ الرأسِ كارثةٌ
 قالوا: العمامةُ زي الدِّينِ، قلتُ لهم
 كم عِمَّةٍ فوقَ رأسِ، حشوهُ خُرف
 كأنهم أرجعوا للدِّينِ عِرْتَهُ
 من محنةٍ أقبلتُ في حُلْكةِ الظلمِ
 فوق الرؤوسِ كأبراجٍ من الغمِّ^(١)
 منهم قراءةٌ بكابوسٍ من العممِ
 فكيف نلبسها في الأشهرِ الحُرْمِ
 إن الشريعةَ بالأزياءِ لم تقمِ
 وحاسرٌ ليسَ في علمٍ بمتهمِ
 سوى توحدِ زيٍ غيرِ مُنتظِمِ

= وزاد بعد البيت العاشر هذا البيت:
 لحا الله أعواناً لثاماً تجمعوا
 الثالث عشر:

الرابع عشر: ذليل يرى الملك الذليل إليه.

وهذا يؤكد أن هناك مجموعة مفقودة، كان الشاعر قد جمع فيها مختارات من شعره وهذب قصائده القديمة. وأن هذه المجموعة بقيت في حوزة الأستاذ محمد كامل حته أو في أدراج الوزارة. وقد عملت بها الأيدي حذفاً وانتقاءً يخدم أغراض السياسة، فضلاً عن هذه المقدمات التي حشي بها الديوان المطبوع لتوجه القارئ إلى غير الغرض الذي يهدف له الشاعر إلى غير الروح التي تشع في قصائده.

[المحقق]

(*) قيلت بمناسبة القرار الذي أصدرته إدارة الجامع الأزهر والذي يحتم على طلاب المعاهد الدينية ارتداء الزي الرسمي.

نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٣

(١) النوائب: جمع نائبة وهي المصيبة.

فصاح صائحهم هذا التفرنج لا
 ما كان أتفها من فكرة ملكت
 لو أنصفوا أصلحوا من شأن أنفسهم
 من للنفاق، ومن للغش بعدكم
 أقسمت ما عرف الإسلام غيركم
 وأمر بخصال لا تزئنه
 داء المناصب قد أعمى بصائرهم
 «أمرتك الخير لكن ما أثمرت به
 يُرضي، وذلك زي غير محترم (١)
 عليكم اللب يا أضحوكة الأمم (٢)
 فجرحهم ليس في الوري بمثلتم
 يا قادة الدين، يا ناراً على علم (٣)
 حرباً عليه - ولم أحنث لدى القسم (٤)
 طبيب قوم دنا للموت من سقم (٥)
 واضيعة الدين والأخلاق والذمم!
 وما استقمت فما قولك لك استقم» (٦)

* . * . * . * . *

-
- (١) التفرنج : يقصد به تقليد الأفرنج .
 (٢) اللب : العقل . ويقصد هنا به التفكير .
 (٣) نار على علم : أي نار في أعلى جبل ويضرب هذا المثل للرجل المشهور بشيء ما . والشاعر يتكلم
 عن بعض الناس الذين ينحرفون عن الحق وسيئون للإسلام ، وينصبون من أنفسهم أوصياء
 على الناس ويربرون للظالمين ظلمهم ، أما العلماء الأفاضل فهم بعيدون عن هذه الصورة ، لأن
 الإسلام لا يعترف برجل الدين بل يعترف بالعالم فقط .
 (٤) أحنث : من الحنث وهو الإثم والذنب .
 (٥) سقم : مرض .
 (٦) هذا البيت لأحمد شوقي .

قصة كتاب (١)

زَعَمْتُ بِأَنَّ لِلأَدبِ انتساباً يُجَمِّعُنَا، كذلك كان ظني
وحيثَ طلبتُ ديواناً لشوقي ضمنتُ بيذله، فأليك عني

فلما قرأ البيتين بادر بإعطائي الكتاب. فكتبت إليه:

لقد حققتَ ما كنتُ أبغي إليك، أخي، عظيمُ الشكرِ مني
وعادَ بنيلِ ما أرجوه شعري «وما نيلُ المطالبِ بالتَّمني»

* . * . * . * . *

(١) طلبت من الصديق الأديب كمال عطوة كتاب الشوقيات لقراءته فلم يوافق محتجاً بوجوب الإطلاع عليه سوياً، فكتبت إليه.

(*) ٢٩ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٣.

محنة المعهد (*)

القطرُ يوشكُ أن يفيضَ سيولا والخطبُ بات على النفوسِ جليلا (١)
إني أرى زندا أطلوا مدحه من بعد أن أدنوا إليه فتيلا (٢)
فإذا رأيتَ لهيبَ نارٍ أضمرت كان التعنتُ وحدهُ المسؤولا (٣)

* . * . * . * . *

إنا لنأبى أن نعيشَ أدلةً عبءُ الأسى والذلُّ كان ثقيلا
مشت البلادُ إلى العلاءِ وركبنا ركبُ العمامةِ لا يزالُ خُمولا
الأزهريونَ البواسلُ أقسموا لينشنَ على المهانةِ جيلا
لم يفهموا معنىً لثورةِ جيشنا فتعمدوا الإرهابَ والتنكيلا
أنى لمن ذاقوا الهوانَ شبيبةً أن يحملوا علم البلادِ كهولا؟

* . * . * . * . *

يا ويلَ معهدنا ويا لشقائِهِ من عصبيةٍ تخذوا النفاقَ سبيلا
من شاء أن يحيا عليه مُراقباً أو رامَ أن يبقى لديه وكيلا

(*) قيلت بمناسبة الأحداث التي دهمت المعهد من جراء تفشي النفاق والخداع بين مراقبي المعهد وبعض مدرّسيه. ووزعت نسخ منها على بعض الأساتذة والطلاب. ٢ ديسمبر - كانون أول -

١٩٥٣.

(١) الخطب : سبب الأمر. وهنا بمعنى المصيبة. جليل : عظيم.

(٢) زَند : العود الذي يقدح به النار.

(٣) التعنت : العنت : الإثم، وتعنت : وقع في أمر شاهد أو إثم.

فتشت لم أر مثل ضعف نفوسهم
 إن جاءنا شيخٌ جديدٌ سارعوا
 وإذا رآه أخو الدناءة مُقبلاً
 ركب الوشاية، وهي داء أولي الهوى
 بالزورِ والِدَسِّ المشين يريدُ أن
 ضعفاً، ولم أر للطباعِ مثيلاً
 يُبدون من خُلُقِ الخِداغِ ميولاً
 يجري ليوسعَ كَفَّهُ تقيلاً
 ظهراً إلى نيل المُرادِ ذلولا
 يرقى ولو كانَ الغبي جَهولاً

* . * . * . * . *

إذا أرادَ أخو الكرامةِ نيلها
 ودَعَوهُ فينا مُفسداً ومشاعِباً
 وتراقصتُ فوقَ الرُّؤوسِ عمائمٌ
 وجنوا عليه، فتارةً هو مُبَعْدٌ
 عدُوهُ إثمًا من لدنهُ وبيلاً
 وهو الذي يأبى الحياةَ ذليلاً
 وتحسسوا لك شارباً مَفْتولاً
 أو كان لو لم يعطفوا مَفْضولاً

* . * . * . * . *

يا أيها الشيخ^(١) الذي يبدو التقى
 القوم^(٢) نعرفهم ونعرف طبعهم
 لو كُنْتَ تعلمهم لما كنت الذي
 الماسحون الجوخ للشيخ الذي
 والشارقون لديه - قُبِحَ فعلهم -
 والساكبون له مياةً وجوههم
 والهدى فوق جبينه إكليلاً
 ساءوا نفوساً بيننا وعُقولا
 يُدني له من بينهم «دَلْدولا»^(٣)
 عَنَّا أرادَ له اللطيفُ رحيلاً^(٤)
 طيب البخور، عشيّةً وأصيلاً
 لَمَّا أرادوا مَارباً مَأمولاً

(١) شيخ المعهد الجديد عبد الحفيظ فرغلي (الشاعر).

(٢) المنافقون من المراقبين والأساتذة (الشاعر).

(٣) دلدول : الإنسان التابع التافه الذي يرائي وينافق من أجل المنفعة وفي الفصحى الدلدل : عظيم القنafd، وهو من تدلدل الشيء أي تحرك.

والدلدل : الاضطراب، وهي قريبة من هذا المعنى.

(٤) شيخ المعهد المنقول محمد البسيوني زغلول.

(٤) الماسحون الجوخ : عمل يدل على التقرب والنفاق.

فاحذر دسائسهم ولا تسمع لهم
فلرب نصح قدموه إليك قد
والغمدُ يُعجبنا بحسنِ نقوشه
قل للذي يبغى التفرق خسةً
أنصفت لو لم تلقِ بالاً نحوهم
إن قدموا للمشكلاتِ حلولا
شاءوا به التموية والتضليلا
لكن فيه من السيوف صقيلا
لن تستطيع لما تريد وصولا
وهدمت غشا منهم مبدولا

* . * . * . * . *

المطالب الأزهرية(*)

عامٌ تولَّى في الكلامِ وعام
يا أولياءَ أمورنا رفقاُ بنا
هذي المماثلة التي يُبدونها
الدين، ديّن الله، نحن جنوده
يا للشقاءِ ويا هوانَ النفسِ إن
فعلى المطالبِ رحمةً وسلام
فلقد أمضتْ نفسنا الآلام
لا الحق يرضاها ولا الإسلام
فلنا عليكم حرمةً وذمام^(١)
خاب الرجاءِ وضاعتِ الأحلام

* . * . * . * . *

(*) ولعلها قيلت سنة ١٩٥٣ . [المحقق]

(١) الذمام : المحرمة .

تحية الشعر (*)

أثني عليك مُردِّداً ومُعيدا
وأرتلُ اللحنَ الطروبَ بما بدا
يا أيها النحريرُ: إنَّ قلوبنا
أقسمتُ: مثلكَ في المجامعِ نادرُ
وأصوغُ فيك من القريضِ نشيدا
من فيضِ علمك في الأنامِ مُشيدا
حملتُ لك الإكبارَ والتمجيда^(١)
يحكي طرازاً في الرجالِ فريدا
كَلِماتٌ ولكن لؤلؤاً منضودا

* . * . * . * . *

حققتُهُ أملاً يجيشُ بصدرينا
وملكتنا بالعلمِ شيخاً رائداً
وضربت للعلماءِ أمثالاً، فلو
بلغوا بهذا الدِّينِ أعرافَ الدُّرى
قد كان حلمَ نفوسنا المنشودا
قبلَ الإدارةِ والنظامِ عميدا
بدلوا كذلك في الرِّشادِ جهودا
وتبَوَّأوا في الخالدينِ خلودا
وبدأت عهداً للشيخِ جديدا
في الفضلِ، في العزمِ الموفقِ، في الحججا
في الرأيِ يبدو من لَدُنكَ سديدا^(٢)

(*) لصاحب الفضيلة شيخ معهد الزقازيق الأستاذ يس سويلم.

ألقى في الحفل الكبير الذي أقيم «بدار جمعية المحافظة على القرآن الكريم» بالزقازيق في يوم ١٧ مارس آذار - ١٩٥٤ لسماع المحاضرة التي ألقاها فضيلته عن الفطرة الإنسانية وعلاقتها بالدين والتدين.

وكان إلقاء هذه القصيدة عقب فراغ فضيلة شيخ المعهد من إلقاء محاضراته.

(١) النحرير : العالم المتقن.

(٢) الحججا : العقل . السديد . الصائب.

كَمْ مَجْلِسٍ لِلْعِلْمِ ضَمَّكَ رَافِعاً
وَمَحَاضِرَاتٍ كُنْتَ أَنْتَ عِمَادُهَا
لِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ فِيهِ بُشُوداً
أَلْقَيْتَهَا مُتَكْرِماً فَكَأَنَّمَا
جَمَعْتَ إِلَيْهَا - حَيْثُ صَرْتَ - وَفُوداً
أَلْقَيْتَ زَهراً عَاطِراً وَوَرُوداً

* . * . * . * . *

قَدْ كَانَ مَعْهَدَنَا - فَدَيْتِكَ - بَاقِياً
ذَاقَ الْمَرَارَةَ فِي كُؤُوسِ شَيْوِخِهِ
بَيْنَ الْمَدِينَةِ مَجْدِهِ الْمَفْقُودِ
مَلِكِ الْأَزْمَةِ فِيهِ قَبْلَكَ مِنْ بَهِمٍ
وَرَأَى مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ عُهُوداً
أَسَدٌ بِهِ، لَكُنْهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا
عَجْزُ الْعَبِيِّ، فَأَوْسَعُوهُ قِيوداً
يَا رَبُّ غَاشِيَةً عَلَيْهِ تَجْمَعَتْ
فِي مَحْفَلٍ أَثْراً لَهُمْ مَشْهُوداً
لَمَّا أَتَيْتَ تَبَدَّدَتْ تَبْدِيداً
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى
رَكْنَ الْمَعَارِفِ بَاذْخاً وَوَطِيداً

* . * . * . * . *

وَلنَطْمَعَنَّ بَعْدَ الَّذِي قَدَّمْتَهُ
حَيَا إِلَهِهِ أُمَّةَ الدِّينِ الْأُولَى
فِي أَنْ نَنَالَ عَلَى يَدَيْكَ مَزِيداً
وَالْبَازِلِينَ جِهَادَهُمْ مَحْمُوداً
أَدَا رَسَالَتَهُمْ كِرَاماً صِيدَا
كَانَ اللَّوَاءُ لغيرِهِمْ مَعْقُوداً
نِيَطَّتْ بِهِمْ آمَالُ مِصْرَ وَإِنَّهُمْ
الْحَامِلِينَ مِنَ الْهَدَايَةِ مِشْعَلاً

* . * . * . * . *

(١) السهوى : كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم .

تحية ورجاء

[إلى وزير المعارف(*)]

أقبل رعتك عنايةً القيومِ
إني أرى وجهاً تفجر بالسنى
هذي الوفود على هواك تجمعت
أولست من قومٍ كرامٍ أقسموا
من فتيةٍ وهبوا لمصر نفوسهم
القادة الأحرارُ من أيامهم
يا رائد التعليم إن بنفسنا
نشكوا إليك جراحنا ولو أن من
فارفع رعاك الله ضيماً نالنا
هذي الإعانات التي قد قدمت
منها المدارسُ في المدائن كلها
نالت كثيراً، والمدارسُ في القرى
فيها الفصولُ بمن بها مُكتظةٌ
والعلمُ حقٌ للجميعِ فمن ترى
حر التعلم منكم أجدرُ بالرضا
وله على الوادي أيادٍ جمّةٌ
وإلى مطالبنا فدتك نفوسنا

فقدومك الميمون خيرٌ قدوم
حتى أضاء جوانب الإقليم
ورنث إليك بمقلة التعظيم
ليبدلن شقاءنا بنعيم
وعلى الوجوه دلائل التصميم
أيامٌ خيرٌ للبلاد عميم
بعض الأسى يا رائد التعليم
غير الصواب شكايَةٌ لعليم
وافسح لما نرجوه صدر حلیم
في موكب الإصلاح والتنظيم
ظفرت بحظٍ وافٍ وعظيم
قنعت بضيقٍ نصيبها المقسوم
من كلٍ واردٍ منهلٍ لعلوم
غير المجد أحق بالتكريم
فجهاذه في مصر جد قديم^(١)
فاعطف على حتى له مهضوم
فانظر بعيني منصفٍ وكريم

(*) نظمت بناء على طلب من الأستاذ الشاعر محمد شاهين ١٩ مارس - آذار - ١٩٥٤ .

(١) البيت غير موزون .

الأزهر المكافح

[القيت بجمعية تحفيظ القرآن الكريم بالزقازيق في ١ أكتوبر / تشرين
أول سنة ١٩٥٥].

هو السؤددُ الماضي تدقُّ بشائره
ذكرتُ به التاريخ يزخرُ نهضةً
غداةَ سما بالدين في مصر صرحه
ألا بارك الرحمن خالدَ ركنه
تقضتُ عليه الألف ينشر هديه
فإن تكن الأهرامُ آثارَ ذاهبٍ
وتغمرنا أمجادُه ومفاخره
أضاءت لها في الشرق غراً منابره
تفيض على الأكوان علماً زواخره
فقد عاش ذخرأ لا تعدُّ مآثره
مآذنه مرفوعة ومنائره
فهذا الذي لا يرهب الدهر عامره

* . * . * . * . *

صحائف مجد ما رأى النيل مثلها
بفيض الهدى والعلم والخير والمنى
وأصبح للإسلام في الأرض قبلةً
فمعقل إرشاد ومنبع حكمة
أخو عزمة لم يعرف الدهر مثلها
هل الثورة الأولى^(١) سوى صنع كفه
أما أرق المحتل ليلاً خطيبه
ولا عهدتها في الزمان غوابره
تدقق ماضيه وأشرق حاضره
على بابهِ لا يرفه الهام زائره
وبحر علومٍ ليس يُدرك آخره
وذو صولة في الحق تُخشى بواده
له من قوى الإيمان فيها ذخائره
وأفزع الاستعمار في مصر نائره

(١) ثورة عام ١٩١٩.

وأشعلها حرباً عوناً طحونة
 فما كان منصوراً بتأييد حاكم
 عهدناه في ظهر التجبر شوكة
 فكان إذا ما ران للظلم غيب
 وكان شجاً في حلق كل مضلل
 سل النيل يوم البأس من كان حصنه
 ومن أعمت يوم الجهاد سيوفه
 ومن كان إن نام الولاة على القذى
 ومن كان عوناً للرئيس وصحبه
 سيخبرك النيل اليقين فتثني
 وتعلم أن المجد نلناه يافعاً
 أثار نفوس الحاسدين خلوده
 فكائن^(٢) رأينا حوله من دسائس
 لقد زعموا أن الجمود طبيعة
 وقالوا حضارات أتتنا فلم يعد
 أروني جديد العلم يا قوم عندكم
 لئن كان فيكم من ألم ببعضه
 وها نحن والتاريخ ينهض شاهداً
 أليست حياة الضاد بالأزهر الذي
 تدفق منه النور كالصبح مشرقاً
 وبات على هدي الشريعة حارساً

يدوق لظاها جيشه وعساكره
 ولكن رب الحق بالحق ناصره
 يخاف ظباها فاسد الحكم جائره
 ينازله أو تستقل^(١) دياجره
 إلى أن نأى عن ساحة الدين تاجر
 يلود به في خطبة.. فيؤازره
 ومن هتفت عند الفداء حناجره
 تدق نواقيس الكفاح مشاعره
 يؤيده في زحفه ويظاهره
 فخوراً بصرح لا تقل بواتره
 وكهلاً، فمنأ أهله وعشائره
 وأزعجهم إلا تلين أواصر
 لذي غرض تمتد حقداً أظافره
 يجاورها أسلوبه وتجاوره
 يسايرها في ركبته وتسايره
 وكيف مجاليه؟ وأين محاضره؟
 فقد غاب عنكم بين ما غاب سائره
 حماة تراث ليس يُدرك نادره
 تظللها أفيأوه وستائره
 ورفاً رفيف الروض يختال ناضره
 فما هو إلا قائم الليل ساهره

(١) تستقل: ترفع.

(٢) كائن بمعنى كأي الكثير، تفيدها مثل: «كم» - قال جرير:

وكائن بالأباطح من صديق يراك إذا أصبت هو المصابا

أذاك جمودٌ منه أم ذاك واجبٌ
وليس قديماً ما تجددَ نفعه
ويسطع ضوء الشمسِ وهي قديمةٌ
سكتنا فقالوا: العيِّ والعجزُ داؤهم
حذار من الليثِ الكريمِ، فإنه
أرى غمزات القولِ لم يقصدوا بها
وما علم الجهالُ أن زواله
بياطن هذا الأمر للدين طعنةٌ
هو الحصن للإسلام يخشاهُ خصمه
وليس يماري في عظيمِ جهادهُ . .
ومهما أُعدت حوله من مزالتق
وإن ترمه بالضر يوماً يدُ امرئ

إذا هو أداهُ استراحت ضمائرهُ
وليس جديداً ما تغرُّ مظاهره
فهل كان ضوء الكهرباءِ يناظره
وأكبرُ ما يُضني من القولِ فاجره
ليوشك أن ينأى عن الحلمِ صابره
سوى هدمهِ والزور لم يخفَ سافره
سيترك جرحاً لا يُطبَّبُ غائره
وإن كان لم يحمل سوى الخيرِ ظاهره
إذا ما هوى يوماً فماذا يحاذره
مدى الهدرِ إلا جاحد الفضلِ كافره
ستعبرها رايأته وشعائره
فذلك بيتُ الله والله قاهره

* . * . * . *

دار العلوم تشكو(*)

[قصيدة ألقاها الشاعر بين يدي مدير الجامعة عند زيارته لكلية دار العلوم، يشكو فيها قدم مبنائها، ويتحدث عن مكانة الدار ورسالتها العلمية والقومية].

مشى فأحيا لدى ابنائه الأمل
وقام يُنعشُ زهراً للمنى ذبلاً
وقادَ قافلةً للعلمِ قد سلكت
على يديه إلى أهدافها سُبلاً
فإن شهدتُم رفيفَ النورِ حينَ غدا
ملءَ القلوبِ فحيوا ذلك الرُجلاً

* . * . * . * . *

دار العلوم وقد أوليتها نظراً
وإن أذنت فإني لا أفصلها
هذا البناء الذي أبلى جوانبه
صرفت الليالي فأضحى يُشبه الطللاً
الله يشهدُ أني ما جلستُ به
فوق المقاعدِ إلا خائفاً وجلاً
ولا لقيتُ صديقاً جاءَ يطلبُني
في المتحفِ الرثِّ إلا مطرقاً خجلاً
لا تصلحوه فإننا لا نميلُ إلى
توكيده بل سعيًا ننشدُ البدلاً

* . * . * . * . *

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٨.

(١) الأوصاب : جمع وصب وهو المرض.

من هذه الجُدُرِ العجفاء قد رُفعت
 وكعبةٌ لحجيجِ الضادِ كم شهدت
 كانت رسالاتهم تسمو إلى مَلِكِ
 تراثُ أجدادنا، نحنُ الألى مَنعوا
 تعاورتُ لغةُ الأباءِ ألسنةُ
 واستشعرتُ غربةً في أهلها فمضت
 حتى ثوت ههنا في معقلِ درجتِ
 ودولةُ الشعرِ فينا اليوم رائدها
 إذا شهدت «عكاظاً» حين تنصُّبه
 لولا «علي»^(١) ولولا قبله نفرُ
 فإن تُجبننا إلى ما نحن نطلبُهُ
 منارةٌ أوقدت للمدلجِ الشعلا
 مِن سادِنِ في هواها أسهدَ المُقلا
 وأوشكوا أن يكونوا في الورى رُسلا
 حماهُ في هِمَّةٍ لا تعرفُ المملا
 مُريبةٌ وأثارتُ حولها جدلا
 تترأذُ والليلُ داجٍ حولها نُزُلا
 به ولا تبتغي عن أرضهِ حولا
 ومن يُجئبها في سيرها الزُّللا
 رأيتُ في ساجِه أفذاذنا الأولا
 لأصبحَ الشعرُ في سمع الورى رُجلا
 فقد عهدناك تُرضي العلمَ والعملا

* . * . * . * . *

(١) الأستاذ علي الجندي عميد كلية دار العلوم وقتئذ.

الأزهر (*)

قَفَّ في ربوعِ المجدِ وابكِ الأزهرا
واكتبِ رثاءك فيه نفثةً مُوجِعِ
المعهدُ الفردُ الذي بجهادِهِ
سارَ الجميغُ إلى الأمامِ وإنه
لَهفي على صرحٍ تهاوى رُكنُهُ
مَنْ كانَ بهجةً كلِّ طرفٍ ناظِرِ
ما أبقتِ الأيدي التي عَبَثَتْ به
للهِ ما أورى له في الشَّرِقِ مِنْ
كَمْ موكبٍ في مصرَ سارَ إلى العُلا
عجباً أيْدركُهُ الأفولُ لدى الضُّحى
سَلْ مهبطَ الثوراتِ عنها إنَّه
المشعلونَ لنارها أبناؤُهُ
والمُضِرِّمونَ أوارها بلغاؤُهُ
مِنْ كلِّ ذي حجرٍ لخيرِ بلادهِ

واندبُهُ روضاً للمكارمِ أفقرا
واجعلْ مِدادَكَ دمعَكَ المتحدِّرا
بلغتْ بلادُ الضَّادِ أعرافَ الذُّرى
في موكبِ العلياءِ سارَ القهقري
قد كانَ نبعاً بالفخارِ تفجراً
عادتْ به الأطماعُ أشعثَ أغبرا
مِنْ مجدهِ عَرَضاً له أو جَوْهرا^(١)
مجد على الأيامِ واره الأثرى
قد كانَ قائدَ ركبهِ المتصدِّرا
مِنْ بعدِ ما نَشَرَ العلومَ مُبَكِّرا^(٢)
قد كانَ ناديها وكان المنيرا
تخذوا به جُنداً هناك وعسكرا
في نشرِ روحِ البَدلِ فاضوا أنْهرا
رَسَمَ المكيِّدةَ للدخيلِ ودبِّرا^(٣)

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٨.

(١) العرض : المتاع الذي لا قيمة له، أو الشيء السريع الزوال وهو عكس الجواهر.

(٢) الأفول : الزوال.

(٣) ذي حجر : أي صاحب عقل، والحجر هنا بمعنى العقل.

لا يثنني عن بَعَثِهَا دَمِيئَةً
 سَلْ مَوْتِلَ الْأَفْذَاذِ مِنْ أَشْيَاخِهِ
 الْعَامِلِينَ لِرَفْعَةِ الْإِسْلَامِ مَا
 وَالْمَبْتَغِينَ رِضَا الْإِلَهِ وَمَا ابْتَعُوا
 كَانُوا الْمَنَارَ إِذَا الدِّيَاجِي أَسَدَتْ
 كَانُوا لِمَنْ ظَلَمُوا حِصُونَ عَدَالَةٍ
 رَدُّوا غَوَاةَ الْحَاكِمِينَ، وَغَيْرَهُمْ
 لِرِضَائِهَا يُبَدِي الْحَرَامَ مُحَلَّلًا
 فِي وَجْهِهَا وَقَفُوا وَهُمْ عَزَلٌ وَمَا
 وَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ هُمَامَ رَيْبَةٍ
 مَا قَامَرُوا بِالذِّينِ فِي سُبُلِ الْهَوَى
 عَاشُوا أَثْمَةَ دِينِهِمْ وَحُمَاتَهُ
 ثُمَّ انْطَوَتْ تِلْكَ الشَّمُوسُ وَإِنَّهَا
 وَلَقَدْ مَضَى دَهْرٌ وَنَحْنُ مَكَانِيَا
 إِنْ كَانَ مَجْدُ الْأَمْسِ لَمْ نَلْحَقْ بِهِ
 هَذِي الْعُلُومُ وَحَشْوُهَا لَغْوٌ، بِهَا
 عِلْمٌ نَعَالِجُهُ بِفِكْرِ جُدُودِنَا
 إِنْأ نَرِيدُ مِنَ التَّقَدُّمِ قَسَطْنَا
 وَنَرِيدُ أَنْ نَسْقَى الْفَنُونَ رَفِيعَةً
 مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا تَرَاهُ لَدَيْكَ فِي

أَوْ يُدْرِكَ النَّصْرَ الْمُبِينَ مُظْفَرًا
 عَنْ مَعَشِرٍ كَانُوا بِهِ أَسَدَ الشَّرَى
 مِنْهُمْ كِهَامٌ قَدْ وَنَى أَوْ قَصْرًا^(١)
 مِنْ حَاكِمٍ عَرَضَ الْحَيَاةَ مُحَقَّرًا
 ثَوَّبَ الظَّلَامِ هَدَى الْأَنَامَ وَنُورًا
 كَانُوا الشُّكِيمَ لِمَنْ طَغَى وَتَجَبَّرًا^(٢)
 لَتَمَلِّقُ الْأَهْوَاءِ كَأَنَّ مُسَخَّرًا
 وَيَدُكَ مَعْرُوفًا وَيَبْنِي مُنْكَرًا
 لَبَسُوا سِوَى ثَوْبِ الْهَدَايَةِ مَغْفَرًا^(٣)
 نَادَاهُ دَاعِي دِينِهِ أَنْ يَزَارًا^(٤)
 كَلَّا وَلَا اتَّخَذُوا الشَّرِيعَةَ مَتَجَرًا
 لَا يَسْمُحُونَ بِأَنْ يُبَاعَ وَيُشْتَرَى
 لِأَشَدِّ إِيْمَانًا، وَأَطْهَرُ مَثْرَا
 لَا نَبْتَغِي فِي الْعِلْمِ حِظًّا أَكْبَرًا
 أَفَلَا نَوَدُّ غَدًا نَصِييًّا أَوْفَرَا
 مِنْ كُلِّ جَيْلٍ لَا يَزَالُ مُسْطَرَا
 يَبْدُو بِهِ الْهَنْدُرُ الْقَدِيمَ مَكْرَرَا
 وَنَرِيدُ لِلْإِسْلَامِ أَنْ يَتَحَرَّرَا
 تُجْدِي - وَليْسَتْ طَلْسَمًا مُتَحَجْرَا
 لَجَجِ الْحَيَاةِ إِذَا مَضَتْ بِكَ مُثْمَرَا

(١) الكهام : الكليل.

(٢) الشكيم : من الشكْم بمعنى الجمراء، والشكيم الحديدية المعترضة في فم الفرس.

(٣) المغفر : زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

(٤) الهمام : الملك العظيم الهمة.

أنى لمن ألفَتْ نواظِرُهُ الدُّجى
قد كانَ تنقيحُ العلومِ وفحصُها
للمخبرِ انتبهوا، ولا يعنِيكُمْ
أنكونَ في دنيا الرقيِّ نعامَةً
ما ضرَّني إذ نحنُ نخدعُ نفسنا
ليس التعصُّبُ للأبوةِ ما نعي
أُترى تعودُ إلى المريضِ سلامةً
عند الخروجِ إلى السَّنا أن يُبصِرا
بالبحثِ من فرضِ العِمامَةِ أجدرًا
من بعدِ هذا أن نُبدِّلَ مَظْهَرا
نخفي الوجوهَ وقد عرانا ما عرا
لو قلتُ ما أدري وفُهِتُ بما أرى
من أن أقولَ الحقَّ فيه وأجْهَرا
أم تصرعُ الأسقامُ من قد عمَّرا؟!!

* . * . * . *

الفرع الأكبر

[ألقيت في ندوة للشبان المسلمين عقب محاضرة للدكتورة بنت الشاطيء في تفسير سورة الزلزلة، مساء ٩ ابريل نيسان ١٩٥٨].

تَلَفَّتْ يشهدُ زلزالها إذ الهولُ مَزَّقَ أوصالها
وقد راعه أن تعودَ الجبالُ كثيباً^(١) مهياً لما نالها
وأنَّ يبصرَ النارَ ملءَ البحارِ تدمدم^(٢)، تنشرُ أهوالها
وأنَّ تتهادى نجومُ السماءِ وأنَّ تُخرجَ الأرضُ أنقالها
هو الرعبُ قد ماجَ بين القلوبِ مريراً يضاعفُ أوجالها^(٣)
ويدهلُّ كلُّ أبٍ عن بنيه فلا تذكُرُ الأمُّ أطفالها!!

* . * . * . * . *

وفي موكبِ أذهلِّ العالمينَ وقربَ للنفسِ آجالها
مضى ذلكَ الجامدُ المستريبُ يرددُ في دهشةٍ مآلها؟
هل انفجرتُ ذرةً في الفضاءِ فأدنتُ من الناسِ قتالها؟
وإني لأملكُ أسرارها وحيداً وأحكمُ أفعالها
أنا صانعُ النارِ فيها الدمارُ ولا يملكُ الغيرُ أمثالها

(١) الكثيب : التل من الرمل.

(٢) الدمدمية : كلام الغضب. دمدم الله عليهم : أهلكهم.

(٣) الأوجال : جمع الوجل وهو الخوف.

ودانت لي الأرض بالكائناتِ عليها وسخرتُ أجبالها
وتلك الطبيعة طوع البنانِ أنالُ إذا شئتُ إذلالها
وأطلقت أقماري الصاعداتِ فمنَ ذا يحاولُ إنزالها؟
رويدك يا من طواه الغرورُ وزينَ للنفسِ أعمالها!
ستعرفُ أنك هشٌ ضعيفٌ كسته الأراجيفُ سربالها
وأنتَ قد عشتَ هذي الحياة تقودُ إلى الغيِّ ضلالها
وأنتَ خلفَ أكاذيبها مشيتُ تسائرُ آمالها
تنكبتَ فيها سواء السبيلِ وما زلتَ تسلكُ أدغالها
ففرَّ إن استطعتَ. إنَّ الهلاكَ تطايرَ حولك واغتيالها
فخلفَ مشارِ الردى قوةً تُعدُّ لك اليوم أنكالها
وإن كنتَ تنكرُ آياتها ويأبى جسودك إجلالها
ولستَ بمعجز ربِّ القضاءِ إذا ما أراد وأوحى لها!
متى شاءَ بعثَ من في القبورِ وزلزلتِ الأرض زلزالها

* . * . * . * . *

1

2

3

4

مع الأحداث والمناسبات في مصر

1

2

3

4

عقيدة (*)

[صيحة قالها الشاعر في يوليو - تموز - ١٩٤٩ وهي تصور الفساد السياسي والاجتماعي الذي استشرى في ذلك الوقت]

حُبُّ البلادِ عقيدةٌ أُشْرِبْتُهَا من ثديِ أمي حينَ كنتُ رضيعاً
فإذا دعنتي للكفاحِ عقيدتي لبيثُ داعيها الكريمِ سريعاً

* . * . * . *

يا فتيةَ النيلِ الممجدِ إننا نأبى ونرفض أن نُساقَ قطيعاً
هذا «ابنُ نازلي» للهلاكِ يقودنا جهراً ويلقى في البلادِ مُطيعاً
ونراهُ وفق هواهُ يرسلُ نظرةً فتعطلُ التنفيذُ والتشريعا
وإذا أشارَ أتتْ إليه وزارةُ تجري لتوسع أختها تشنيعاً
فإلى متى هذا الخنوعُ، وإنه جُرمٌ أضاعَ حقوقَ مصرَ جميعاً
لن تبلغَ المجدَ المؤملَ أمةً قد قُطعت أوصالُها تقطيعاً
فدعوا التفرقَ والشقاقَ وهيئوا للنيلِ عِزاً كالقديمِ ربيعاً
إنَّ القلوبَ متى توحدَ رأيها كانتْ له حصناً أعزَّ منيعاً

(*) لم أجد فيما لدي أصلاً لهذه الأبيات ولعل مصنف الديوان لوزارة التربية قد استبقى كثيراً من الأصول التي اختار قصائدها وكذلك فإن هذا العنوان من اختيار المصنف مع المقدمة التي كتبت للقطعة وأثرت تركها كما هي . [المحقق].

بين عهدين (*)

أينَ البيانُ أصوغُه وأنضدُ إن اللسانَ لعاجزٌ ومُقيّدُ
 قدَ أمسكتُهُ غداةَ عمِّ سرورنا بُشرى يطيبُ بها الفؤادُ ويسعدُ
 هتفَ البشير مهلاً ومكراً وسمعتُهُ بينَ الأنام يرددُ:
 زالَ العناءُ وفكَّ قيدُ جحيمنا لما انقضى عهدُ العذابِ البائِدُ^(١)

* . * . * . * . *

حَكمَ البغاةُ فما رأيتُ بعهدهم غيرَ الرصاصِ إلى الصدورِ يُسددُ
 يا مصرُ قدَ عاثتِ بأرضِكَ عصبَةً باسمِ الصَّيانةِ والحمايةِ. أفسدوا
 قتلوا شبابَ الجامعاتِ وجندلوا في النهرِ من بمياهِهِ يستنجِدُ
 سالتِ دمَاءَ الأبرياءِ ذكيةً ظلماً فسُحقاً أيها المستبعدُ
 ماذا جنوا حتى أرقتِ دمَاءهم وبأيِّ حقٍ في المضاجعِ وسُدُّوا
 اللهُ يعلمُ أنهم لم يُجرموا يا مَنْ بجندِكَ رحمتُ فيهم تحصدُ
 فعليكِ من ربِّ السماءِ تنزَّلْتَ لعناتُهُ والروحُ منهم تصعدُ
 فلکمُ بنادقُ أحرقتِ كبداً وكم أحزنتِ أمأً وانكوى بكِ والدُ
 أخرستِ صوتَ الحقِّ بالسجنِ الذي ضاقتِ جوانبُهُ بمن قد سُردوا

(*) ألقى في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإنشاص في يوم ٢٥ ديسمبر - كانون أول ١٩٤٩ بحضور نائب إنشاص الشيخ عبد العظيم عيد.
 (١) كان يجب أن يقول (عهد العذاب البائِد).

وَبَشَّمْت مَالاً وَالْفَقِيرُ مُعَذَّبٌ
 يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الْأَلَى قَدْ أَرَهَبُوا
 سَيَسْجَلُ التَّارِيخُ أَنْ بَعَثَكُمْ
 لَمْ يَكْفِهِ مَا نَالْنَا مِنْ جَوْرِهِ
 يَا أَيُّهَا «السَّعْدِي» حَسْبُكَ مَا جَرَى
 إِنَّ الَّذِي سَفَكَ الدَّمَاءَ لِمَجْرَمٍ
 إِذْ لَيْسَ يَمْلِكُ مَا بِهِ يَتَزَوَّدُ^(١)
 بِسِلَاحِهِمْ هَذِي النُّفُوسَ وَهَدَّدُوا
 ظَلَمٌ وَعَدْوَانٌ وَحُكْمٌ أَسْوَدُ
 حَتَّى أَتَى يَبْغِي الْمَزِيدَ وَيَنْشُدُ
 عَنْ نُصْرَةِ الشَّعْبِ الْأَبِيِّ سَتَبَعْدُ^(٢)
 يُقْصَى عَنِ الْحُكْمِ التَّزْيِيرِ وَيُطْرَدُ

* . * . * . * . *

عَبْدَ الْعَظِيمِ لَكَ الشُّيُوخُ أَحِبَّةٌ
 وَهَوَاكُ يَمَلَأُ قَلْبَنَا أَبَدًا وَإِنْ
 فَامَحُ الظَّلَامَ أَرَاهُ خَيْمَ مُدَّةٍ
 وَاعْلَمْ بِأَنْ وَرَاءَكَ الْأَسَدُ الَّتِي
 قَدْ أَخْبَرَ التَّارِيخُ أَنْ بَعَثَكُمْ
 تَاللهِ إِنِّي مَا رَأَيْتُ كَمِثْلِهِ
 كَلًّا وَلَا شَهِدْتُ نَوَاطِرَ مُبْصِرٍ
 رَغَمَ الْحُرُوبِ وَرَغَمَ مَا كُنَّا بِهِ
 لِلْوَفْدِ تَارِيخٌ أَغْرُ وَمَجْدُهُ
 سَلَّ حَادِثَاتِ الدَّهْرِ عَنِ تَارِيخِهِ
 يَا قَوْمَ عَاشِ «الْوَفْدِ» نَبْرَاسًا لَنَا
 وَلَكَ الشَّبَابُ مَنَاصِرٌ وَمَوْيِدٌ
 مَاتَ الْعَدُوُّ بَغِيظِهِ وَالْحُمْدُ
 إِنْ الظَّلَامَ لَنَا الضِّيَاءُ يَبْدُدُ
 عَنِ خَوْضِ بَحْرِ الْمَوْتِ لَا تَتَرَدَّدُ
 أَمَنْ يَظْلُلُنَا وَعَدْلٌ سَائِدٌ
 عَهْدًا بِهِ سَيْفُ الْمَهَانَةِ يُغَمِّدُ
 مِنْ رَاحٍ مِنْ ضَيْقٍ بِهِ يَتَزَوَّدُ
 مِنْ ضَيْعَةٍ بَاتَ الْفَقِيرُ يُغْرَدُ
 بَاقٍ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُخَلَّدُ
 تُنْبِئُكَ عَنْهُ الْحَادِثَاتُ وَتَشْهَدُ
 يَهْدِي الْبِلَادَ إِلَى الْفَلَاحِ وَيُرْشِدُ^(٣)

(١) بَشَّمْت : سَمَّمْت . بَشَمَ مِنَ الطَّعَامِ سَمُّهُ مِنْهُ .

(٢) لَقَدْ كَانَ الشَّاعِرُ فِي أَوَاخِرِ الْأَرْبَعِينَاتِ يُؤَيِّدُ الْوَفْدَ وَيَهْجُو غَيْرَهُ .

وَهُنَا يَهَاجِمُ حُكُومَةَ السَّعْدِيِّينَ .

(٣) كَانَ الشَّاعِرُ كَغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ حِزْبَ الْوَفْدِ يَسْعَى لِمَصْلَحَةِ الْبِلَادِ وَلَمْ يَكُنِ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ

السَّنَةِ (١٤) سَنَةً قَدْ عَرَفَ الْحَقَائِقَ وَأَدْرَكَ أَلْعَائِبَ السِّيَاسِيِّينَ . وَفَهَمَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنِ الْإِسْلَامِ

وَتَرَكُوا دِينَ اللَّهِ لِيَحْتَكِمُوا إِلَى شُرَاطِعِ وَضْعِيَّةٍ .

مصر الجريحة(*)

لَيْلٌ تَلَأَلَا فِيهِ نَجْمٌ يَلْمَعُ وَبِهِ الرِّيَاضُ عَيْرُهَا يَتَضَوُّعُ
 سَكَنَ الوجودُ سَوَى النسيمِ فَإِنه مَا انْفَكَ يَخْفِضُ فِي الغصونِ ويرْفَعُ
 تَتَرَنُّحُ الرِّيحُ الرُّخَاءَ كَأَنَّهَا ثَمَلٌ بِأَكْوَابِ المُدَامَةِ مُوَلَّعُ
 وَالبدرُ أَرْسَلَ مَدِيَّةً مِنْ ضوئِهِ تَجْتَثُّ أَعْوَادَ الظلامِ وَتَقْطَعُ^(١)
 تَلِكَ الطَّبِيعَةَ فِي بَدِيعِ رَوَائِهَا تَنْفِي الكرى عَن مَقْلَتِي وَتَدْفَعُ
 يَا للجمالِ وَيَا لِرُوعَةِ مِشِيَّتِي بَيْنَ الرِّيَاضِ بِحَسَنِهَا أَمْتَمَّعُ
 أَنِّي تَوَجَّهَ نَاطِرَايَ يَشَاهِدَا سَحْرًا يَمْسُ النَفْسَ، جَلَّ الصَّانِعِ
 مَا رَاعِنِي فِي اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أَرَى شَبَحًا بِأَثْوَابِ الدُّجَى يَتَلَفَّعُ^(٢)
 يَمْشِي الهوينى شاكياً فَكَأَنَّهُ صَبُّ بِسَاعَاتِ الرِّحِيلِ يودُّعُ^(٣)
 فَدَنوتُ مِنْهُ مُحَاذِرًا فَإِذَا بِهِ حَسَنَاءُ أَنهَكِهَا الأَنِينُ المُوجِعُ
 فَهَتَفْتُ مَا بِالِالْفَتَاةِ أَرَى لَهَا قَلْبًا يَفِيضُ أَسَى، وَعَيْنًا تَدْمَعُ
 مِنْ أَنْتِ يَا أَخْتَاهُ؟ قَالَتْ: يَا فَتَى إِنِّي أَنَا «مِصْرُ» الَّتِي تَتَوَجَّعُ
 أَبْكِ عَلَيَّ مَجْدِي وَأَنْدُبُ عَزَّتِي هَذَا نِ فَقْدُهُمَا مِصَابٌ مُجْزِعُ^(٤)

(*) يولييه - يتموز - ١٩٥١ .

(١) المدينة : الشفرة، واستعملها الشاعر هنا بشكل مجازي وكأنه يذكرنا بيت لابن المعتز .

(٢) تلفع : اشتمل - تلفعت المرأة بمرطها والتفتعت : اشتملت .

الدجى : الظلام .

(٣) الصب : المحب كثير الشوق .

(٤) المجزع : من جزع : خاف : وهي ضد الصبر .

يا ويح قومي قد أضاعوا دينهم
ولو اهدوا رشداً لظلوا سادةً
تالله ما اتقت الممالك بأسنا
كلاً ولا هانت لديهم ريحنا
فالأغنياء قلوبهم مسودةٌ
شغلتهم الأهواء عن ذي قلة
والناس قد ضلوا الطريق فراعني
ناديتها: نفسي فداؤك لا البكا
فيم الأنين وأنت قرة أعين
إن كان ساءك أن أرضك قد غدت
فهناك جند قام يسعى جاهداً
الله أكبر في الحياة نداؤه

في كل يوم للفضيلة مَصْرَع
يجدي ولا طول التَّفْجَع يَنْفَع
باتت إلى نيل العُلا تَطَّلَع
مرعى به ذئب الغواية يرتع
في الدين يقتلع الفساد وينزع^(١)
يمثي بها نحو الخلود ويُسرِع

* . * . * . * . *

الله در القوم إن نفوسهم
سُلت سيوف البغي فوق رؤوسهم
فتحملوا ألم الأذى ببسالة
ولو أطلعت لدى العناء عليهم

لَتَشِيعُ بِالْحَقِّ الْيَقِينِ وَتَنْبُعُ
وَأَمْضُهُمْ كَأْسُ الْعَذَابِ الْمَتْرَعُ^(٢)
وبهمة قعساء لا تتضعضع^(٣)
لرأيت ما يُدمي الفؤاد وينزع

(١) نتدرع : أي كأننا نلبس الدرع لتتقي به من كل خطر.

(٢) ذو القلة : الفقير المعدم.

(٣) يقصد بذلك حركة الإخوان المسلمين التي كان لها أثر في ذلك الوقت.

(٤) أمض : أوجع ، المترع : من ترع لإناء، إذا امتلأ، الممتلىء.

(٥) قعساء من قعس ، رجل أقعس وبه قعس هو دخول الظهر وخروج الصدر. وتقعاس الرجل : أخرج

صدره. والمقصود بالهمة القعساء البارزة.

والشيخ يُضربُ بالسياط ويقرعُ^(١)
لونا يشيبُ له الوليدُ ويهلُعُ
والليلُ يَعْقُبُهُ ضياءُ ساطِعُ
أبدأً وإن كثرَ البلاءُ الواقعُ
لأعزُّ من جنِدِ الضلالِ وأرفَعُ
بينَ الهدى والبغيِ فرقُ شاسعُ
يا قومُ عندكم دواءُ ناجِعُ؟
والفقرُ في شتى المنازلِ يَقبعُ
لا تشي عن ضَعْفِها أو تُقلعُ
يسطو على الحِملانِ ذئبٌ جائعُ^(٢)
نلهو وكيدُ عدونا لا يهجعُ
يا قومُ نرضى بالهوانِ ونخضعُ
يسدو من استسلامنا أو يطمعُ
لم يبقَ في قوسِ التصبُّرِ منزعُ
عزمُ الجبابرةِ العظامِ ويركعُ
عَن بذلها يا مصر لا نتراجعُ

ففتى العقيدة مُثخَنُ بجراحه
ولقد أذاقهم الطغاة من الأذى
لكنما الظلماءُ يتلوها ضحى
والحقُّ بالنصر المبين مُتَوَجُّ
مهلاً لعمري إنَّ جندَ «محمدٍ»
لا يستوي هديٌّ وبغيٌّ إنما
قالت: وتلك المبكياتُ أما لها
الجهلُ يضربُ في القرى أطنابه
والأجنبيُّ أما رآنا دولةً
فسطا علينا شرُّ سَطوٍ مثلما
ويحزُّ في نفسي ويؤلُمُ أننا
النيلُ يُضنيه الأسي فإلى متى
فأجبتُها أن لا يغرُنك الذي
إنَّ التصبُّر دأبنا حتى إذا
ألفيتنا أسداً يخرُّ أمامها
أرواحنا يومَ الجهادِ لك الفدا

* . * . * . * . *

(١) إشارة إلى اضطهاد الشباب المسلم في كل عصر.

(٢) الحملان : جمع حَمَل ، وهو الخروف.

مصر في الميدان(*) - ١ -

نَبَعُ الجِهَادِ يفيضُ منْ واديكِ وسَنا الخلودِ يشعُ من ماضيكِ
وإليكِ يتسبُّ الفخارُ وكيف لا يا مصرُ، والنيْلُ العظيمُ أبوكِ
شيدتِ للدينا صروحَ حضارةٍ وأنارَ ليلَ العالمينِ بئوكِ
وبصفحةِ التاريخِ كمَ لكِ أحرفُ قَدْ سَطروها بالدمِ المسفوكِ

* . * . * . * . *

لك في سجلِ المجدِ ذكرٌ أبيضُ سيظلُّ تاجاً خالداً يعلوكِ
لو ينطقُ الهَرَمُ المُخلدُ لا نبرى يروي حديثَ المجدِ عن أهليكِ
فإلامَ نخضعُ أو نلينُ لعصبةٍ يا مصرُ في الأغلالِ قَدْ وضعوكِ؟

* . * . * . * . *

إننا لنأبى أن نعيشَ أذلةً ويَظل وادي النيلِ كالمملوكِ
لا خير في عيشِ امرئٍ مُستضعِفٍ يلقي الحياةَ بعزيمةِ المفكوكِ
أنى لأبناءِ الفراعنةِ الألى جابوا الممالكِ بالقنا المشبوكِ^(٢)

(*) أكتوبر - تشرين أول ١٩٥١ - مصر كلها تتحول إلى بركان نائر يقذف اللهب في وجه المستعمر الغاصب بعد أن ألقى الزعيم مصطفى النحاس معاهدة ١٩٣٦ المشؤومة. [الشاعر].
(١) هذه القصيدة وضعها المؤلف بعنوان (نحو المجد) في مجموعته الشعرية «المختار من أشعاري».

(٢) يفخر شاعرنا بالفراعنة، رغم مارأيانا من اتجاهه الإسلامي، ودفاعه عن الإسلام، وهذا يدل على =

أَنْ يَسْتَكِينُوا الْيَوْمَ خَوْفَ عَصَابَةِ
مَنْ هُوَ لَاءُ «الانجليز» لَهْدِمُوا
هُمْ عُصْبَةً لِلْسُّوءِ عَاشُوا عَالَةً
فَعَلَيْكَ يَا ابْنَ النَّيْلِ أَنْ تَسْعَى إِلَى
وَاحِمْلٍ لَوَاءِ الْخَالِدِينَ فَطَالَمَا
* * * * *

وَاضْرَبْ ذُنَابَ الْإِنجِلِيزِ وَقُلْ لَهَا
حَيًّا إِلَهُ لَفْتِيَةِ الْأَلْمَانِ مَا
أَوْ لَيْسَ فِي «دَنْكْرَكْ» فْتِيَةٌ هَتْلِرْ
وَرَأَيْتَهُمْ أَسْدَاءَ كَرَامًا فِي الْوَعْيِ
لَوْلَا مُؤَاذِرَةٌ مِنَ الْحَلْفَاءِ مَا
حَتَّى ظَلَلْتِ لَدَى الْوَرَى أَضْحُوكَةَ
* * * * *

يَا مِصْرُ لَمْ تَكُنِ الْمَعَاهِدَةُ الَّتِي
يَا رَبِّ يَوْمٍ كَانَ يَمْضِي بِالْأَسَى
لَمْ أَلْقَ مِثْلَ الْإِنجِلِيزِ ثَعَالِبًا
نَصَبُوا لَنَا شَرْكَاءَ وَظَنُّوا أَنَّهُ
حَتَّى اسْتَبَانَ النَّوْرُ وَانْقَشَعَ الدَّجَى
وَرَفَعَتْ صَوْتَكَ بِالشَّكَايَةِ عَالِيًا
فِي الْيَوْمِ الْجِهَادِ فَإِنَّهُ سَهْمُ الرَّدَى
* * * * *

= قوة ذلك التيار الذي أثاره الاستعمار وأعوانه في مصر عندما بدأت تستيقظ، وهوتيار الفرعونية، إذ بدلاً من أن يغلب عليها التيار الإسلامي، بعث من ينفخ في أبواق الفرعونية كرمز قومي يتعلق به الشعب. وهذه الطريقة ترفع أمام أنظار الأمة أصنام جديدة باسم القومية والوطنية والحضارة.

(١) من الإفك وهو الكذب.

(٢) اللدوك : من ذلك بمعنى زال، غرب.

(٣) «دنكرك» اسم موقعة في فرنسا، هزم فيها الحلفاء ولا سيما الجيش البريطاني أمام الألمان.

جهاد ضائع (*)

سئِمَ الفؤادُ الزورَ والتضليلاً
قالوا: مفاوضةً! فقلكُ لهم: متى
يا مَنْ تنكبَّت الطريقَ بلا هُدى
المجدُّ لا يُعطى ولكن يشتري
لا نرتضي غير الجهادِ سبيلاً
أجدتُ مفاوضةً اللثامَ فتيلاً؟
مهلاً، أتيتُ من الأمورِ جليلاً
بالنفسِ إن الدهرَ كانَ بخيلاً

* . * . * . * . *

ضربَ الذي وَلِيَّ الوزارةَ قبلكم
ما كانَ إلا السيفَ ضاقَ بغمدهِ
هي صيحةٌ بَعَثَتْ لمصرَ فخارها
فتلفَتَتْ انجلترا مذعورةً
مثلاً لمنْ طلبَ الخلودَ جميلاً
ذرعاً فحطَّم غمدهُ ليصولا
من بعدِ ما لزمَ الرُقَادَ طويلاً
تخنى لكوكبها المضيءِ أفولا

* . * . * . * . *

يا من رأى جندَ الكنانةِ في الوغى
هُم فتيةٌ بذلوا النفوسَ رخيصةً
هتفوا لمصر، غيرَ أنَّ هتافهم
أكبرتُ فيهم عزيمةً حملوا بها
أرأيتُ أسداً ليسَ تسكنُ غيلاً؟^(١)
يبغونَ مجدداً للبلادِ أثيلاً^(٢)
كان الجهادَ عشيةً وأصيلاً
عبيئاً من الجلدِ المريرِ ثقيلاً

(*) فبراير - شباط - ١٩٥٢ الوزارة المصرية برئاسة علي ماهر باشا تقبل المفاوضات وتشل حركة
الفدائيين في القتال (الشاعر).

(١) الغيل : الغابة ذات الأشجار الكثيفة.

(٢) يشير إلى الفدائيين من الإخوان المسلمين الذين جاهدوا ضد القوات الانجليزية في القناة.

ضربتُ أسودَ النيلِ جندَ تشرشلِ
 فبغى، «أرسكين» الجبانُ وإنه
 قتلوا الشيوخَ العاجزينَ وأعمَلُوا
 يا رَبِّ طفليَ مُزقتُ أوصالُه
 يا صاحِ إِنَّ إنجلترا مسحتُ لها
 ومضتُ تتيهَ على الأنامِ بمجدها
 انظرْ إليها كيفَ كانَ جهادها

* * * * *

ما بالُ شعبِ النيلِ أضحيَ هادئاً
 باتت سفينتُهُ لطولِ مسيرِها
 بينَ الطغاةِ وبينَ فتيتنا دمٌ
 لهفي على تلكِ الدماءِ وقد مضت
 ذهبتُ هباءً، ما أمرٌ ذهابُها
 سبعونَ عاماً في الإِسارِ أذلةٌ
 لنكاد إن ذكرَ الجلاءِ تكرمأ
 يا قومُ جدوا، واعملوا، فعدونا
 السيفُ مفتاحُ الطريقِ إلى العُلا
 خَلُّوا سبيلَ القائمينَ بحملِهِ ز
 لثَلَقَنَّ المجدَ الصغارَ وهكذا

أُترأه قد أَلَفَ الحِياةَ ذليلاً
 تبغى إلى الشطِّ الأَمينِ وُصولاً
 ناداهُ داعي مصرِنا ليسيلاً
 تبني، فبدلَ ما بنتَ تبديلاً
 لكأنما كانتُ دمأً مطلولاً
 نشكو عدواً في البلادِ نزيلاً
 نجري لنوسع كفه تقبيلاً
 لا يعرفُ التصفيقَ والتهليلاً
 تَعَسَ الذي يبغى سواهُ بديلاً
 فسيطرِدونَ من البلادِ دخيلاً^(٣)
 جيلٌ يعلمُ في الكنانةِ جيلاً

(١) أرسكين: اسم القائد العسكري للقوات البريطانية في القناة.

(٢) كفر أحمد: قرية مصرية قريبة من الاسماعيلية حيث قام جنود الاحتلال البريطاني بالإعتداء على المدنيين والشرطة.

(٣) يقصد بذلك الفدائيين من كتائب الإخوان المسلمين الذين كانوا يقومون بعمليات فدائية ضد الانكليز ومعسكراتهم في القناة لإجبارهم على الجلاء ونيل الاستقلال بالقوة.

صوت الوطنية (*)

[إلى الزعيم مصطفى النحاس]

تقدمُ فأنتَ اليومَ من يتقدّمُ
 قضيةُ وادي النيلِ ضيّعها الهوى
 دعوناكَ للجُلّي ومثلكَ يرتجى
 فمنَ شاءَ فرداً غيرَكَ اليومَ خائنُ
 عرفناكَ ليثاً في الجهادِ وضيغماً
 تحمّلتهُم حتى بلوتَ حياءَهُم
 فلما سئمتَ المُطلَ وهو شعارهم
 وأشعلتها ناراً تلظى وثورةُ
 مفاوضةُ شاءوا وما كنتَ بالذي
 وما كنتَ منَ يرضى بأنَ دمائنا
 شبابُ كعمرِ الزهرِ قد كانَ عمرُهُ
 يقولُ: فداءَ النيلِ نفسي ومهجتي
 لأيِّ سبيلٍ أمَ بأيِّ ذريعةِ

برمنا بها فوضى، وطال التبرمُ (١)
 وأنتَ لها أقبلُ ففي النيلِ ماتمُ (٢)
 ووجهُ الليالي عابسٌ مُتجهّمُ
 يُقصّرُ في حقِّ البلادِ ويجرمُ
 يريدُ جلاءَ القومِ والذلُّ يُؤلّمُ
 على مضمضٍ، والحرُّ للغيطِ يكظمُ
 وضقتَ بهم ذرعاً توليتَ عنهم
 عليهم، وإنَّ الشرَّ بالشرِّ يُحسمُ
 يفاوضهم في الحقِّ والحقُّ يُغنمُ
 تضيعُ هباءً والعدوُّ يُنعَمُ
 مضى للمنايا ضاحكاً يتبسّمُ
 إذا اخترمتَ جنبيّ للموتِ أسهمُ
 يفوِّضُ ما قد راحَ بيني ويهدمُ

(*) مارس- آذار- ١٩٥٢ الوزارة المصرية برئاسة نجيب الهالالي باشا تستصدر مرسوماً بحل مجلس النواب، فتأخذ الأحزاب المصرية في التأهب لخوض المعركة الانتخابية للمجلس الجديد.

(١) التبرم : من برم، تبرم به : أي سئمه.

(٢) ماتم : الماتم في الأصل نساء يجتمعن في الخير والشر وتطلق هنا للشر والمصيبة.

من المال والأرواح والليل أسحم
وما كان لولا ضيعةُ الجهد يندم
كأن لم يسِل يوماً بتريته الدم
بحبك قلبٌ للكنانة مُفعمٌ
وحقق لما باتت به مصرٌ تحلم
وأنت لجرحِ النيلِ طِبٌ وبَلَسَم
من الشعبِ، إن الشعبَ بالحق يعلم

* . * . * . * . *

على صدرنا كالهَمِّ والداءِ يجثمُ
بمصرَ مرادُ الشعبِ، فُضُّ له فم
على ثورةِ النحاسِ بل كان ينقمُ
نحطُّ ما يروي النزِيلُ ويزعمُ
عدوُّ، لأنفاسِ الكنانةِ يكتُم
على طردِ أعداءِ البلادِ يُصمُّ
ولكنهُ وقتٌ به الخلفُ يحرم
وما بعده في الغيبِ جافٍ ومبهم
يقرُّ بها عزمٌ من الوفدِ صارم
جلاءً وعيشِ النيلِ صابٌ وعلقم

* . * . * . * . *

وفي الله ما أعطى القنالُ وأهله
أراه على ما قدَّم اليومَ نادماً
وأصبحَ في صمتِ القبورِ ضجيجُهُ
فيا أملَ الوادي ويا عثَ مجدهِ
تقدَّم وباسمِ اللهِ جدُّ كفاحنا
غدا النيلُ مكلومٌ الفؤادِ مُروَعاً
فسرُ في طريقِ الحقِّ سيراً مباركاً

ويا فتيةَ الوادي، لهذا عدونا
ينادي بكلِّ الأرضِ أن بقاءه
ويزعمُ أن الشعبَ ما كان راضياً
فمدوا أياديكم إلى الوفدِ علنا
ويعلمُ عنه العالمُ الحرُّ أنه
وأن بأرضِ النيلِ شعباً مجاهداً
وما الحين حين نرتضي فيه فرقةً
ألا إنه يومٌ امتحانٍ لعزمننا
فإما حياةً حرةً لبلادنا
وإما احتلالٌ ليس يحدثُ بعده

تحية الشعر إلى الزعيم

مصطفى النحاس (*)

دَمٌ للكنانة سيّداً وعميدا
حُيِّتَ من بطلٍ تطاول عزمه
هذا هو الوادي جريحٌ حائرٌ
يرجو النجاةَ على يديك وإنه
إنا لنذكرُ بالفخارِ وبالعلا
مَزَقَتْ فيه وثيقة استعبادنا
ووقفَتْ مثل الليثِ ترسلُ صيحةً
من أجل مصر - تقول - قد وقعتْها
لك عزيمةٌ في الحقِّ نعرفُ بأسها
لم يُثنها عن ضربِ هاماتِ العدا
ومضيتُ في حشدِ الكتائبِ مُبديا
من كانَ مثلكَ في صلابَةِ عزمه
قم يا زعيمَ النيلِ جدِّدْ مجده
ضيقنا به ذرعاً، وواسعُ جِلْمنا
بددْ وأنتَ زعيمنا أحلامَ مَنْ

(*) ابريل - نيسان - ١٩٥٢.

يا قائدَ الوادي إلى النصرِ الذي
أقبلَ لتدفعَ عن حمى النيلِ الأذى
الشعبُ يَأبى أن يظلَّ مُكبَّلاً
أما الجلاءُ فإن حكمتَ فواقعُ
يرجوه عشتَ مُكرِّماً محموداً
وتردُّ كيداً بالبلادِ أريداً
ويودُّ عيشاً في الحياةِ رغيداً
وبغيرِ هذا كانَ عنه بعيداً

* . * . * . * . *

حيّا الإلهُ فوارسَ الوفدِ الألى
يا فخرَ مصرَ، ويا كُماةَ نضالها
أنتم حماةُ النيلِ، قادةُ أهلهِ
ولكم لواءُ المجدِ خفاقاً، متى
قاموا إلى ساحِ الجهادِ أسوداً
دُمتمُ لوادينا كراماً صيدا
فوقَ السُّها لا تلبثون قُعوداً
كانَ اللواءُ لغيركم معقوداً

* . * . * . * . *

خواطر نائرة(*)

[قبيل الثورة بأيام، تولت وزارة أحمد نجيب الهملاي الحكم، ومنذ الليلة الأولى قامت بحملة على الأحرار والفدائيين، وفي تلك الليلة حاصر منزل الشاعر سبعون جندياً يفتشون عن السلاح، ويعتقلون عميد الأسرة الأستاذ مصطفى الرفاعي، وظل الشاعر تلك الليلة ٢٠ يوليه - تموز - ١٩٥٢ ساهراً ينثف خواطره النائرة].

مضى للنوم سُمَارُ	خَلَّتْ من أنسهم دَارُ
فما أشجى لهم لحنُ	ولا قد رنَّ مِزْمَارُ
وعدتُ بمهجةٍ حَرَى	وقلبٍ ملؤهُ نَارُ..
وحولي من سُكونِ اللب	لِ والأوهامِ أَسْتَارُ
وفي رأسي خيالاتُ	تموجُ به وأفكارُ
سجينُ، لي من الظلما	تِ قضبانُ وأسوارُ
تُعذبُنِي أحاسيسُ	لها بالقلبِ أظفارُ
تموتُ لديه آمالُ	وتذوي منه أزهارُ
ويحيا حينَ تبرقُ من	سنا الأحلامِ أنوارُ
وبينَ يديه مسكوبُ	من الأوهامِ مدرارُ

(*) لم أعر على أصل القصيدة بخط الشاعر، وأخذت هذه الأبيات مما نشره (الأستاذ حته) ويبدو أن القصيدة غير مكتملة ولعل (الأستاذ حته) قد اقتطع أبياتاً من الأصل ووضعها فيما نشره باسم الشاعر، والمقدمة من صنع الأستاذ حته.

لَهُ لِيَأْسِ أَسْبَابُ وَلِلتَأْمِيلِ أَعْدَارُ !
وَمَنْ أَعْمَاقِ خَاطِرِهِ مُنَى تَطْفُو وَأَكْدَارُ
كَذَلِكَ فِي رِيبِ الْوَادِي يَذُوقُ الْمَرُّ أَحْرَارُ
مَتَى رَفَضَ الْهَوَانَ فَتَى فَلَيْسَ يَنَالُهُ عَارُ

* . * . * . * . *

مأساة زعيم (*)

أحقاً خلا من عزمِ سيدهِ الوفدِ
تنحى زعيمُ النيلِ عن حزبِ شعبهِ
فكيف ننالُ النصرَ؟ بل كيف نَجتني
وقد غابَ عن غابِ السياسةِ ليُتها
أفي مثلِ هذا الحينِ - والنيلُ يبتغي
أهذا أو أنْ فيه يُطوى مهندُ
أيتهمُ الشهمُ الذي أرقَ العدا
وأعلنها حرباً عليهم طحونةُ
أبعدَ الذي أذى لمصرَ من العُلا
يكونُ جزاءُ البذلِ منه تجنياً
بني الوفدِ إن الشعبَ في مصرَ عاتبُ
نقضتمُ سريعاً عهدكمُ لزعيمكم
أيرجى لهذا الحزبِ نصرَ ورفعةُ
وإني على الأيامِ من بعدِ مصطفى

كذا فليتمَّ المكرُّ وليفلح الكيدُ
وباتَ بعيداً عنه ضيغيمُهُ الوردُ^(١)
ثمَارَ المعالي؟ أو يتمُّ لنا قصدُ
وجارَ على جارِ الحجا منهمُ الحقدُ^(٢)
ذرا المجدِ - ينأى من يدينُ به المجدُ؟
ويُغمدُ سيفُ لا يُفلُّ له حدُّ^(٣)
وجدُ بوقتِ قد أضرَّ به الجدُ
ولم يُثنِه عنهمُ وعيدُ ولا وعدُ
مدى عُمره حتى أضرَّ به الجُهدُ
عليه وجوراً - لا وفاء ولا حمدُ
عليكم وبعضُ العتبِ في أصله ودُ
كان لم يطلُ في مُكثه بينكمُ عهدُ
وقد مالَ عنه الليثُ والأسدُ الوردُ
لأعجبُ من أن يستقيمَ به فردُ

* . * . * . * . *

- (*) أكتوبر - تشرين أول - ١٩٥٢ - الزعيم الجليل مصطفى النحاس يتنحى عن رئاسة الوفد .
(١) الضيغم : الأسد . الورد : صفة الأسد لأن لونه يشبه لون الورد .
(٢) الحجا : العقل ، وانظر إلى المبالغة في التحسين اللفظي (الجناس) .
(٣) المهند : السيف المضروب من حديد الهند . يفل : من فل بمعنى تكسر .

عدلي لملوم (*)

ماذا أفادك يا فتى الإقطاع
أغراك بالعصيان ما أشربته
ورماك في النار اغتراراً بالذي
أظننت أنك موقفُ الركبِ الذي
فوقفت تُظهرُ بالسلاحِ شجاعةً
وتداعتِ العزماتُ منك وقبلها
هذا هو السجنُ الرهيبُ فذقْ به
لمْ يغنِ عنك وأنت فيه مقيدُ
فانظر إلى أيِّ المواضعِ طَوَّحْتَ
قد سولتْ لك ما هوى بك آنماً
اليومَ عمَّ الناسَ عدلُ سائدُ
تلكَ العهودُ قد انقضتْ آثامها

هذا التمرّدُ غيرُ سوءِ ضياع
من شرِّ تنشئةٍ وُحِبْتُ طباعِ
مُلْكُتُهُ من ثروةٍ وضياعِ
قد سارَ للعلياءِ في إسراعِ
حتى أتوكَ فكنتَ غيرَ شجاعِ
يا ابنَ الغنى ما كنتَ بالمتداعي
كأسَ الهوانِ بطعمها اللذاعِ
حملَ السلاحِ وكثرةُ الأتباعِ
بك شهوةُ الأموالِ والأطماعِ
عقليةٌ قد آذنتْ بوداعِ
لا فرقَ بين أعظمِ ورعاعِ
ونعى دُجاها في البلادِ الناعي

* . * . * . * . *

(*) أكتوبر - تشرين أول - ١٩٥٢ .

(*) واحد من الذين حاولوا منع توزيع الأرض وضرب الفلاحين وشهر السلاح . فسجن وعذب ونشرت في ديوان (حته) بعنوان (فتى الإقطاع) .

صيحة البعث (*)

يا ثورة في ضلوعي
 إلام أقضي حياتي
 سَطَرْتُ للنيل مجداً
 هذي فلسطينُ سيلٌ
 أودى اليهودُ بشيخٍ
 لَمَّا دَعَتْنِي رَأْتَنِي
 حينَ العدوُّ تراءى
 أكاذُ أسقيه كأساً
 لولا الذي قدَّ دهاني
 إذ جيءَ لي بسلاحٍ
 فرُحْتُ أقضي شهيداً
 أمضي ويذوي شبابي
 أظلُّ أهتفُ يالي
 وما لها من هُجوعٍ^(١)
 في ذلَّةٍ وخضوعٍ؟
 وما أنا بالقنوعِ
 من الدِّمَا والدموعِ
 في أرضها ورضيعِ
 إلى الوغي بسريعِ
 في حَشْدِهِ كالقطيعِ
 من الهلاكِ الذريعِ
 يومَ القتالِ المُربِعِ
 محطَّمٍ ودُروعٍ^(٢)
 مُخضَّباً بالنجيعِ^(٣)
 واحسرتا في الربيعِ^(٤)
 من الفسادِ الشنيعِ

(*) ديسمبر-كانون أول- ١٩٥٢. نشر قسم من القصيدة في جريدة «الزمان» بتاريخ ٢٣ أبريل-نيسان ١٩٥٣.

- (١) الهجوع : النوم ليلاً.
- (٢) إشارة إلى الأسلحة الفاسدة التي سلح بها الجيش المصري في حرب فلسطين. [الشاعر].
- (٣) النجيع من الدم : ما كان يضرب إلى السواد وهو دم الجوف خاصة.
- (٤) يذوي : يذبل.

بِإِدَاءِ قَدْ بُحَّ صَوْتِي بِهَا وَمَا مِنْ سَمِيعِ
فَإِنْ تَطَفَّ يَا ابْنَ مِصْرٍ يَوْمًا بِتِلْكَ الرَّبِوعِ
فَاهْتَفَّ بِهَا لِشَهِيدٍ بَيْنَ التَّرَابِ ضَجِيعِ
وَحَيٍّ جُنْدًا كِرَامًا قَضُوا بِذَلِكَ الْبَقِيعِ
وَقُلْ لَهُمْ فِي فَخَارٍ وَعِزَّةٍ وَخُشُوعِ
إِنِّي حَطَّمْتُ قُيُودِي إِنِّي مَلِكُ رُكُوعِي
تِلْكَ الْعَهْدِ تَوَلَّتْ وَمَا لَهَا مِنْ رَجُوعِ

* . * . * . * . *

صوت التحرير (*)

فجرُ أطل على الكنانة مُشرقاً
 قد كانَ هذا الفجرُ حلمَ خيالنا
 أرضُ الكنانةِ جنةُ الله التي
 سيفُ العنايةِ قوّضَ العهدَ الذي
 عشناً بوادي النيلِ يملكُ أمرنا
 جعلَ اللثيمَ من الأنامِ قرينه
 باتتْ بلادُ النيلِ تشكو جورهُ
 حتّى أرادَ اللهُ نصرًا للحمي
 فتحركَ الجيشُ النصيرُ لشعبه
 هي وثبةٌ بعثتْ لمصرَ فخارها
 ردتْ إلى الوادي قديمَ علائهِ
 إني أرى عهداً تكاثرَ خيرهُ
 عهدٌ تفرّدَ بالمحاسنِ وحدهُ
 ويَزِينُهُ العملُ الذي نسمو به
 يكفيكُ منه قيامُ خيرِ جماعةِ

يجلو بطلعتهِ الظلامَ المُفتقاً
 لله هذا الحلمُ كفَ تحقّقاً
 من مَسّها بالسوءِ خابَ وأخفّقاً
 قد كانَ نبعاً بالفسادِ تدفّقاً
 من بالردليلِ من الخصالِ تخلّقاً
 وبكلِّ مدمومِ الفعالِ تعلقاً
 وتناشدُ الأقدارَ أنْ تتدفّقاً
 وأرادَ للقومِ اللثامِ تفرّقاً
 وأهابَ بالطغيانِ أنْ يتمزّقاً
 من بعدِ عمِّ البلاءِ وحدّقاً
 وسقتهُ بعد الصّابِ شهداً ريقاً^(١)
 قد فاضَ يميناً بالبلادِ وأغدقاً
 فيه النُّظامِ بالإنّحادِ قد التقى
 فيزيدنا بينَ الممالكِ رونقاً
 فتحتْ لنا للنُّصرِ باباً مُغلّقاً

(*) القيت في الاحتفال الكبير الذي أقيم «بكفر النحال» بمدينة «الزقازيق» لاستقبال أعضاء هيئة

التحرير العليا بالشرقية ١٦ مارس - آذار - ١٩٥٣.

(١) الصاب : يقصد به الطعم المر. الريق: يشبه الريق لسهولته وعذوبته.

ولهيئة التحريرِ أعظمُ هيئةٍ قامت على أكتاف قومٍ أقسموا السائرين بمصرَ نحو رقيها والغارسينَ المجدَ أخرجَ شطأه أخذوا على أرواحهم لبلادهم جمعوا جهودهم لحلِّ قضيةٍ فينظّمونَ من الشبابِ كتاباً يا قادة الإقليمِ هذي كُنّا إنا بنو الشرقيةِ الحمراء لم عرّف القنالَ كفاحنًا ونضالنا قل «للنجيب» فتى البلاد وفخرها قُدت الكنانة للخلود وللعلا طهرت وادبها من الرجسِ الذي فتبسمَ النيلُ الحزينُ ورددت وبدمعةِ الحمدِ الجزيل لربّه اليوم نال الشعب من حرّية

* . * . * . * . *

- (١) هيئة التحرير: اسم التنظيم الذي عمله رجال الثورة المصرية في أول أمرهم، وقد كان الشاعر - مثل غيره - يرجو على يديهم الخير لهذا الشعب المسكين.
- (٢) شطء الزرع والنبات: فراخه أو طرفه.
- (٣) سهم من ريش: له ريش. المفقوق: الذي يشد وتره إلى فوقه.
- (٤) يشير الشاعر إلى اللواء محمد نجيب الذي عين قائداً للثورة في أول أمرها.

تحية الأشبال (*)

أيها الأشبال في النيل السعيدِ جددوا الآمالَ للعهد الجديدِ
واعلموا بالحزمِ والعزمِ الوطيدِ مصرُ نادَتْ فاستجيبوا للنداءِ

* . * . * . * . *

سارعوا للمجدِ يا كَنزَ الأملِ باتحادٍ ونظامٍ وعملٍ
كل من سارَ على الدربِ وصلَ فاعلموا والله يرعى الأوفياءِ

* . * . * . * . *

جاء عهدُ النورِ وانجابَ الظلامِ وتعالى ذكرُنا بينَ الأنامِ
ومن اليومِ سنمضي للأمامِ في جَمَى الرحمنِ في ظلِّ اللواءِ

* . * . * . * . *

مصرُ والسودانُ من عهدٍ بعيدِ إخوةُ في الدِّينِ والنيلِ الجيدِ
لهما مجدٌ على الدهرِ تليدِ خالدُ العزّةِ موفورُ الإباءِ

* . * . * . * . *

آنَ أن يُطرَدَ من مصرِ الدخيلِ حانَ للقومِ جلاءُ ورحيلِ
ليسَ شعبُ النيلِ بالشعبِ الذليلِ إنهُ في الحربِ مشهودُ اللقاءِ

* . * . * . * . *

سنخوضُ الهولَ بحرأً من دماءِ فحيأهُ الذلُّ والموتُ سواءِ
نشترى للنيلِ في يومِ الفداءِ وحدةَ الوادي وتحقيقَ الرجاءِ

(*) مدرسة إنشاص الابتدائية الثانوية ٢٠ أبريل - نيسان - ١٩٥٣ .

يوم الحرية(*)

نارٌ على جنباتِ النيلِ تحترق
إني رأيتُ طِلابَ الحقِ مَضِيعةً
وأحزمتُ الناسَ من لو قام مُبتَغياً
فليَنصِفِ السيفِ إن لم يُنصِفِ الكلم
لِلوَقْتِ إن لم تَذُدْ عن حوضه همم
حقاً، إلى السيفِ لا لِلقَوْلِ يَحْتَكِم

* . * . * . * . *

ما الإنجليز سوى شعبٍ يعيش على
قومٌ إذا حالفوا خانوا حليفهم
إذا تكلم ذو بطشٍ له استمعوا
هل يذكرون على الصحراء موقعةً
روميل فوق رمالِ البيدِ موقدها
لولا وفاء بنا عشنا نقدسه
ما كان للنصر يومَ الكرب من سبل
إننا سنعلنها شعواء باسلةً
وما القتال سوى الموت الذي عرفوا
يقودنا علم، في أنفه شمم
نجيب أنت لها، أقدم فربَّ غدٍ
فليرحوا عن قنائةٍ أو لنجعلها

ماضي من المجدِ أسمى وهو منهدم
ولا تُصان لعهدٍ عندهم حرم
أولاً، تولوا وفي آذانهم صمم
نالتهم عندها نار لها ضرم^(١)
حرباً عواناً لهم - من بأسها جمم
وأننا أمةٌ من شأنها الكرم
إليهم، وطعين الظهر ينهزم
فليفخر النيل وليبذخ بنا الهرم
وما القتال سوى الهولِ الذي علموا
لل هولِ مقتحمٌ، للنيلِ منتقم
يخلو من الذئب في الوادي لنا أجم^(٢)
تجري لهم فوقها يومَ القتالِ دم

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٣ .

(١) يشير إلى معركة العلمين التي جرت بين الجيش الألماني بقيادة «روميل» والحلفاء بقيادة «مونتغمري» .

(٢) أجم : جمع أجم وهي الغابة التي يكون شجرها صغيراً بين عشر سنين وعشرين سنة .

فتية التحرير (*) (١)

دُعِ السيفُ يُبدي الحقَّ، لو كان خافياً
 وخضبه، لا ترحمُ عدواً فإنه
 أضربُ به طولُ الأوامِ فروه
 أرانا إذا لم نطلبِ الحقَّ بالظبا
 نباحثُ أعداءَ، إذا ما رأيتهم
 بضاعتهم ختلُ وزيفِ وخسة
 فلا تطمعوا أن يتركوا النيلَ عن رضى
 فكم أحسنتِ مصرُ الظنونَ بفعلهم
 فديتُ شباباً قام لا يرهبُ الردى
 يذودُ عن الحوضِ الكريمِ بهمة
 ويدفعُ عن أرضِ الكنانةِ غاصباً

فما مثله إن شئتَ في الحقِّ قاضياً
 لوردِ دمِ الأعداءِ قد بات صادياً^(٢)
 إلى أن يُرى في الكفِ أحمر قانياً^(٣)
 فلسنا على الأيامِ نلقى الأمانياً^(٤)
 وقد بدلوا لوناً رأيت الأفاعيا
 ووعدهم مظلَّ رأيناهُ بادياً^(٥)
 فإننا لقينا بالخداعِ الدواهيا^(٦)
 فكلفها إحسانها الظنَّ غالياً
 يلبي إلى العلياءِ والمجدِ داعياً
 وعزيمةِ صناديدٍ تهدُّ الرُواسيا
 ويحمي بحدِّ السيفِ للنيلِ واديا

(*) القيت في الاحتفال الذي أقيم بالمعهد في أول مارس - آذار - ١٩٥٤ احتفالاً بتخريج الفوج الأول من الحرس الوطني بحضور مدير الشرقية وشيخ المعهد الأستاذيس سويلم وقائد الحرس بالشرقية الصاغ أمين الخولي، ورجال التعليم والبوليس وأساتذة المعهد وطلابه.

(١) لقد كتب في أول الصفحة (الله أكبر.. والعزة لمص) [المحقق].

(٢) الصادي : الظامىء. الورد الشرب.

(٣) الأوام: طول العطش.

(٤) الظبا : السيوف.

(٥) المختل: الخداع. مظل: المطل بالدين: هو الليان به.

(٦) الدواهي المصائب.

إذا قيل هذا يومٌ مُشْتَبِكِ القنا
 فيا رَبِّ شَرِّ كانَ للشرِّ حاسماً
 ويا فتيةَ التحريرِ هذا عدونا
 وإنْ لهُ إنْ ظلَّ في الغيِّ سادراً
 كأنني به والنارُ عارمةَ اللظى
 يسيرُ بنا للنصرِ والمجدِ قائدُ
 زعيمُ أبي أنْ نَقَطَعَ الدهرَ كلُّهُ
 فجمِّعْ في كلِّ البلادِ كتائباً
 وأبصرَ في الوادي ظلاماً وحلقةً
 وخفِّفْ آلاماً بمصرَ كثيرةً
 سنعلتها شعواءَ قد ثارَ نَقْعُها
 فإما جلاءً عن قنالٍ ووحدةً
 نراهُ به قدْ هبَّ كاللَّيْثِ عاديًا
 ويا رَبِّ داءٍ كانَ للداءِ شافيًا
 على صدرِ وادي النيلِ ما انفكَّ جاثياً
 ليوماً كلونِ الليلِ قد صارَ دانيا
 لها الزندُ لا يخبو، وقد بات صاليا
 «نجيبٌ» من الأدواءِ قد جاء آسيا^(١)
 عبيداً لأعداءِ لنا ومواليًا
 وجرَّدَ أسيفاً وهزَّ عواليًا
 فكشَّفَ عنه ليلُهُ والدياجيا
 وضمَّدَ جرحاً بالكنانةِ داميا
 ومن تحتهِ الهولُ الذي هبَّ عاتياً^(٢)
 وإما كفاحُ بيعتِ الموتِ طاغياً

* * * * *

(١) يقصد به محمد نجيب وقد كان الشاعر معجباً به ومؤيداً له.

(٢) المنقح : القبار.

توزيع الملكية(*)

أملُ تحقّق في البلادِ عسيرُ
لما أُعيدَ إلى الكنانةِ مجدّها
وأطلَّ عهدُ مشرقِ الجنّاتِ قد
غمَرَ البلادَ بهاطلٍ من يُمنيه
سجّدتُ بلادَ النيلِ شاكرةً له
نعم الإله... وإنها لكثيرُ
قد كان في خلدِ الفقيرِ يدورُ^(١)
وانجابَ عنها الليلُ والديجورُ^(٢)
سطعَ السنى بقدومه والنورُ
وتدّفقتُ للخيرِ فيه بحورُ
نعم الإله... وإنها لكثيرُ

* . * . * . * . *

لا أرجعُ الرحمنُ أياماً مضت
ذاقَ الفقيرُ بها الحياةَ ذميمةً
فالبؤسُ بادٍ، والمتاعبُ جمّةً
ولقد بغثُ في ريفِ مصرَ عصابةً
أيامَ يجشعُ في الإجارةِ مالكُ
كم ناظرٍ لزراعةٍ بعُتوه
كانت علينا بالشقاءِ تدورُ
يُضنيه من ظلمِ الغنيِّ سعيرو
والعيشُ صابٌ والشقاءُ مرير^(٣)
ومضت عليه في العذابِ دهور^(٤)
فيثُنُّ من لفحِ الغلاءِ أجيرُ
هُضمتُ حقوقُ مكافحِ وأجورُ

(*) نظمت بناء على طلب الزميل إبراهيم ثرياليقيها بين يدي الرئيس محمد نجيب رئيس الجمهورية المصرية عند حضوره لتوزيع الأراضي على الفقراء وصغار الملاك تنفيذاً لقانون الإصلاح الزراعي وذلك بناحية بلدة الزميل «سند نهور» مارس - آذار - ١٩٥٤.

(١) خلد الفقير : ضمير الفقير وذهنه.

(٢) الديجور : الظلمة.

(٣) باد : بادي أي ظاهر، حجة : كثيرة، صاب : مر وعلقم.

(٤) العصابة : الجمع من الناس.

لَصَّ يَعْضُدُ فِي الْجَرِيمَةِ سِيداً
 الْبَعْتُ عَمَّ الْكَادِحِينَ بَرِيفْنَا
 كَمْ غَاصِبٍ أَرْضاً لَهُمْ بَسِيَاطِهِ
 كَمْ بِالْدَمِ الْمُهْرَاقِ مِنْ أَبْدَانِهِمْ
 كَمْ بِالنَدَى الْمِثَالِ فَوْقَ جِبَاهِهِمْ
 كَمْ فَاقِدٍ لِلْقَوْتِ بَاتَ عَلَى الطَّوَى
 أودى له خلقٌ وماتٌ ضميرٌ^(١)
 وبدا لهم بعد المماتِ نشورٌ
 دَمِيثٌ جَلُودٌ أَلْهَبَتْ وَظُهُورُ
 مُلَكَّتْ ضِيَاعَ جَمَّةٍ وَقِصُورُ
 حَمَلَتْ نُضَاراً لِلنِّسَاءِ نَحُورُ
 وَالرِّزْقُ عِنْدَ الْمَالِكِينَ وَفَيْرُ

* . * . * . * . *

الغرسُ غرسُهُمْ، وَقَدْ رَوَى الثَّرَى
 شَقِيوَا لَهُ حَتَّى بَدَتْ أُمَارُهُ
 كَمْ بَانْتِقَامِ الْكَاطِمِينَ لَغِيظِهِمْ
 كَمْ بِاللُّظَى الْمَشْبُوبِ فِي أَعْمَاقِهِمْ
 وَأَخُو الْهُوَانِ وَلَوْ يَطُولُ هَوَانُهُ
 مَاتُوا حِيَارَى فِي دِيَاجِيرِ الْأَسَى
 بَعَثَ الْإِلَهَ إِلَى الْبِلَادِ نَجِيهَا
 يَا رَبُّ عَانٍ قَدْ تَحَرَّرَ إِذْ بَدَا
 قَدْ ذَاقَ طَعْمًا لِلسَّعَادَةِ مَعْدَمٌ
 عرقٌ لهم فوق الجبينِ غزيرٌ
 مَا بَالُ مِنْ لَمْ يَشَقَّ فِيهِ يَجُورُ^(٢)
 جَاشَتْ نَفُوسٌ حَرَّةٌ وَصُدُورُ
 لَسَقُوطِ الْاِسْتِبْدَادِ فَاصَّ شَعُورُ
 لَا بَدَّ يَوْمًا أَنَّهُ سَيْثُورُ
 حَتَّى أَتَاهُمْ مَنَقَدٌ وَمَجِيرُ
 فَتَحَطَّمَتْ لِلْمُفْسِدِينَ صَخُورُ
 فَجَرَّ بِأَرْجَاءِ الدِّيَارِ مَنِيرُ
 وَمَضَى لِمَبْتَسَمِ الْحَيَاةِ فَقِيرُ

* . * . * . * . *

يَا قَائِدَ الْوَادِي إِلَى الْعَلِيَاءِ قَدْ
 لَمَّا أَتَيْتَ لَهَا كَغَيْثٍ هَاطِلٍ
 سَعَدَتْ بَنِيْلِ الْفَخْرِ سِنْدِنَهْوَرُ^(٣)
 سَارَ الرِّضَا وَالْخَيْرُ حَيْثُ تَسِيرُ

(١) للص : هو الناظر في القرية أو المزرعة أي الوكيل عن مالك هذه القرية والسيد هو مالك الأرض .
 أودى : ذهب وزال .

(٢) شقيوا : الأصل أن يقول شقوا ويحذف حرف العلة الياء لاتصال الفعل بواو الجماعة ولكنه أتى بها
 ليستقيم الوزن . يجور : يظلم .

(٣) سند نهور : اسم بلدة صغيرة في محافظة القليوبية .

سويت بين مواطنٍ ومواطنٍ لم يبقَ فينا خادمٌ وأجيرٌ
فاقهرُ ضلالَ الحاسدين ومكرهم واطهرُ عليهم إنك المنصورُ^(١)

* . * . * . * . *

(١) في هذا البيت إشارة إلى الصراع الذي دار بين نجيب وبين رجال الثورة في أول عهدها.

يوم الجلاء(*)

إذا آن لابن النيل أن يدرك النُصرا
وآن لهذا الليل أن يُظهرَ الفُجرا
فيا مصرُ هذي ساعةَ المجدِ قد دنتُ
ويا واديَ الأحرارِ عُدتَ لنا حُرّاً
مضتْ دونَ هذا اليومِ سَبْعُونَ حِجَّةً
بها طالَ الاستبدادُ واستنفذَ الصُّبرا
وإنْ أنسَ لا أنسَ الهوانَ الَّذي انقضى
ولا الذلُّ في طولِ البلاءِ ولا الدُّعرا
وكنتُ إذا ما ذاقَتِ الظُّلمَ دولةً
على يَدِ مُحْتَلٍ ذكرتَ بها مصرا
فيا يومَ إجلاءِ العدوِّ عنِ الجِمي
ظننتُ - وبيثُ الله - موعِدُكَ الحُشرا
سلامٌ على تلكَ الدماءِ التي مَضَتْ
تُراقُ لكِ نلقاكِ قانيةً حُمرا
سلامٌ على ذاكَ الشبابِ الَّذي انطوى
وآثرَ دونَ المجدِ أنْ يسكنَ القبرا

(*) ٢٧ - يوليو - حزيران - ١٩٥٤ الحكومات المصرية والبريطانية توقعان اتفاقية الجلاء.

بذلنا لك الأرواح عن طيب خاطرٍ
 وجُزنا إليك الصعبَ والسَّهلَ والوعرا
 ومرت بنا الأعوامُ، والنيلُ حانقُ
 يُعاني من الضيقِ الذي ملأ الصُّدرا
 إذا ما رأينا فوقه وجهَ غاضبٍ
 تروحُ وقد ضُمَّتْ أضعالِنا جَمرا
 شبابٌ وأشياخُ أرادوكَ قبلنا
 وفي نيل الاستقلالِ قد قطعوا العُمرَا
 فكم من زعيمٍ قابِلِ التَّفِي هازئاً
 وسارَ إليه رافعاً رأسه فَخْرا
 وثوراتِ أبطالٍ أثاروا لهيبَها
 فأخمدَهُ مَنْ أضمروا الحقدَ والغدرا
 فما نامَ هذا الشعبُ عن نيلِ مآزِبِ
 ولكِنَّهُ عدوانُ مَنْ سَكَن القُصْرا
 فحيُّوا الألى باعوا الكِنانَةَ أنفُساً
 وفوقَ قبورِ الخالدين ضَعُوا الزُّهْرا
 وإن يُدركِ الوادي الجلاءَ فجَدُّوا
 مدى الدهرِ في عيدِ الجلاءِ لهم ذكْرى
 فهذا بناءٌ شادَ كلُّ مواطنٍ
 ليصبحَ كالطُّودِ الأشمِّ له قَدْرا

* . * . * . * . *

معركة القنّاة

[ألّفها الشاعر بمدّرج علي مبارك بكلية دار العلوم يوم ١٣ يناير كانون ثاني ١٩٥٧ ونالت جائزة الشعر للمجلس الأعلى للفنون والآداب].

بمدفعه المغرور قد صال واعتدى
وأغرى بنا عند الحدود كلابه
يحاول بالتهديد إذلال أمة
وهيهات، إن النيل ضمّد جرحه
تخاذلنا ولى مع الأمس، لم نعد
وراح علينا بالقذائف واعتدى
وأرسل للعدوان يضرب موعدا
وإلقاء شعب في القيود وفي الردى
فلم يخش - مغلوباً على أمره العدا
عبيداً، وكم ذا يصنع الخوف سيذا

* . * . * . * . *

سلوا (إيدن) الموتور، ماذا أثاره
لئن ساءه أن يأخذ الحق أهله
قناتي، وفي أرضي، وجدي لحفرها
وفوق ثراها فاض ماء جبينه
فلا صلحت هذي القنّاة ولا جرت
علينا، فأرغى بالحديد وأزبدا^(١)
فمنطق الاستعمار ما زال مُقعدا
أكب على الصحراء بالفأس مجهدا
وأدمى له جلاده الظهر واليدا
بحاجات قوم لا يمرون سُجدا

* . * . * . * . *

لكم تحت جُنجح الليل أبرم كيده
وشاء خداع الناس بالإفك إنّه
وطالعه تصميمنا، فتبّدا
تعوّد هذا الأمر فيما تعودا

(١) (إيدن) : هو رئيس وزراء بريطانيا وقت العدوان ١٩٥٦ م.

تسأحن أطماعٍ ولؤماً مجسدا
وعُرِّي عن ثوب الدهاء الذي ارتدى
وإن تك ناراً قد أضاءت لنا الغدا
فأوردَهم بحراً من الهولِ أسودا
من الذلِّ لا يُلقى إلى الذلِّ مقودا
ولكنَّها ضاعتُ على بابنا سدى
فأحبط ما قد دبروه وأفسدا
نجسَم منها للبطولةِ مشهدا
فلا ينثني حتى يروِّي له صدى
تُروعك من إيمانها النارُ والمُدَى
ونسعى إلى العلياءِ كهلاً وأمردا

* . * . * . * . *

تسَطَّر أمجاداً وترفعُ سُوددا
شواظاً بها شبَّ الضرامُ وأوقدا
على ظهره يسعى إليها مُهددا
تلَقَّفه رامٍ له وتصيِّدا
كـ «باريس» للألمان صيداً معبدا

* . * . * . * . *

مجالاً لكي يبقى لنا السيفُ مغمدا
ولكننا نأبى المذلةَ موردا
على الرغم منا أن نمذَّ المهندا
علينا يزجُّون الخميسَ المزودا
فلا يقبلُ الشعبَ الحياةَ مُقيدا
بتضليلهم للناسِ عاراً تجددا

ونحنُ من الأحداثِ في عدةٍ نرى
وحين كشفنا للأنامِ قناعه
تطاول حتى سَعَرَ النارَ ظالماً
وذاقَ شياطينَ المظلاتِ بأسنا
وقاومهمُ شعبٌ إذا سيمَ خطه
مؤامرةٌ كانتُ أعدتُ فأحكمت
وما قدروا إقدامنا حقَّ قدره
وكائنٌ وقفنا في لظى الحربِ وقفه
بكلِّ فتى يهفو إلى الدمِ سيفه
كتائبٌ إن طالعتها يومَ زحفها
كذلك نحمي النيلَ من كلِّ طامعٍ

وفي الساحلِ المخضوبِ قامتُ مدينةٌ
فلم تخش نسر الجوّ يرسلُ فوقها
ولم ترهبِ الأسطولَ والحتفُ جائمُ
فكم هابطٍ في كفه الموتُ مذهُوى
وكانت لهم (دنكرك) أخرى ولم تكن

ألا إننا نهوى السلامَ، فلم نجد
ولم نك مختارينَ عند امتشاقِهِ
مددنا أكفأً للوداد، وإننا
همُ القومُ بغياً أقبلوا في حماقة
وعُدوه جرماً أن نحاول عزةً
أولئك تجارُ الحروبِ، إذا محوا

ترتَح ركنُ الأمنِ تحتِ لوائِهِم
وإن شَغَلوا في مجلسِ الأمنِ مقعدا
وسيقَ إلى ساحِ المعاركِ فتيةٌ
يؤدون أخذَ العيشِ حُباً موطداً

* . * . * . * . *

فربُّ أبٍ قد كان يهوى وليده
ويؤثرُ أن يرعى له الغصنُ أملداً
فأرسل مصفوداً، ليَطعمَ حتفه
على يدِ شعبٍ ما أغارَ ولا اعتدى
وكم من فتى ما كان يهجرُ عن رضاً
حياةً بها غنى الوثامِ .. وغرداً
أطاحوا به في لجة الحربِ مرغماً
بريثاً، وما يجديه أن يتمرداً

* . * . * . * . *

وفي موكبِ البعثِ الذي قد تجاوزتْ
أحاسيسُهُ في الناسِ كالصوتِ والصدى
طنى وقعَ أقدامِ الشعوبِ كريمةً
على صوتِ جبارٍ بغى وتوعداً
وخلفَ ضبابِ الظلمِ يلمعُ بارقُ
به أملٌ للشائرِ الحرِّ قد بدا
وأسمعُ لحنَ النصرِ في كلِّ أمةٍ
مُكبلةٍ فوقَ الشفاهِ تردداً
فمصرُ لنا - لا للطغاةِ - ومن أتى
لها غازياً لا يُدرِكُ العودَ أحمداً

* . * . * . * . *

بنت العروبة

[قصيدة من وحي زميلة للشاعر في كلية دار العلوم، نظمها في ٢ ديسمبر
كانون أول ١٩٥٧]

أقسمتُ بالبطلِ الشهيدِ وبغضبةِ الشعبِ المجيد^(١)
ويثورةِ البركانِ بركانِ العلا في بُرِّ سعيد
وبوثبةِ الأحرارِ حينَ أقضهمْ ذلُّ العبيد
في المغربِ الدامي وأرضِ عُمانَ قد خلعوا القيود
لأحطمنَّ الطامعينَ الجائمينَ على الحدود

* . * . * . * . *

أنا لحنُ حُبِّ في الشفاهِ وأبيُّ من العربِ الأباة
أنا بنتُ مصرَ تليدةُ الأمجادِ مقبرةُ الغزاة
أنا زهرةُ ليستُ تفوحُ شذىً على أيدي الجناه
وحمامةُ ترجو السلامَ أثارها ظلمُ الطُفاه
أحمي العرينَ وأستمُدُّ العونَ من نُورِ الإله
هذا أخي حملَ السلاحَ لما دعا داعي الكفاح
وراءه في الصفِّ أختي لا تبالي بالرماح

(١) يتابع الشاعر لوثة الجاهلية فيقسم بغير الله سبحانه وتعالى، وهي (موضة) ذا العصر. ولعل الشاعر لم ينتبه إلى ذلك لا سيما في هذه الفترة الحرجة من حياته.

تأسو الجراح إذا هوى في الحربِ مخضوبَ الجراح
والأمُّ تشحذُ عَزَمَنَا بدعائها لا بالنواح
لا بدُّ لَّيْلِ الذي لفَّ العروبةَ من صباح

* . * . * . * . *

إنني لأعملُ للسلامِ ولغرسِ أزهارِ الوئامِ
اللهُ يشهدُ ما بذرتُ بذورَ شرِّ في الظلامِ
لكنني آبى لأرضي أن تذلَّ وأن تُضامِ
هذي يدي فيها الإخاءُ وفي يدي الأخرى سهامِ
فالودُّ مني للصديق، وللعدا الموتُ الزؤامِ

* . * . * . * . *

نشيد الوحدة

[نظمه الشاعر بمناسبة إعلان الوحدة يوم ٢٢ فبراير / شباط سنة

[١٩٥٨

البِشْرُ يَعْطِّرُ أعيادي وينمُّقُ إكليلَ تحيةٍ
والفَرحةُ مِنْ كُلِّ فؤاد نبعت في مصرَ وسوريّة

* . * . * . * . *

قد باركَ خطوتنا الربُّ بالبعثِ وتحطيمِ القيدِ
وتلاقى بَرْدَى والنيلُ في ظلِّ الوحدةِ والمجدِ

* . * . * . * . *

هَزَّ الدنيا هذا الجيلُ وأضاء مشاعِلنا النصرُ
وهتفنا يغمرنا الحبُّ تحيا سوريّا تحيا مصرُ

* . * . * . * . *

قصيدة بور سعيد^(١)

كَانَ الْخَرِيفُ يُظَلُّ أَحْلَامَ الرِّيَاضِ النَّائِمَةِ
وَالْبَحْرُ يُدْرِكُ أَنَّ أَحْدَاثًا سَتَجْرِي حَاسِمَهُ
وَتَحْرُكُ الْأَسْطُولُ يَزْهَوُ بِالْحَشُودِ الْأَثْمَةِ
بِالْعَارِ، عَارِ الْمَعْتَدِينَ، وَبِالْحَقُودِ الْعَارِمَةِ^(٢)
وَتَصَفَّقُ الْأَمَالَ فِي صَدْرِ الْجُمُوعِ الْقَادِمَةِ:
النَّصْرُ وَالْفَتْحُ الْمَبِينُ وَأَمْنِيَاتُ حَالِمِهِ
وَعُرُوزُهَا الْمَجْنُونُ يَحْدُوهَا سَتَرَجُعُ سَالِمِهِ
لِلرَّقْصِ، عِنْدَ «السَّيْنِ» وَ«التَّامِيزِ» كَانَتْ وَاهِمَةً^(٣)

* * * * *

فَالشَّطُّ: مَا وَجَدُوهُ مُصْطَافًا جَمِيلًا، كَانَ جَمْرًا!
وَتَرَاجَعَ اللَّيْلُ الَّذِي نَسَجُوهُ يَوْمًا كَانَ فَجْرًا
وَالتَّاجُ لَمْ يَخْلُدْ كَمَا صَنَعُوهُ بَلْ صُغِنَاهُ نَسْرًا^(٤)
وَالشَّعْبُ لَمْ يَرْكِعْ كَمَا عَهَدُوهُ، بَلْ وَجَدُوهُ حُرًّا
فَلْيَرْسَلُوا بِجُنُودِهِمْ وَعَتَادِهِمْ، جَوًّا وَبِحَرًّا
إِنِّي هُنَا فِي شَاطِئِ الْبَارُودِ قَدْ أَعْدَدْتُ قَبْرًا

-
- (١) نشرت في الديوان المطبوع بإشراف وزارة التربية تحت اسم «جول جمال» وكان الشاعر قد ألقاها في الحفل الذي أقامته وزارة التربية والتعليم بقاعة الحرية مساء ١٨ فبراير/ شباط ١٩٥٩ .
(٢) الجمع أحقاد: واستعمل الشاعر حقود ليمت له الوزن ويجوز جمعه على هذا الوزن قياساً.
(٣) السنين: اسم نهر في فرنسا يمر من مدينة باريس، والتاميز: الأصل تيمز هونهر يمر من لندن.
(٤) إشارة إلى الثورة حيث استبدلت شعار التاج بالنسر والملكية بالجمهورية.

لي، أو لَهُمْ، لا بدّ من صبرٍ يثير الهولَ مُرا
لن يأخذوا مصرًا، فإنِّي قد صنعتُ اليومَ بِمِصرًا^(١)

* . * . * . *

وعلى الرمالِ، وبين إرعادِ المنايا المُطَبِّقة
كانَ الفتى يرمي الفضاءَ بنظرةٍ مُتألِّقه^(٢)
في عينه عزمٌ، وفي جَنبِهِ نارٌ مُحنِّقه
والجبهةُ السمراءُ تَعكِسُ رَوْحَه المتدفِّقه
هو مُبرِّمٌ في نفسه أَمراً، وهياً زَوْرَقَه
حتى إذا لمحَ الفريسةَ مَنْ بعيدٍ أطلَّقه^(٣)
فاشْتدَّ إعصاراً تشيِّعه العيونُ المشفِّقه
وطواه موجَ البحرِ حينَ طوى الحشودَ المُغرِقه

* . * . * . *

وتزاحمَ المُتسائلونَ هناكَ عَن هذا الشهيدِ
ذي السحنةِ العربيَّةِ السمراءِ والبأسِ العنيدِ
أُتراه مِن أهلِ الصخورِ، أكان من ريفِ الصعيدِ^(٤)؟
وجرى الجوابُ على الشفاهِ، يهزُّ أسمعَ الخلودِ
قد جاءَ من بلدٍ وراءَ البيدِ، أقبلَ مِن بعيدِ
ليُضيفَ عِدَّةَ أسطرٍ بيضٍ إلى الأملِ الوليدِ
فيقولُ جاري: هل سمعتَ لقد بُعثنا من جديدِ
قد كانَ يحمي اللاذقيةَ ههنا في بورِ سيعدِ

(١) مصر : ممنوعة من الصرف، وصرفت في البيت لضرورة الوزن

(٢) يقصد بالفتى : (جول جمال) وكان طالباً في الكلية الحربية للضباط وهو من اللاذقية في سورية

واشترك في المعركة، ودمر واحدة من مدمرات العدو ثم قتل في المعركة.

(٣) الفريسة : هي المدمرة، أطلقه : أي الصاروخ (الطوربيد).

(٤) في الديوان المطبوع أبدلت كلمة (الصخور) بـ (الثغور) وربما كانت كلمة الثغور لأنها غير

واضحة في الأصل.

في عيد الوحدة

[ألقاها الشاعر بين يدي الرئيس جمال عبد الناصر في مهرجان الوحدة الذي أقيم بميدان الجمهورية يوم ٢٢ فبراير / شباط سنة ١٩٥٩ ، وقد كلفه بنظم هذه القصيدة كمال الدين حسين وزير التربية آنذاك باسم شباب الجامعات]

أرى من أمتي جيلا يسوق الحُب إكليلا
مشى في ركبهِ بَرَدَى وجاءَ يعانِقُ النيِّلا
وحيًّا في مواكِبه زعيماً كانَ مأمولا
وما علقت أمانيه بأكرمٍ منك مسؤولا

* . * . * . * . *

جموعٌ أنتَ باعُثُها وشعبٌ حولك التَّفَا
سعتُ للخلدِ في وادٍ كروضٍ بالمُنَى رَفا
رأيتُهمو وقد وقفوا وراءك كلُّهم صفا
شبابٌ إن تصافحه يصافح للُعلا كفا

* . * . * . * . *

شبابٌ كانطلاقِ الفجـدِ يرِ يذكرُ ظلمةَ الأمسِ
ويُدركُ أنه بيدك بدد حالك اليأسِ
يسرُّك في لظى الميدانِ أو في قاعةِ الدرسِ
وإن صحتَ به لُبي وجادَ لَدَيْكَ بالنفسِ

* . * . * . * . *

جمعت لنا كياناً ضا ع بين الناس واضطربا
وكنّا في تخبُّطنا... نخافُ الغربَ إنْ غضبا
فلولاكَ لأصبحنا فريستُهُ إذا وثبَا
وأشهدُ أنْ أهلَ الأَر ضٍ قد عرفوا بك العربَا

* . * . * . * . *

لقد شيّدتها عُمداً غداً تبقى وبعد غدِ
وكمْ حققتْ منْ أملٍ سنذكرُهُ إلى الأبدِ
فضمَّ العُربَ في وطنٍ كريمِ العيشِ متَّحدِ
ومنْ عاشوا ذئاباً فل يخافوا صولةَ الأسدِ

* . * . * . * . *

شعب وقائد

[قصيدة ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقامه الاتحاد القومي بمناسبة عيد
الجملاء - ١٨ يونيو ١٩٥٩]

شعبُ يعانقُ مجدهَ المسلوبا ويشقُّ آفاقَ الخلودِ وثوبا
قد أذَّنَ الأحرارُ من أبنائه بالبعثِ فانتفضَ الرمادُ لهيبا
ودعاهُ داعٍ بالعلا كَلَفُ، فما أَلْفَيْتُ إلا سامعاً ومجيبا
وتلقتُ التاريخُ شهيدُ دولةٍ كُبرى ويبصرُ قائداً محبوبا

* . * . * . * . *

جيلٌ تفرَّدَ بالبناءِ وقد رأى أمضى يعمقُ في حضارةٍ يومه
آياتُ مجدٍ سُطرتْ بيمينه وانداحَ في الدنيا صدى إصراره
كالتبرِ مدفوناً بأعماقِ الثرى هذي حكايةُ أمتي، في ثورةٍ
لم يُحيِ شعباً واحداً لكُتُما في البأسِ، شَباناً لديه وشيبا
يُجلى فيرزُ للوجودِ قشيبا أهدتُ إليها صانعاً موهوباً
أحيا الإلهُ على يديه شعوبا أجيالاً يبرزُ للوجودِ قشيبا

* . * . * . * . *

في موكبِ بالنورِ يُشرقُ والمنى قمننا ننالُ من الحياةِ نصيبا
لسنا نقيمُ على الهوانِ، وإنما نبغي سلاماً للجميعِ رطيبا
ونمدُّ كفاً للصديقِ نديَّةً ونمدُّ سيفاً للعدوِّ خضيبا

نيلَ البقاءِ تشاحناً وحروباً
ثمنٌ ولو شَبَّ النضالُ رهيباً
كبرى ستتظم البلادَ قريباً
حتى أتاحَ لها الإلهُ طبيياً
من بعد أن كانت تقل خطوباً
ما كانَ في الماضي يراهُ ذنوباً
والسالكونَ إلى الرقيِّ دروباً
والباذلونَ لهُ دماً وقلوباً
رجلٌ كهذا لن يُرى مغلوباً

* . * . * . * . *

حراً وأدركَ حقُّه المغصوباً
مدَّ الذراعَ لمجده ترحيباً
قد كانَ في هذا الوجودِ غريباً
عن أفقه لا يستطيعُ غروباً
جننا نردُّدُ عهدنا المكتوباً
بيضاءَ تَعَبُقُ (٣) في المدائن طيباً
تسقي دماً يجري لديه صيباً

* . * . * . * . *

إننا لنؤمنُ بالإخاءِ ولا نرى
وندينُ بالعلياءِ لا يغلو لها
ونشدُّ بالإخلاصِ أزرَ عروبةٍ
قد أنخت قومي جراحَ جمّةٍ
فإذا مناكبهم تقلُّ (١) حضارةً
وإذا الزمانُ يُعدُّ من حسناتهم
اليومَ نحنُ الصاعدونَ إلى العلا
والعاشقونَ النصرَ ملءَ يمينهم
شعب كهذا قاده في زحفه

ومشى الفتى العربيُّ فوقَ بلادهِ
الآنَ صارَ الدهرُ طوعَ بنانه
شَعَرَ الورى بكيانه وهو الذي
حتى ضياءَ الشمسِ في إشراقها
فانهضْ بشعبك يا جمالُ فإننا
إن شئتَ أفعمنا (٢) الوجودَ محبةً
أو شئتَ أنبتنا الأديمَ جماجماً

(١) تقل : ترفع ، تحمل .

(٢) أفعم : ملأ .

(٣) تعبق : تفوح .

عيد الثورة

[قصيدة لم تكتمل .. إنها آخر ما نظم الشاعر رحمه الله وجدت على
مكتبه يوم قتل ومدادها لم يكد يجف ..]

أعيدي قصة النصر وموعِدنا مع الفجرِ
وزحفُ النورِ من غسقِ الدُّجى في ساعةِ الصفرِ
فتلكَ حكايةُ يا أُمِّي أحلى من العمرِ
* . * . *

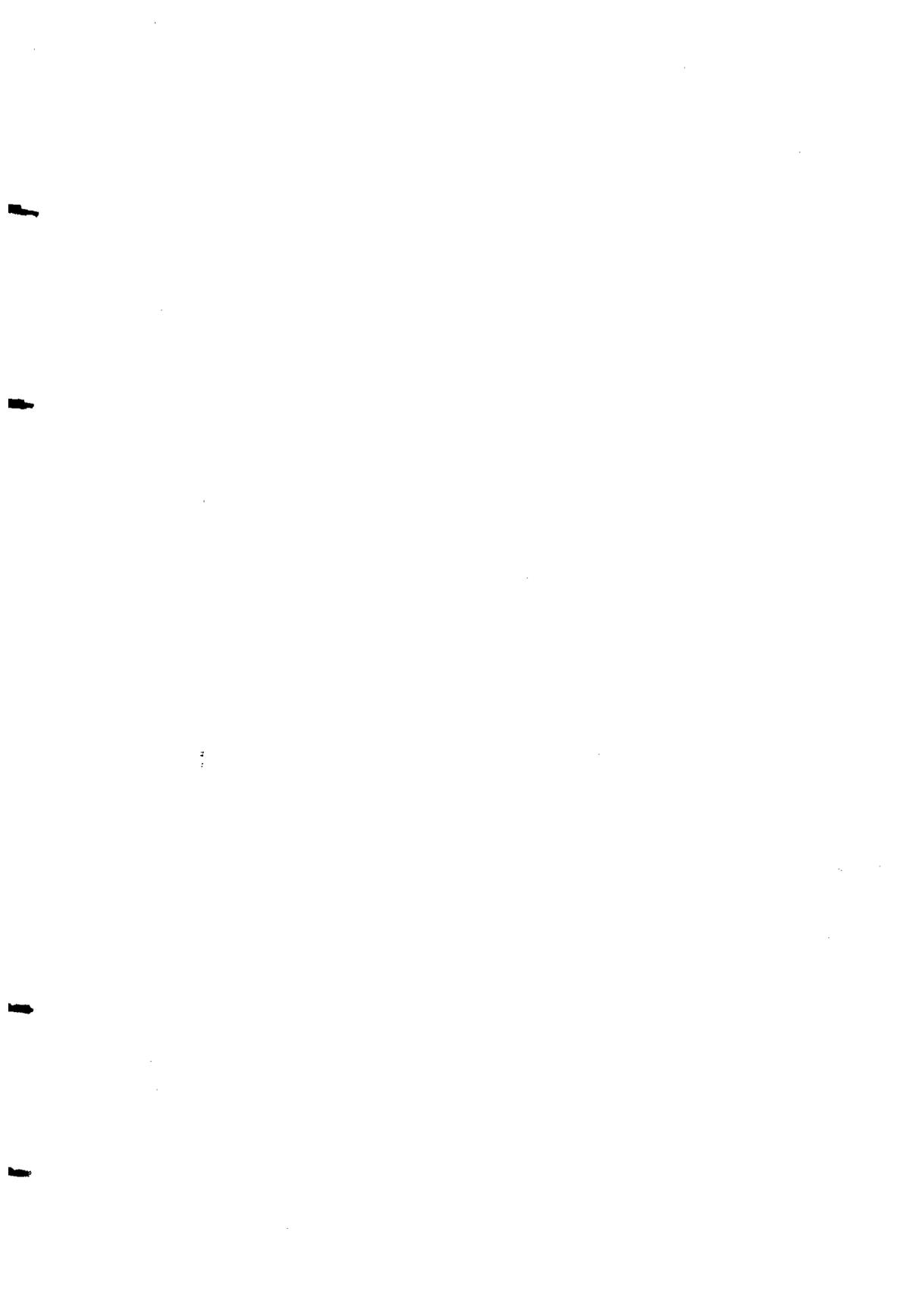
.. وكانَ بهامشِ التاريخِ شعبٌ يائسٌ ضائع
يُبَاعُ ويُشترى والحقُّ مطويٌّ به جائع!
وقدَّ يعدو على الشاري ولا يقوى على البائع
* . * . *

وطالَ بنا الحنينُ إلى انبلاجِ الفجرِ يا بلدي
ويختنقُ الدعاءُ: متى سأفرشُ بالضياء غدي
مضوا يستبعدونَ أبي ولن يستبعدوا ولدي
* . * . *

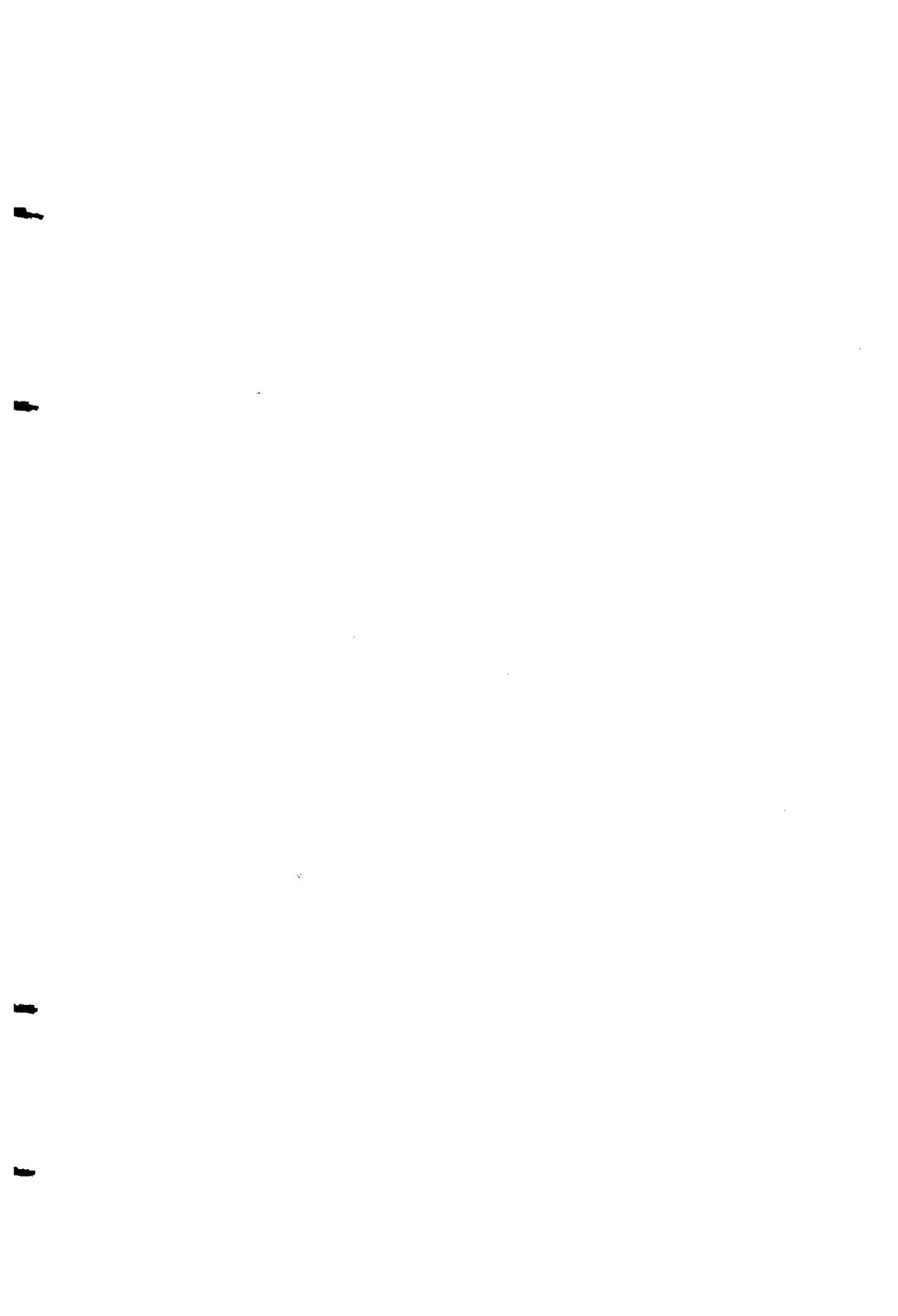
وجزَّارينَ قد شرعوا مُدَىً مجنوناً الذبحِ
تعالتُ صيحةُ الأحرارِ في إشراقهِ الصبحِ
جنودُ البعثِ قد جاءوا بنصرِ الله والفتحِ
* . * . *

وعادَ النورُ في الأرجاءِ يغسلُ جبهةَ الساجدِ
فيبني صرخَ عزتهِ قويُّ الروحِ والساعدِ
ويشهدُ تحتَ ظلِّ البِشْرِ موكبَ مجدهِ العائدِ
ويغمُرُ صفحةَ الأيامِ حبُّ الشعبِ للقائدِ
لقد عشنا وكانَ النصرُ في أذهاننا فكره

* . * . * . * . *



مَدِيحٌ وَمُنَاسِبَاتٌ



عودة الأبطال^(١)

[إلى آساد مصر من قوة الفالوجة وإلى الضبع الأسود قائد هذه
الكتيبة المكافحة الظافرة] ١٣ / مارس / آذار / ١٩٤٩

أعدُّ اليومَ لفظك والكلاما
جنودٌ كالأسودِ أما تراهمُ
وعاشوا عيشةً ضنكاً ولكن
وكانوا يأكلون العشبَ علماً
وجاءتْ بنافثاتُ الموتِ ترمي
فلوهمُ سلّموا، ماذا عليهم؟
ولكنَّ الأسودَ أبثَ وظلثَ
لئنَ حَسبوا حصارهمُ يؤدِّي
فقدَ ضلّوا- وربّي - إذ أرادوا
فلمَ نسمع بأنَّ الذئبَ يوماً
«وياطه» عَظُمَتْ بكلِّ قُطْرٍ
فمِنَ فزعٍ وعن رُعبٍ نراهم

لُتْهَديها التحيّةَ والسّلاما
مَضَوْا أَسْداً وجاءوا كراما
رعوا شرفاً لنا وحموا زماماً
بأنَّ سواه لَنْ يجدوا طعاماً
جِماهمُ كي تصيرهُ رُكاماً^(٢)
وما كُنّا لهمُ نُزجي ملاما
مناضلةً وصارعتِ الحماما
إلى قوّاتهم مَوْتاً زوماً
هلاكاً للأسودِ أو انهزاما
قد اتَّخذَ العرينَ له مقاما
وبالإقدامِ قد نلّك الوساما^(٣)
أضافوا لاسمك الضَّبُعَ الهُماما

(١) أسماها الشاعر في «نسيم السحر» «يوم النصر» ثم عاد وغير العنوان في المجموعة
المسمّاة «آهات شريدة» كما هو في هذا الديوان.

(٢) يقصد بنافثات الموت (الطائرات).

(٣) اسم ضابط مشهور (السيد طه) أظهر الشجاعة والصبر في حرب فلسطين.

يتيه النيل والأهرام فخرأ
يرد أذى لصهيون عليهم
سلمت من الردى يا جيش مصر
رعى الفاروق رب العرش إنا
بجنيد من بنيه اليوم قاما
ويحتضن الأرامل واليتامى
وعاش الضبع قائدنا وداما
لنرجوا دائماً ألا يضمنا^(١)

* . * . * . * . *

(١) حذف هذا البيت من المجموعة الأخيرة وكان قد عدل في كثير من أبيات القصيدة وتجنب الأخطاء النحوية التي وقع بها في «نسيم السحر».

تحية (*)

غنيّ القريض لكيّ يحيي أحمدا ردّد وأنشد يا قريضُ مُمجّدا
وانشر على سمع الزمان قصيدةً صيغت نضارا في الثناء وعَسجدا
واذكر مآثر أحمدٍ من آله فخر الملا طراً وأكرمهم يدا

* . * . * . * . *

يا ابن الكرام الصيد والغرّ الألى يمينهم علم المروءة والتّدى
يا صاحب الأدب الغزير ومن له خرّت جابرةً البلاغة سُجّدا
لك في البيان روائع مشهورةً أضحي الزمانُ بها وبات مُغرّدا
فاسلك طريقك للنجاح مجاهداً ليس الطريقُ إلى النجاح مُعبّدا

* . * . * . * . *

يا فرع أزكى سرحة قد نلت ما تبغي وتنشد من علا رغم العدا
هيات يا خير الصحاب سريرةً وأمدّهم في الكرب عوناً إن بدا
أن يسبقنك أو يدانيك امرؤ مجدداً وعزاً في الحياة وسوددا

* . * . * . * . *

(*) مهداة إلى الزميل الشيخ أحمد علي أحمد - في معهد الزقازيق - تم نظمها في ٨ يوليو - تموز - ١٩٥٠ .

الأستاذ الأكبر

عبد المجيد سليم (*)

الكونُ أشرقَ: أرضه وسماؤه
والبلبلُ الصِّداحُ في روضِ المُنَى
وسمعتُهُ بين الغصونِ مُردداً
يا قومِ نالَ القوسِ باربيها فلا
وتضوعتُ طيباً بكم أرجاؤه^(١)
أسرَ المشاعرَ والقلوبَ غناؤه^(٢)
والبشرُ فوقَ الوجهِ يقطرُ ماءؤه
عذراً لقلبٍ لا يفيضُ هناؤه

* . * . * . * . *

(*) بمناسبة إسناده مشيخة الأزهر إلى فضيلته - أكتوبر - تشرين أول ١٩٥٠ .

(١) تضوع : فاح .

(٢) صدح : بمعنى صاح، وهنا بمعنى غني .

النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد (*)

بنوِغِكم ضُربَ المِثَالُ
يا مَنْ يَعزُّ شَبِيهَهُ
لما أَتَيْتْ يَلْفُكُمْ
سطَعَ الضياءُ بحِيننا
عبدَ العَظيمِ تحيةً
يا أَيُّها الشَيْخُ الَّذِي
نِلْتَ المِكارِمَ والتُّقى
وعَرَفْتَ فيكَ فِضائِلًا
والعِزُّمُ مِنْكَ رأيتُهُ
وأرى التواضِعَ مَذهَبًا
يا قومُ بشِرى جِاءَكمُ
سَينوبُ عَنّا عَالِمُ
عبدَ العَظيمِ بلاذُنّا
قَدْ أَهْمَلْتَ أنْشاؤنا
وعُلُوكمُ صَعْبُ المِنالِ
في الثُّبُلِ أو كِرمِ الفَعالِ
ويحوطُكم نورُ الجِلالِ
وبدارنا بَزَعُ الهِلالِ
يا منِ إِلِيهِ القَلْبُ مالٌ (١)
قَدْ زانَهُ طيبُ الخِصالِ
وإليكَ يَنْتَسِبُ الكَمالِ
وعهدتُ نُبالاً في الخِلالِ
في الحَقِّ يَثبُتُ كالجِبالِ
لَكَ لا افتخارَ ولا اِختِبالِ
نورٌ وليلُ الكِربِ زالِ
عَرَفَ الحِرامَ مِنَ الحِلالِ
تَبغي النِجاةَ والانتِشاذِ
بِسنني تَغْيِيكَ الطَّوالِ

(*) أَلقيت في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإنشاص في ٢٩ ديسمبر - كانون أول
١٩٤٩ بحضرة النائب المذكور تحية له.

(١) كان البيت كالتالي:

عبد العظيم بخالقي قسماً إليك القلب مال

[المختارات]

إن رميت جنداً إننا
ولكم نجودُ بروحنا
أسدُ الملاجمِ والنضالِ
وبكلِّ مرتخصٍ وغالِ

* . * . * . * . *

عبدَ العظيمِ بمصرنا
ورأيتُ إجراماً فشا
شاهدتُ عهدَ البغي طال
ورأيتُ أمنأً في اختلالِ
وأرى الكرامةَ أهدرتُ
ودمُ الشبابِ أراهُ سال
حكَمَ الطُغاةُ فعهدُهم
عهدُ المذلةِ والوَبالِ

* . * . * . * . *

عبدَ العظيمِ ملكتها
مَنْ رامَ غيرُك نيلها
من غيرِ شكٍ أو جدالِ
فكأنما طَلَبَ المُحالِ
كيفَ النَّجاحُ وما لهم
فيها نيلُ أو جَمالِ؟!
شَتانَ بينَ من اتقى
ربَّ العبادِ وبينَ ضالِّ

* . * . * . * . *

النائب المحترم(*)

[الشيخ عبد العظيم عيد]

عَلَوْتَ مَكَانَةً وَعَظُمْتَ مَجْدًا
تَقْدَرُكَ الْبِلَادُ وَأَنْتَ فَرْدٌ
بِذِكْرِكَ تَلْهَجُ الدُّنْيَا وَرَاحَتْ
فَمَا لِي لَا أَصَوِّغُ لَكُمْ ثَنَاءً
سَعَيْتَ إِلَى الْعَلَا وَالْمَجْدِ حَتَّى
وَمَا الْعِلْيَاءُ تُدْرِكُ بِالتَّوَانِي
فَمَنْ نَبِعِ الْوَلَاءَ سُقَيْتَ شَهِدًا
وَحَسْبُكَ مِنْهُ أَنْتَ مِنْ رِجَالِ
أَرَاهُمْ أَبْرَمُوا لِلنَّيْلِ عَهْدًا
وَقَامُوا لِلْكَفَاحِ وَنَحْنُ شَعْبٌ
يَقْرَبُ مِنْ أَرَادَ النَّيْلَ حَرًّا
ونلت لدى الورى عِزًّا وَسَعْدًا
يَفِيضُ لَكَ الْفَوَاذُ هَوًى وَوَدًّا
تَشِيدُ بِمَجْدِكَ الْأَيَّامُ حَمْدًا
تَمُوتُ بِهِ الْعِدَا كَمْدًا وَحِقْدًا
بَلِغْتَ مِنَ الْعَلَا وَالْمَجْدِ قَصْدًا^(١)
وَلَكِنْ تَوَخَّذُ الْعِلْيَاءُ كَدًّا^(٢)
وَلِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ وَرَدَتْ وَرْدًا
عَهْدِنَاهُمْ لَدَى الْأَحْدَاثِ أَسْدًا
فَمَا خَانُوا لَوَادِي النَّيْلِ عَهْدًا
يَشَاءُ لَجْنِدِ الْإِسْتِعْمَارِ طَرْدًا
وَيَبْغِضُ مَنْ يَرِيدُ النَّيْلَ عَبْدًا

(*) أبريل - نيسان - ١٩٥٢ الوفد المصري يرشح النائب المذكور بدائرة إنشاص. هذه القصيدة في نسخة «آهات شريفة» فقط.

(١) نلاحظ أن الشاعر أضفى على الممدوح صفات كثيرة وبالغ في مدحه على طريقة القدماء.

(٢) هذا البيت يقتبسه الشاعر من بيت شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن توخذ الدنيا غلابا

فإِ خَيْرَ الرِّجَالِ الصَّيِّدِ ذَكَرًا
 لِأَنَّتِ أَعَزَّ مِنْ قَوْمٍ مَكَانًا
 لَهُمْ أَمَلٌ يَرَاوُدُهُمْ، وَإِنَّا
 فَلَا تَعَجَّلْ أَبَا عَيْدٍ وَدَعْنَا
 وَأَجْهَلُ مَا يَكُونُ الْمَرْءُ يَوْمًا
 فَقُلْ لِمَنْ ابْتَغَى لِلنَّجْمِ نَيْلًا
 ضَلَلَتْ وَكَنتِ يَوْمًا ذَا جَنَانٍ
 سَتَعَلِّمُ أَيْنَا شَرَّ مَكَانًا
 عَجِبْتُ لِمَنْ يَرَاهُ النَّاسُ قِطًّا
 وَيَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ أَبًا وَجَدًّا
 وَأَعْظَمُ رِفْعَةً وَأَبْرُ وَعَدًّا
 نَخِطُ لِهَذِهِ الْأَمَالِ لَحْدًا
 نَمْدُ لَهُمْ خِيوطَ الْوَهْمِ مَدًّا
 إِذَا مَا شَاءَ لِلْعَنْقَاءِ صَيْدًا^(١)
 وَشَاءَ لِرَاسِخِ الْأَرْكَانِ هَدًّا
 أَلَا سُحْقًا لِمَنْ ضَلُّوا وَبُعْدًا
 وَأَضْعَفُ نَارًا وَأَقْلَ جَنْدًا^(٢)
 وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ لَلِیْثِ نِدًّا

* . * . * . * . *

(١) العنقاء : الداهية، وأصلها طائر عظيم معروف الإسم مجهول الجسم.
 (٢) يضمن معنى الآية الكريمة: ﴿فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً...﴾
 [سورة مريم ٧٥].

تهنئة (*)

الزهرُ بينَ زياضِهِ بسامُ قدْ عَطَرَتْ بِأريجِهِ الأنسامُ
قدْ شاءَ تهنئةً بيومِ زفافِكُم ويدُ لوْ نَطَقَتْ بِهِ الأكمَامُ
أو ما تَراهُ تَضرجُ وِجنائهُ حتى كَأَنَّ بوجتِيهِ ضِرامُ
خجلاً يُغالِبُ في اهتزازِ صمتهِ والصمْتُ في بعضِ الأمورِ كلامُ
وكذاكِ حالي في السرورِ وإنما عيُّ اللسانِ بِهِ فكيفَ ألامُ؟

* . * . * . * . *

(*) كتبت بناء على طلب الزميل عبد المنعم يوسف البنا. ليرفعها إلى أحد أقاربه مهنتاً بزفافه، ولعلها قيلت سنة ١٩٥٥ المحقق.

الموسيقار محمد عبد الوهاب^(١)

يا شادي الشرقِ هذا الصوتُ من ذهبٍ
سَلِمَتْ للفنِّ يا قيثارَةَ الطربِ
يا مُرسلَ اللحنِ تهتزُّ القلوبُ له
وتَسبِحُ الروحُ في دنيا من العجبِ
لَمْ يلبثِ النغمُ الشرقيُّ ذا ضِعَةِ
حتى بدا منك في أثوابهِ القُشْبِ^(٢)
جعلتَ للفنِّ والفنانِ مَنزلةً
في الناسِ تسمو على الألقابِ والرتبِ
* . * . * . * . *

(١) رسم الكاتب صورة محمد عبد الوهاب في أعلى الصفحة وكتب هذه الأبيات بعدها في نسخة «آهات شريفة» والقصيدة غير موجودة في «المختارات» يونيه - تموز - ١٩٥٢.

(٢) القُشْبُ : جمع قشيب وهو الحديد والجديد.

قلوب العذارى (*)

بيان كآزهار الربيعِ النواضرِ
هو الثَّغْمُ الشَّريُّ ينسابُ حالماً
أتانا به من عالمِ الروحِ مرقمٌ
صديقٌ تمسُّ النفسُ آياتُ فكرهِ
إذا ما بناتُ الفكرِ منه بدتْ لنا
فمن قِصصِ قد فاضَ نوراً وحكمة
روائعُ آدابٍ وبالغِ عبرةِ
هو الناثرُ الموهوبُ والشاعرُ الذي
سقتهُ الغواصي، ملهماً يسلبُ النهي
فقل للعذارى قد رُزقتنَّ آسياً
يؤرِّقُهُ أن تذرِفَ الدمعَ مقلّةً
يُعاني من الآلامِ في الحبِّ والهوى
وتربطُهُ بالبائساتِ من الأسي

تبدى بهاتيكِ الثمارِ البواكيرِ
يفضحُ في الألحانِ صرَحَ المزاهرِ
لخيرٍ معينٍ للعذارى وناصرٍ^(١)
يراعتهُ كم سطرتُ من مفاخرِ
ملكَن للبِّ بالأحاسيسِ عامرِ
إلى خالدٍ في دولةِ الشعرِ ساحرِ
وكم من عِظاتٍ لم تكن من منابرِ
إلى شعره تهفو قلوبُ الجآذرِ^(٢)
عدتهُ العواصي من أديبٍ وشاعرٍ^(٣)
يُخففُ من بلوى خفيِّ السرائرِ^(٤)
لهنَّ ويُضنيه أنينُ الحرائرِ
شقياً بجدٍ في الصبابةِ عاثرِ
ومن ضائعِ الآمالِ أقوى الأواصرِ

(*) كانون أول - ديسمبر - ١٩٥٢. الزميل الأديب السيد حامد السنجري تقریظاً لكتابه

«قلوب العذارى».

(١) المرقم : الكتاب.

(٢) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية، والجمع جآذر.

(٣) الغواصي : جمع غادية وهي السحابة التي تنشأ صباحاً النهي : العقل

(٤) آسياً : طيباً ومعزياً.

عرفتُ له قلباً يُحرِّقُه الجوى
 وأعهدُ فيه الميلَ للغيدِ والظُّبا
 له أملٌ حلَّو يُداعِبُ روحه
 وفي لخلانِ الحداثِ والصِّبا
 حلفتُ برَبِّ البيتِ ما كانَ وضعُه
 ولكِنَّه من صادقِ الحسِّ صاغُه
 ألا فاخفِضوا الهاماتِ منا تحيةً
 ولكِنَّه في حبه غيرُ صابِرٍ^(١)
 على أَنه في ميله غيرُ فاجرٍ^(٢)
 وكم أملٍ قد ضاعَ للقلبِ عاطرٍ
 طموحٌ إلى العلياءِ، جمُّ المآثرِ^(٣)
 «قلوبَ العذارى» اليومَ وحيّاً لخاطرٍ
 فجاءَ فريداً في سموِّ المشاعرِ
 لقلبٍ يفيضُ الحبَّ والودَّ زاجرٍ^(٤)

* . * . * . * . *

-
- (١) الجوى : الحرقه وشدة الوجد .
 (٢) الغيد : النعومة . امرأة غيداء : امرأة ناعمة .
 (٣) الخلان : جمع خل . والخليل : وهو الصاحب . الصبا : الحدائث .
 جم المآثر : كثير المزايا .
 (٤) هذه القصيدة في المجموعة الأخيرة أيضاً .

موسيقى سامبا(*)

[للموسيقار محمد عبد الوهاب].

يا فتنةً مركّبة تلعبُ في الألبابِ في
من نغمٍ ما أعذبَه طلاوةٍ محبّبه^(١)
صيرتِ كلَّ قطعةٍ سواكِ غيرَ مُطربه
غدوتِ بينَ فنّنا أميرةً معصّبه
صاغتِكِ روحَ مُلهمٍ في فنّه ما أعجبه
قد جاءنا بكلِّ ذا تِ نشوةٍ مرتقبه
وكمْ يقولُ قائلُ! غريبةً معرّبه^(٢)
فاعجب له من حاقدٍ والحقُّ يردِي صاحبه
لو حاولَ الدّعيُّ أن يسلكَ فيها مذهبه
أعياءُ جهلٍ وبدتْ أنغامُهُ مضطربه
عبدَ الوهابِ أنتَ للـفِ نٌ من اللهِ هبّه
بلغتْ عن جدارةٍ فيه لاسمى مرّتبّه
فلا تُطعْ لحاسدٍ داءَ الحسودِ أتعبه

(*) ابريل - نيسان - ١٩٥٣. أية نفحة سماوية تلك التي تتشظى في الأفئدة لحناً رائعاً
أخذاً [الشاعر].

(١) الألباب : جمع لب، وهو العقل. الطلاوة: (بفتح الطاء وضمها) الحسن.

(٢) أي أنها غريبة أخذها الموسيقار وجعلها عربية وأدعاها لنفسه.

كتب في ذيل إحدى صفحات مجموعته (آهات شريفة) هذين البيتين:

لا تسقني ماء الملام فإنني عُذِّبْتُ من ظُلمِ الحبيبِ النَّائِي
وهجرتُ ماء الكأسِ إني في الهوى «صَبُّ قَدْ اسْتَعَذَّبْتُ مَاءَ بَكَائِي»

* . * . * . * . *

زفاف صديق (*)

يا وحيَ فني أعنيُّ
كيما أذيعُ نشيداً
هياتُ للشعرِ كآسي
أشدو بسحرِ حلالٍ
قد صغْتُ لحناً شجياً
وجئتُ أهديه عَلِيَّ
هذي البقاعُ تَبَدَّتْ
وقامَ فيها بشيرٌ
وغرَّدتْ في هناءِ
محمدُ اليومَ أُرْجِي
فإن سعيْتُ فسعيي
وإن مدحتُ فمدحي
أو إن أفضتُ ثناء
نَفسي فداؤُكَ خِلاً
وليس كلُّ صديقٍ
كم مظهرٍ حُسنَ ودٍ

في القولِ يا وحيَ فني
على الورى، وأغني
فها ت لي اليومَ دني
على الكمانِ المرنِّ
فأئُّ لحنٍ كلحني
أفي به بعضَ ديني
في ثوبِ عزٍ وحُسنِ
للسعدِ في كلِّ رُكنِ
طيرُ الربى فوقَ غُصنِ
تَحيتي وأهني
إلى صديقٍ وخِدينِ
عن غيرِ زورٍ ومينِ
فذلكَ الحقُّ مني
قَرْتُ بِهِ اليومَ عيني
في الودِّ يصدقُ، سلني
يبيتُ فيك بضغنِ

(*) في يوم الخميس ٢٣ يوليو - حزيران - ١٩٥٣ تم زفاف الصديق الأستاذ أحمد إبراهيم الزق، فكتبت إليه بهذه القصيدة مهناً. [المجموعة الأخيرة].

عليه ثوبُ رياءٍ من يزرع الخيرَ يحصدُ
فإن أكنُ في ثناءٍ فأنتَ فينا كبيرُ
ومن تعهدَ شراً فليسَ إلهُ يجني

* . * . * . * . *

يا آلَ زقٍ عهدنا تُبدونَ للضيفِ جوداً
فأينَ ما قد طبختمُ أريدُ أرزاً شهياً
وإنَّ زوجَ حمامٍ يقومُ خيرَ مقامٍ
مدحتُ فيكمُ وإني فإن أرَّ اليومَ بخلاً
فسالموني وويلكمُ من لساني

* . * . * . * . *

تحيّتي يا صديقي قد ساقها القلبُ عني
فبينك الوُدُّ باقٍ مدى الحياةِ وبينني
لبستُ رغمَ الأعداي ثوبي سرورٍ وئمنِ
وعشتُ في خيرِ حالٍ وفي هناهُ وأمنِ

* . * . * . * . *

فرحة الشفاء(*)

سلمت، وعاد البرء ينتظم الجسماً
ولا طلعت شمسٌ يراكِ نهارها
ولمّا نما لي نازل السُّقمِ نالني
ألا إن آذاناً سَمَعنا بها الثُّبا
وإنَّ امرءاً قد شاء رؤياك مُوجعاً
وإني لأَمسي دامي القلب والهأ.
عهدتُك لي في منزلِ العِلْمِ والدا
يفيضُ جميلُ العطفِ منك وبعضهم
وما صافحتُ يُمناكِ كفاً لجاهلٍ
وإنَّك من قومٍ تسامى نجارُهم
أخو عزيمةٍ لا يرهبُ الدهرُ غيرها
ومثلُك منْ لو شاء مجدداً لنالهُ
جوادٌ ومفضالٍ وبرٍ وعالمٍ
على أنني لم أدِر كيفَ رأْتُ له
حمدتُ إلهي حينَ عدتُ بصحةٍ

فلا ذقت داءً ما حَيَّيت ولا سُقما
عليلاً له قد راش كف العنا سهما
من الحزن ما أضنى الفؤادَ وما أدمى
تمنيت لو كانت، ولم ندره، صما^(١)
وددت له لو كان بين الوري أعمى
عليك إذا ما الضُر مسَّك يوماً ما
إذا الدهرُ بي يومَ الشدائدِ قد هما
حليفُ خداعٍ مَجَّ من فمِه سما
وغيرُك بين الناسِ قَطَعها لثما
سنا الفرع عن أصلِ المكارمِ قدنماً^(٢)
وذو مُهجةٍ لا تقبلُ الضيمَ والظُلما
وأدركه بالعزمِ والهمة العُظمى
فلم أرَ حياً قلبه ضمَّ ما ضمما^(٣)
أعاديهِ أمجاداً ولمّا تَمَّت غمماً
إلينا، وكم لله عندي من نُعمي

(*) أهديت لصاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم يونس المدرّس بالمعهد تهنئة بشفائه من مرض ألمَّ به ١٨ يناير - كانون ثاني - ١٩٥٤ .

(١) يقصد بالنبا . النبا .

(٢) النجار : الأصل والحسب .

(٣) في هذا البيت مبالغة رديئة .

فتحي رضوان (*)

بشرٌ تدفق في الفؤادِ وفي الفمِ
هذي المدينة والقرى من حولها
في القلب منها نشوةٌ، فلسانها
قد أشرقت لما أتى فتحي بها
لله هذا العهدُ من عهدٍ به
خلعتُ رداء شقائها لما انقضى
ولطالما أشدت الأنين لها وقد
كم ذاق في النيل الأسي أهلوه من
واستعذبَ الباغون إذلالاً له
حتى أتى جيشُ البلادِ مخلصاً
فتحي: أحقاً كنتم قد شتمتم
هل طاوعتكم حين ذاك قلوبكم؟
كيف السبيلُ لترككم حكماً سما
أنى يعبرُ عنه وحيُّ المرقمِ
علق السرورُ بثغرها المتبسمِ
قد صاغها ترنيمة المترنمِ
شمسان: شمسُ علأ وشمس تقدم
لبستُ بلادُ النيل ثوبَ المكرمِ
عهدٌ من الليل البهيم المظلمِ
لُقيتُ شقاوتها بفكٍ ملجمِ
ألمِ بأحناءِ الضلوعِ مُكتمِ
فسقوه من دنِّ العذابِ المُفعمِ
من نير ظلمِ بالبلادِ مخيمِ
ترك الكنانة للفسادِ الأقدم^(١)
يا للقرارِ المدلهمِ الأشامِ
بالنيلِ نحو المجدِ، نحو الأنجمِ؟

(*) تحدد يوم ١٠ أبريل - نيسان - ١٩٥٤ ليزور فيه وزير الدولة السيد فتحي رضوان معهد الزقازيق وكان من المقرر أن تلقى هذه القصيدة بين يديه، ولكنه لم يحضر، وبالتالي لم تلق القصيدة.

(١) إشارة إلى الصراع الذي كان يدور بين محمد نجيب والضباط الآخرين. واعتزام هؤلاء ترك الحكم والعودة للجيش للضغط على محمد نجيب، والشاعر لا يدري حقيقة ما يدور آنذاك.

أريدُ قادتُنَا الرجوعَ كما مضى
أيامَ باتِ النيلُ فاقدَ عزِّهِ
رجعيَّةُ الأحزابِ تدفعُهُ إلى
ومساوئِ الإقطاعِ ما تركتَ له
هلْ كانَ وادي النيلِ إلا ضيعةً
لا، لا نريدُ إلى المهانةِ عودةً
ونريدُ أنْ تلقى الكنانةُ في الوري
بالفتيةِ الأحرارِ من قوادنا
فتحي! إذا ما جئتَ مجلسَ قادة

من سالفِ العهدِ البغيضِ المؤلمِ
يجري الفسادُ بجسمِهِ مجرى الدَّمِ
ذلٌّ تجرَّعُهُ كطعمِ العلقمِ
غيرَ المهانةِ والشقاءِ الأسحمِ^(١)
يلقى بها الأتباعُ كلَّ المغنمِ
يكفي الذي قد نالنا من مغرمِ
ما ضاعَ من مجدٍ لها متهدِّمِ
من كلِّ حُرٍّ للبناءِ مُدعِّمِ
عنا لهُ قل: قد بدأتِ فأتيمِ

* . * . * . * . *

(١) الأسحم : الأسود المظلم، ويأتي بمعنى البقر، وفرخ البازي.

أنور السادات(*)

نورٌ أضَاءَ معالِمَ الجَنَابِ وسنَى بهذي الأربَعِ الثُّغْرَاتِ
لَمَّا طَلَعَتْ بِهَا تَدَقُّقُ نَشْرُهَا يُيْدِي الودَادَ بِأَصْدَقِ الأَيَاتِ
والكُلُّ يَهْتَفُ من صَمِيمِ فؤَادِهِ يَا مَرْحَباً بالقَائِدِ للسادَاتِ

* . * . * . * . *

يَا قَاضِياً بِالْحَقِّ فِيمَنْ أَفْسَدُوا حَكماً لَنَا فِي سالفِ السَّنَوَاتِ
يَمْنَاكَ كَمْ وَضَعْتَ غَدَاةً وَثُوبِكُمْ فِي صَرْحِ وادي النَيْلِ من لَبَنَاتِ
أَنَا لَسْتُ أَنسى يَوْمَ ثُورَةِ جَيْشِنَا صَوْتاً قَويّاً صَادِقِ الثُّبْرَاتِ (١)
قَدْ رَنَّ فِي المَذْيَاعِ صَوْتُكَ حَامِلاً بُشْرَى بَعهدِ دَافِقِ الحَسَنَاتِ

* . * . * . * . *

قَلَمُ التَّحَرُّرِ أَنْتَ صَاحِبُ غَيْثِهِ يَهْدِي لِمَصْرَ عَجَائِبِ الثُّفَّاتِ
تَرْمِي الخَثُونَ بِلاذِعٍ من جَمْرِهِ حَتَّى يَعودَ بِدَائِمِ الحَسْرَاتِ
وَتَخَطُّ لِلنَّيْلِ الطَّرِيقَ إِلَى العُلا فَنرى بِرِيقِ المَجْدِ فِي الكَلِمَاتِ

* . * . * . * . *

حَيَّا الإِلَهَ من الكِنَانَةِ فتيَةً هُمَ لِلرَّبِّي والنَيْلِ خَيْرُ حُماةِ
قَدْ أَبصَرُوا الوادِي حَزِيناً غَارِقاً فِي لَجَةِ الطَّغْيَانِ وَالظُّلْمَاتِ

(*) زار أنشاص في يوم الجمعة ٥ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٤ وصلَّى بمسجد -

البلدة - وقد ألقى هذه القصيدة بين يديه، في هذا الحفل الكبير. [في الديوان

المطبوع (صوت الثورة)]

(١) يشير إلى إذاعة بيان للثورة بصوت أنور السادات.

فَسَعَوْا إِلَى الْغَرِيقِ وَأَبْعَدُوا جَلَّادَهُ فِي جُرْأَةٍ وَثَبَاتِ
فَإِذَا بَنَّا وَالْعَهْدُ عَهْدٌ مُشْرِقٌ وَالْحَكْمَ حَكْمٌ أبيضُ الصَّفْحَاتِ

* . * . * . * . *

إِنَّ الْجِرَاحَ بِمَصْرَ كَانَتْ جَمَّةٌ أودى بها مُتَفَرِّقُ الثَّزَعَاتِ
بَاتَتْ تَبْتُ اللَّهُ شِكْوَاهَا وَكَمْ فَاضَتْ جَفُونُ الْعَيْنِ بِالْعَبْرَاتِ
مِنْهَا كَانَ جَمْرَةَ مُضْرَمٍ تسري بِهِ الأنفَاسُ مُسْتَعْرَاتِ
حَتَّى سَرَى فِي النَّيْلِ صَوْتُ مُؤَذِّنٍ بِالْفَجْرِ: فَجِرِ الْمَجْدِ وَالْعَزَمَاتِ
فَبَاعَدَ لِلْوَادِي الْحَيَاةَ عَزِيزَةً فَمَضَى مَجِيداً آمِنَ الْعَثْرَاتِ
الْيَوْمَ تَشْيِيدُ وَغَرَسُ فِي الْحَمَى وَغَداً سَنَجْنِي أَطِيبَ الثَّمَرَاتِ

* . * . * . * . *

إبراهيم جادو(*)

إنَّ الخلودَ: عزيمةٌ وجهادٌ
هذا الذي أدركته دونَ الذي
والفضلُ في بردِكَ يُشرقُ بيننا
فاسلكِ طريقَكَ للأمامِ فإنَّما
يهنيكَ ما قد نلتَه يا جادُو
قد أدركته على يدِكَ الضَّادُ(١)
والرائِدانِ: العلمُ والإرشادُ(٢)
بيدِ الرجالِ تُسَطَّرُ الأمجاد

* . * . * . * . *

(*) قيلت تهنئة له بمناسبة اختياره أستاذاً بكلية أصول الدين.

(١) الضاد : يقصد به اللغة العربية.

(٢) البرد : نوع من الثياب والجمع برود وأبراد.

عبد السميع السنباطي (*)

أُذْكَرُ سَيُوبِهِ وَنَحْنُ فِينَا
إِذَا بَلَغَ الذُّرَى بِالضَّادِ قَوْمٌ
سَرْعُ إِجَابَةٍ، سَبَّاقُ شَرْحِ
يَصُبُّ الدَّرْسَ فِي الْأُذْهَانِ صَبَا
مَتَى يَنْطِقُ فَنَحْنُ لَدَيْهِ أُسْرَى
جَنِينًا مِنْهُ زَهَرَ الرَّوْضُ حَتَّى
إِذَا مَا ذَاقَتِ الْفُصْحَى اضْطَّهَادًا
وَلَسْتُ لَهُ أُذِيعُ الْيَوْمَ فَضْلًا
أَمِينُ تَرَاثِهِ عَبْدُ السَّمِيعِ
رَأَيْنَاهُ عَلَى رَأْسِ الْجَمِيعِ
وَلَيْسَ إِلَى التَّكَاسُلِ بِالسَّرِيعِ
بِأَسْلُوبٍ لَهُ فَذٍ بَدِيعٌ (١)
وَتَلَكَّ طَبِيعَةَ الرَّجُلِ الضَّلِيعِ (٢)
ظَنَّنَا فَضَلْنَا فَصَلَ الرَّبِيعِ
تَلَوْدٌ لَدَيْهِ بِالْحِصْنِ الْمَنِيعِ
فَمَا احْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى مُذِيعِ

* . * . * . * . * . *

(*) نظمت تحية للشيخ عبد السميع السنباطي المدرّس بالمعهد وأهديت إليه عقب

إلقائها أمام طلبة السنة النهائية بالمعهد ٢٣ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٤ .

(١) الفذ : الفرد . وهو أول سهام الميسر وهي عشرة .

(٢) الضليع : يقصد به هنا القدير المتمكن .

زفاف ابن العم

[للشاعر ابن عم سمي^(١)، بعث إليه يهته بزفافه في ٢٠ / فبراير
شباط / ١٩٥٦]

شذى من جنة الزهرِ ولحنُ فاتنِ السحرِ
وأنغامٍ... تردها ربوع الظلِّ والعطرِ
وأفراحٍ مغلّفةً بأطيانٍ من البشرِ
على هذي الربا طلعتُ بمثل تبُّجِ الفجرِ
فعاد النور من نادٍ إلى ناد بها يسري
وغرّد بلبلٌ شادٍ على أفنانه الخضرِ
له طربَ الفؤاد وما علمنا منطلق الطيرِ
فصوغي يا عروسَ الوحي تيجاناً من الدرِّ
وهاتي الشعر منضوداً فهذا موقف الشعرِ
شقيقَ النفسِ «هاشم» قد سعدتَ بفرحة العمرِ
فيومك ضاحك حالٍ وعيدك باسم الثغرِ
أضاء فيك إطناباً سنى الأضحى، سنى الفطرِ
أحاول فيك إطناباً فأمسكُ واضحَ العذرِ
وأرجو ذكر مكرمة فما أقوى على الذكرِ

(١) أي اسمه كاسم الشاعر «هاشم».

فإن قرابتي لك قد
وهل أُنِّي على نفسي
فهذي باقتي تسعى
منمقةً لكي تُهدَى
أولئك قد سَمُوا شرفاً
كذلك شاءَ رَبُّكَ أن
فنلتَ اليومَ لؤلؤةً
جمعتَ إليك مختالاً

ثَنَّتْ قلمي فما يطري
وألبس حلة الفخر؟
بزهراً طيب النشر
إلى أطهارنا الغر
ونبلاً عالي القدر
يُوفِّقنا إلى الخير
سليلاً منزلِ الطُّهر
كريمِ الأهلِ والصُّهر

* . * . * . * . *

تحية طيب (*) (١)

ذكرُ يفيض سنا ويعبق طيباً
عبدَ العظيم، لقد براك اللهُ من
قيسُ من النعماء أنت، وشعلةُ
تغدو البراعمُ في يديك نضيرةً
كم من أبٍ عَرَفَ السعادةَ عندما
وفؤادٍ أمٌّ كان يعصُرُهُ الأسى
ولكم أتاك الطفلُ عوداً ذابلاً
ومنحته كفاً تدفقُ رحمةً
أفعمتَ بالبشرى منازلَ جمَّةً
في الناسِ أبطالَ الجهادِ كثيرةً
قد بات من أذنِ الخلودِ قريباً
آثارِ رحمتهِ لمصرَ طيباً
ملأت جوائحَ بالمنى وقلوباً
وهي التي كانت تذوبُ شحوباً
لمست يداك وليدَه المحبوباً
فمشى الرجاءُ يدبُّ فيه ديباً
فرددتهُ غصنا يمسُّ رطيباً
وكسوته ثوبَ الحياةِ قشيباً
وفرشتَ بالأملِ الجميلِ دروباً
وأجلها من يصرع «الميكروبا»

* . * . * . * . *

(*) الدكتور عبد العظيم الغلمي .
(١) لعلها قيلت سنة ١٩٥٦ . [المحقق] .

صديقي

[السيد إبراهيم رضوان كما أعرفه]

أديبٌ . . . أي ورثي لا يُداني
يفوقُ الكلَّ علماً وإطلاعاً
يضيءُ لنا الطريقَ إذا أخذنا
يسودُ الناسَ بالأخلاقِ جمعاً
لكم أهواهُ من قلبي وروحي
وبحرٌ من علومٍ لا يُباري
وتبياناً لنا أو قلُّ منارا
بنصحٍ فهو نورٌ ليس نارا
فقد أخذَ الكمالَ له شعارا
وأدعو خالقي ألاَّ يُضارا^(١)

[ألقيت في ١٥ يناير - كانون ثاني - ١٩٤٩].

* . * . * . * . *

(١) نلاحظ ضعف النظم وبساطة المعاني، ولكن هذه القصيدة تمثل مرحلة الطفولة التي تفيض بحب الآخرين والإخلاص لهم.



1

1

مَوَاقِفَ وَهَجَاءَ



دعوة الجيب (*)

رهِطُ من الأطفالِ والصبيانِ
منهم من احترَفَ القيامَ ببدعةٍ
فتراه جاءَ بخدعةٍ مفضوحةٍ
هي صورةٌ من «الاتحاد» وحسبهم
جمعوا لها مالاً، وقالوا للهدى
شاهتُ وجوهُ القومِ هذي دعوةٌ
هذا هو الحقُّ الذي يُبغى بهِ
هم عصبَةٌ للشرِّ نعلمُ أنها
من كلِّ مغرورٍ يظنُّ بأنه
يبدو على النشءِ الصغيرِ مفوهاً
وتراه «قطاً» في مقالتهِ إذا
هو في الفهاهةِ - يا لقومي - باقلُ -

قالوا عليهم شعبةُ الإخوانِ
عند اشتدادِ الجوعِ والحرمانِ
يسعى لئيلِ الأصفرِ الرّنانِ
ما كانَ من «جمعية الأعيانِ»
فإذا به قد راحَ للشيطانِ
«للجيبِ» لا لله والقرآنِ
وجهُ الضلالِ ونصرة البهتانِ
قامتُ على وإهِ من الأركانِ
ملكُ البديعِ وسيّدُ الأوزانِ
سلبُ التُّهي بلاغةٍ وبيانِ
ما قيسَ يومَ القولِ بالأقرانِ
ويكادُ يحسبُ نفسه «الذبياني»^(١)

(*) سبتمبر - أيلول - ١٩٥٢ .

لا تعدو هذه القطعة أن تكون ردة فعل نحو أقران له وقعت بينه وبينهم خصومة في أنشاص، وأصبح يرى وجود الشعبة للإخوان في بلدته خطراً عليه وهو شاعر البلدة - وابن شيخ الرفاعية - إلى جانب ما قد يحدث من إساءات لبعض ضعاف النفوس ممن حملوا الدعوة أو أرادوا استغلالها لا سيما عندما تكاثر أفرادها وتقاطر الناس للإنخراط في صفوفها، واستغل مثل هذه القطعة أعداء الدعوة ولا سيما أيام المحنة التي نزلت بهم، وسن الشاعر آنذاك صغيرة .

(١) الفهاهة: من فهاه. يقال رجل فه وامرأة فهة بمعنى غفلة. وباقل: يضرب به المثل بالغفلة والتلجلج بالكلام.

تلك الجماعة قد تنبأنا لها بالهدم يوم إقامة البيان
إنا وجدنا القائمين بأمرها شرّ الدعاة وأضعف الأعوان^(١)
فإذا تنهى الضعف بين جماعة ذاق الجميع مرارة الخذلان^(٢)

* . * . * . *

(١) ربما رأى الشاعر نماذج من الذين أغواهم الشيطان فانحرفوا، وأصبحوا من طلاب المناصب، أو ممن باعوا دينهم بدنيا غيرهم وراحوا يلوذون بالمنافع ولقد تأثر الشاعر بما كان يشاع ضد الجماعة ولكنه عند نضجه، ورؤيته للنماذج الرائعة من حملة الدعوة صار واحداً من الذين يحملونها وحسبك أن تقرأ له «رسالة في ليلة التنفيذ» وغيرها من القصائد التي تصور جهادهم ضد الطاغوت والطغيان.

(٢) يبدو أن ناشر ديوان شاعرنا (محمد كامل حته) الذي حاول أن يوجه شعر الرفاعي ليقدم سيده عبد الناصر قد راق له هذه القصيدة فغير من عنوانها ووضعها بعنوان «حق يراد به باطل» وقدم لها مقدمة كلها افتراء وادّعى أن الشاعر صرع على أيدي بعضهم، مع أن مصرع الشاعر كان على أيدي الشيوعيين وبتحريض من أجهزة المخابرات.

الجهول (*)

حَسَنٌ وَإِنْ تَكُ بِالْحَسَنِ فَالْقُبْحُ شِيمَةٌ مِنْ إِذْنِ؟
 يَا بَبْغَاءَ مِنْابِرٍ جَهْلَ الْفَرُوضِ مِنَ السِّنَنِ
 يَا مَنْ لَهُ تَأْجُ الْغِبَا وَعَرْشُهُ طُولُ الزَّمَنِ
 وَثَنٌ يَوْمٌ مَسَاجِدًا بَلْ أَلْفُ عُذْرِ لَلوثنِ

* . * . * . * . *

* هو صاحب فضيلة، ولكن الفضيلة تبرأ من أمثاله
 ولو تجسد الجهل والدهاء والنفاق رجلاً لما كان سواه
 [الشاعر]. ولعله قيلت سنة ١٩٥٢ [المحقق].

هجاء (**)

وَإِذَا نَزَلَتْ الْمَنِيْلَا وَلَقِيَتْ فِيهِ مَغْفَلًا (١)
 فَاعْلَمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا هَذَا الَّذِي لَكَ قَابِلًا
 * . * . * . * . *

لَمْ أَدْرِ أَنْ صَدِيقَنَا «ابن الزق» دَمُهُ ثَقِيلُ الظِّلِّ مِثْلُ البَقِّ

(*) طلب مني بعض الإخوان أن أهجو الزميل م . أ . ز . فقلت هذه الأبيات : [الشاعر].

(**) ولعل هذه الأبيات قيلت في عام ١٩٥٢ . [المحقق].

هناك أبيات بعنوان «عاد الغبي» خمسة أبيات رد على هذا الذي هجا الشاعر. وهي أبيات بذئية. تدنى فيها الشاعر إلى الهجاء المقذع والعبارة البذيئة. وهي سقطة لسان في مرحلة المراهقة لشاعرنا.

ونعفي القارئ من أن يسمع هذه الأبيات التي لا فائدة منها.

(١) المنيل : اسم حي من أحياء القاهرة.

حتى دعاهُ «بكفّر عيسى» مرّةً
فمضى يروحُ عليه كلّ عشيّةٍ
لو يعلمُ المسكينُ سخفَ «محمدٍ»
للأكلِ شهْمٌ يستحي في الحقّ
ويدُّ المضيفُ ورجله في الشقّ
قسماً لألهبَ جسمه بالدقّ (١)

* . * . * . * . *

(١) بالدق : بالضرب.

رد على رد (*)

أَتَبْنَحُ بَيْنَنَا هَذَا الْكَلَابُ
وَيَشْتَمُنِي دَنِيءٌ ذُو غَبَاءِ
مَسِيخُ الدَّجَلِ قَامَ بِغَيْرِ وَقْتِ
فَقُولُوا لِلْمَسِيخِ أَتَاكَ عَيْسَى
سَيُرِي النَّاسُ لِي فِيكَ الْأَهَاجِي
وَيَمْشِي خَلْفَهُ قَوْمٌ تُكَالِي
«إِذَا كَانَ الْغُرَابُ دَلِيلَ قَوْمٍ
لَعَمْرُ الْحَقِّ قَدْ جَلَّ الْمَصَابُ
فَلَا وَاللَّهِ لَا صَلَّحَ الْعَتَابُ
لَهُ يَهْذِي فَأَخْطَاهُ الصَّوَابُ
فَعَيْشُكَ فِي الْوَرَى عَيْشُ هَبَابٍ»^(١)
فَتَعَشَّقُ أَنْ يُوَارِيكَ التَّرَابُ
أَلَا خَابَ النَّصِيرُ لَهُمْ وَخَابُوا
فَلَا نَجَحُوا وَلَا نَجَحَ الْغُرَابُ»

* . * . * . * . *

(*) كتب أحد الزملاء رداً على قصيدتي السابقة «الخبية الكبرى» فكتب إلي: ولعل القصيدة قيلت

بعد تاريخ قطعة «الخبية الكبرى». [المحقق].

(١) عيش هباب : أي فارغ لا قيمة له.

صريح الحقد (*)

أظهرت عند جدالي سيء الأدب
 ما زال ذا الدهر يُبدي من غرائبه
 الناسُ تعرفُ عليائي ويجحدُها
 فراشةٌ رأت المصباحَ ذا وهجٍ
 لم أدر كيف تريدُ اليومَ منزلةً
 إني هجوتُك مضطراً لمعرفتي
 فيمَ التناولُ يا هذا على رجلٍ
 لو أن مثلكَ يبغي ما أتىحَ لهُ
 هذا جزاءُ الذي أغراه بي كرمي
 فراح يشتمُ إنكاراً لمنزلتي
 لا الخوفُ يمنعني، لا اللومُ يردعني
 وفي النهايةِ إني لا أقولُ له
 «قد كنتَ تعرفُ مني في الرضارجلأ»
 فرحتَ بالنارِ تبغي أخطرَ اللعبِ
 حتى غدا الرأسُ مذموماً من الذنبِ
 يا معشرَ الناسِ أدعوكمُ إلى العجبِ
 فأحرقَت نفسها في الضوءِ عن كُتبِ
 فينا ولسَتَ أخا علمٍ ولا أدبِ
 أنْ سوفَ يكسوكَ هجوي حلةَ الذهبِ
 قد نالَ ما نالَ من مجدٍ ومن رتبِ (١)
 لضَيِّعَ العمرَ لم يبلغِ إلى الأبِ
 حتى رمأه رذيلُ الحقدِ باللعبِ
 ولم يخفُ عن لساني لذعةَ العطبِ
 لا اللومُ يدفَعني، في شرِّ مُنقلبِ
 إلا كما قال قبلي شاعرُ العربِ:
 حلوا المذاقةَ فأعرفني لدى الغضبِ

* . * . * . * . *

(*) نظمت على إثر حدوث مشادة بيني وبين واحد من أولئك الذين أكل الحقد قلوبهم، وأعمى أبصارهم يناير - كانون الثاني - ١٩٥٣ م.

(١) ورد في نسخة (حته):

طلوت عن سفه في العالمين فتى
 قد نال ما نال في العلباء من رتب

الخيبة الكبرى (*)

يا خيبةً قدّروها بالقناطيرِ
إني ذهبتُ إلى النادي فطالعي
يبكي ويندبُ من خابوا بملعبه
من كلِّ «شحطٍ» أطالَ الله قامتهُ
ما كانَ مُنتظراً هذا المُصابَ لكم
ما للغيبيِّ «وللفتبول» يلعبها
أخزاكمُ اللهُ قد جئتمُ لمعدنها
في «الماتش» لم تلعبوا لكنْ رأيتكمو
لو كنثُ أعلمُ أن الخيبةَ انقسمت
لكنثُ جئثُ «بِطبالٍ» يزفكمُ
«لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن غلظٍ»

جاءت لنا في نهارِ كالدياجيرِ^(١)
مقطَّبَ الوجهِ مُغبرَ الأسايرِ
وفي المباراةِ صاروا «كالطرايرِ»
يكادُ يصلُحُ في جرِّ «الحناطيرِ»^(٢)
يا فرقةً كَوْنوها من «خناشيرِ»^(٣)
يا ليتهاً علقوكم في الطنابيرِ
بالعارِ يا فتيةً مثلَ «المواجيرِ»^(٤)
في البرتقالِ نزلتم كالمناشيرِ^(٥)
من حظِّكم في سجلاتِ المقاديرِ
ورحثُ أتلو على لحنِ المزاميرِ
جسْمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ

(*) ١٢ مارس - آذار - ١٩٥٣ . في يوم الخميس ١٢ مارس ١٩٥٣ حضرت كلية اللغة العربية لكرة القدم لمباراة فرقة المعهد . وكان أن تسبب أفراد فريق المعهد في هزيمة منكرة لهم . وذلك بسبب تهاونهم وغرورهم . فنظمت هذه القصيدة تخليداً لهذه الهزيمة وسخرية من أفراد فريق المعهد المنهزم ، وقد لاقت هذه القصيدة انتشاراً كبيراً .

- (١) الدياتجير : ج ديجور وهو الظلمة .
(٢) الشحط : كلمة عامية مصرية وتعني الطويل .
(٣) الحناطير : ج حنطور وهو عربة تُجرها خيول (كلمة أجنبية) .
(٤) الخناشير : ج خنشور وهو الضخم الجلف ذو الخشونة والغلظة (عامية) .
(٥) المواجير : إناء من فخار . وهي كلمة أجنبية .

صورة نفسية(*)

إلى ذروة العلياء سار بي الفعل
سموتُ بجدي وارتقت بي فضائي
خُلقتُ أبيعاً أعشوقُ المجدَ يافعا
وعشتُ بدفعِ الضَّيمِ والذلِّ مغرماً
وإني لأبدي الودَّ للخلِّ صادقاً
وإن شمت عني فيه ميلاً ورغبةً
إذا أنا لم أعرفْ لذي الحقِّ حقهُ
ولكنَّ قوماً لا عفا اللهُ عنهمُ
وما حيلتي فيهم وذنبي لديهمُ
تحملتُ منهم كلَّ ما يغضبُ الفتى
وأهونُ حيٍّ من يُرى ذا عزيمةٍ
وإني وقد أنضجتُ غيظاً قلوبهم
لئن شئتُ عاشوا في ثيابِ مُذلةٍ
لحا اللهُ جهالاً تكائرَ جهلهم
إذا رمتُ أن تُسقى من الودِّ عندهم
وإن كنتَ تبغي العيشَ في ظلِّ حبهم

ومثلي للعلياء بين الورى أهلُ
وليس أخو جدٍ كمن طبعهُ الهزل
ومني غداً يهوى طريقَ العلا كهلُ
وأبذلُّ فيه الروحَ لو وَجِبَ البذلُّ
إذا كان في الإخلاصِ قد صدق الخُلُّ
تبدَّلَ مني الودُّ وانقطع الوصلُ
فلا زانني حُسن المكارمِ والأصلُ
يرونَ ذنوبي أن يدينَ بي الثُّبُلُ
مقامي حميداً حيثُ لا ينزلُ الذلُّ
وعندَ امتلاءِ الكيلِ قد يطفحُ الكيلُ
ويسكتُ يوماً إن أساءَ له نذلُّ
على حينٍ لم يُسمعَ لديَّ لهم قولُ
ولكنَّ لي عنهمُ بنيلِ العلا شُغلُ
فسالَ به حزنٌ وفاضٌ به سهلُ^(١)
فكن مثلهم في الناسِ شيمتكَ الجهلُ
فلا يصطفيك العمرَ من دونهم فضلُ

(*) مهداة إلى البعض من طلبة أنشاص . ابريل - نيسان - ١٩٥٣ م .

(١) لحا الله جهالاً : لعن الله جهالاً . الحزن : ما غلظ من الأرض .

أولو حسدٍ قد ساءهم ما بلغتُ
يريدون بينَ الناسِ ذكراً ورفعةً
ودونَ بلوغِ المجدِ عزمٌ وفطنةٌ
وكم بذلوا للنيلِ مني جهودهم
وما أنا ممن يجحدُ الناسُ فضلهم
وكم في عدادِ العاجزينِ مكابراً
ومثلي لو شاءوا البلوغَ لمجديه
وذي سَفِهٍ منهم مشى بنميمةٍ
يذمُّ لديكَ الغيرَ حتى إذا متي
وآخرُ ذو وجهينِ يلقاكُ باسماً
فشفتُ عن الأحقادِ واللؤمِ تحتها
وكم لأمهم في شَرهم كلِ مصلحِ
فيا أيها القومُ الذينَ بلوتهم
لقد جاءكم مني سليمان فادخلوا

فحقدُهُم وإِ وفي صدرهم غل^(١)
وظنوا بأنَّ المجدَ إدراكه سهلُ
وما لهم في ذاكِ باعٍ ولا حولُ
فما بلغوا قصداً وفاتهمُ النيلُ
ولكنه نُخبُ السريرةِ والدَّخَل^(٢)
إذا جاء ضوءُ الصبحِ قالَ هو الليل
لأقعدهم جبنٌ وأعجزهم عقلُ
فأهونُ تنكيلِ يليقُ بهِ القتلُ
إلى الغيرِ لم يخطئك من كيدِهِ نصل^(٣)
عليه ثيابُ البشْرِ رَقَّ بها الغزلُ
فمظهرُهُ حبٌّ وفي بُردهِ صل^(٤)
فلم يهدهم لومٌ ولم يُثنهم عدلُ
فأغرقتني من نُخبِ أخلاقهم سيلُ
مساكنكم في الأرضِ يا أيها النملُ

* . * . * . * . *

(١) وإِ : من وري : خرجت ناره . الغل : الحقد والضغينة .

(٢) الدخَل : العيب والريبة .

(٣) نصل : نصل السيف أو الرمح هو حده .

(٤) الصل : الحية .

العميد الرجعي (*)

ألا فلسيقتِ العَبَثُ الحَقِيرُ
يُحَرِّمُ فِي الرِّيَاضَةِ مَا أَحَلَّتْ
إِذَا شَاءَ الْفَرِيقُ لَهُ نَشَاطاً
وَحَوْقَلَ وَاسْتَعَاذَ مِنَ الْمَعَاصِي
وَصَاحَ رِجَالُ هَذَا الدِّينِ ضَلُّوا
لَهُ رَأْيٌ وَتَفَكِيرٌ عَتِيقٌ
عَلِمْنَا بِالصَّعِيدِ فَمَا عَرَفْنَا
فَكَيْفَ نَرِيدُ بَعْدَ الْكُفْرِ ذَنْبٌ
حَلَفْتُ بِلِحْيَةِ لَلشَّيْخِ تَبْدُو
وَعَقْلٌ مِنْهُ لَمْ يُصَدَرْ قَرَاراً
لَثْنٌ لَمْ يُعْطِهِمْ حَقّاً مَضَاعاً
تَرَكَتُ يِرَاعَتِي تُصَلِّيهِ نَاراً

فَمَعَهْدُنَا لَهُ شَيْخٌ وَقُورُ
شَعُوبُ الْأَرْضِ إِنَّ الْعِلْمَ نَوْرٌ
تَبَدَّى مِنْهُ تَصْرِيحٌ خَطِيرٌ
وَأُطْلِقَ فَوْقَ مَكْتَبِهِ الْبُخُورُ^(١)
فَغَيَّرَ الْعِلْمُ بُهْتَانٌ وَزُورٌ
وَلَا يُجَدِّدُهُ نُصْحٌ أَوْ مُشِيرٌ
صَعِيداً لَهُ فِكْرٌ مُنِيرٌ
وَكَيْفَ يَرَى سِنَى النُّورِ الضَّرِيرِ
كَفَرِشَاةٍ لَهَا شَعْرٌ غَزِيرٌ
وَمَا مَرَّتْ عَلَيَّ خَلْدِي الْحَمِيرِ
وَلَمْ تَرْجِعْ لِمَجْرَاهَا الْأُمُورِ
لَهُ مِنْ لَفْحِهَا أَلْمٌ مَرِيرٌ^(٢)

* . * . * . * . *

(*) الشيخ عبد الحفيظ فرغلي شيخ المعهد يحارب نشاط الفرق الرياضية بالمعهد ولعلها قيلت سنة

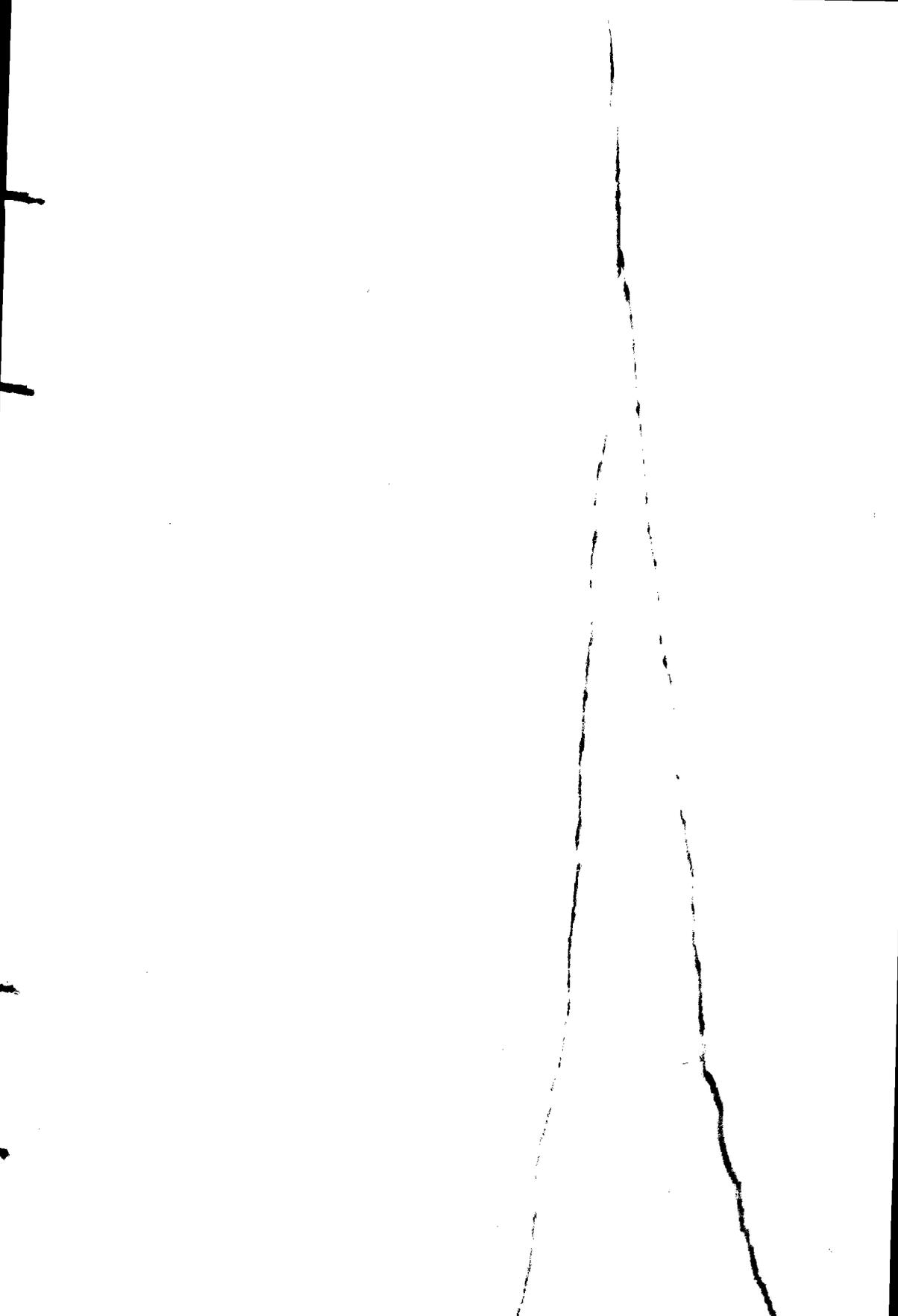
١٩٥٥ .

(١) حوقل : قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . استعاذ : قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

(٢) هذه القصيدة نزوة من نزوات الشباب في مرحلة المراهقة . والتي يمر بها أكثر الناس لا سيما في

هذا العصر .

عَبْرَاتُ



الشهيد أحمد عبد العزيز(*)

[قائد الكوماندوز المصريين]

أيها السائرُ عنا نحو جناتِ الخلود
السلامُ عليك منا يومَ ضمتك اللحود^(١)
فارساً لفظاً ومعنى كنتَ يا خير الأسود

* . * . * . * . *

لستُ بالقائلِ شعراً فيه أبكي أو أنوح
إنني والجمعُ طُراً كلُّنا اليومَ جُروحُ
لم تزرُ يا ليثُ قبراً بلْ بَعْدِنِ تَسْتريحُ

* . * . * . * . *

كنتُ كالأسدِ قوياً تصرعُ العاتي المريد^(٢)
عشتُ في الأذهانِ حياً خالدَ الدهرِ المديد
أنتَ يا من كنتَ هدياً في الوغى يهدي الجنود^(٣)

* . * . * . * . *

(*) ولها عنوان آخر هو الذكرى الأولى (أغسطس - آب - ١٩٤٩).

(١) اللحد : جمع لحد. وهو الشق في جانب القبر.

(٢) المريد العاتي. (٢) الأبيات الثلاثة غير موجودة في نسخة «المختارات».

(٣) هذان البيتان غير موجودين في نسخة «آهات شريفة» وإنما هما في نسخة «المختارات».

أنتَ خيرُ الخالدينُ في سماءِ الذكرياتِ
أنتَ فخرُ الراقدينُ في «خلاءِ الفلواتِ»
وعلى من سارَ غيًّا في فلسطينَ يبيدُ
كان كالأسدِ قويا يصرُعُ العاتي المريدُ^(١)

* . * . * . * . *

صاحبَ العزمِ المَتينُ عندَ مرِّ الحادثاتِ
يومَ ناداكُ المنونُ في الليالي الحالكاتِ
قلتُ : خيرُ الضارينِ في سبيلِ الدعواتِ

* . * . * . * . *

اكتبوا صفحاتِ نصرٍ بمدادٍ من دماءِ
واشربوا يا فخرَ مصرٍ من رحيقِ الشهداءِ
إننا اليومَ بعصرٍ فيه للنارِ القضاءِ

* . * . * . * . *

[أكثر هذه المقطوعات ضمتها مجموعة شعرية جمعها الشاعر وأسمائها
«نسيم السحر» رتب فيها ما نظم حتى عام ١٩٤٩ م - وزينها برسومه
وكتاباتهِ وضمت تقاريط أصدقائه وقد كتب في آخرها:
«تم بحمد الله كتابه هذه النسخة في يوم الاثنين الموافق ٢٢ رمضان
١٣٦٨ هـ الموافق ١٨ يولييه - تموز - ١٩٤٩ فله الحمد»].

(١) في نسخة «المختارات»، وليست موجودة في نسخة «آهات شريدة».

عزيز يفارق (*)

أَمِنَ المصابِ وَعُظْمِهِ تَتَوَجَّعُ والعينُ منك سيولُها لا تُقَطِّعُ
هذي الدموع أراك تذرُفُها سُدَى كفكف دموعك إنَّها لا تُرْجِعُ
ذهبَ الإمامُ فما رأيك لردِّه سُبلاً فهل تجدي الدموع وتُفْعُ^(١)
يا ليتها تُجدي إذاً لرأيتها بحرّاً عُجاجاً من عيونٍ يَبُوعُ
لكنَّهُ حكمُ الإله وهل له قل لي بربك مَنْ يرد ويدفع؟!
نزلَ الذي سَلَبَ الجَنانَ نزولُهُ داراً علمتُ نزيلُها لا يرجع
واحرَّ قلبي كيف يخطُفُكَ الردى ويضمُّ منك الجسمَ هذا البلقع^(٢)؟!
لهفي على الدنيا، نزول، ولم تزلْ تسقي كؤوسَ النائبات وتجزع
كيف الرحيل عن الديارِ وأهلها والكلُّ باتَ من الأسي يتوجَّعُ
وفتاك كيف تركته، ولمن إذاً يشكو المتاعبَ، أو إلى من يفرع^(٣)
تالله قد ظلموه إذا قالوا له في يومٍ موتك والأقارب جَمَّعُ
مات الذي يرعى صباحك ولا نرى عينيك تدمع أو نراك تَفْجَعُ^(٤)؟!
حسبوا العيونَ تَنَمُّ عن حزن الفتى والحزن أفسى في القلوب وأوجعُ

(*) أغسطس - آب - ١٩٤٩ م في ٢٧ منه .

(١) يقصد بالإمام أباه الذي كان شيخ طريقة صوفية .

(٢) البلقع : الأرض القفر .

(٣) في نسخة المختارات :

ابتاه قد ظلموا فتاك فنبني ما ذنب باك قد جفته الأدمع

(٤) يشير إلى ما قاله له بعض الأقارب وهو في صباه عند موت أبيه لأنه كان متجلداً .

أبتاه! شعري لست أملك غيره
هذا رثائي والفؤاد كأنه
ما كنت أحسب أنني سأقوله
لكنها الأقدار هذا دأبها
إن تُضحك اليوم امرءاً وتسره
وإذا سقته اليوم شهداً، في غدٍ
فاذهب عليك من الإله تحيةً
وعزاؤنا أن سوف يجمعنا الفنا

ماذا عسى غير الرثاء سأصنع
عين لها الدم والحشاشة أدمع
يوماً من الأيام فيه أودّع
تغثال منا من تشاء وتنزع^(١)
فغداً إليه المبكيات ستسرع
يأتيه كأس النائبات المُترع
ما بدد الظلماء فجرٌ يسطع
بك، فالفناء مُفرقٌ ومجمع

* . * . * . * . *

(١) في المختار : تعتام.

عزاء (*)

رأيتُ الخطبَ جلًّا عن العزاءِ ففاضَ الدمعُ ينطقُ بالرثاءِ
ففاضَ الدمعُ من حزنٍ بحاراً كأنَّ عيوننا ينبوعُ ماءٍ
فيا مَنْ قد حزنتَ لفقْدِ خالٍ تجمَّلُ إنهُ حكمُ القضاءِ
وليسَ لكائِنٍ حيٍّ مفرُّ لما حَكَمَ الإلهُ من الفناءِ
وَدِدنا أن يعِيشَ النبلُ دهرًا وأنَّ تحيا المكارمُ في ارتقاءِ
وكنا نبتغي للجوْدِ عُمرًا ونرجو للنَّدى طولَ البقاءِ
ولكنَّ المنيَّةَ عاجلتنا وأودتْ بالكريمِ أبي السخاءِ
إلهي آتِنا صبراً جميلاً وعوِّضنا به خيرَ الجزاءِ

* . * . * . * . *

(*) أرسلت للأخ هاشم أحمد هاشم، تعزية له في وفاة خاله المرحوم إبراهيم أفندي موسى. تم نظمها في ١٤ يناير - كانون الثاني - ١٩٥٠.

الشيهد أحمد عمر (*)

رَدُّدُوا الأشعارَ في ذكرى الشهيد وارفَعُوا الأعلامَ في يومِ الفَقيدِ
 وابعثوا الإقدامَ حياً باقياً وانشدُوا يافتيةً لَحَنَ الخلودِ
 وانشوا تيهاً وقولاً للملا من بمجدٍ أو علأً عَنَّا يزيد؟^(١)
 نحنُ منا درةُ المجدِ الذي كانَ في جنبِهِ قلبٌ من حديدِ
 من يحاكي أحمداً في بأسِهِ أو يُداني من لَهُ العزمُ الوطيدِ^(٢)
 يومَ أن جاءوا لنا في عُصبةِ لا ترى مِنْهُم سوى العاتي المريدِ^(٣)
 فانبرى ليثاً لهمْ لم تُثنيه قاذفاتُ الموتِ في أيدي الجنودِ^(٤)
 وانطوى شهماً كريماً خالداً تحتَ تاجِ الخلدِ في ظلِّ الودودِ
 يا فتى الإقدامِ يا رمزَ الفدا قد جرى الدمعُ دمأً فوقَ الخدودِ
 سرتَ للعلياءِ وثَّابَ الخطى والعلأ خيراً الأمانِي في الوجودِ
 نمَ قريرَ العينِ قدْ عَلَّمتنا كيفَ بالرُّوحِ لدى الكربِ نَجودِ^(٥)

(*) فقيد المعهد الأول - ألقبت بالمعهد في يوم الاحتفال بالذكرى الثانية للشهيد في

٢٨ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٠.

(١) الملا : من الملاء وهي الجماعة.

(٢) كان ينبغي أن يقول أحمد لأنه ممنوع من التنوين ونونه لضرورة الشعر.

(٣) العاتي المريد: الظالم المتماذي بظلمه.

(٤) قاذفات الموت: البندقية والرشاش.

(٥) الكرب : الغم .

إِنَّ قَوْمًا أَنْتَ عِنْوَانُ لَهُمْ لَنْ يَنَالَ الضَّيْمُ مِنْهُمْ مَا يَرِيدُ (١)
 يَا جُنُودَ الْمَجْدِ يَا أَسَدَ الشَّرَى يَا شَبَابًا سَادَ مِنْ عَهْدٍ بَعِيدِ (٢)
 اجْمَعُوا الْأَرَاءَ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَاَرْفَعُوا الرَّأْسَ لِنَبِيِّ مِنْ جَدِيدِ
 فَانْقَسَامُ السَّرَايِ دَاءٌ قَاتِلٌ إِنْ أَصَابَ الْقَوْمَ فَالْوَيْلُ الشَّدِيدِ
 وَاَعْلَمُوا أَنَّ الْمَعَالِي سَلَّمَ وَاتِحَادُ الْعِزْمِ مِفْتَاحُ الصُّعُودِ

* . * . * . * . *

(١) الضييم : الظلم .

(٢) أسد الشرى : أسد الغابة، والشرى هو بجانب الفرات .

صلاح ذهني (*)

ترك الدنيا صلاح ومضى عنا وراح
 عصفت الموت بنجم في سماء الفن لآخ
 بلبل بالروض شاد طار مبسوط الجناح
 ما علا في الجو حتى خر مخضوب الجناح
 شعلة للفن كانت خير رمز للنجاح
 أطفأتها حين هبت لردى تلك الرياح
 رب نقد قد تبدى منه بالحق الصراح
 يعلن الرأي قويا ليس يخشى لوم لاح^(١)
 وأقاصيص تراءت مشرقا كالصباح
 صوغها صوغ جمان نفعها نفع الأقاح^(٢)
 فائنات كالعداري بين أنغام وراح^(٣)

(*) ٢٥ أغسطس آب - ١٩٥٣ «وهو أحد الكتاب النقاد».

(١) لاح : اسم فاعل من لحا لحيا - بمعنى لامة.

(٢) الجمان: مع جمانة وهي الحبة التي تعمل من الفضة كالدرة.

الأقاح : جمع الأقحوان وهو البابونج - نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه

أصفر. نفع: فاح.

(٣) الراح : الخمر.

ساقها فناً رفيعاً في غلالات المِلاح^(١)
في جوارِ اللهِ شهْمٌ عاشَ ينبوعَ الكفاح
قد تولى وعليه من سنا الفنِّ وشاح^(٢)
ما استرحنا حينَ اودى والذي ماتَ استراح^(٣)

* . * . * . * . *

(١) الغلالات : جمع غلالة وهو شعار يلبس تحت الثوب. الملاح : النساء الحسان.
(٢) الوشاح : شيء ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها
وكشحتها.
(٣) أودي : مات.

دمعة! .. على زميل راحل (*)

أما المصاب فكان شرَّ مصابٍ
لم ندر أن الأرض قادرة على
حتى رماك بنافذ من سهمه
تلك المنية لا تزال على الورى
في كل يومٍ بالفؤادِ مرارةً
ويفتت الأكباد أن فراقهم
فالنفس تُجرع بعدهم كأس الأسي
والقلب يبكيهم دماً، والعين لا
أبأ الفتوح لئن رحلت وإنما
أي الورود غداة فقدك صوحت
أف هكذا تمضي ولم تنل الذي
أمل تعلق بالحياة فما دنا
يا أيها النائي وذكرك مائلٌ

يا بهجة الأقرانِ والأترابِ
إخفاء ضوءٍ ثاقبٍ لشهابِ
قدرٌ قليلٌ حالك الجلابِ
تسطو بظفرٍ لا يغل وناب^(١)
لفراق من يمضي من الأحبابِ
ورحيلهم عنا لغير إيابِ
مراً مذاقته كطعم الصاب^(٢)
تنفك أدمعها كفيض سحابِ
رحلت سعادتنا على الأعقابِ
وذوى بموتك أي غصن شباب^(٣)
تسعى إليه بعزيمة وطلابِ
هل كان هذا العيش غير سرابِ
في القلب يحكي راهب المحراب^(٤)

(*) ألقيت «بسلمنت» في ماتم الزميل الراحل أبو الفتوح هلال رثاء له ثاني يوم وفاته ٢٢ أبريل - نيسان - ١٩٥٤ .

(١) يفلء من (الفل): واحد فلول السيف وهي كسور في حده .

(٢) الصاب شجر مر، أو عصارة الصبر، وقيل عصارة شجر مر .

(٣) صوحت : من التصويح : التجفيف .

(٤) مائل : شاخص وحاضر، يحكي راهب المحراب : يشبه راهب المحراب .

لو كان يجمُلُ بي التصبر عن فتى
كيف السبيلُ إلى التجمل، والردى
وطوتك أيدٍ للمنون وما طوت
أجدُ التصبر عنك غير صواب
أودي بصارمِ عزمِكَ الوثاب
غير المؤمِّلِ، جامعِ الآداب

* . * . * . * . *

يا أيُّها القبرُ الذي قد ضمَّه
أيُّتُ من فاضتْ بشاشةً وجهه
وتلف من قد كان ملءَ عيوننا
أينَ الطريقُ لكي أبثُّك ما بي
نوراً، رهينَ حجارةٍ وتراب
ظلماتُ قفرٍ مُحكَمِ الأبواب!

* . * . * . * . *

في ذمةِ الرحمنِ ثاوٍ في الثرى
وعزاؤنا أنْ سوف يجمعُ شلمنا
يا ربَّ ألهمنا وعوضنا بهِ
وإلى جوارِ الله خير رحاب
بعدَ الفراقِ المرَّ يوم حساب
صبراً وسُلواناً وحسنِ ثواب

* . * . * . * . *

فقيد أنشاص (*)

[المرحوم علي هاشم]

قَفَّ أَيْهَا الْغَادِي . . عَلَيْكَ سَلَامُ
إِنِّي رَأَيْتُ غَدَاةَ فَقْدِكَ مَوْكِبًا
يَمْضِي بِأَرْوَاحِ مَا جِدَّ لَا يُرْتَجَى
رُحْنَا نُشِيعُ مِنْكَ بَحْرًا لِلتَّقَى
نَمْشِي وَرَاءَكَ وَالْقُلُوبُ مِنَ الْأَسَى
حَرُّ الْأَسَى بَيْنَ الضُّلُوعِ كَأَنَّهُ
وَالْعَيْنُ تَهْمِي وَالدموعُ ذَوَارِفُ
فَلَيْتُنَّ بِكَوْكَ تَوَجُّعًا فَلَيْفَقْدِهِمْ
وَلَيْتُنَّ حَنَوًا هَامَاتِهِمْ فَلَطَالَمَا
لِمَنْ الْعِزَاءُ أَسْوَقُهُ وَالْكَلُّ فِي
بَكْتِ الْمَرْوَةِ بَعْدَ مَوْتِكَ سَيِّدًا
وَطَوَى الرَّدَى عَلمًا بِنُبْلِ خِصَالِهِ
قَالُوا قَضَى الْعَمْرَ الطَّوِيلَ فَقَلْتُ فِي

بأولي المكارمِ تَذْهَبُ الْأَيَّامُ
قَدْ سَارَ فِيهِ مَرَارَةٌ وَزِحَامُ
مِنْ بَعْدِهِ لِلطَّيِّبَاتِ قِيَامُ
فِي ضِيْفَتِيهِ الْجُودُ وَالْإِكْرَامُ
تَدْمَى . وَمَلَأَ نُفُوسِنَا آلامُ
فِي الْقَلْبِ مِنْ هَوْلِ الْمُصَابِ ضَرَامُ
وَالنَّاسُ خَلَقَكَ شَفَّهَا الْإِيْلَامُ
مَنْ كَفَكَفَ الْعِبْرَاتِ وَهِيَ غَمَامُ
خَفَضْتَ لِمِثْلِكَ فِي الْحَيَاةِ الْهَامُ
جَنِيهِ لِلخَطْبِ الْأَلِيمِ سِهَامُ
وَهَوَى بِفَقْدِكَ لِلوفاءِ إِمَامُ
وَفِعَالِهِ ، تَتَفَاخَرُ الْأَعْلَامُ
خَيْرِ الْوَرَى طَالَتْ بِهِ الْأَعْوَامُ

(*) أَلْقِيَتْ بِأَنْشَاصٍ فِي مَاتَمِ الْفَقِيدِ الْمَذْكُورِ رِثَاءً لَهُ مَسَاءَ يَوْمِ وَفَاتِهِ فِي ٦٢ أَيْغُسْطَسْ -

آب ١٩٥٤ .

ومضى كما يمضي الكرامُ لقبره
وتجهمت كلُّ الوجوه، ووجهه
بجوار ربك نم فقد أسهدتنا
واحمل إلى الأحبابِ عطرَ تحيةٍ
فبكى عليه الخيرُ والإسلام
للقاءِ جنةِ ربِّه بسامُ
وأخو الأسي والحزنِ كيف ينامُ
إذ ما أقمتَ هناك حيثُ أقاموا

* . * . * . * . *

كارثة في قنا

[دهم السيل مدينة قنا فدمر وشرد . . . قال الشاعر هذه القصيدة في ٣١
ديسمبر كانون أول سنة ١٩٥٤ ومدينة قنا في جنوب مصر، بين
أسيوط وأسوان].

أطلَّ الردى من فيض تلك السحائب
أكان فَنَاءُ الكون مبدؤُهُ «قنا»
وهل تلك لليوم العظيم دلائلُ
ألمَّ بها للرعبِ والموت نازلُ
وطاف عليها طائفٌ لا ترده
ولم أرها قبلاً لغير المواهبِ
وقد صدقت فيه نبوءة كاذب^(١)
سيتبعها فيه انتشارُ الكواكب^(٢)
على قدرٍ مما قضى الله غالب
قناة، ولا تخشى قراعَ الكتابِ

* . * . * . * . *

تخيلتُهم والموتُ يُنشِبُ سيلُهُ
وقد زمجرَ الدَّفَاعُ فانهار شامخ
فيا رَبِّ طفلٍ تحت أنقاضِ منزلٍ
تولتُ وفي الأضلاعِ نارٌ ولوعةٌ
ورَبِّه خدرٍ كان يُخفي نقابُها
بأعناقِهم منونةً من مخالب
لبنانهم واندكُّ من كل جانب^(٣)
تدقُّ عليه الأمُّ صدرَ النوادبِ
بها الذعرُ قد أبداهُ خفقُ الترائبِ
سنى البدرِ في ظلِّ السيوفِ القواضبِ

(١) وقعت كارثة السيل في وقت انتشرت فيه نبوءة عراف بقرب فناء العالم .

(٢) يقصد بذلك يوم القيامة .

(٣) الدفاع : السيل الجارف .

تراءت لأبصارِ الجميعِ وأسفرت
وذي غاقَّةً في موكبِ الرعبِ قد بكى
فلم أدِرِ هل سبيلِ الدمارِ الذي بدا
مروعةً خافتُ سهامِ المعاطبِ
بأقعبِ مذخورٍ من القوتِ ذاهبِ
يهددهم أم ذاكُ دمُعِ المصائبِ

* . * . * . * . *

قنا هل رأيتِ الحشر: كيف لهولِهِ
وهل أبصرَ السكانُ ما شأنُ يومه
قضوا ليلهم قد كحلَّ النومُ جفنتهم
فما طلعتُ شمسٌ ولا أشرق الضحى
يكاد وهولُ النائباتِ يُلْقُهُ . .
وأصبحَ معهودُ المسالكِ أبحرأً
حنانيكِ رحمنَ السماءِ فقد كفأهم
فليسَ لهم من أمرِك اليومِ عاصمٌ
وما قومُ نوحٍ هم، فما بال موتهم
فأقلعِ عن التسكابِ يا غيثُ وابلعي
عجبتُ لقطرٍ قبله الريُّ شاملٌ
فإن نحنُ يوماً قد مددنا لهم يداً
يفرُّ الفتى عن صحبِهِ والأقاربِ
وكيفَ ينالُ الطفلُ شيبُ الذوائبِ
على أملٍ بالخيرِ لا بالنوائبِ
على غيرِ فرارٍ من الخطبِ هاربِ
تضيّقُ عليه الأرضُ ذاتُ المناكبِ
تموجُ بهدَّارٍ من الموتِ صاحِبِ
وكفانا ما بدا من متاعبِ
سوى رحمةٍ تجلو ظلامَ الغياهِبِ
على يدِ طوفانٍ من الماءِ ساكِبِ
مياهِك يا ذاتَ الثرى والمساربِ
وكم من فمٍ من بعد أن فاضَ ناضبِ
فطائلُ ما يُعطونُهُ بعضُ واجبِ

* . * . * . * . *

الزهرة الذابلية(*)

أنشودةٌ في فؤادِ الدهرِ غناها
راشَتْ لها في نضيرٍ من طفولتها
ما راعنا وهي فوقَ الغصنِ ناضرةٌ
يا جارةً في ربوعِ المجدِ قد درجتُ
يرى ذووها مُنى الدنيا مُجمعةً
وتستحيلُ كأنغامٍ مُرتمةً
ويستوي إن أرادوا حلوَ قُبلتها
الأيكُ بعدكٍ قد زالتْ نضارُتهُ
سُقيا لعهدٍ تولى كنتِ فتنتهُ
وزهرةٌ عبقتُ بالروضِ رِيَّاهَا^(١)
يدُ المنيةِ سهماً في حناياها^(٢)
إلا ذبولُ المنيا قد تغشَّاهَا^(٣)
فنضرتُ وشقتُ بالبشرِ مغناها^(٤)
في بسمَةٍ تترأى من ثناياها^(٥)
عند المناغاةِ في الأسماعِ نجواها^(٦)
إن قَبَلوا قدماً أو قَبَلوا فاهَا
لله زهرُتهُ ما كانَ أبهاها
حيناً وواهاً لأيامٍ مضتْ واهَا

- (*) قيلت في رثاء طفلة صغيرة للزميل محمد عطوة «بدون تاريخ» ولعلها قيلت ١٩٥٤.
- (١) عقب : لزم. عقب به الطيب، أي لزق (امتلاً). رياها: من رويت وريا بمعنى الإرتواء من الماء.
- (٢) راشت: أي وضعت الريش للسهم. نضير: بمعنى النضار وهو الذهب ويقصد بالطفلة هنا (أنها في زهرة عمرها). المنية: الموت.
- (٣) تغشاهَا : أي ضربها وأهلكها.
- (٤) ثناياها: المقصود به فمها.
- (٥) منى : جمع مُنية وهي الشيء الذي يتمناه الإنسان.
- (٦) المناغاة: من نغى بمعنى نبس، والنغية: الشيء من الخبر، والنغية: أول ما يبلغك من الخبر قبل أن تستبينه، وكذلك تأتي بمعنى المغازلة، والمرأة تناغي الصبي: أي تكلمه بما يعجبه ويسره.

يا وجنةَ الوردِ قد عاَدتُ محاسِنها
أبوكَ خَلَفَتِه أسوانَ ما تركتُ
لَمْ يبقِ فِقدِكَ يا سوزانُ منه سوى
محمدُ الصبرِ، إن الله ذو نعمٍ
للصابرين غداةِ الروعِ أجرُهُم
يا نَصْرَ الله قَبراً ضَمَّ أعظمها
كصفرةِ الوردِ تمشي في مُحياها
لَهُ لياليكِ إلا حرّاً ذكراها
نفسٍ بها ما بها من مُرِّ بلواها
ولا تَقُلْ إن ألمتْ كُربةً آها
وللشدائدِ عندَ الله عُباها
يا عَطْرَ الله بينَ الترابِ مَئواها

* . * . * . * . *

رثاء عالم (*)

أهاج لنا الحزنُ العيونَ البواكيا
 بكيناهُ بالآلامِ ملءَ نفوسنا
 ويا دهرُ، لمْ تدركْ فجميعتنا به
 أحقاً إمامَ الخيرِ أنْ لستْ عائداً
 عزيزُ عليَّ اليومِ والخطبُ فادحُ
 وأسهدَ موتَ الشيخِ منا المآقيا
 وبالْحزنِ قَتالاً، وبالدمعِ جاريا
 لقد كنتَ جباراً وقد كنتَ قاسيا
 إلينا، وأنْ لا ملتقى بكْ ثانيا
 مقامي وإنشاديكْ هذي المراثيا

* . * . * . * . *

ألا رحمَ الرحمنِ «طاحون» إنه
 همأمٌ بنى للدينِ مجداً مُدعماً
 وكان إذا ما المزنُ ضنَّتْ بمائها
 متى تأتيه تلقى السماحة والندي
 يجودُ إذا ضنَّ الجوادُ بنفسه
 ولا خيرَ إلا كان للخيرِ رائداً
 وكم من صروحٍ للهدايةِ والتقى
 عرفنا له في كل مكرمةٍ يداً
 وما كان فيضُ الثُّبُلِ منه تطبعاً
 جوادُ عهدناهُ إلى البرِّ مُسرعاً
 كثيرُ الأيادي عاش للخيرِ هاديا
 وشيدَ صرحاً للحنيفةِ عاليا
 هو القطرُ، كلا بل هو الغيثُ هاميا
 وإن عدتْ من دارٍ له عدت راضيا
 ويرعى لحقِ الضيفِ ما دامَ ثاويا
 ولا جرحَ إلا كان للجرحِ آسيا
 بناها - له الحسنى - وأعلى المبانيا
 ونعلمهُ للبذلِ في الخيرِ ساعيا
 ولكنه طبعُ به عاشِ حاليا
 إذا غيرهُ في البرِّ أبدى التوانيا

(*) ألفت في رثاء العالم الواعظ الشيخ محمد طاحون بمأته في ٣١ مايو أيار ١٩٥٥.

عَظِيمٌ رَفِيعُ الْقَدْرِ يَسْعَى إِلَى الْعَلَا
وَهَمَّتُهُ فِي الْحَقِّ دُونَ ثَبَاتِهَا
فَهَذَا الَّذِي إِنْ عَاشَ عَاشَ مُكْرَمًا
عَلَيْهِ سَلَامٌ اللَّهُ كَمْ كَانَ ذَا تُقَى
قَضَى عُمُرَهُ مِثْلَ الزُّهُورِ فَعَيْشُهَا
وَيَعَشَقُ فِي نَفْعِ الْأَنْامِ التَّفَانِيَا
ثَبَاتٌ قَوِي الطُّورِ الَّذِي بَاتَ رَاسِيَا
وَإِنْ مَاتَ يَمْضِي خَالِدَ الذِّكْرِ بَاقِيَا
وَكَم كَانَ بَرًّا لِلْحَوَائِجِ قَاضِيَا
قَصِيرٌ وَلَكِنْ تَرَكُ الْعَطَرَ زَاكِيَا

* . * . * . * . *

في ذكرى الرافي

ألقى في الحفل الذي أقيم بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة
يوم ٤ نوفمبر تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ وكان الشاعر في هذا
الحفل على موعد مع أول خطاه في سبيل نباهة الذكر،
والالتفات إلى فنه، ورعاية مواهبه...].

من جانب الخلد في ظلّ النبيّنا
تصغي إلى كلمة التاريخ منصفه
وتجتلي صفحة التقدير ناصعه
قد فات صاحبها التكريم عن حسد
روح أطلت على أرجاء نادينا
جرت بها اليوم أقلام الوقيّنا
من بعد أن طويت بين الوري حينا
حيّاً، فسقناه بعد الموت تأينا

* . * . * . * . *

الحق كالشمس لا تخفى أشعتها
وإن أمال موازين الرجال هوى
كالوا له التهم النكراء قاتلة
فأغلق السمع دون القوم ثم مضى
إلا لتغمر عند الصبح واديننا
عن الصواب فقد ساءت موازيننا
وأرهفوا حوله الأحقاد سكيننا
في جانب الحق لا يدي لهم لنا

* . * . * . * . *

إني لأعجب من شاد به صمم
كانت أناشيدُه أنغام عزتنا
فهل تروون إذا أصغت لنا أذن
مشث إلى الفتنة الرعاء توقظها
قد أسمع الكون تغريداً أفانينا
ولم تزل معرباتٍ عن أمانينا
في أي هاوية باتت أغانينا
وبالخلاعة تغري النشاء تلقينا

من همسة الجنسِ قد صيغتِ مراهقةً
يا مبدعاً لمعاني الخيرِ.. مشرقةً
كم بيننا اليومَ من حيِّ كتابتُهُ
قد جاءَ ما قلتهُ في الحبِّ مكرمةً
ولم يكنِ كتفاهاتٍ تسيروُ بنا
وليسَ مَنْ خطَّ أفكاراً تصيدها
ضجَّ المجوونُ بها معنَى وتلحيننا
قد ماتَ لكِنَّه أحياءُ الملايينا
تميَّتْ كلُّ شعورٍ صالحٍ فينا
وهالَةٌ من سنى تكسو المحيينا
إلى انحلالِ غويٍّ كاذٍ يطورينا
من الفراشِ، كمن خطَّ المساكيناً^(١)

* . * . * . * . *

تلك الروائع قد خلقتُها قمماً
تألقتُ في رُبا الإسلامِ معرفةً
للدينِ والضادِ قد سطرتهَا مُدّاً
هذا من الذلِّ والأغلالِ يعصمنا
من الفنونِ جلتْ أمجادَ ماضينا
وأشرقَتْ في فم الدنيا عناوينا
لما عرفتهما أقوى صياصينا^(٢)
وتلكَ تحفظنا روحاً وتكويننا

* . * . * . * . *

فهل أتاك حديثُ القومِ حين مضوا
ضحالةً من ثقافاتٍ مرددةً
وأنفُسُ مرضتْ، لم يشفِ علتهَا
تبيثُ يقتلها من جهلها ظمأً
في مصرَ يستنكرون الضادَ والدنيا
في الغربِ يمشي بها الإلحاد تئينا^(٣)
هَدْيُ السماءِ ولا نصحُ المداوينا
والماءُ يجري زُلالاً بين أيدينا
يُسقى بها من معينِ الحقِ صادينا
ونظرةً في كتابِ اللهِ واحدةً

(١) المساكين : كتاب للرافعي قال عنه مؤلفه «أردت به بيان شيء من حكمة الله في شيء من أغلاط الناس». وقال عنه المرحوم أحمد زكي شيخ العروبة: لقد جعلت لنا شكسبير كما للإنجليز شكسبير، وهيجو كما للفرنسيين هيجو، وجوته كما للألمان جوته. وقال الأستاذ محمد سعيد العريان: إنه صور آلام الإنسانية كبيرة الألوان متعددة الظلال، صور المساكين الذين يحتسون الدموع، أو يتطهرون بالدموع.

(٢) الصياصي : الحصون.

(٣) التين : حية عظيمة.

ومحنة الضاد ما زالت تطالعنا
شعراً إذا ما حججنا منه قائلة
لا تستبين سنا الإلهام فيه ولا
لما بدا قلق الأوزان مضطرباً
بها الصحافة أو تزجى دواوينا
فبالجمود أو الإغلاق يرمينا
يرضي العرائس أو يرضي الشياطينا^(١)
فرت على خجلٍ منه قوافينا

* . * . * . * . *

إن اكتفينا بما سقناه تكرمةً
فكرّموه بأن تحيا له مثلُ
للفاعي فقد قلت جوازيना^(٢)
عليا إذا هي حيث سوف تحيينا

* . * . * . * . *

(١) العرائس والشياطين : هي عرائس وشياطين الشعر كما يقولون، وهي خرافة يعتقد بها الجاهليون وهي أن للشر شيطاناً يوحى به للشعراء وكذلك عرائس.
(٢) جوازينا : أي ما جازيناه به على هذه الأمجاد.

حفني ناصف

[أقيمت في حفل ذكرى حفني ناصف بجمعية الشبان المسلمين بمناسبة مرور أربعين عاماً على وفاته - ٢٨ فبراير / شباط سنة ١٩٥٩].

على سمعِ الخلودِ تركتَ لحنا
صحائفَ مُشرقاتٍ من بيانٍ
عرفتُكَ في ذرا العلياءِ سفراً
أكادُ إذا قرأتُكَ في رثاءٍ
وَألمسُ وحشةَ الدنيا إذا ما
وإن صارحتَ بالوجدِ القوافي
وتُطربني المرارةُ في عتابٍ
وأقطعُ خلفك الأميالَ شوقاً
بهِ التاريخُ في الأفاقِ غنى
تألتُ في الزمانِ فليس يفنى
سمتُ آياته لفظاً ومعنى
أراك تُعالجُ الحسراتِ حزناً
شكوتُ من الحياةِ أسي وغبنا
أحسُ بلوعةِ القلبِ المعنى^(١)
يُساقُ إلى الصديقِ وقد تجنّى
لأحيا في ربوعِ قنا وإسنا^(٢)

* . * . * . * . *

كراسيُ القضاءِ رأته أديباً
لقد حملَ الأمانةَ فاطمأنثُ
يقرُّ أمامه الخصمانِ عينا
على كتفيه، والعدلُ اطمأننا

(١) القلب المعنى : القلب الذي يعاني من الحزن والألم.

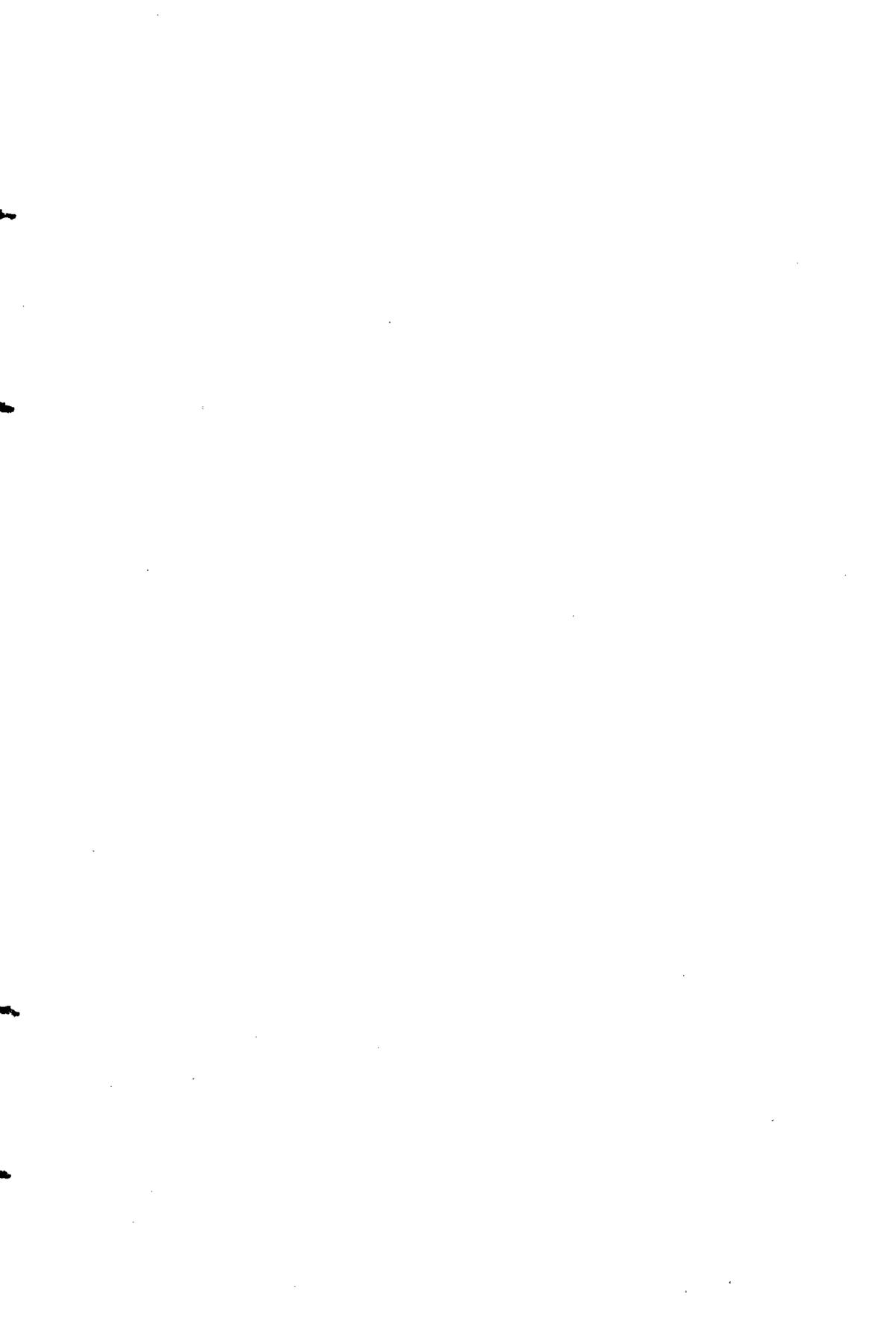
(٢) إشارة إلى قول حفني ناصف في إحدى قصائده حين نقل إلى قنا:

قالوا نقلت إلى قنا يا مرحباً بقنا وإسنا

وسارَ إليه ذو حقٍ ضعيفٌ
وذو جاهٍ يجيءُ فلا نراهُ
ولم يتملقِ الحكامَ يوماً
وليسَ إلى النفاقِ يجرُّ ساقاً
فلم يُغمضْ عنِ الإنصافِ جفنا
يُقيمُ لجاهِهِ في الحقِّ وزنا
ولا بالحمدِ سبَّحَ أو تغنَّى
لدى أحدٍ ليدركَ ما تمنى

* . * . * . * . *

تأملات في الأدب والفن والحياة



الشاعر والفكرة(*)

طالَ في اليأسِ والرجاءِ ارتقابي
بُتُّ من لهفتي إليك أسيراً
يسبحُ الفكرُ في سماءِ خيالي
ها هو الكونُ قد غفا في هناء
قد قطعْتُ المساءَ وحدي.. إلّا
يا ابنة العقل، أنت شرُّ دلالاً
أنتِ أسهدتِ في هوائِك عيوناً
كم تمنعتِ عن موافاةِ فكرٍ
وتباعدتِ عن لقاءِ خيالي
كم تلوحينَ بعدَ طولِ عناءٍ
ثم يُضني العقولَ منكِ اختفاءً
فأذني باللقاءِ لم يبقَ مني

يا عروسَ المنى ووحىِ الشبابِ
لشقاءين: لوعتي واكتسابي
كشريدٍ يهيمُ بينَ الشعابِ
بينما السُّهدُ قد أقام بيابي
من صديقين: مرقمي^(١) وكتابي
من بناتِ الهوى ذواتِ الخضابِ
ما بدا سُهدُها لعشِقِ الكعابِ^(٢)
راحَ يدعوكِ فوق شطِّ العبابِ
جدُّ في البحثِ عنك بين الروابي
كشعاعِ بدا خلالِ الضبابِ
مثلما يختفي وميضُ السرابِ
غيرُ روحٍ بكأسِ فكري مُذابِ

* . * . * . * . *

(*) نشرت بجريدة «الزمان» في ١٠ يولييه - تموز - ١٩٥٢ .

(١) المرقم : القلم .

(٢) الكعاب : هي الفتاة التي كبرت حتى بدا ثدياها .

همسة الليل (*)

إلى ربوة البشر يا سامرُ
ترف علينا المنى بينما
وقد لبس الكون ثوبَ الظلا
نحسُّ هناك جمال الحياة
وننفخ في الناي لحن الهناء
ويمضي بنا الليل في نشوة
فتغبطنا في السماء النجومُ
وينسى فؤادي ما قد جنا
متى نشر الليل بُردَ الدجى
فللقلب من بعده أنة
وكم من شقاء لنا في الغرا
شكوت له ما جتته العيو
وما أورق الحب بعد الذبو
إلى ربوة البشر طال الحني
لعل السقيم ينال الشفاء

فقد ضاق بالوحدة الشاعرُ
يطوف بنا الأمل العاطرُ
مِ وآوى إلى وكره الطائرُ
ويكشف عن سرها الخاطرُ
فيسكرنا النغم الساحرُ
ولم يسقنا خمرة العاصرُ
ويحسدنا القمر الساهرُ
ه عليه حبيب له هاجرُ
يؤرقني طيفه الزائرُ
وبالروح شوق له ثائرُ
مِ ومبعثه القلب والناظرُ
ن فما رحم الجؤذر النافرُ
لِ ولا عاد عهد لنا ناضرُ
ن وطال بي الألم القاهرُ
ويلقى بها الراحة الحائرُ

* . * . * . * . *

(*) نظمت في ٣١ يولييه - تموز - ١٩٥٢ .
هذه القصيدة من النسخة التي نشرها (الأستاذ حته).

آهة شريدة(*)

شَفَّنِي غَائِلِ السَّقْمِ ومضى بي إلى العدم
 فدعِ اللومَ عاذلي في هوى الحبِّ لا تلمُ
 ما عشقتُ ابنةَ الهوى ربةَ الوردِ والعنم^(١)
 ضِقتُ بالغيدِ إنني همتُ بالكتبِ والقلمِ
 طافَ بي في ربوعها عبقرِيٌّ من النَّعمِ
 يبعثُ السحرَ حالماً في بليغِ من الكَلِمِ
 آهٍ للبايسِ الأديبِ قد أحاطتْ بهِ الظلمُ
 يجرعُ الكأسَ مُرَّةً في صباً أشبهَ الهرمُ
 كم يلاقي من الأسي ويُعاني من الألمِ
 وَرَدَ الماءَ علقماً وسقى غيرهَ الدَّيمِ^(٢)
 فليعشْ كلُّ كائِنٍ في رغيدي من النَّعمِ
 حسبُهُ في حياتِهِ أنه طاهرُ الشيمِ
 صادقِ الحسِ ملهمُ ثابتُ العزمِ والهيمِ

* . * . * . * . *

(*) نشرت بجريدة «الزمان» أول يناير - كانون الثاني - ١٩٥٣ .
 وهذه القطعة لم أعثر عليها في الدواوين المخطوطة وقد أخذتها من الديوان الذي
 نشره (محمد كامل حته).

(١) العنم نبات له ثمرة حمراء، يشبه بها البنان المخضوب.
 (٢) الديم : جمع ديمة : وهو المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق.

الحياة(*)

الجرحُ في الأعماقِ غائرُ
وفؤادك المكلومُ يخفقُ
لا تقضِ حزنًا إنها
قدرُ يسيرهُ الإلهُ
هذي الحياة.. فهل بدا
تمضي بنا والأُمَّها
عيشُ الفتى فيها خيا
وأرى بها صوتَ النوا
وغنيها مثلُ الفقيرِ
كلُّ إلى جوفِ الترابِ
ذاقَ الأوائلِ مُرها
كمُ حاملٍ تاجِ الممالكِ
كانتُ تدقُّ لدى الغدوِ

والدمعُ في الأماقِ ساهرٌ^(١)
في الدُّجى كجناحِ طائرُ
كأسٌ تدورُ بها المقاديرُ^(٢)
على بني الإنسانِ دائرُ
لشقاؤها يا صاحِ آخرُ
تُ يلدنَ سكانَ المقابرُ
لُ مرٌّ في ليلٍ بخاطرُ
دبٍ مثلِ دقاتِ المزاهرِ^(٣)
توحدتُ لهما المصائرُ
إلى ظلامِ القبرِ سائرُ
ولسوفَ يعرفهُ الأواخرُ
واسعِ الجبروتِ قاهرُ
وفي الرِّواحِ لهُ البشائرُ

(*) يوليو - حزيران - ١٩٥٤.

(١) الأماق : جمع مؤق وهو مجمع الدمع في العين.

(٢) لا تقض : أي لا تقتل نفسك حزنًا، المقادير : أصلها : المقادير.

(٣) هذا البيت مأخوذ من قصيدة المعري التي مطلعها:

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد
والبيت هو:

وشبيهه صوت النعبي إذا قيس بصوت البشير في كل ناد

ناهٍ إذا طلعَ النَّهار
وثبَ المنونُ عليهِ مقـ
فإذا بهِ بينَ الثرى
وإن تراءى الليلُ أمرٌ^(١)
هوراً وليسَ لديهِ ناصر
يحثو الترابَ عليهِ حائر

* . * . * . * . *

وفتاةٍ خدرٍ ليسَ ير
لو أبصرَ الناسُ الجمال
سبحانَ من خَلقَ العيون
عاشت مُمنَّعةً بسيد
حتى إذا عبثَ الزمان
ومضى بهمُ صرفُ اليا
برزتُ مُحطمةَ الفؤاد
والدهرُ أقسى ما تبدَّ
ونحوها طَرَفٌ لناظر
بها لقالوا سحرَ ساحر
وشقَّ هاتيكَ المحاجر
فِ الأهلِ في ظلِّ العشائر
بقومها الغرِّ الأكابر
لي تاركاً أختَ الجأذُر^(٢)
كسيرةً والوجهُ سار
ي لاطماً خدَّ الحرائر

* . * . * . * . *

فإلى متى يمضي الزمان
ما أنتَ في هذي الحيا
فاعملْ على كسبِ المثو
والمرءُ فإنِ ليسَ يبـ
وأنتَ في الأثامِ سادر؟
ةِ سوى قليلِ الخلدِ عابر
بِةِ إنها زأدُ المسافر
قى خالداً إلا المآثرُ

* . * . * . * . *

الكلُّ حولك يذهبو
أينَ الذينَ عرفتهم
نَ وبالمنيةِ أنتَ شاعر
ملءَ المجامعِ والمحاضر

(١) ناهٍ . . وأصر: أي صاحب ملك وشأن يأمر وينهي فيطاع.
(٢) الجأذُر جمع جؤذُر وهو ولد البقرة الوحشية وهي كناية عن جمال الفتاة وجمال أخواتها.

ذَهَبَ الْأَحِبَّةُ وَانْقَضَى
 خَلَّتِ الْمَنَازِلُ بَعْدَهُمْ
 لَمْ تَبْقَ إِلَّا لَهْفَةٌ
 وَكَأَنَّهُمْ مَا أَسْعَدُوكَ
 وَكَأَنَّ سَالِفَ عَيْشِهِمْ
 تَرَكَوكَ مُضْطَرِمَ الْجَوَا
 قَدْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِمْ
 أَيَّامَ تَكْبُوفِ الْمَسِيرِ
 وَلَطَالَمَا صَعَدَ الْجَهْلُ
 وَجَزَعَتْ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ
 فِيمَ الْبِكَاءِ وَإِنْ مَضُوا

* . * . * . * . *

وَالنَّاسُ مِنْهُمْ إِنْ طَلَبْتَ
 فَارِباً بِنَفْسِكَ أَنْ يَغُرَّ
 إِنَّ الَّذِي بَاعَ الْوُدَّادَ
 كَمْ طَاهِرٍ فِي ثَوْبِهِ
 يَبْدِي إِلَيْكَ مَوْدَةً
 وَعَلَيْكَ يُثْنِي حَاصِراً

* . * . * . * . *

وَأَوَاهِ مِنْ غَدْرِ الصَّدِيقِ
 فَإِذَا ظَفَرَتْ بِصَاحِبِ
 فَاحْرَضْ عَلَى كَنْزِ الْوَفَا

* . * . * . * . *

حول قيود اللغة(*)

[إلى الأستاذ يوسف السباعي]

أشعلت حرباً لم تضع أوزارها
تركث بكل صحيفة آثارا
وحملت حملتك الجريرة فأنبرت
أقلام من خاضوا وراءك نارها
ورميت أخت الضاد منك بطعنة
كادت تدك قوياً أسوارها
وخرجت للتجديد تحمل دعوة
أوحى لغيرك أن يخوض غمارها
جاءت فظاهرها التقدم بينما
أحفى البريق بجوفها أخطارها
وظللك تهتف بالتححرر زاعماً
أن التحرر قد يقيلاً عثارها^(١)

(*) ٢ أيار / مايو ١٩٥٥.

(١) العثار : من عثر بمعنى الزلة، يقيه من عثاره ينهضه من زلته

عجباً..! أتحيون التراثَ بقتلها
 وتقومونَ بهدمِها مُنهارها^(١)
 ورأيكُ قوماً يُرهقونَ عُيوبها
 طلباً وراحوا يطمسونَ نُضارها
 سفهتموها ظالمينَ وهكذا
 قد شاءَ أهلوها الغداةَ دمارها
 والبعضُ قامَ مُشمرّاً عن ساعدٍ
 يرمي بكلِّ عزيمةٍ أنصارها
 والأزهرُ المسكينَ يجرعُ ظلمكمُ
 وهو الذي قد ضمَّها فأجارها
 ما ضرَّ من مَلِكوا أعنةَ لفظها
 في درسِهم أن يَسبروا أغوارها
 كانوا وما زالوا عليها قامَةً
 أنلومُ في أن يدركوا أسوارها
 قلتُم تشعبتِ المسائلُ عندها
 وشكا الصغارُ فحطموا أحجارها
 لا تظلموا النشءَ الصغيرَ فإنهُ
 ما كان يوماً يكرهُ استظهارها
 أقسمتُ لم يشكُ الصغارُ وإنما
 قد ساءَ مزعومُ القيودِ كبارها

(١) إشارة إلى يوسف السباعي الذي كان يشغل رئيس المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، ومن مهماته إحياء التراث وتشجيع المواهب، فكيف يكون رئيس المجلس من المتهمين على اللغة والهادمين لها.

إن المذاهبَ في الشريعةِ جمّةٌ
والفلسفاتُ - كما ترى أطوارها
وكذا النُحاهُ تباينتُ آراؤهم
كلُّ أرادَ طريقةً وأختارها
رفقاً بعبارةِ القرونِ ورحمةً
أتريدُ منها أن تُفارقَ دارها
إنني أعيذكُ أن تكونَ إذا قضتُ
يوماً وواراها الثرى جَزارها

* . * . * . * . *

زفرة (١)

[.. فيها شجن، وتجلد، وفيها يكاد الشاعر يرثي نفسه
نظمت في ٢٧ / أغسطس / آب ١٩٥٥].

جمالِكِ يَبْهَرُ فَنَانُهُ وسحرك تقهر ألوانهُ
فلو أن دَيْرًا مررت به لما هجر الحُبَّ رهبانهُ
نظرتُ إلى شادنٍ كالدمى قد اهتزَّ من مشيةٍ بأنهُ
فساءلت نفسيَ في حيرةٍ: أقد هجر الرملَ غزلانهُ؟
تمشَى الهوى في دمي صارخاً وألهبت القلبَ نيرانهُ
وأيقظ فيه ضرامَ الحنين فتى الشباب وريعانهُ
ويغريك بالهجر ذاتَ الدلالِ خضوعُ الفؤاد وإذعانهُ
فرققاً بقلب صريع الأسي كفاه الزمان وعدوانهُ
ألم تعلمي أنه وإتري (٢) وما انفكَّ تنزل أحزانهُ
لبثتُ على ريبِهِ صابراً يُجَرِّعني المرَّ خذلانهُ
كتمتُ الشكَاةَ على أنها لراحةٍ قلبي وسلوانهُ
وإني تحملت ما لا يظا ق لنقتلَ ذا الحقد أضغانهُ
وأمسك عيني أن تدمعا وفي القلب قد ثار بركانهُ

(١) وفي المجموعة الأخيرة لم يكن إلا خمسة أبيات وهي الأبيات الأخيرة ابتداء من
[دفنت الأسي]. [المحقق].

(٢) واترى : من وتر الرجل، أي أفزعه، وأصابه بمكروه.

أقول له خشيةً الشامتين : تجلّد فللمجدِ أثمانه
وذو الجرح إن شاء إخفاءه ففي ساكب الدمع إعلانه
ويا هر مهلاً فلستُ الذي تلين لدى الخطب عيدانه
ورُبّ جوادٍ كبا في السباق ولم يُحرز سبق أقرانه
وأكثر ما أعتدي واثقاً بنفسي وللكرب طغيانه
وإني بها مؤمنٌ في الخطوب إذا غيري أنهارَ إيمانه
دفنت الأسي همّي حنايا الفؤاد فبرّح بالقلب كتمانه
وصيرتُ هيَ جارَ الضلو ع فضجت من النار جيرانه
حزنتُ على أملٍ باسم يكاد يُهدم بنيانه
على صادقٍ غردٍ أصبحت تصاغ من الشجو ألحانه
على قَبسٍ مُؤذِنٍ بالخمود وقد فاض بالنور وجدانه
ويُعرف قدر الكميِّ الأغر إذا ما خلا منه ميدانه
وإن الزمان كما تعلمين يموت ولم يُروَ ظمّانه
يلين فتُنسى إساءاته ويقسو فينكّر إحسانه
وقد علم الدهر أنّي الغداة على مذبح المجد قربانه
مقادير تجري بأحكامها وما ينفع العبد كفرانه

* . * . * . * . *

شعراء يبعثون في موكب التحرير

[نظمها الشاعر في ٩ ديسمبر كانون أول ١٩٥٨]

حسان بن ثابت

عهدٌ بجلق^(١) لا نُؤي^(٢) ولا دِمن^(٣)
مُدَّ طابَ لي في مغاني أهلها سكنُ
قالوا أتمو رُباً نجدٍ فقلتُ لهم
وهل طويلاً يَضُمُّ البلبَلُ الفَنُنُ
وما عَلَيَّ إذا ما صرتُ متَّخِذاً
أخاً من العُربِ لي من أرضه وطنُ
أليسَ تجمَعُنا في ظلِّها لغةٌ
أم، وتمضي بنا نحو المنى سَنُنُ^(٤)
وتزحُمُ الشمسُ في الأفاقِ معرفةً
مُضِيئةٌ تغمرُ الدنيا وتحتضنُ
أواصرُ الدمِ والقربى تُكْتَلِّنا
فلا تُمزِّقنا الأحداثُ والمحنُ
وكم يلوخُ لنا فوق السُّها^(٥) أملُ
وليسَ يُقعدنا عن نيلهِ وهنُ

(١) بجلق : دمشق أو غوطتها.

(٢) النؤى : حفر حول الخيام تقام عليها الأثافي وهي الأحجار التي توضع عليها قدور الطعام.

(٣) الدمن : جمع الدمنة، وهي آثار الدار.

(٤) السنن : الطريقة، القصد.

(٥) السُّها : كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم.

ماضي يطوفُ به التاريخُ في ألقي
 وحاضرٌ قد سقتُ أفنانه مهججٌ
 وسوف بيني الغد المنشود كل فتى
 ضاح^(١)، ويسجدُ إجلالاً له الزمنُ
 بيعتُ وليس لها إلا العُلا ثمنُ
 على الأخوة والميثاقِ يؤتمنُ

الخنساء

فقدتُ تجلدي وبكيثُ دهرا
 ومثلي إن بكث بكث المآقي
 ولي فيما تجيء به الليالي
 فكلُّ العُربِ لي أهلُّ كرامُ
 وقومي من لهم في كلِّ آنٍ
 ولا يجوزون أهلَ الخيرِ شراً
 رأيتُ سناً يطلُّ من الدِّياجي
 كأنني بالفتى العربيَّ يوماً
 وأدرك كلُّ ما نَصبو إليه
 وأمسك غمداً منصله بكفٌ
 وعشتُ أرددُ الأنفاسَ حرى
 وتشرُّ دمعا في البيدِ شعرا
 عزاءٌ يلهمُ المكلومَ صبِرا
 وكلُّ فتى أطلع فيه صخراً^(٢)
 أيادٍ تكسبُ الأيامَ فخرا
 وقد يجوزون أهلَ الشرِّ خيرا
 على آفاقهم ولمحتُ فجرا
 وقد عرفَ الطريقَ فسار حُرا
 وأحرزَ في مجالِ العزِّ نصرا
 ومدَّ إلى سماءِ المجدِ أخرى

الأعشى

طوى هريرةً ركبُ دونه البيدُ
 وبين أضلعهم من هجرها نبأ
 وفي المنازل عشاقُ معاميدُ^(٣)
 وملءُ أعينهم دمعٌ وتسهيذُ

(١) الألق الضاحي : الضوء الساطع، أو البارز.

(٢) صخر : أخو الخنساء الذي فقدته وعاشت تذكره وترثيه.

(٣) معاميد: هذه العشق أضاءه.

لا تذكروا لي عهداً للهوى سلفت
 وغنّيانى بأمجادٍ إذا ذكرتُ
 أمجادُ قوميّ، أمّا ذكرهم فنَدٍ^(٢)
 لا تُرفَعُ النارُ إلا في منازلهم
 حياتهم في الورى يومان: يوم ندى
 عاشوا على معزفِ التاريخِ أغنيةً
 هذي مآثرُ شعبٍ بالعلا كلفٍ^(٣)
 ولوفتىّ صاحٍ في أعلى الحجاز: أخي
 فالشيبُ للعاشقِ المفتونِ تقييدُ^(١)
 يُنسى لها الأطيّبان: الخمرُ والغيدُ
 عذبٌ، وأما تأخيهم فمحمودُ
 فيلتقي حولها الإقدامُ والجودُ
 ويومُ بأسٍ على الأعداءِ مشهودُ
 بكلِّ سمعٍ لها لحنٌ وترديدُ
 أجدادهُ سادةٌ، آباؤهُ صيدُ^(٤)
 إليّ هبّت من الشامِ الصناديدُ

* . * . * . * . *

(١) تقييد : تكذيب .

(٢) نَد : طيب ، كريم .

(٣) كلف : مولع ، عاشق .

(٤) صيد : جمع أصيد، وهو الذي لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً .

حوار

[خواطر نفسية أدارها الشاعر في حوار بينه وبين روحه وعينه وقلبه. يقول الشيخ مصطفى الرفاعي شقيق الشاعر: إنه نظمها في أواخر أيامه].

بعينيكِ ما أضْمَى الفؤادَ وما أصبى
وهجرُك ما أحسستُهُ في جوانحي
لياليٍّ من حولي فراغٌ ووحشةٌ
وكنْتُ مع الأيامِ أحياءَ مُغرِّدا
سوى هذهِ لَمْ ألقَ قبلكِ عادةً
وأوليتها زهراً نما في خواطري
لقتيكِ مجهولاً يعانقُ ناظري
ويا ليتَ أني ما أبحتكِ مهجتي
وحبُّك ما أغرى بيَ الأملَ الجدبا
لهيباً.. وما ألقاه في أضلعي كربا
وبيداءٍ من شوقٍ ضللتُ بها الصَّحبا
لغيرِ عروسِ الشعرِ لا أسلمَ اللُّبا
عصرتُ شبابي في مراشفها ذوبا
ومذخورَ تحنانٍ بعاطفتي شبا
فُرحْتُ إلى المجهولِ أقتحمُ الحجبا
وفرتُ^(١) هناءَ النفسِ لو أعلم الغيبا

* * * * *

وقلتُ لعيني يومَ غُصَّتْ بدمعها:
أما رقصتُ في وجهها منكِ نظرةً
وصورتِ لي من ذلكَ الحسنِ جنةً
أشكوى، وهذا ما أمرت به القلبا؟!
فكلفتني أمراً شقيتُ بهِ صعبا
فكانَ عذاباً ما وعدت به عذبا؟

(١) وفرت : صنت.

فقال: كلانا للجمالِ ضحيةُ
مشى القلبُ في دربِ الهوى فصحبته
ولكنْ جنى غيري فحملتني الذنبا
وما كنتُ إلا النورَ يكتنفُ الدربا
وإن شئتُ أنْ تلقى دليلَ براءتي
فقمْ وأسألِ الأعمى ألا يعرفُ الحبا

* . * . * . *

الشعر والحياة^(١)

في ربوعِ ظلّالها فتانهُ
صادحُ الطيرِ في رُباها تُغني
وجرى الماءُ بالحياةِ نماءً
ونسيمٌ مؤرُخٌ قد تهادى
بينَ تلكِ الرُّبا وهذي المغاني
قد عرفتُ الوجودَ طفلاً بريئاً
ورأيتُ الدُّنا بعيني صبي
يتبعُ الرفقةَ الصغارِ للهوِ
ويجِدُون في اصطِبادِ فراشِ
ولكُم عربدوا بضقةِ نهرِ
وعلى الشاطيءِ المقابلِ راعِ
وإذا ضمَّه من التوتِ ظلُّ
لستُ أنسى انطلاقهم في الليالي
أزعجوا النائمينَ بالدربِ لهواً
ويَفرُّونَ في قرارِ خفي
ذكرياتٌ تلوحُ للعينِ خطأً

ييسُطُ السحرُ فوقها ألوانه
وَشدا للخميلةِ الفينانه
طرزُ العُشبِ والنَّدَى غدرانه
في مُجونِ يُداعِبُ السنديانه
والرؤى والمفاتنِ العريانه
حظُّه منه أن يمصرَ بنانه
لَمْ يكنْ بعدُ حاملاً أحزانه
قد أعدوا في بيدرِ ميدانه
طافَ بالحقلِ مُسرِعاً طيرانه
وتحدّى سبّاحهم خلجانه
ساقُ للعشبِ فوقهُ قُطعانه
داعِبَ النايِ مُرسلاً أحنانه
يومَ أدنى السرورِ منهم دِنانه
صارخاً شقَّ للفضاءِ عَنانه
حينَ يأتي الخفيرُ بالخيزرانه
مِنَ سنى أوَهَنَ الأسي لمعانه

(١) نشرت بعنوان «صور وذكريات» في الديوان الذي طبع باسم الشاعر (ولعلها قيلت سنة ١٩٥٩). [المحقق].

أبعدَ الدهرُ عهدَها وفؤادي
ووعى الريفُ صورةً من حياتِ
أمسياتٍ من الضياءِ وليلِ
ساهرٍ عندهُ تجمَعُ قومي
في خشوعٍ لا يسمعُ المرءُ منهم
الشموعُ التي بأيدي صغارِ
والأساطيرُ عن حُروبِ رواها
وطبوتُ السحورِ في هدأةِ الليلِ
والتراويحُ تحتَ خفقِ شعاعِ
والتساييحُ كلُّ مطلعِ فجرِ
وديبُ الشيوخِ نحو المصلَى
صورةً تملأُ الغداةَ خيالي

لَمْ يزلُ خالطاً بها خَفَقانَه
برّةِ عشتُها، وسلِّ رمضانَه
رفً في جُنحِه الإخاءِ وزانَه
حولَ شيخٍ مرتلٍ قرآنَه^(١)
غيرَ همسٍ: سُبْحانَهُ سُبْحانَه
أسعدتَهُمْ دُموعُها الهُتانَه
شاعرٌ في النديِ أعلوا مكانَه^(٢)
لِ بِفطريِّ جرسها رنانَه
لقناديلَ تشتكي الاستكانَه
قبلَ أنْ يُعلنَ الإمامُ أذانَه
أملوا عندَ ربِّهم غفرانَه
حينَ أطلقتُ للخيالِ عنانَه

* . * . * . * . *

وتقضى الصبا ومرت ليلِ
سارَ بالصَّبِيبةِ الزمانُ ووالى
فإذا الإنطلاقُ سجنُ كفاحِ
أسلمتَهُم حياتهم لشبابِ
من حينٍ في صوتِ ورقاءِ تشدو
كلُّما جاءهم ربيعٌ جديدٌ
وعن الفجرِ حينَ يبدو كبيراً

حالياتٍ يبشرها مُزدانَه
بأسأه وخيره دَورانَه
أحكمَ الدهرُ حولَهُم قضبانَه
قد قضاوا في نضالِهِم ريعانَه
عرفوا الحبَّ واجتلتوا تحنانَه^(٣)
يشهدُ الزَّهْرُ والهوى مَهرجانه
ناشراً من وضاءِ طيلسانَه^(٤)

(١) الساهر : مكان السهر.

(٢) الندي : مكان اجتماع القوم للسمر أو مناقشة الأمور.

(٣) نشرت في الديوان السابق «واجتنوا» والأصل كما ورد هنا.

(٤) الطيلسان : الأعجمي ويقصد به البياض والضوء.

عَرَفُوا لَذَّةَ أَزْدَهَارِ الْأَمَانِي
 وَتَجِيشِ النَّفُوسِ بِالْأَمَلِ الـ
 الْأَيْنِ الْمَكْتُومِ فِي صَدْرِ كَهْلٍ
 فِي سَبِيلِ الْبَقَاءِ يَفْنَى وَيَشْقَى
 بِذِرَاعٍ مَعْرُوقَةٍ أَثْقَلَتْهَا
 يَتَوَلَّى زُرُوعَهُ كَصَغَارِ
 لِلثَّرَى عَاشَ ثُمَّ فِي ذَاتِ يَوْمٍ

* . * . * . * . *

لَوْحَةً لَا تَزَالُ تَنْبُضُ بِالرَّيِّ
 تَدْفَعُ الْمَرَّةَ لِلْكَفَّاحِ مَرِيرًا
 وَلَكُمْ أَضْرَمَتْ شَعُورَ أَدِيبٍ
 مَلَأَتْ صَدْرَهُ أَحَاسِيسُ شَتَّى
 وَسَمِعْنَا الْقَرِيضَ مِنْ فَمِ شَادٍ
 فَجَرَى كَالسَّهُولِ صَفْوًا أَوْ كَالزِّ
 لَفْظُهُ فِي صَلَابَةِ الْأَرْضِ نَسْجًا
 أَيُّهَا الْهَاتِفُونَ بِالشَّعْرِ حُرًّا
 قَدْ أَتَيْتُمْ لَهُ بِنَهْجٍ غَرِيبٍ
 وَهَجَرْتُمْ تَوَافِيهِ الْمَتَنَّبِيِّ
 وَتَشَدَّقْتُمْ بِزُخْرِفِ قَوْلٍ
 ثُمَّ قُلْتُمْ مِنَ الْحَيَاةِ كَلَامًا

فِ صِرَاعًا وَعِزَّةً وَأَمَانَهُ
 وَتَقَوَّى بِنَفْسِهِ إِيْمَانَهُ
 عَاشَ فِيهَا وَأَلْهَبَتْ وَجْدَانَهُ
 صَبَغَتْ بِالْأَسَى الْعَمِيقِ بَيَانَهُ
 أَنْطَقَتْ بِالْجَمِيلِ مِنْهُ لِسَانَهُ
 رَعِ نَمَاءً وَكَالطُّبَّاعِ رِزَانَهُ
 وَالْمَعَانِي فِي رُقَّةِ الْأَقْحَوَانِهِ (١)
 وَلَكُمْ دَعْوَةٌ بِهِ طَنَانَهُ
 يَعْرِضُ الْيَوْمَ بَيْنَكُمْ سُلْطَانَهُ
 وَأَبْتَمْتُمْ بِعِلْمِكُمْ نَقْصَانَهُ
 عَنِ مَفَاهِيمِ نَمَّقَتِهَا الرُّطَانَةُ (٢)
 وَمِنَ الْوَاقِعِ اسْتَمَدَّ كِيَانَهُ

(١) اللبانة : الحاجة .

(٢) الأقحوان : البابونج وهو نبت طيب الريح حوالية ورق أبيض ووسطه أصفر،
 والجمع أقاحي وأقاح .

(٣) الرطانة : بفتح الراء وكسرهما: الكلام بالأعجمية .

ليس شعراً وإنما هو شيءٌ
 ذهبَتْ عنه روعةٌ لِلْحَوْنِ
 وخالٍ من أصالةٍ وجمالٍ
 إنه أبصرَ الحياةَ سقيماً
 أيعيشُ الوليدُ والداءُ يمشي
 إنما الشعرُ ما تدفقَ عذباً
 أسمعونا إذا استَطَعْتُمْ قريضاً
 فإذا شقتَ القيودُ عليكم
 إنني ما رأيت في الروض يوماً
 فوقه الشعرُ رتبةً ومكانه
 يرهفُ الدهرُ عندها آذانه^(١)
 بهما أظهرَ الزمانُ افتتانه
 حاملاً في يمينه أكانه
 بينَ جنبيه ناشراً سلطانه
 في بناءٍ فأحكموا بُنيانه
 لا خيالاتٍ جالسٍ في حانه
 فدعوه لمن يصوغُ جُمانه^(٢)
 ما، غراباً مزاحماً كروانه^(٣)
 * . * . *

أمنَ الفنِّ أن يُساقَ كلامٌ
 طالِعوا النورَ في تراثِ القدامى
 سجلوا الواقعَ المُرادَ ولكنْ
 رسموا صورةَ الحياةِ لديهم
 لا أنادي بأنْ تحاكوا زهيراً
 راحَ عهدُ الوقوفِ بالطللِ البَا
 ساذجٌ باسمِ نهضةٍ شيطانه؟
 وانظروا كيفَ أبدعوا تيجانه
 جعلوا الفنَّ عالياً ترجمانه
 في جلاءٍ بريشةٍ فتَّانه^(٤)
 فيه أو أن تقلدوا حسانه^(٥)
 كي فلا تذكروا به سُكَّانه

(١) اللحن الخطأ في الإعراب.

(٢) الجمانة : حبة تعمل من الفضة كالدرة.

(٣) الكروان : طائر ، قيل هو الحباري له صوت جميل.

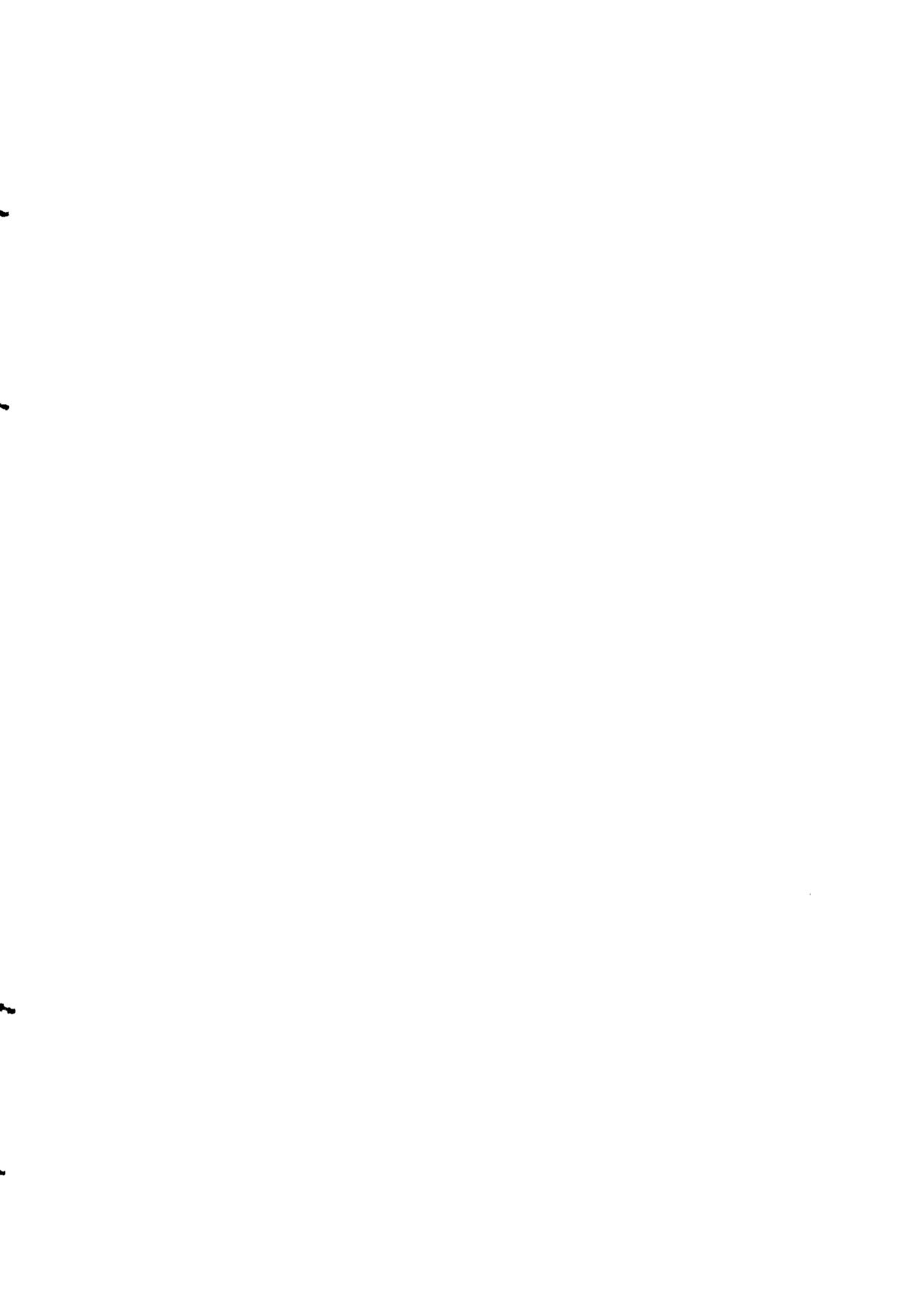
(٤) هذا البيت والأبيات الثلاثة التي سبقته لم أجدها في الأصل ، وإنما وجدت سهماً في موضعها وكأنه يشير إلى وجود أبيات في موضعها ولا أدري أين وجدها ناشر الديوان الأستاذ حته .

(٥) زهير بن أبي سلمى من شعراء المعلقات في الجاهلية : عرف بحكمه وعنايته الشديدة لشعره .

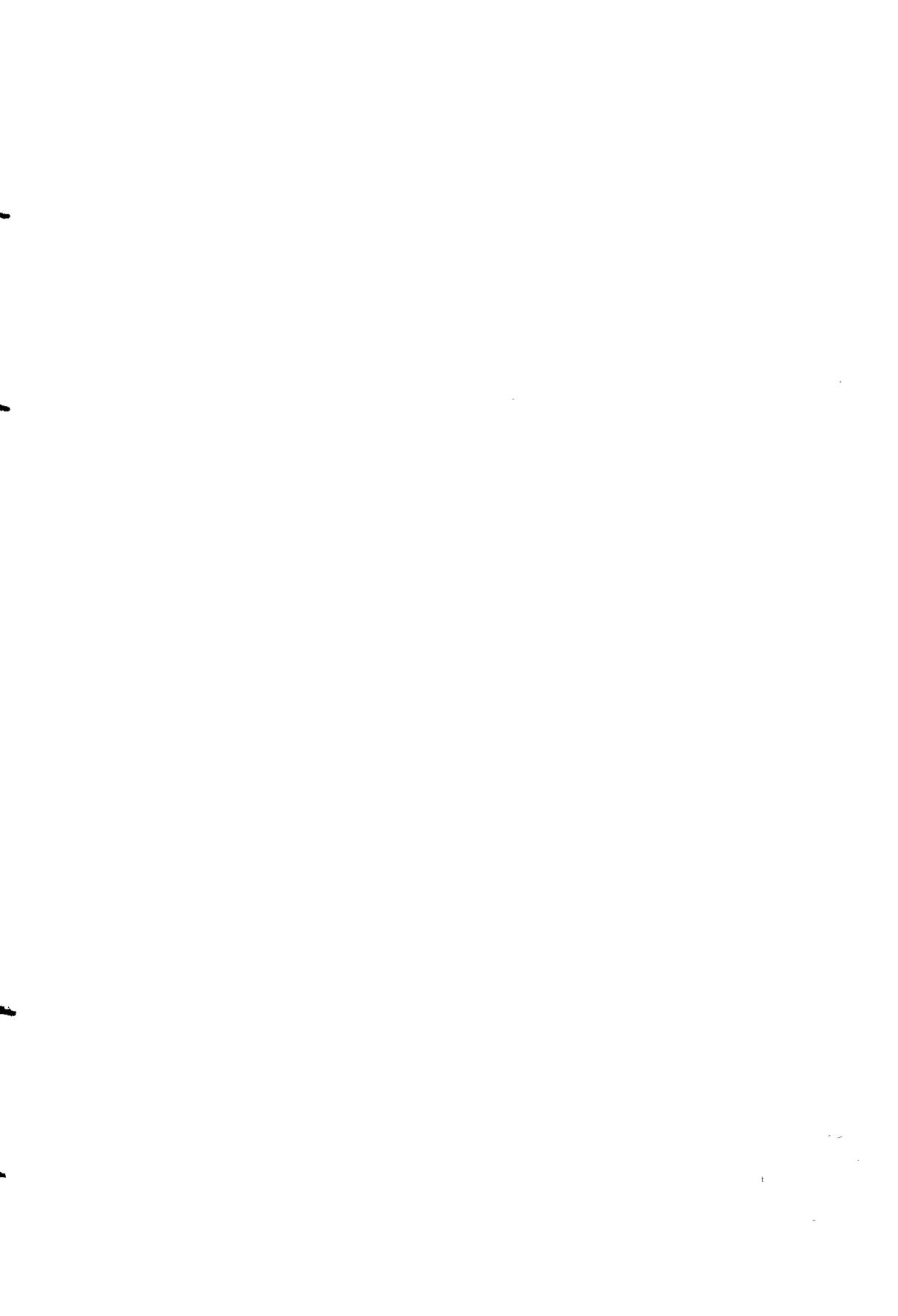
حسان بن ثابت : شاعر الرسول - ﷺ - من الأنصار ، له شعر في الجاهلية والإسلام ، عاش طويلاً .

جَدُّوْا مَا اسْتَعْتُمْ فِي الْمَعَانِي
لَيْسَتْ الْفِكْرَةُ الْجَدِيدَةُ تَأْبَى
أَلْبَسُوهَا مِنَ الْقَوَافِي خُلُوداً
لَا تَحِيْطُوا تَرَائِنَا بِلَهِيْبٍ
كُلَّ نَهْجٍ أَتَى لَيْسَتْ عَجْزاً
رَبِّ إِنْ عَلَى الْقَدِيْمِ مُقِيْمٌ
وَقِفُوا لَا تُحْطَمُوا أَوْزَانَهُ
عُرْضَهَا فِي جِزَالَةٍ وَرِصَانَةٍ
وَمِنَ الْوِزْنِ قُوَّةٌ وَمِتَانَهُ
فِي غَدِّ تَكْرَهُ الْعِيُونَ دِخَانَهُ
تَتَّقِيهِ وَتَزْدْرِي بُهْتَانَهُ
وَأَعِدُّ الْخِلَاصَ مِنْهُ خِيَانَهُ

* . * . * . *



العاطفة والمرأة



آلام عاشق(*)

[إلى التي شغلت قلبي البكر وأشعلت فيه جحيماً لا يطاق]

قفا حدّثاني هل أصابكما وجدٌ وهل أسهدت في الحبّ عينكما هند^(١)
 وهل دُقتما نارَ الهوى ولهيته كما ذاقها صبّ أضرّ به السُّهدُ
 فإن لم تكونا تعرفان من الهوى سوى لفظه، بشرى فذاك هو السعد^(٢)
 فإن الهوى داءٌ إذا ملك الفتى أمسى وأضحى وما من قتله بدُّ
 خليلي رفقا لا تلوما فإنني جُننتُ بها حبّاً وأهلكني الصّدُّ
 أبيت بليل لا أذوق منامه وأصحو فلا أدري إلى أيّها القصد^(٣)
 إذا مرّت النسماتُ خلّت عواصفاً وإن غرّد العصفورُ أحسبه الرعدُ
 مصيري وربّي مثل قيس بن عامرٍ لمّا نأت ليلاهُ أهلكهُ البعدُ
 سأقتل نفسي إن أبث هي وصلها وإن هي جادت كان عيشي إذ أرغدُ
 وما للفتى ذنبٌ إذا هزه الهوى وأضناه من يهوى وأرهقه الوجدُ
 سلامٌ على قلبي إذا طال هجرها سيفني ويمضي حيثُ يجمعنا اللحدُ

(*) أثبتت هذه القصيدة لتكون نموذجاً من شعره المبكر. يوضح تطور الشاعر ونبوء عن مواهبه المبكرة.

(١) في نسيم السحر «وهل شغلت قلبيكما» دعد أم هند.

(٢) البيتان الثالث والرابع غير موجودين في مجموعة آهات شريدة.

(٣) هذا البيت وإلى ما قبل الأخير غير موجودة في مجموعة آهات شريدة.

٢٢ يناير - كانون ثاني - ١٩٤٩.

غزل (*)

يا إله الحبِّ رفقاً قد وهى خيطي ورَقاً
وسمْتُ السُّهد ليلاً إنني بالسُّهدِ أشقى
فسلامٌ من جريحٍ قد قضى الأيامَ عشقا

* . * . * . *

يا إله الحبِّ رفقاً هدَّني سكبُ الدموعِ
وسمْتُ السُّهد ليلاً والجوي بين الضلوعِ
فسلامٌ من جريحٍ لم يذُقْ طعمَ الهجوعِ

* . * . * . *

يا إله الحبِّ رفقاً متُّ هجراناً وصَدّاً
وسمْتُ السُّهد ليلاً والبكا حياً ووجداً
فسلامٌ من جريحٍ عاهد الأحرانَ عهداً

في غرامي كم أعاني!

إن سهدي قد براني!

لم ينل غير الهوان!

يا إله الحبِّ رفقاً قد وهى خيطي ورَقاً^(١)

* . * . * . *

(*) ٢٨ أغسطس - آب ١٩٤٩ .

(١) بعد كل مقطع مما يأتي تعاد المقاطع الثلاثة السابقة .

إنني قد عيلَ صبري
والنسيمُ الرطبُ يسري
قد ذوى جداً لعمرى

*

يا إله الحب رفقاً قد وهى خيطي ورقاً

* . * . * . *

إن غصني جفَّ زهره
والندى ينهلُ قطره
في غدٍ يحفرُ قبره

يا إله الحب رفقاً قد وهى خيطي ورقاً

* . * . * . *

يا إله الحب إنا قد بُلينا فاصطبرنا
وبنارِ الحب بتنا في الهوى والقلبِ مُضنى
فارو للعشاق عناً وترحمَ إن قبرنا
يا إله الحب رفقاً قد وهى خيطي ورقاً
وسمئت السهد ليلاً إنني بالسهد أشقى
فسلام من جريح قد قضى الأيام عشقا

* . * . * . *

لوعة وشجن (*)

[ذكرى ليال من عهد الصبا]

لا تهجريه بحق من أولاك
وأراه قد ملك الغرام زمامه
أفلا رحمت من الهوى وسعيه
صَبَّ أَصَابَ فَوَادَه سَهْمُ الهوى
ذاق الهوان، وما برحت خياله
عَرَفَ السبِيلَ إِلَى البكاء ولم يكن
بَرَحْتِهِ وَجَدًا، فبات مُسَهَّدًا
ويبوح بالسِرِّ الدفين لأنجم
يا دُرَّةَ السحرِ الحلالِ وتاجه
ماذا جنى حتى أراك تركته
طولُ القطيعة ليس في شرع الهوى
عَرَشَ الجمال، فإنه يهواك^(١)
ما عادَ يرغبُ في الحياة سواك
مَنْ بات من فرط الصبابة باكي^(٢)
فهوى وجفَّ الغصن من مُضناك^(٣)
وبكى الدموع دماً ولن ينساک
يدرِي السبيل إلى البكا لولاك
يشكو الوجيعَةَ للذي أنشاك^(٤)
باتت لكربته بجفنٍ باكٍ
رفقاً كفاك ما جفوت كفاك
ظمان في دنيا الهوى للقاك
يا من هجرت وطال حبل نواك^(٥)

(*) ٤ نوفمبر - تشرين الثاني ١٩٤٩.

(١) أولاك : أعطاك وأمرک.

(٢) الصبابة : شدة الشوق والحب. وكان يجب أن يقول باكياً.

(٣) مضمي : من الضنى وهو المرض.

(٤) أنشاك: من أنشاك خفف، والمعنى للذي خلقك.

(٥) النوى : البعد.

ما بال باب الودِّ قد أوصدته
أرضيت أن يُقضى عليه مُتيمماً
لئلى: رَميت من العيون بأسهم
فمضى وأدرّكه الذبولُ مبكراً
ضناً به وفتحتِ بابَ جفائك^(١)
لم يرتشف يوماً كؤوسَ رضاك
وجعلت من قلب الفتى مرمالك
ما كان ضرّك لو رحمت فتاك^(٢)

* . * . * . * . *

(١) الضنن : من ضنَّ بمعنى بخل.

(٢) من الملاحظ أن الشاعر يقلد أحمد شوقي في قصيدته المشهورة:
يا جارة الوادي طربي وعادني ما يشبه الأحلام من ذكراك
فلا يضير شاعرنا أن يقلد سابقه وهو في هذه السن المبكرة.

قلب ممزق(*)

لي في الهوى قلبٌ حزين
عَصَفَ الغرامُ بهِ كما
كُتِبَ الشَّقَاءُ له وَكَمْ
قد قاضَ وَجداً بينما
لا يشتكي أَلَمَ الهوى
قد باتَ يُدميه الأنيُنُ
عَصَفَتْ رِيحُ بالسفينُ
سعدتِ قلوبُ العاشقين
قلبُ الأحبَّةِ لا يلينُ^(١)
قلبي بشكوتِهِ ضنينُ^(٢)

* . * . * . * . *

(*) فبراير - شباط / ١٩٥٠ .

(١) زيادة في مجموعة «المنتخب من أشعاري» بينما بقية الأبيات في «آهات شريفة».

(٢) بشكوته : يريد الشاعر أن يقول بشكواه وخوفاً من الخروج عن الوزن خرج على قواعد النحو والصرف.

دمع وحب (*)

[سلام على الربيع السادس عشر . . . عهد الهناء وموطن الأحلام^(١)]

يا حبيبي قم فهذي ربوة الليل الأمين
عندها تاريخ حب خالد رغم السنين
كم محب قد رواها منه بالدمع السخين
ومحب في جماها ذاق شهد العاشقين

* . * . * . * . *

يا لها من ذكريات آه من عهد هوانا
كم كؤوس مترعات ها هنا الحب سقانا
فشرينا وطرينا وسخرنا من سوانا
لا نبالي بعذول أو رقيب قد رآنا

* . * . * . * . *

رب ليل يا حبيبي مر كالحلم الجميل
فيه سرنا ويميني لف بالخصر النحيل
للهوى نتلو نشيداً بين زهر ونخيل
يؤنس البدر علينا وحشة الليل الطويل

(*) ٥ يونيو - حزيران ١٩٥١ .

(١) أي كان ذلك بمناسبة بلوغه سن السادسة عشرة من عمره .

آه منها أمسياتٍ قد قضيناها سويًا
نحتسي للحبِّ خمراً يا لَكمْ كان شهياً
وقطفنا في هَناءِ للهوى ثَمراً جنياً
وهَفَنا أنْ تَأْنَى أيها الليل ملياً

* . * . * . * . *

أينَ حَبِّي وغرامي في ربا الروضِ النضيرِ
أينَ عِشقي وهيامي في حمى البدرِ المنيرِ
أينَ ضَحكي وابتسامي للهوى عند الغديرِ
كلُّها طيفٌ تلاشى في دجى الهجرِ المريرِ

* . * . * . * . *

أيها الدَّوحُ سلاماً لك من قلبِ كئيبِ
قد مضى كلُّ هَناءِ لم يَعدْ غيرِ النحيبِ
وانقضتْ حُلماً جميلاً لذَّةُ الماضي القريبِ
فحبيبي قد طوته ظُلمةُ القبرِ الرهيبِ

* . * . * . * . *

أنشودة عاشق (*)

ليالينا عندَ الخميّلةِ عودي فقد أذبلَ الهجرانُ ناصراً عودي
سقى الله عهداً قد قضيناهُ في الهوى وما بيننا من عاذلٍ وحسودِ
عشيّةٍ لا قلبي عن اللّهُو مُقصرٌ ولا سامعٌ في حبّها لوعيدِ
وما أنسَ لا أنسَ الخروجَ لدى الدّجى بها والحمى مستسلمٌ لهجودِ
فما الروضُ غشاهُ الربيعُ فزانهُ أريجُ زهورٍ أو تَضَوّعِ عودِ^(١)
بأجملَ من وادٍ يجمّعنا الهوى على دارسٍ من عشبهِ وجديدِ^(٢)

* . * . * . * . *

كعابُ يسرُ العينَ من حسنِ خطوها تأوّدُ أعطافٍ ولينُ قيودِ^(٣)
كأنَّ بياضَ الوجهِ والفرعُ حولهُ تبلّجُ بدرٍ في دجّنةِ بيدِ
تُريكُ بساءَ الوردِ في وجناتها وتبسّمُ عن مثلِ الأقاحِ نضيدِ^(٤)
تفوقُ المها في الحسنِ طرفاً أو مقلّةً وتحكي طبّاءَ القاعِ لفتةً جيدِ^(٥)
من اللّاءِ يُشقينَ الخليّ بنظرةٍ فيمسي بقلبٍ في الغرامِ عميدِ^(٦)

(*) فبراير - شباط - ١٩٥٣ .

هذه القصيدة في «آهات شريفة» فقط. [المحقق].

(١) الأرج والأريج : توهج ريح الطيب. تضوع : فاح.

(٢) العشب الدارس : العشب الذي عفا عليه الزمن.

(٣) الكعاب : الفتاة الذي برز ثدياها. التأود : التمايل.

(٤) أقاح : جمع أتحوان وهو نبات طيب له رائحة، النضيد : لمرتب والمنظّم.

(٥) المها : البقرة الوحشية. تحكي : تشبه. الطبّاء : أنثى الغزال.

(٦) الخليّ : الخالي من الحب والانشغال. العميد : المريض من لوعة الحب.

لَهُ مِنْ شَهِيدٍ رَاحَ إِثْرَ شَهِيدٍ
 وَزِينَةُ ذَاتِ الدَّلِّ صَدُوقٌ وَعُودٌ
 لَهَا لَوْلَوْ يَنْسَابُ فَوْقَ وَرُودٍ
 أَحَقَّأَ بِعَادِي عَنكَ غَيْرُ بَعِيدٍ!
 لَنَا فِي رَوَابِيهَا جَمِيلُ عَهُودٍ!
 أَسَارِعُ مِنْ وَجِدِ إِلَيْكَ شَدِيدٍ
 كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِالأَمْسِ مَرْتَعُ غِيدٍ
 أَطَلْتُ بِقَرِيبِي مِنْكَ فِيهِ قَعُودِي
 فَيَا رَبَّ يَوْمِ طَابَ فِيكَ وَرُودِي^(١)
 بِهِ ثَغْرُ بِيضَاءِ التَّرَائِبِ رُودِ^(٢)
 وَالأَمْنِ بِالنَّحْسِ بَعْدَ سُعُودِ
 وَليْسَ عَلَيَّ هَذَا الأَسَى بِحَمِيدِ
 وَمَاتَ عَلَيَّ ثَغْرِي الغَدَاةَ نَشِيدِي^(٣)
 وَلا لِأَسَىٍّ مِنْ هَدَاةٍ وَخُمُودِ

وَمِنْ عَجَبٍ فِي الجَفْنِ سُقْمٌ بَدَا وَكَمْ
 مُصَدِّقَةٌ لَا تُخَلِّفُ الوَعْدَ مَرَّةً
 وَمَوْقِفْنَا يَوْمَ الوَدَاعِ وَقَدْ بَدَا
 أَقُولُ لَهَا وَالقَلْبُ يَقَطُرُ حَسْرَةً:
 وَأَنْ لَسْتُ مَرْتَاداً عَلَيَّ النَهْرِ رَوْضَةً
 أَنْ جِئْتُ وَادِينَا مَشُوقاً عَشِيَّةً
 أَرَاهُ بَدَا مِنْ بَهْجَةِ الحُسْنِ مُقْفَرًا
 فَأَرْجِعُ مَكْلُومًا فَوَادِي وَطَالَمَا
 لِعَمْرِي لَثْنٌ أَبْعَدْتُ عَنْ مَنَهْلِ اللُّمَى
 وَيَا طَوَّلَ لَيْلٍ قَدْ سَقَانِي مِنَ المَنَى
 جَرَى الدَّهْرُ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 وَكَانَ حَمِيداً فِعْلُهُ فَإِذَا بِهِ
 فَصُوحَ أَزْهَارِي وَكَانَتْ نَدِيَّةً
 فَمَا لِفَوَادٍ بَعْدَهَا مِنْ مَسْرَةٍ

* . * . * . * . *

(١) اللّمي : سمرة في الشفة .

(٢) رود : أي تسير الهوني ، ببطء . الترائب : جمع تريبة وهي عظام الصدر (العنق) .

(٣) صوح : أي ذبل .

من أغنيات الربيع (*)

مَنْ مَعِينُ لِبَائِسِ مُوجِعِ الْقَلْبِ يَائِسِ
 يَشْتُكِي لَفْحَةَ الْهَوَى مِنْ ظِبَاءِ كَوَانِسِ^(١)
 قَدْ تَبَدُّينَ فِي الرَّبَى كَالدُّمَى وَالْعَرَائِسِ
 وَتَخَطَّرْنَ بَيْنَهَا نَاعِمَاتِ الْمَلَامِسِ
 آهٍ مِنْ مُقَلَّةِ الْمَهَا وَالْجَفْوَنِ النَّوَاعِسِ
 وَغَزَالٍ بِرُوضَةٍ نَاطِقِ الطَّرْفِ هَامِسِ
 قَلتَ لَمَّا رَأَيْتَهُ يَا ضِيَاءَ الْحَنَادِسِ^(٢)
 أَنْتِ فِي الْحَسَنِ مَفْرَدٌ لَا أَرَى مِنْ مُنَافِسِ
 هَلْ إِلَى الرَّومِ تَنْتَمِي أَمْ إِلَى أَرْضِ فَارِسِ
 ضَمْنَا الْحَبُّ فِي حَمِي مَرِحٍ مِنْهُ أَنْسِ
 فَادُّنْ مِنِّي عَلَى الرِّضَا يَا مَثِيرَ الْهَوَاجِسِ
 وَأَرْحَمِ الْقَلْبَ إِنَّهُ فِي الْهَوَى جَمْرٌ قَابِسِ
 فَرْنَا هَامِسًا: أَلَمْ تَمْشِ شَتْرَ الدَّسَائِسِ
 إِنَّنَا الْيَوْمَ غَرَضَةٌ لِرَقِيبٍ مُخَالِسِ

(*) نشرت في جريدة «الزمان» ٩ أبريل - نيسان - ١٩٥٣ [الشاعر]

هذه القصيدة وردت في «أهات شريفة» فقط (المحقق).

(١) الظباء الكوانس: أي التي تدخل في بيوتها حيث الشجر ليكتن فيه ويستتر.

(٢) الحنادس: جمع حندس وهو الظلام.

موعِدُ الحَبِّ فِي غَدٍ لَيْسَ عَهْدِي بِخَائِسِ
 فَتَدَانِيكَ هَاتِفًا لَا تَلِينُ لَلْوَسَاوِسِ
 إِنَّ هَذَا لِيَوْمُنَا رَغِمَ تِلْكَ المَعَاطِسِ (١)
 أَيُّهَا الدَّوْحُ كُنْ لَنَا فِي الهَوَى خَيْرَ حَارِسِ
 رَبِّ يَوْمٍ قَطَعْتُهُ فِي بَدِيعِ المَجَالِسِ
 سَاحِبًا بُرْدَةَ الصُّبَا بَيْنَ خُودٍ أَوْ أَنَسِ (٢)
 فَوْقَ عُشْبٍ مُطَرَّرٍ نِ رَطِيبٍ وَيَابِسِ
 لَمْ أَكُنْ مِثْلَ وَاقِفٍ بِالرُّسُومِ الدَّوَارِسِ
 فِي ظِلَامٍ مِنَ الأَسَى حَالِكِ اللُّونِ دَامِسِ
 رَاحَ يَبْكِي بِمَنْزَلٍ غَابِرِ العَهْدِ طَامِسِ

* . * . * . * . *

(١) المعاطس : جمع معطس وهو الأنف.

(٢) الخود : الشابة الناعمة.

غادة الريف (*)

بكرت إلى النهرِ الوديعِ الحالمِ كالزهرِ أَيْعَ بالربيعِ الباسمِ
ومشت إليه يزيئها بردُ الصبا تختالُ كالرشأرِ الريبِ الناعمِ (١)
بين الظباءِ الخودِ من أترابها تحكي تتابعهنِ عَقْدُ الناظمِ (٢)
المائساتِ لدى الشروقِ عواطفاً كالبانِ داعبهُ رقيقُ نسائمِ (٣)
المرسلاتِ على الغديرِ غدائراً الرانياتِ بمثلِ حدِ الصارمِ (٤)
من كلِّ فاتنةٍ يصونُ جمالها من أعينِ الحسادِ عَقْدُ تمايمِ (٥)
ما إن ترى منهنَّ أجملَ رِقَةٍ إذ رُعنَ فوقِ الماءِ سربَ حمائمِ

* . * . * . * . *

يا بنتِ ذا الريفِ الجميلِ لقد مضى عهدٌ ونحنُ على البعادِ القائمِ
ها قد أتيتكِ بعدِ نازحِ غربَةٍ فتهيأي للقاءِ صبِّ قادمِ

(*) أبريل - نيسان - ١٩٥٣ .

(١) الرشأ : الغزال . الريب : الصغير المدلل .

(٢) الظباء الخود : الطباء الناعمة الشابة . الأتراب : جمع ترب وهو المماثل في السن .

يحكي : يشبه .

(٣) المائسات : المائلات .

(٤) الغدائر : جمع غديرة وهي الذوايب .

الرانيات : من يرنو، الناظرات . الصارم : السيف .

(٥) تمايم : جمع تميمة، وهو ما يعلق في العنق أو الصدر لحماية صاحبه من الأذى

كما يعتقد الجهال .

هل تذكرين على الضفاف مجالساً
 أشكو إليك هوى وأشرح لوعةً
 ولربّ بدرٍ غاب ساطع نوره
 قسماً بمشبوب الغرام وإنه
 لم أخش يوماً في هواك وشايةً
 بنت الطبيعة إن أحبّ فؤادها
 مرّت علينا مثل حلم النائم
 وأبث أنات الحنين العارم
 فظللّت منك لدى ضياءٍ دائم
 للظى تأجج في الفؤاد الهائم^(١)
 أو خفت في لُقياك لومة لائم
 تلقّ الحبيب على عفافٍ سالم

* . * . * . * . *

(١) لا يجوز القسم بغير الله عز وجل لحديث رسول الله ﷺ «من كان حالفاً فليحلف بالله...» .

فتاة القرية (*)

رويذك أيتُّها السائره
أراك مررت بشطِّ الغدير
ومِن مائه امتلأت جرة
لِمَن ملؤك العذب إنَّ الفؤاد
حملت القراح لريِّ الظَّماءِ
على سندسِ الخضرِ النَّاضرِ
كما مرَّتِ النِّسمَةُ العاطرِ
رَجَعْتِ بها ظَبِيَّةً نافرِ
أحقُّ بريِّك يا هاجرِ
فَمَن مُطْفِئُ العُلَّةِ الثَّائرة^(١)

* . * . * . * . *

أحُبِّكَ رَغَمَ الأسيِّ والدلالِ
ويشهدُني النِّجْعُ في لوعةِ
ويغلبُني في هواكِ الحنينِ
وإنِّي لأرضى بهذا البَّعادِ
وما أنسَ لا أنسَ يومَ اللِّقاءِ
فما هيَ منكِ سوى نَظرةِ
وعدتُ أسيِّرَ عيونِ المهابةِ
عَشَقْتُكِ يا بنتَ مهدِ الجمالِ
فَحَسْبُ فؤادي ما ذاقهُ
وأهواكِ ناهيةً أمره
أغصُّ بعبرتي الساهرِ
فألثُّمُ أطيفاكِ الزَّائرِ
وأقنَعُ بالنَّظرةِ العابرهِ
بجانِبِ ساقيةِ دائرهِ
مِنَ العينِ في لفتةِ ساحرهِ
فواهاً لِمُقَلَّتِكَ القاهرِ!!
ولستُ أظنُّكِ بي شاعرِه
شقياً بِفِتْنَتِكَ السَّافرهِ

* . * . * . * . *

(*) مجلة النهضة الأزهرية العدد الرابع ديسمبر كانون الأول ١٩٥٤ .

(١) أي حملت الماء العذب البارد لتسقي العطاش ومن الذي يطفىء الشوق العارم .

في شم النسيم (*)

وغزالٍ بروضةٍ ناطق الطرفِ هامسٍ
 قُلْتُ لما رأيتُهُ يا ضياءَ الحنادسِ (١)
 أنتَ في الحُسينِ مُفردٌ لا أرى من مُناقسِ
 هلْ إلى الرومِ تنتمي أم إلى أرضِ فارسِ (٢)
 ضَمْنَا الحبُّ في حمى مَرْتَعٍ مِنْهُ آنسِ
 فادنُ مني على الرضى يا مثيرَ الهواجسِ
 وارحمِ القلبَ إنهُ فيا لهوى جمرُ قابسِ (٣)

* . * . *

فرنا هامساً: ألم تخشى شرَّ الدسائسِ
 إننا اليومَ عُرْضَةٌ لرقيبِ مُخالسِ
 موعِدُ الحبِّ في غدٍ ليسَ عهدي بخائسِ (٤)
 ومشى أفتديه من ساحرِ الدلِّ مائسِ (٥)
 فتدانيثُ هاتفاً لا تَلُنْ لِّلوساوسِ

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٤ . [المحقق].

(١) الحنادس : جمع حندس . وهو الظلام .

(٢) إشارة إلى جمال المرأة الذي يشبه جمال الروميات ذوات اللون الأبيض .

(٣) جمر قابس : جمر متقد يأخذ منه الناس النار .

(٤) خائس : متقض .

(٥) مائس : مائل .

إِنَّ هَذَا لِيَوْمُنَا رَغَمَ تِلْكَ الْمَعَاطِسِ (١)
رَبُّ يَوْمٍ قَطَعْتُهُ فِي بَدِيعِ الْمَجَالِسِ
سَاحِباً بَرْدَةَ الصَّبَا بَيْنَ خَوْدِ أَوْأَسِ (٢)
فَوْقَ عُشْبِ مُطْرَزٍ مِنْ رَطِيبِ وَيَاسِ
لَمْ أَكُنْ مِثْلَ وَاقِفٍ بِالرَّسُومِ الدَّوَارِسِ
فِي ظِلَامٍ مِنَ الْأَسَى حَالِكِ اللَّوْنِ دَامِسِ
رَاحَ يَبْكِي بِمَنْزَلٍ غَابِرِ الْعَهْدِ طَامِسِ

* . * . * . * . *

(١) المعاطس : الأنوف .

(٢) الخود : الشابة الناعمة .

فاتنة(*)

ملء عينيك دعوةً للنزال
لست أقوى عليهما لست أقوى
قد دعوتِ الفؤاد حتى تردى
بسمه الوجه في دجى الشعر تحكي
ويجفنيك فاتك من نصال
إنما أنت شعلة من جمال
فأبنتِ الدلال كلَّ الدلال
ذلك الثغر باهتصارك يغري
ومضة الفجر في ظلام الليالي
ذلك الصدر ملهّب للخيال
وأطل الردى فلست أبالي
في قوام متى احتواه ذراعي

* . * . * . * . *

(*) نظمت في ١٣ أبريل ١٩٥٥ .

راقصة(*)

وجفنٍ كغمَدِ السيفِ، لا بل كحدِّه
إذا سُلَّ أصمى^(١) العابد المتربِّها
وجسمٍ كطيفِ النورِ ينضحُ فتنةً
مشثٌ فيه نيرانُ الصِّبا فتلهَّبا
عليه مِنَ الوشي الرقيقِ غلانةً
أبانك لنا السحرَ الخفيَّ المُحجبا
وإنْ أنسَ لا أنساكِ ليلة جئتنا
يزينك بُرادن: الملاحه والصِّبا
وفاضَ فتونٌ من جبينٍ معصَّبٍ
فديتُ بعينيَّ الجبينَ المُعصبا
وقبَّلَ ذو الناي المخضب نايه
فأسمعنا لحناً شجياً وأطربا
هنالك أرسلتِ اليدين فكانتا
على فرعك^(٢) المنشورِ تاجاً مذهباً
وطافت بك الأنغام سكرى تأودت
فهزت لنا ردفاً ونهداً مُدرباً

(*) نظمت في يوليو ١٩٥٥ .

(١) أصمى : قتل .

(٢) الفرع : الشعر .

وكشفتِ عن ساقٍ وكسرتِ حاجباً
وثبتتِ أعطافاً ورّقصتِ منكبا
وملتِ فمالَ الكونِ بي وأحالني
خرجتُ منَ الإعياءِ أرجو المطببا

* . * . * . * . *

رماد فضيلة(*)

[قال الشاعر هذه القصيدة في بعض فتيات الجامعة]

لا تمدِّي لصيده أحبولة
إنه ههنا أخٌ وزميلٌ
نحن في منهل العلومِ ولسنا
فعلامَ الشفاءِ ترمي بنا
وفتاك الذي جلستِ إليه
تافَةً في الشبابِ، حينَ نراهُ
من يظنُّ المجونَ خفةَ ظلٍ
يطلقُ النكتةَ الخسيفةَ من فيهِ
مُظهِراً نفسه بمظهرٍ صنيديٍ لكي
تخلعي عليه البطولة
بينما أنتِ تجلسينَ بساقِ
ربما كنتِ تضحكينَ عليهِ
فليكنَ بيننا كشمشونَ عزمًا
أنتِ لا شكَّ حرةٌ وهو حرٌّ
إنَّ هذا الذي نرى رقصاتٌ
فإذا شئتِ أن تُرينا جمالاً

من تثن ومقلبة مكحولة (١)
أنتِ أختٌ له وأنتِ زميلة
في مباراة فتنة مصقولة
خلقت تحتها رماد الفضيلة (٢)
جلساتٍ قصيرةً وطويلة
لا نرى فيه ذرةً من رجولة
فهو يُيدي خلاعةً مرذولة
ويزجي العبارة المعسولة
فوق ساقِ نراهُ ينشرُ طوله
لا من النكتة العجوزِ الثقيلة
ولتكوني بين النساءِ دليله
غيرَ أنَّ الحياةَ ليس رذيلة
فوق قبر الكرامة المقتولة
حسبك النفسُ حين تبدو جميلة

(*) لعلها قيلت بعد سنة ١٩٥٧ [المحقق].

(١) الأحبولة : المصيدة.

(٢) إشارة إلى تزين الفتاة ووضع الأصباغ على الشفاء والوجه.

حين (*)

لسك أنساك وإن لم نلتق
ضم قلبين لنا قد خفقا
نضرب الماء بمجدافٍ له
راقصٍ ينساب، إن مال بنا
هامسٍ في سيره نسمعه
وبدا البحر عميقاً صامتاً
الرؤى من فوقه صداحة
تسخر الأمواج في عربدة

مذ تساقينا الهوى في زورق
وشراعاً قاتماً لم يخفق
كجناحي طائرٍ.. منطلقٍ
لاح في عينك ومض المشفق
ينبىء الوج بسرٍ مغلقٍ
كحنينٍ في فؤادي مورقٍ
بترانيم الخلود المشرق
من سكون الشاطئ المؤتلق

* . * . * . * . *

وقطعناه أصيلاً شيقاً
وأتى الليل على أعقابِهِ
ثم ودعت وفي قلبي أسي
ورثت لي الشمس في مغربها
وتداعت أضلعي واحترقت

قد تقضى في حديثٍ شيقٍ
هائماً ينشر ثوب الغسق^(١)
كالذي يصبغ وجه الأفق
بسنى من وجهها المغرورق
أمنياتي في لهيب الشفق

* . * . * . * . *

أترى الأيام أنستك لنا
فتعالني يا حياتي إننا

موثقاً... أحياء لهذا الموثق
لشقاءٍ بالهوى لم نخلق

(*) نظمها الشاعر في صيف عام ١٩٥٨.

(١) الغسق : أول ظلمة الليل.

كبرياء الحب (*)

المنى ملء قلبه لا الصَّباة
شاعرٌ يقطع الحياة انطلاقاً
يخدعُ الناسَ إن تغزَّل يوماً
ولقد يرسلُ النسيبَ رقيقاً
فتخالونه سقيماً مُعنى
وهو لم يُسلم العنان لأنتى
نفسه حرةٌ بها كبرياء
لم يكن دميةً بكفَّ فتاة

وهبَ المجدَ روحه وشبابه
والطموحُ الوثابُ يحدو ركابه
مبدعاً صورة الهوى وعذابه
نابضاً بالعواطفِ الوثابة
شفَّه الحبُّ طاغياً وأذابه
ذاتِ سحرٍ تُريه معنى الكآبة
تعصمُ القلبَ أن يُضيعَ صوابه
لا ولا عبدَ بسمه كذابة

* . * . * . * . *

(*) نظمت في يوليو تموز ١٩٥٨ .

بطولة حب

[ألقيت في مهرجان الشعر بدار العلوم في ١٦ نوفمبر تشرين ثاني

[١٩٥٨

تسائلُنِي: مَنِ الجاني على قلبي ووجداني
وَمَنْ مِثْلَ الذي أغفَ لَ عن قصدِ هوى الثاني
سلوتَ ولسْتُ من تُجـ زيكِ سُلواناً بسُلوان
وأصفيَتِ الهوى أخرى فقلُّها : لستَ تهواني

* . * . * . * . *

نسيكَ لقاءنا بالرو ضِ يومَ زرعته حُبّاً
وكنتَ تصبُّ في أذني حديثاً ساحراً عذاباً
وتهمسُ بالأمني البي ضِ شِعراً أيقظُ القلبِ
فرُحْتُ أعانقُ الأزها رَ والأنسامَ والعُشبا

* . * . * . * . *

وبعدَ هنياءِ قلبينا وقصة حُبِّنا النامي..
تلاشى عطفك المشبو بٌ، ضاعتُ كلُّ أحلامي
وماتتُ أغنياتُ تر توي من نبعِ إلهامي
وما طالعتني يوماً بغير قصيدِكِ الدامي

* . * . * . * . *

وعدت إذا التقينا لا
وتجلس شارد النظرا
يطل العطف من عيني
أجبنني.. أين ميثا
أنا يا غادتي الحسنات
ظلمت هواي لم أعشقت
ولو فكرت في هجري
وأبكيك الوجود معي

تجيب حنين أعماقي
ت في صمت وإطراق
ك ممزوجاً بإشفاق
فك؟ إني صنت ميثاقي
أطوي في الحشا جمرأ
سواك وليس لي أخرى
لعتت على سنا الذكرى
وقجرت الأسي شعرا

* . * . * . * . *

ولكنني رأيت القي
وأغلاً تلف يدي
وأفئدة تنادي الفج
فصغت - كما رأيت - الشع

د قد أدمي لي القدا
تعذبني، تسيل دما
ر ثم تعانق الظلما
ر ينضح لفظه ألماً

* . * . * . * . *

فإن لم تسمعي مني
ولم تجدي سوى أنا
فلا تجري وراء الوه
وكوني مثلما عود

نشيداً حالم الغزل
ت جرح غير مندمل
م وانتصري علي على الممل
تني مشبوبة الأمل

* . * . * . * . *

أيرضي الحب أن نحيا
أنبني عشنا في القي
فلا تهني إذن بالحب

على هون إلى الأبد^(١)
د كي يستعبدوا ولدي
بل شدي به عضدي^(٢)

(١) الهون : الذل ، والحقارة ، والخزي .

(٢) تهني : تضعفي .

طوت ظلماتهم أمسي وأرجو أن أضيء غدي

* . * . * . * . *

وعند تبليج الإصبا ح سوف نعود للروض^(١)
إذا انتصر السلام بنا على الشحناء والبغض
ولم نر بعضنا في قسوة يعدو على البعض
ويوم أحس أنني سـيّد حقاً على أرضي

** . * . * . *

فأنت ترين أني لم أرد شراً بإنسان
ولكن سطوت الباغي وأمالي وجرماني
جميعاً ألفت نغماً حزيناً ساد ألحاني
وليس الحب أن نرضى الهوان. فهل أنا الجاني؟^(٢)

* . * . * . * . *

(١) تبليج إشراق.

(٢) من الملاحظ أن الشاعر يشكو من الظلم والقهر، والخوف الذي ساد المجتمع وعبر
عن هذا بهذا الحوار الرقيق.

قصيدة غزل (*) (١)

قالت العينُ لي أجلُ
 أنتَ أحببتني ولمْ
 وتجاهلكُ عامداً
 لا تقولي: تدلُّ
 أنا في الناسِ مثلهمْ
 كمْ تمنيتُ أنْ أحدِ
 وبروحي وقد أتى
 وبوجدانِ شاعرٍ
 تلكَ آمالي التي
 أنا أرضى بمن لها
 حينَ لا يصبُحُ الغرا
 أو تجاريبَ عابثٍ
 أنتِ تلهينَ بالهوى
 كنتِ أستطيعُ أنْ
 وأصبُّ الخداعَ في
 ثم أطرقتُ في خجلُ
 أدعِ الحبَّ يَكتملُ
 لمْ أكنْ بالذي جهلُ
 وغرورُ من الرُّجلُ
 لي فؤادُ، ولي أملُ
 سسْ بقلبي قدِ اشتعلُ
 هيكلَ الحبِّ وابتهلُ
 يصطفي ملهمَ الغزلُ
 كنتُ أرجو ولم تُنلُ (١)
 سحرُ عينيكِ أو أقلُ
 مُ سبيلاً إلى الفشلُ
 يَدفعُ الضيقَ والمَللُ
 ومِن اللهُو ما قتلُ
 أمدُّ شباكاً من الحيلُ
 لفظةً تنضحُ العسلُ

(*) أُلقيت بنادي الطلبة الشرقيين يوم ٢٤ مارس / آذار ١٩٥٩ .

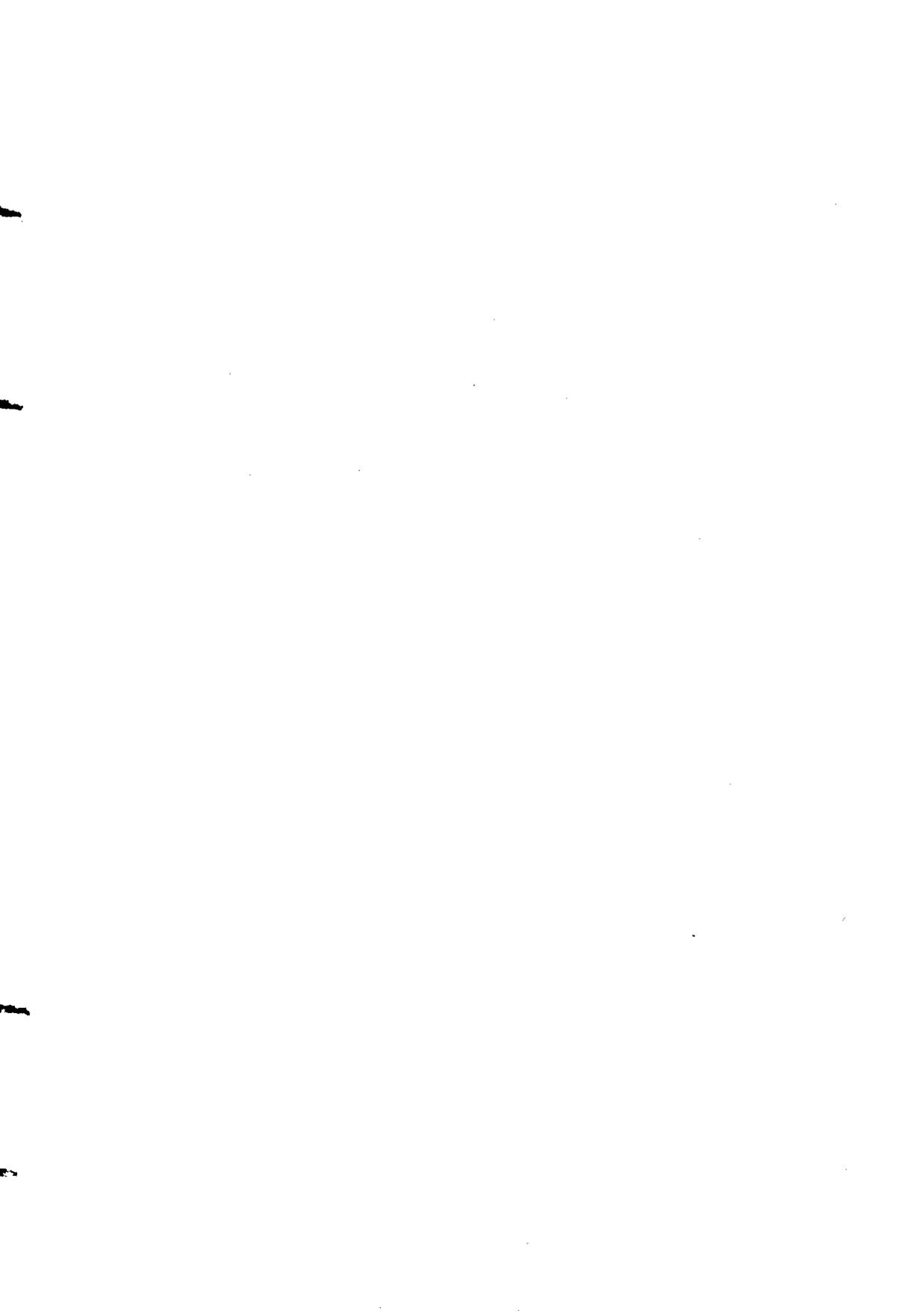
(١) في الأصل : كنت أرجوها ولم تنل ولكن البيت يكسر . وفي الديوان المطبوع : ولم أنل .

كَمْ تَسَاءَلْتُ: مَنْ الَّذِي
أُنْفِقُ الْوَقْتَ هَانِئاً
فِي لِقَاءِ مُحِبِّبٍ
سَاخِراً مِنْ قُيُودِنَا
مِثْلَمَا تَعْرِفِينَ عَنْ
ثُمَّ أَنْسَلُ عَائِداً
ذَلِكَ مَا يَسْتَطِيعُهُ
غَيْرَ أَنْ الْخِدَاعَ لَا
فَدْعِينِي، لِأَنَّي
رَبُّ شَخْصٍ سِوَايَ لَوْ

يَمْنَعُ الْمَرْءَ لَوْ فَعَلَ
بِشَبَابِي عَلَى مَهَلٍ
وَنَعِيمٍ مِنَ الْقُبَلِ
وَالرَّقِيبِ الَّذِي غَفَلَ
قِصَصِ الذُّبِّ وَالْحَمَلِ
لَا أَبَالِي بِمَا حَصَلَ
كُلُّ مَنْ يَبْتَغِي الرِّزْلَ
يَهْبُ الْقَلْبَ مَا سَأَلَ
إِنْ بَدَأْنَا فَلَئِنْ نَصَلْ
مَسَحَ الْجُرْحَ لِأَنْدَمَلَ

* . * . * . * . *

ذكريات إسلامية



نهج البردة(*)

[في مدح أشرف المرسلين]

- ❦ -

هَبَّتْ رِيَا حُ الصَّبَا فَاسْتَكْتَبَتْ قَلَمِي
 مَالِي وَلِلرَّسْلِ أَمْضِي فِي مَدَائِحِهِمْ
 شَوْقِي إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ أَظْمَأْنِي
 إِنِّي مَدَحْتُكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى طَمَعاً
 فَاعْطَفْ عَلَيَّ عَاشِقِي أَضْنَاهُ حُبُّكُمْ
 يَا نَفْسُ دُنْيَاكَ يَوْمٌ وَاحِدٌ وَعَدُّ
 يَا نَفْسُ إِنَّ تَرْجِعِي فَاللَّهُ يَغْفِرُ لِي
 يَا نَفْسُ لَا تَبْتَغِي الشَّيْطَانَ وَاعْتَصِمِي
 وَيْلِي مِنَ اللَّهِ كَمْ ذَنْبٌ أَتَيْتَ بِهِ
 لَكِنِّي أَلْتَمَسُ عَفْوَاً وَمَغْفِرَةً
 فَكُنْ شَفِيعِي رَسُولَ اللَّهِ، وَأَمَلِي!
 فَأَنْتَ مَنْ يَسْتَجِبُ رَبُّ الْعِبَادِ لَهُ

مَدَحَ الرَّسُولِ كَرِيمِ الْخُلُقِ وَالشَّيْمِ
 إِنَّ الرَّسُولَ رَفِيعُ الْقَدْرِ عَنِ كَلِمِي
 وَالْمَدْحُ يُطْفِي لَهَيْبِ الظَّامِيءِ النَّهْمِ
 فِي أَنْ أُنَالَ الرَّضَى يَا وَسَّعَ الْكُرْمِ
 وَكُنْ رَحِيماً بِصَبِّ ذَابٍ مِنَ الْمِ
 عِنْدَ الْإِلَهِ دَوَامُ الْخَيْرِ وَالنَّعْمِ
 وَإِنْ تَظَلِّي فَبَيْسَ الْمَرْتَعِ الْوَحْمِ (١)
 إِنَّ الشَّيَاطِينَ تُغْوِي الْمَرْءَ بِالْأُتْمِ
 جَلَّتْ ذُنُوبِي عَنِ الْقِرطَاسِ وَالْقَلَمِ
 مِنَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَدَمِ
 وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ سِتْراً لِي وَلِلْأُمَّمِ
 أَنْتَ الْحَبِيبُ الْكَرِيمُ الْكَاشِفُ الْغَمِّ

(*) يبدو أن الشاعر كان معجباً بقصيدة نهج البردة وأراد أن ينظم على منوالها في «٢٠» أيلول ١٩٤٨.

(١) ينبغي أن تكون بالكسر (الوخم) ولكن سياق الكلام يقتضي أن تكون (الوخم) وهذه الأخطاء غير مستغربة في هذه السن الصغيرة الذي قيلت فيه هذه القصيدة.

ما زلت ترقى سماءً بعد واحدةٍ
 أردتَ خلعَ نُعَيْلٍ كنتَ تلبسهُ
 وقفت بين يدي ربِّ العبادِ فمن
 إنِّي سأسألُ بدرأً عن وقائعكم
 وأهلُ مكةَ يومَ الفتحِ إذا بهتوا
 دخلتَ في البيتِ كالليثِ الهصورِ فما
 النورُ أشرقَ فوق البيتِ وابتهجت
 يا ربَّ إنَّ العدا جاروا وقد ظلموا
 إن العروبةَ في إبانِ محنتها
 هذا مديحي رسولَ اللهِ معترداً
 فإنَّ مثلي رسولَ اللهِ يعجزُ عن
 صلَى الإلهِ على خيرِ الوريِّ كرمًا
 حتّى وصلتَ لربِّ العرشِ والقلمِ
 ناداك ربُّك لا تفعلْ ولنْ تلمِ
 يقصدُ حماكُ فبالإحسانِ يغتم
 وكيفَ فرَّ العدا في يومِ مُزدحمِ
 لما رأوا جيشهم بالعينِ ينهزمُ^(١)
 أبقيتَ من هُبلٍ ثمَّ ولا صنمِ
 ربوعُ مكةَ وانجابتْ دُجى الظلمِ
 فارسلْ إليهم بطيرِ قاذفِ الحممِ
 فكنْ لطيفاً بنا يا ربَّ وانتقمِ
 إن كنتَ لم أوفِ حقَّ القولِ والكلمِ
 مديحِ ذاتِ سرتِ اللهِ في الظلمِ
 محمدٌ أفضلُ الأعرابِ والعجمِ^(٢)

* . * . * . * . *

[تم تأليف هذه القصيدة «نهج البرده» يوم الاثنين

الموافق ٢٠ سبتمبر - أيلول - عام ١٩٤٨]

(١) أبقيت على هذا البيت رغم أنه خالف في حركة الروي لأن المعنى يقتضي بقاءه.

(٢) حذف من هذه القصيدة بيتين لاختلالهما ومخالفتهما لحركة الروي قد خصك الله بالفضل اجزيل

قد خصك الله بالفضل الجزيل ومن يسري به الله نال الفضل والكرم وهو قبل البيت الذي يبدأ بـ(ما زلت ترقى سماء...).

وكذلك : كنت الأمين صغيراً ثم في كبر كنت الرسول فنعم الصغر والهرم ومع ذلك فالقصيدة فيها عدد من الأخطاء التي تدل على ضعفه آنذاك.

ميلاد الرسول

إنه عيد الأمة الإسلامية الأعظم فجدير بكل شخص أن يحتفل به^(١)

مدح الرسول اليوم كلُّ مُرادي
طيفُ الرسولِ سرى فهزَّ مشاعري
يا ناشِرَ الإسلامِ إنَّ قصائدي
في عيدِ مَوْلدِكَ السماءَ تزيّنتُ
والطيرُ في عُصنِ الهناءِ طروبةً
والناسُ بينَ مهلَّلٍ ومكبَّرٍ
اللهُ أكبرُ أرسلَ الهادي لنا
يا خيرَ خلقِ اللهِ يا علمَ الهدى
إضرعَ لربِّكَ أن يبيدَ عدونا
صلّى عليكَ اللهُ يا خيرَ الوري
فمديحُه يُطفي لهيبَ الصّادي
والشوقُ ألهبَ مُهجتي وفؤادي
نالَتْ بمدحكَ رِفعةَ الإنشادِ^(٢)
بكواكبِ الأفراحِ والأعيادِ
سكرى بخمرةِ ليلةِ الميلادِ^(٣)
والكُلُّ يهتفُ قلبُه ويُنادي
بالخيرِ بَشَرنا وبالإسعادِ
يا شافعاً للناسِ في الميعادِ^(٤)
ويكفُّ شرّاً أولئكِ الأوغادِ
ما زارَ قَبْرَكَ رائِحُ أو غادي

(١) يناير (كانون الثاني) ١٩٤٩ في السادس عشر منه.

(٢) «لن تفي حق المدح والإنشاد» في مجموعة نسيم السحر.

(٣) «والطير في كبد السماء طروبة سكرى بخمر الذكر والميلاد»

في نسيم السحر:

(٤) «يا خير خلق الله يا هادي الوري يا ضامنا للناس في الميعاد»

في نسيم السحر.

ميلاد الرسول (*)

(ﷺ)

دع عنك خمرُك يا نديم الرَّاح
قد بيثُ نشواناً فهل شهدَ الملا
شهرَ الربيعِ حَللت نُوراً ساطعاً
فرحَ الأنامُ أما رأيتِ قلوبَهُم
بالروضةِ الغنَّاءِ غرَّدَ بلبِلُ
والكونُ يملؤهُ الضياءُ كأنه
للهدى بابٌ كان أُغلقَ دوننا
حدَّثَ أيا شهرَ الربيعِ ، وصِفَ لنا
يوماً به ولدَ الهدى فضياؤُهُ
يوماً على هامِ الزمانِ مُتوجِّجاً
هذا الذي قد جاءنا برسالةٍ
نشرَ الهدايةِ في الجهالةِ فانطوت
لم يُثنِ عزمَ محمدٍ قولُ الملا

إني طربْتُ بخمرةِ الأفراحِ (١)
نشوانَ لمْ يشرب من الأقداحِ
يجلو ظلامِ الكربِ والأتراحِ (٢)
سعدتُ بنورِ جبينك الوضاحِ
فوقَ الغصونِ بصوتِهِ الصِّداحِ
قد لُفَّ من نورِ الهدى بوشاحِ
والله أرسلَ فيكَ بالمفتاحِ
يوماً أهلٌ بعطرِهِ الفواحِ
قد عمَّ مَكَّةَ من رُباً وبطاحِ
فالكونُ فيه أنيرَ بالمصباحِ
تَهدي وتُرشدنا سبيلَ فلاحِ
مثل الظلامِ طواه نُورُ صباحِ
قد نالهُ مَسٌّ من الأرواحِ (٣)

(*) أُلقيت في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإنشاص في ٣ ديسمبر - كانون أول -

١٩٤٩ وتم نظمها في ٥ ديسمبر ١٩٤٩ (المختارات).

(١) يستهل القصيدة بهذا المطلع الرمزي كما هي العادة عند المتصوفين.

(٢) يقصد به شهر ربيع الأول الذي ولد به رسول الله ﷺ.

(٣) إشارة إلى عرض قريش الملك والمال على رسول الله ﷺ، والتماس الطب إن كان

به مس من جنون أذى من الجن.

فأصيبَ من أحجارهم بجراح^(١)
تدعو بجدي لم يُشبِّ بمزاح
وجنّوا عليك بغدوةٍ وروح
من كل باغٍ مشرك سَفّاح
وتقيمُ ركنَ الهدي والإصلاحِ
قد دَجَّجوهُ بَعْدَةَ وسلاحِ
فوقَ السيفِ وفوق سنِّ رماح^(٢)
قَسماً برَبِّي فالقِ الإصباحِ
وسلاحُه نصرٌ من الفَتَّاحِ
إلا الضُّمُودَ أمامَ كلِّ رياح
منهم قنأةٌ عزيمةٌ يا صاح
ذاقَ العنا والظلمَ كابنِ رِباح^(٣)
إذ عَذَّبوه ولم يُفِّه بنواح^(٤)
في يومِ كَلَّلَ سعيهم بنجاح
سيفَ الضَّلالةِ، دونَ أيِّ نُباح
ما بينَ تكبيرٍ وبينَ صِيح

أو يستكنَّ لَمَّا رموهُ لجهلهم
لك يا ابنَ عبدِ الله عزمُ مُشابرٍ
لله أنْتَ لقد أذوك فأمعنوا
قد قاومتك عِصَابَةٌ شريرةٌ
إذ قمتَ تبني للمنارِ دعائماً
فأتوا بجمعٍ من شبابٍ طائشٍ
قالوا له اذهب فأتينٌ بأحمدٍ
لن يستطيعَ شبابهم نيلَ المُنَى
فسلاحهم غدرٌ وبغيٌّ جهالةٌ
في جنةِ الرضوانِ قومٌ قد أبوا
قد أشربوا كأسَ العذابِ فلم تَلِنُ
فحديثُ عمارٍ ومن في الله قد
قد فاهَ بالتوحيدِ لم يشك الأسي
فهو الجديرُ بأن يكونَ مؤذناً
ألقتُ قريشُ، وأيقنتُ بهلاكها،
لما تقدمتِ الكتائبُ نحوها

(١) إشارة إلى تعذيب المشركين وايدائهم لرسول الله ﷺ بالطائف.

(٢) إشارة إلى تأمر قريش على قتل الرسول ﷺ ليلة الهجرة.

(٣) عمار بن ياسر وبلال بن رباح. رضي الله عنهما.

(٤) وردت الأبيات في المختارات:

وبلال مَنْ كبلال قد ذاق العنا
ونظقت بالتوحيد لم تشك الأسي
فجزاء مثلك أن يكون مؤذناً
في الله قد عُذبت يا ابن رباح؟
إذ عذبوك ولم تفه بنواح
في يومِ كَلَّلَ سعيكم بنجاح

ويشير في البيت إلى قول بلال: أحد أحد. كلما عذبه الطاغية أمية بن أبي

خلف. [المختارات]

جَزِعَ البُغَاةُ من الرسولِ لأنَّهم
فرحوا بما فُوهُ أهلَ عداوةٍ
بَسَطَ السلامُ على الربوعِ جناحه
عَرَفُوا الطريقَ إلى الرشادِ وأدركوا
اللهُ أكبرُ قَدْ أعزَّ جنودَه
كَمْ أتبعوه بشدَّةٍ وكفاح
بَلْ أهلَ مغفرةٍ وأهلَ سماح
لما أضاءَ الكونَ نورُ الماحي
بالهدي كلُّ مُحَرَّمٍ ومُبَاح
والبطلُ قَدْ أضحى بغيرِ جناح^(١)

* . * . * . * . *

(١) كان الشاعر يضع الأفكار الرئيسية للأبيات إذ قسم القصيدة إلى ما يلي: الافتتاحية - بهجة الربيع - مناجاة - صبر السؤل وثابته - كيد المشركين له - ثبات أتباعه عليه السلام - عفوه - الخاتمة .
كما ورد في إحدى المجموعات .

وحي المولد (*)

من مقلتيك يغيضُ اللؤلؤُ الرطبُ
تقضي الليالي حزيناً بائساً قلقاً
سُهدُ ودمع وأفكار مُبعثرة
إن كنت تشكو أسيءُ أو تبكين هوى
وكم أخوا النجم في الأنحاء أفئدة
تبيتُ ولهي ولا تنفكُ قائلةً
يا قائم الليل، ما للدمع ينسكبُ؟
وقلبك الغضُّ في جنبك يضطرب
وأنجمٌ نحوها ترنو وترتقبُ
فكلُّنا مُغرَمٌ والشوقُ مُلتهبُ
إذا أتى ذكرُ طه هزَّها الطربُ
في حبِّ أحمدكم يُستعذبُ النصبُ (١)

* . * . * . * . *

نفسٌ عن القلب أشجاناً تمزقه
واذكر حديثَ الألي كانت شريعتهم
عاثوا فساداً وبات الكُلُّ قاطبةً
جهلٌ ولا شيء غير الجهل رائدُهم
خمرٌ وفسق وأصنام مؤلَّهة
كانوا حيارى بليل مدَّ ظلمته
وانشُر معي ما طوت من قبلنا الحقبُ (٢)
سفكُ الدماء فكم سالت بها قُضبُ (٣)
وبعضهم لحقوقِ البعض مُغتصبُ
ظلمٌ ولا شيء غير الظلم مُنتصبُ
ووأد نفسٍ ومالٌ بات يُنتهبُ
فاشرقَّت شمسُ طه واهتدى العرب

(*) ألقى في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف بإنشاص في ٢١ ديسمبر - كانون أول ١٩٥٠.

(١) النصب : التعب.

(٢) الحقب : السنون. أما حقب بضممتين فهو الدهر.

(٣) القضب : السيوف.

في ذلك الحين والفتيان سادرة
كان الأمين بحبل الهدى مُعْتَصِماً
وسلّ خديجة لما راح يخطبها
لكنّها عرضت عنهم وما رضىث
وما الأمين سوى راعي تجارتها
لكنّ أخلاقه فاقت شمائلهم
وينظر الصادق الأحجار آلهة
فينثني عن ضلال الشرك يدفعه
أيصنع المرء أصناماً ويعبدها
لا بدّ من منشيء للكون أبدعه
وقام في الغار حتى جاءه ملك
ونودي اقرأ تعالى الله قائلها^(٦)
وقام يدعو إلى الرحمن أفئدة
وما استجاب له منهم سوى نفر
باتوا وبات الردى منهم بمقرية
ذاق الهوان على الرمضاء منبطح

في الغي لم ينهم لوم ولا عتب^(١)
لا يعرف الرجس بل واللهو يجتنب^(٢)
قوم بمكة فيها كلهم رغبوا
غير الأمين لها زوجاً وإن عجبوا
وكلهم أغنياء سادة نُجِبُ
وطيب النفس للأخلاق يصطحب
والقوم في مركب الخسران قد ركبوا
رأي سديد^(٣) وعقل زانه الأدب
هذا هو الزور والبهتان والكذب
خلقاً وما دونه شك ولا ريب^(٤)
وهزة ثم حتى ناله التعب^(٥)
قد أشرق الهدى فانجابت به السحب
لم يرضها قط للأوثان مُنْقَلَبُ
في الله ما عذبوا في الله ما ضربوا!!!
ومن كؤوس العذاب المرمك شربوا؟!
وهام ليلاً إلى الأقطار مغترب^(٧)

(١) في إحدى النسخ (في الغي والبغي لا لوم ولا عتب).

(٢) إشارة إلى حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وتجنبه اللهو وكل مفسد.

(٣) (رشيد) في نسخة «المختارات».

(٤) كل هذه الأبيات تشير إلى حياة رسول الله ﷺ قبل البعثة وتجنبه عبادة الأصنام وعمله بالتجارة، وزواجه من خديجة، وتفكره في أمر الكون.

(٥) يشير إلى تعبده في غار حراء وإلى نزول الوحي عليه.

(٦) هذا الشطر من نهج البردة للشاعر أحمد شوقي.

(٧) يشير إلى تعذيب قريش للمسلمين كياسر وبلال في الرمضاء، وهجرة بعضهم إلى الحبشة.

والمجدُّ للذَّينِ بالأرواحِ قد كتبوا^(١)
ومن نفيسِ الدماءِ الطَّهرِ كم وهبوا
بالبابِ حتى إذا لآخِ الهدى وثبوا
فاللهِ يعظمهم كيداً، لَهُ الغلبُ^(٢)
وفتيةُ القومِ أغشَّتْ عينهم حُجب^(٣)
هزَّ الجميعَ فعمَّ السُّخْطُ والغضبُ
يأتي بهِ فلهُ الأموالُ والذَّهَبُ^(٤)
في المالِ حتى دنوا للغارِ واقتربوا
وما رأى القومَ حتى راحَ يَنْتَحِبُ
والقومُ بالبَابِ والأسيافُ والعطبُ
فيمِ النحيبِ؟ وفيمِ الخوفِ والرهبِ؟
وليسَ من يرعُهُ الرحمنُ يكتُتبُ
بالبشرِ من بعد ما أضناهما السَّغْبُ^(٥)
فالدَّينُ بينَ الجميعِ الوُدُّ والنَّسْبُ
تُتلى بهِ الآيُ والأحكامُ والخُطْبُ
بالشركِ مُعتقاً، يا بشس ما ارتكبوا
كما أشارتْ إليه الآيُ والكتُبُ
طُراً وما فاته قصدٌ ولا أربُ

أوذوا فما فُتِنوا والصبرُ رائدُهم
جادوا بأموالهم طُراً وما بَخِلوا
وهل أتاك حديثُ القومِ إذ وقفوا
فأوحى اخرجْ لئن كادوا مكيدتهم
وراحَ للغارِ والصدِّيقُ يَصحبُهُ
وأقبلَ الصُّبحُ في طيَّاتِهِ نبأُ
لقد نجا أحمدُ يا للشقاءِ!! فَمَنْ
فجدُّ في إثرِهِ الفتیانُ طامعةً
فأيقنَ الطاهرُ الصدِّيقُ تهلكةً
وقال للمُصطفى ماذا سنصنعهُ
فصاحَ طهَ ونورُ الحقِّ يكلؤهُ:
«لا تحزننَّ فإنَّ اللهَ ثالثنا»^(١)
واستقبلتْ يثربُ الهادي وصاحبهُ
أخى الرسولُ هناكِ القومَ قاطبةً
وشيدَ المسجدَ الأعلى بساحتها
وراحَ يغزو قريشاً والذينَ رضوا
حتى أتى النصرُ خفاقاً برايتهِ
ونالَ طهَ الذي يبغيه من وطيرِ

* * * * *

- (١) كناية عن تضحياتهم بالأرواح في سبيل الله، وثباتهم على هذا الدِّين ولو كلفهم ذلك حياتهم، كياسر وسمية رضوان الله عليهم.
(٢) خروجه ﷺ مهاجراً والقوم نائمون وبصحته أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
(٣) وضع جائزة لمن يأتي بمحمد حياً أو ميتاً.
(٤) هذا الشطر لأحمد شوقي.
(٥) السغب : الجوع.

يا ربَّ أرسلتَه للعالمين هُدى
هذا الفسادُ الذي أبدى نواجذُه
فاعطف على أمة الإسلامِ قد رضيت
واغفرْ لأجل إمام المرسلين لنا
فالطفْ لقد عَصفتْ من حولنا الثُوب
نار لها اليومَ من إيماننا حَطْبُ
بالذلِّ عيشاً وماتَ الجدُّ والدأب
في يومٍ لا تنفعُ الأموالُ والنشب^(١)

* . * . * . * . *

(١) النشب : المال والعقار.

الذكرى العاطرة(*)

أما العيونُ فطولُ الهجرِ يبيكها
هوّنُ عليكِ فما تُجدي الدموعُ ولا
ما أنتِ أولُ عانٍ في الغرامِ مضى
كمْ مغرمٍ ركبَ البيداءَ مِنْ وَلِهِ
القلبُ تضنيه أهوالُ يكابدها
يا راكبَ البيدِ في الليلِ البهيمِ أما
تمشي تحثُ الخطى والوجدُ مُستعرٌ
ليلُ المحبينِ آهاتُ يردّدها
فيا نديماً لنا ما زلتُ أذكرُهُ
أيامَ عشنا وكان اللهُو ديدننا
هاتِ اسقينا سُلَفاً سائغاً عطراً
آهٍ لتلكِ الليالي كم مررتُ بها

والدمعُ يلمعُ درأً في مآقيها
تقضي لُبانةً قلبٍ باتَ يبغيها^(١)
يطوي الصحارى ويمشي في فيافيها
تمشي مطيتهُ والشوقُ حادِها
والروحُ بالأملِ الخابي يمنيها
طالَ السُرى يا غريباً في نواحيها
والنفسُ فيها من الآلامِ ما فيها
نأيُ الهوى، ولهيبُ الشوقِ يذكيها
مُدُّ كانَ للكأسِ شأنٌ في لياليها
تمضي الليالي أهازيجاً نغنيها
فالنفسُ ظمّأي وكأسُ الراحِ ترويهها^(٢)
والبشرُ يعبقُ ريحاناً بناديها

(*) أُلقيت في الليلة الختامية للاحتفال بذكرى ميلاد الرسول العظيم - ﷺ - في إنشاص يوم ١١ ديسمبر - كانون أول ١٩٥١ . وأعيد إلقاؤها في الحفل الذي أقيم بالمعهد الديني يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥١ بحضور سعادة مدير الشرقية «اللواء صادق الملا» وفضيلة شيخ المعهد «فضيلة الأستاذ إمام حسين». وكبار رجال التعليم والبوليس وأساتذة المعهد وطلابه.

(١) اللبانة : الحاجة.

(٢) السلاف : ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر وتسمى الخمر سلافاً.

أيامك الغرّ فيض من غواديها
أم لا يزالون سماراً بواديها؟
شطّ المزارُ لباناتُ أرجيها^(١)
ذكرى الرسولِ فقامت اليوم أحييها

* . * . * . * . *

يحكي ذئاباً وشاةً نامَ راعيها
كلُّ البرية: قاصيها ودانيها
ولا شريعةً يخشى بأس قاضيها
في الأرضِ عونٌ يقيه شرّاً باغيها^(٢)
ويشني حين يأتي مُنكراً تيهها
والقتلُ في شرعهم قد كان ترفيها
الزورُ ينشرُها والإثمُ يُمليها
أرجاء مكة وانجابت دياجيها
فيه الجلالة في أسمى معانيها
وفي الرجولة يلقى ما يُزكيها
إلى الأمين قويّ النفسِ عاليها
كي يودعوا الحجرَ الأزكى مبانيها
أن ليس ترفعه إلا أياديها
والويلُ للقومِ إن هبَّت سوافيها
أنعمَ بحكمته إذا كان يُيديها^(٣)

عهدُ الأحبة حيتك المني وسقى
ماذا عن الصحب في تلك البلادِ مضوا
لي في ربوعك يا أرضَ الحجاز وإن
لقد ذكرتُ بكِ الأحبابَ فانبعث

هذا هو الكونُ في ديجورِ ظلمته
فدو العشيرة والأنصارِ ترهبه
يسطو على الحقِّ لا قانونٌ يمنعه
أما الضعيفُ فمغبونٌ وليس له
والكلُّ يشربُ كأسَ الإثمِ في طربُ
كانت مآثمهم في عرفهم مَرحاً
هذي مبادؤهم أيامَ دولتهم
حتى أضاءت بمولودٍ لآمنة
ومن تبّع تاريخَ الهداةِ رأى
ففي الطفولة يلقى ما يمجدُها
وخذ حديثَ الألى في مكة احتكموا
لما أتوا كعبةً بالبيتِ واجتمعوا
وكلُّ طائفةٍ قد قالَ قائلها:
وأوشكتُ أن تقومَ الحربُ بينهم
فأرسلَ اللهُ حقناً للدماءِ فتى

(١) لبانات : حاجات .

(٢) الأبيات السابقة تصور حالة العرب قبل الإسلام . مغبون : مظلوم والباغي : الظالم .

(٣) إشارة إلى احتكام قريش إلى رسول الله ﷺ قبل البعثة في وضع الحجر الأسود، ورضائهم بما حكم .

فما مضى عنه فردُّ كانَ مُكتئباً إلا مضى مُطمئن النفس راضيها

* . * . * . * . *

من ذا الذي قد سعى ليلاً إلى جبلٍ
وقرَّ في غارِهِ عيناً بوحدتِهِ
هذا الأمين رأى أن الضلالة قد
فراح ينشد في كهف الرشاد سنَى
حتى أتى الوحي بالإسعادِ مُقترناً
وجاءهُ الذكرُ تبياناً ومُعجزةً
بيطن مكة لما نام ساريها^(١)
يستلهمُ الله إرشاداً وتنبئها^(٢)
أعمت لحاضرها قلباً وبادئها^(٣)
من حكمة الله يُولي القلب توجيهها
يدعو الشعوب إلى التقوى ويهديها
منوهاً بجلالِ الله تنوئها^(٤)

* . * . * . * . *

ما بال قومٍ بدارِ الندوة اجتمعوا
يقولُ قائلهم - والغیظ يقتله - :
يُسب آباءنا جهراً ويلعنونها
لا بدَّ من قتله في عُقرِ منزله
هم للشريعة كادوا كيدهم ونسوا
الله أكبرُ قد شاء النجاة لها
وجوههم سُوهت بالكفر تشويها^(٥)
يا قومٍ قد قام للأوثانِ مُخزئها^(٦)
ويوسعُ اللات تقيحاً وتسفيها
حتى يعودَ للذين العرب صابئها^(٧)
أنَّ الإله من الآفاتِ حامئها
لما نجا في ظلامِ الليلِ مُحئها

* . * . * . * . *

(١) الساري : السائر ليلاً.

(٢) إشارة إلى تعبد رسول الله ﷺ في غار حراء قبل البعثة.

(٣) الحاضر : أهل الحضرة الذين يسكنون البلدان والمدن. البادي : الذي يسكن البادية.

(٤) الذكر : القرآن الكريم.

(٥) إشارة إلى تأمر قريش على قتل رسول الله ﷺ.

(٦) مخزئها : أي يسهف الأصنام ويرفض عبادتها.

(٧) الصابئ : الذي خرج من دينه إلى دين آخر، وكان الجاهليون يقولون عن المسلمين «الصابئة».

في يوم بدرٍ فبات الشرك واعيها
عن النضالٍ وقد دُكَّتْ أعاليها
كل الشعوبِ وتصحو عينُ غافيتها
فيه الشريعةُ نصراً قالَ داعيها:
إن الضلالةَ أشقتُ نفسَ أهلها
جندَ الفسادِ، فأنتَ اليومَ ناعيها

* . * . * . * . *

كذي يستقيم شقي النفسِ غاويها
لينبت الهدى نوراً في أراضيتها
لبهجة الكونِ يأتينا فيفنيها
من ضربة لفتى التحرير يأتها

* . * . * . * . *

برحمة منك عند البأسِ نُلقها
بالموتِ صبراً، وعطفُ منك يُنجيها
في جعلِ حاضرها يسمو كماضيرها
من جاء بالحقِّ للاثامِ يُرديها
يومَ القيامةِ إن نادى مناديها

* . * . * . * . *

من بعد ذلك قالَ السيفُ قوله
وأصبحتُ دولةَ الأوثانِ عاجزةً
والحقُّ إن صنته بالرمحِ تسمعه
حتى إذا كانَ يومُ الفتحِ واكتسبت
قم يا بلال على البيتِ الحرامِ وقل:
أذنٌ فقد جاء نصرُ الله وانع لنا

يا ربَّ أرسلتَ طه بالرشادِ لنا
وجاء للناسِ والأفهامُ مُجدبةً
فاخذل قوي الشرِّ، إن الشرَّ مضيعةُ
وضربةُ منك خيرٌ في نتائجها

ياربِّ هب من لدنك الخيرَ واقض لنا
إن الحنيفة قد باتت مُهددةً
فاكتب لنا النصرَ حتى نستعين به
وصلِّ يا ربُّنا أذكى الصلاةِ على
محمدٍ سيدِ الكونينِ شافعنا

عيد الهجرة(*)

عيدٌ على الوادي أتى مختالاً
هو يومٌ ذكرى من بصادقٍ عزمهم
إننا لنذكرُ «بالمحرّم» فتيةً
خرجوا «ليثرب» هاربين بدينهم
ولنصرة الحقّ الذي طلّعوا به
ومن ابتغى الإصلاح في أرض الورى
عامٌ قضيناه وأقبل بعده
قد جاء يلقي النيلَ حراً بعدما
كم مرّ والوادي جريحٌ حائرٌ
فالنيلُ عيدٌ والكِنانةُ في أسى
حتى أتى الجيشُ المظفرُ وانبرى
لم تبلغِ المجدَ الأثيلَ كأمةٍ

يحكي الريحُ بشاشةً وجمالا
قهروا فساداً في الورى وضلالا
بكفاحهم ضربوا لنا الأمثالا^(١)
قد فارقوا أحبابهم والألا^(٢)
بذلوا النفوسَ وقدموا الأجالا^(٣)
ركبَ الشدائدَ وامتطى الأهوالا
عيدٌ تبدي في السماءِ هلالا
رفعَ القيودَ وحطّمَ الأغلالا
يبكي علاهُ ويشتكى الإذلالا
والشعبُ يشكو الجوعَ والإقلالا^(٤)
للظلم يجعل صرخةً أطلالا
نالت مقاليدَ الخلود نضالا^(٥)

(*) سبتمبر - أيلول - ١٩٥٢ «القصيدة لم ترد في نسخة المختارات».

(١) إشارة إلى شهر المحرم وبدء السنة الهجرية وما يذكرنا به من هجرة الرسول ﷺ والمسلمين معه.

(٢) الأال : الأهل.

(٣) الأجال : جمع أجل وهو العمر.

(٤) الإقلال : القلة والفقير.

(٥) الأثيل : هنا بمعنى الأصيل. وأصل الكلمة من الأثل وهو شجر.

يايومَ هجرةٍ خيرِ داعٍ للهدى
ما أنتَ إلا رمزُ كلِّ قضيةٍ
يطغى عليه وبينما هو ساذجٌ
ما أنتَ إلا عيدُ كلِّ مُعذبٍ
يُمسي ويُصبحُ في القيودِ مكبلاً
فإذا به بعدَ المذلةِ سيدٌ
كتب الإله لمصر ما ترجوه من
أحيا قدومك بيننا آمالا
فيها القويُّ سقى الضعيفَ نكالا^(١)
في الغيِّ يلقي مجدهُ قد دالا^(٢)
في الأرضِ قد ذاقَ العنا أشكالا^(٣)
وقد ارتدى من بؤسه سربالا
تعنو الجباهُ لمجده إجلالا^(٤)
مجدٍ يعزُّ لدى الأنام منالا

* . * . * . * . *

-
- (١) النُّكل : القيد وجمعه نكال . ونكال : عبره لغيره .
(٢) السادر : المتجبر . دال : تغير وزال .
(٣) العنا : الخضوع والذل والأسر .
(٤) في البيت مبالغة قبيحة ، فالوجه لا تعنو إجلالاً إلا لله عز وجل .

ذكرى المولد

[أقيمت في الليلة الختامية للاحتفال بذكرى ميلاد الرسول
المعظم بإنشاص في ٣٠ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٢].

أديرا على سمعي اليراع المثقبا
أأقضي حياتي بين همٍ وحيرةٍ
فواحسرتا إن لفني غيبُ البلى
بكت فوق غصنِ الدوح ورقاءَ هاجها
عفا الله عما قد جنته فإنني
فبتُ وفي نفسي حينٌ ولهفةٌ
فديتُ بروحي شادناً راشَ جفنه
رمى إذ رنا قلبي بفاتك لحظه
ألم وما بي من شقاءٍ وحسرةٍ
فحسبي عزاء أن ما سأل من دمي
ولا تمنعاني أن ألدُّ وأطربا^(١)
إذا رُمْتُ من دهري هناءً به أبا
ولمّا أنلُ قصداً ولم أقضِ مارباً^(٢)
إلى إلفها شوقٌ أمضُ وأتعباً^(٣)
ذكرتُ بها عهدَ الصبابةِ والصبا
إلى هاجرٍ قد آثر النَّأيَ واجتبي^(٤)
وأطلقه للقلب سهماً مُصوباً^(٥)
فأضرمَ في جنبي ناراً وألهبا
وغادرني أرجو لجرحي مُطيباً
يُذكرني خداً له قد تخضبا

(١) اليراع : القصة التي ينفخ فيها، المثقب: الذي فيه ثقب وهو الناي.

(٢) الغيب: الظلمة، البلى: الموت.

(٣) الوراق: الحمامة.

(٤) النَّأي: البعد. اجتبي: اصطفى واختار.

(٥) الشادن: من شدن الغزال إذا دخل. وشادن: قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه.

راش السهم: الصق عليه الريش.

ودمع على الخدين مني تصبياً
أرى العطفَ منهم لي إلى العدل أقرباً
ولا رَحِمُوا قلباً حزيناً معدَّباً^(١)
ويأبى عليه الصبرُ أن يتشعباً^(٢)
وبالمصطفى من قام للدين مُعرباً^(٣)
وأمطره غيثاً من الهدي صَيِّباً^(٤)
بعوةِ صدقٍ بعدما كان أجدا
ولاح بليل الإفك والزورِ كوكبا
إلى أمةٍ لم تعرفِ الحقَّ مذهبا
ورققَ طبعاً ساءَ منهم وهذباً
يعمُّ سنأهُ الأرضُ شرقاً ومغرباً
فساءَ قريشاً ما أتاه وأغضبها
وأكثرتُ مما قد أتوه التعجبا
عليه يثيرُ الناسَ والبعضُ قطبا
وقد كانَ ذا صدقٍ لديهم مُجرباً
فلا شمسُهُ غابت ولا ضوءه خبا^(٥)
لقد كذبوا، ما رامَ بالدينِ منصِبا^(٦)
ولا شاءَ أن يحيا أميراً مُعصباً

أحاولُ كتماناً فيفضحني الأسى
ويعذلني في العشقِ قومٌ وإنني
فما أنصفوا الصبَّ الذي شفهُ الهوى
تُحطِّمُهُ الذكرى فتمسكُهُ المنى
سألتُهُم باللهِ رفقاُ ورحمة
نبيٍّ فيه للعلياءِ صرخٌ ممثعٌ
فأنبتَ فيه النورَ والحقَّ والسنا
أطلُّ بديجورِ الضلالةِ هادياً
وما زال يسعى بالهدايةِ جاهداً
إلى أن أضاءَ النورَ دامسَ جهلهم
فأصبحَ دينُ الله في الناسِ قائماً
أتى بكتابٍ فيه للخلقِ عزةٌ
عجبتُ لهم إذ يركنونَ لغيبهم
لقد حاربوا المختارَ فالبعضُ حاقداً
وكذبهُ الكفارُ إذ قامَ داعياً
وكم حاولوا في الأرضِ إطفاءَ نوره
يقولونَ داعٍ ينشدُ الملكَ والغنى
ولم يبتغِ الجاهَ العريضَ لدى الورى

(١) شفهُ الهوى : أهزله الحب.

(٢) يتشعب : أي يفكر بغير حبيبه.

(٣) معرب : مبلغ وموضح.

(٤) السادر : المتحير . الغيب : الظلمة.

(٥) الصيب : السحاب ذو المطر.

(٦) خبا : انطفأ.

(٧) إشارة إلى عرض المال والملك على رسول الله ﷺ.

ولكنه يدعو إلى خيرٍ سمحةٍ ويمحو ضلالاً أفسد الناس أحقبا
ولما أبت إلا الغواية مكةً وأذاه من فيها تيمم «يثربا»
فألقى بها نصراً وعزاً ورفعة وصدراً من الأنصارِ للدينِ أرحبا^(١)

* . * . * . * . *

ويومٌ ببدرٍ جندَ الشركِ جندهُ وجمَعَ أنصارَ الضلالِ وألبا^(٢)
ونادى «أبو جهلٍ» أيا قومِ شمروا لإضرامِ حربٍ تجعلُ الطفلَ أشيبا
أقيموا على بدرٍ ثلاثاً فمثلنا أخافَ جنودَ المسلمينِ وأرعبا^(٣)
وجاءَ رسولُ الله في موكبِ الهدى يقودُ خميساً من قوى الحقِّ أغلبا
يقولُ له سعدٌ: إذا خُضت لجة من البحرِ خُضناها ولنْ نتهبيا^(٤)
وينطقها المقدادُ قولةً مؤمنٍ ترى الصدقَ في عزمٍ له قد توثبا
إلى نصرةِ الإيمانِ لسنا كأمةٍ لموسى رأَتْ عندَ النضالِ التهربا^(٥)

* . * . * . * . *

ويلتحمُ الجيشانِ جيشٌ على هدئٍ وجيشٌ لأوثانِ الضلالِ تعصبا^(٦)
هناك أمدُّ الله بالنصرِ جندهُ وأخلفَ ظنَّ المشركينِ وخيبا

(١) يشير إلى هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.

(٢) الب : اجتمع مع غيره على عداوته.

(٣) يشير إلى قول أبي جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرأ فنقيم عليها ثلاثاً، فنحن الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابونا أبداً بعدها، فامضوا.

(٤) المقصود بسعد : سعد بن معاذ رضي الله عنه من زعماء الأنصار وما قاله لرسول الله ﷺ حينما استشار الناس في المضي لملاقاة قريش أو الرجوع للمدينة. انظر سيرة ابن هشام في غزوة بدر.

(٥) إشارة إلى قول اليهود لموسى عليه السلام: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» وقول المقداد بن عمرو لرسول الله ﷺ في بدر: (لن نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى...).

(٦) جيش المسلمين، وجيش المشركين من قريش.

فما كان للإسلام أن يُطعم الردي
وفتية صدقٍ كان في الله عزُّهم
من الكرماء الغرِّ لم ينزلِ الهوى
وما بينهم إلا همامٌ أخو حجاجاً
تراه كميأ في النضالِ مدرِّعاً
أولئك قومٌ طهَّرَ الله نفسَهُم
تزلزلَ مُلكُ الرومِ تحتَ سيوفهم
تباركُ رحمَنُ السماءِ فإنه
رأى الناسَ في ليلٍ من الجهلِ دامسٍ
وأبصرَ وادي النيلِ في الظلمِ غارقاً
وقامَ فتىً من قادة الجيشِ باسلاً
فقوَّضَ عرشَ البغي في مصرَ وانثنى
وكم غلٌّ في قيدٍ من الأسرِ ظالماً
لقد حَكَمونا حقبة لم نجد سوى
رجونا بهم خيراً فكنا كظاميئِ
وبانَ الذي جاءوه أيامَ عهدهم
سألتُ إلهَ العرشِ نصراً لفتيةٍ
وأدعوه ألا يجعلَ الخلفُ بيننا

ولا كانَ للطغيانِ أن يتغلبا
أحدٌ من الأسيافِ أمضى من الطُّبا^(١)
بساحتِهِم أو يأخذوا اللهو مركبا
أبى عن طريقِ الحقِّ أن يتنكبا^(٢)
وتلقاهُ ليلاً للقيامِ تأهباً^(٣)
فما وجدوا أشهى من الأجرِ مطلبا
وخرَّت بلادُ الرومِ من وطأة الشُّبا^(٤)
يشاءُ لهذا الكونِ عيشاً مُحببا
فأرسلَ طهً بالكتابِ مُؤدبا
فهياً داعٍ للوثوبِ وسبباً
يقوِّدُ إلى العلياءِ والنصرِ موكبا
يريدُ بنا من حندسِ الذلِّ مهرباً^(٥)
غويأ أخافَ الأبرياءَ وأرهبا
فساداً قد استشرى بها وتسرباً
من الآلِ في الصحراءِ رياً ومطلباً^(٦)
خداعاً وبرقاً في السياسةِ خُلباً^(٧)
بهم قد وقى مصرَ الشرورَ وجنبا
وأن يجعلَ العهدَ الذي قام طيباً^(٨)

(١) يقصد بالطبا : السيف أيضاً.

(٢) الحجبا : العقل. التنكب عن طريق الحق، ترك طريق الحق.

(٣) الكمي : الشجاع . مدرعاً : يلبس الدرع.

(٤) الشبا : ج شباه وهي حد السيف (هنا).

(٥) يشير إلى محمد نجيب وإطاحة الجيش بالملك فاروق.

(٦) الآل : السراب.

(٧) البرق الخلب : الذي لا مطر فيه.

(٨) كأنما يتوجس الشاعر خيفة من رجال الجيش ويرجو أن يكون عهدهم خيراً.

ميلاد الرسول ﷺ (*)

أعد ذكراه في الكونِ شداً مرناً
 وطفٌ بحديثٍ في فمِ الدهرِ عاطرٍ
 فما الكأسُ إذ تأتيك من يدِ كاعبٍ
 تدورُ بها والعينُ فاضت بمثلها
 بأطربٍ من ذكرِ الرسولِ إذا جرى
 فليله ما أحلاه ذكراً وأكرماً
 أضاء له وجهُ الورى وتبسماً
 مخضبة الأطرافِ معسولةً اللمي^(١)
 فلم تدرِ أياً قد تصبتك منهما
 وفاضَ فلم يترك فؤاداً ولا فما

* . * . * . * . *

ألا ليت شعري أي نورٍ مقدسٍ
 أضاء ضياءَ الفجرِ، والفجرُ ساطعٌ
 وأي وليدٍ ذاك من أشرفت له
 أتمى حاملاً للكونِ نوراً ورحمةً
 وقرت به عينان: عينٌ لجده
 كذلك شاء الله أن الذي به
 بدا وظلامُ الليلِ قد كان أسحماً^(٢)
 وفاض على البيداء كالغيثِ إذ همي^(٣)
 ربوعٌ عليها الجهلُ رانٌ وخيماً^(٤)
 ففاضَ هناءً بعدما فاضَ مأثماً
 وعينٌ لأمٍ قد بكث زوجها دماً
 تردت بقاعِ الكونِ للهدى معلماً

(*) أُلقيت في الليلة الختامية للاحتفال بذكرى ميلاد الرسول العظيم ﷺ بانشاص في

١٩ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٣ .

(١) الكاعب : الجارية التي ظهر ثدياها. مخضبة الأطراف: أي مصبوغة الأطراف
 بالحناء. معسولة اللمي: اللمي: سمرة في الشفاة. وهنا يصفها بأنها كالعسل في
 اللون والطعم.

(٢) اسحم : السحمة السوداء. الأسحم : الأسود.

(٣) هما : انهمر وسقط .

(٤) ران : غلب.

يطلُّ على الدنيا وحيداً بلا أبٍ
وجمَّله الرحمنُ إذ كانَ أمرُهُ
فما كانَ بالإثمِ الذي عمَّ مولعاً
وجاوزَ إغراءَ الشبابِ وقد أبى
فما ذاقَ في طورِ الطفولةِ لينها
وما ذاكَ ضنُّ بالهناءِ على الفتى
ولكنَّهُ أمرٌ يُعدُّ لحمِلِهِ
لهذا رآه القومُ إذ قامَ داعياً

* * * * *

بنفسي من قد قامَ للدينِ بانياً
وجاءَ بنورِ الحقِّ، والحقُّ أبلجُ
يقومُ جهالاً، وينشرُ رحمةً
وفي نُصرةِ الإيمانِ لما دعا له
لقد باتَ ما يدعو إليه محمدٌ
وكشَّفَ ليلاً للغوايةِ مُظلماً^(٧)
فبدَّدَ غيماً للجهالةِ غيماً^(٨)
ويرفَعُ أغلالاً، ويُوقظُ نوماً
تكبَّدَ أهوالَ الأذى وتجشماً^(٩)
شجاً في حلوقِ القومِ بل كانَ علقماً^(١٠)

(١) أي تعهده الله سبحانه وتعالى منذ صغره قبل أن يدري أحد بأنه رسول الله ﷺ إلى العالمين، وكان واضح الخلق مستقيم الطبع، قدوة للناس في كل فضيلة.

(٢) مولع : مغرم ومحب.

(٣) لقد عصم الله نبينا محمداً ﷺ وصانه من كل المنكرات والخباثت قبل البعثة وبعدها.

(٤) ضن : بخل .

(٥) أجدى : أنفع، أحزم : أقوى وأفضل.

(٦) تبرما : مل وضجر.

(٧) كشَّفَ ليلاً: أظهر ما كانت عليه الجاهلية من الشرك والضلال والفساد.

(٨) أبلج : من بلج بمعنى أشرق أي مشرق.

(٩) تكبَّد : وتجشم : قاسي وتحمل وتكلف على شدة الأمر.

(١٠) الشجأ : ما ينشب في الحلق من عظم وغيره فيعيق التنفس والبلع ويسبب الضيق.

فمدَّ يد الإرهَابِ كل مُضَلِّلٍ
يُرِيدُ لدينِ الحقِّ وأدأً وَضِيعَةً
عقولُ يُرَبِّها الحَقْدُ في الهدى سُبَّةُ
قلوبُ عليها للضلالِ غشاوَةٌ
أتى بكتابِ اللهِ أَصْدَقِ آيَةٍ
وما اسطاعَ إتياناً بأقصرِ سورةٍ
وجادلَهُمْ كي يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ
هُمُ قد أَجابوا قَوْلَهُ ودعاءَهُ
وقالوا فقيرٌ ينشُدُ الجاهَ والغنى
خُرافاتُ مجنونٍ، وأوهامُ شاعرٍ
هُمُ أوغلوا في إفكِهِم وعنادِهِم
فما ضَرَّهُم لو أَنَّهُم سمعوا لَهُ
أَتاهُمُ بنورِ اللهِ والصدقِ والهُدى
هو الحقُّ لكن كيف يهدي لنورهِ

غويٍ بأحضانِ، الشقاءِ قد ارتمى
ألا بُتِرَتْ يُمناه كفاً ومعصاً^(١)
ويُملِي عليها أن تثورَ وتنمأ^(٢)
فأنى لها أن تَسْتَجِيبَ وتفهما
فأعجزَ أربابَ البيانِ وأفحماً^(٣)
من المِثْلِ من قد كانَ في القولِ مُلْهِمًا^(٤)
فكانَ كذبي حِلْمٍ بليلاً توهُمًا
إذا كان يشفي الأَلَّ من غِلَّةِ الظمًا^(٥)
ومهمَلُ قومٍ شاءَ أن يتزعَّمًا
به من رثيَّ الجنِّ داءً تحكَّمًا
وكان الذي قالوه وهماً مرَّجماً^(٦)
وما كان في صدقِ الحديثِ مذمماً^(٧)
فما بالُ وجهِ الكُفرِ منهم تجهَّمًا^(٨)
وإن كانَ مثلُ الشمسِ من بات ذاعمى

(١) الوأد : الدفن في القبر للحي .

(٢) سبة : عاراً . تنمعا : بمعنى تفسد في الحياة الدنيا .

(٣) أفحماً : أسكته في الخصومة .

(٤) يشير إلى تحدي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثل أية من آياته كما في قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ البقرة - ٢٣ .

(٥) الأَل : السراب الخادع .

إشارة إلى عرض قريش على رسول الله ﷺ المال والملك والجاه والطب إذا كان يريد بما جاء به الملك أو المال أو كان به مس من الجن والحادثة في سيرة ابن هشام وغيره من كتب السير والتاريخ .

(٦) مُذمِّمًا : مذمومًا أو مطعونًا في صدقه . وقد كانوا يلقبونه - عليه الصلاة والسلام - بالأمين والصادق .

(٧) تجهَّم : أي استقبلوا الأمر بوجه عابس كالح .

أبى الكفرُ إلا شقوةً وسفاهةً
وذو الحلم إن يغضبُ فغضبةٌ ناثِرٌ
ولما أرادَ اللهُ نصرًا لدينه
فأذَنَ داعٍ للجهادِ: أن انفروا
فبادرَ نبالُ فراشِ سِهَامِهِ
أجابَتْ نداءَ الحقِّ في اللهِ إذ دعا
وسلَّتْ بفدرٍ للجهارِ بواترٍ
على صفحةِ البيداءِ والسيفُ قائمٌ
قد التحمَ الجيشانِ: جيشُ ضلالةٍ
هنا وقفَ التاريخُ وقفَةً شاهدٍ
وقامَ رسولُ اللهِ، اللهُ ضارعاً
وراحَ إليه والقنا تضربُ القنا
وجاءَ إلينا في عتادٍ وعدةٍ
تباركت: إن تهلكَ لدينك عُصبةٌ
فما هي إلا كربةٌ عادَ بعدها

فباتَ امتشاقُ السيفِ أمراً محتماً^(١)
رأى العارَ في أن يستكينَ ويكظماً^(٢)
أهابَ بسيفِ الحقِّ أن يتكلَّمَا
ألا فليُجبَ من كانَ اللهُ مُسلماً
وأسرَعَ قتالَ فجرَدٍ مَخْذَماً^(٣)
نفوسُ ترى الإيمانَ أن تتقدما
أبَتْ في سبيلِ اللهِ أن تتثلَّماً^(٤)
تبدَّى مثارُ النقعِ كالليلِ أقتماً^(٥)
وجيشُ على الإيمانِ بالحقِّ صمما
وقد أمسكتْ كفاهُ لوحاً ومرقماً^(٦)
يسألهُ الوعدَ الذي كانَ أبرماً
يناديه: راشَ الكفرُ للدينِ أسهما^(٧)
يريدُ لهذا الدينِ أن يتحطَّماً
فلنْ يعبدوا في الأرضِ رباً معظماً^(٨)
وقد أوردوا القومَ اللثامَ جهنما

(١) امتشاق: من المشق: وهو السرعة في الطعن والضرب والأكل، امتشق الشيء من يده: اختلسه بسرعة.

(٢) يكظم: من كظم. بمعنى اجترع غيظه.

(٣) النبال: على وزن فعال (صيغة مبالغة) بمعنى رامي النبل أو صاحب النبل، والقتال: هو الذي يقتل، المخدماً: السيف القاطع. راش: وضع الريش للهسم قبل رميه.

(٤) بواتر: جمع باتر، وهو السيف القاطع، تثلم: من تلم: وهو الخلل، والتلم في السيف: هو انكسار في شفته شيء.

(٥) النقع: الغبار. أقتم: من القتام وهو الغبار، والأقتم: لون فيه غيره وحمرة.

(٦) مرقم: قلم.

(٧) راش: وضع الريش للسهام.

(٨) إشارة إلى قوله ﷺ في بدر وهو يناشد ربه: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد».

نفوساً أبث باللين أن تتقوماً
 ودين رعاؤه الله أن يتهدماً
 ولكن رب الدين من فوقهم رمى^(١)
 لأم القرى لما إليها تيمماً^(٢)
 يشق هضاب البيد سيلاً عرمرما
 إذا ما بدت للحرب ناراً تقحماً
 ويبدو إذا ما كرت الخيل ضيغماً^(٣)
 وكان عليه البيت قبلاً محرماً
 هم نصبوه قد وهى وتهشما
 وساقوا إليه الكيد كالحقد مؤلماً
 إلى أن رأى في هجرة الدار مغنماً
 فقد كان ظلم الأهل أنكى وألماً
 إلى ذلك الغازي أساء وأجرماً
 وقد شربوا كأس المذلة مفعماً
 جنوها وهم كانوا أعق وأظلماً
 ولو قد أتاها كان للعدل محكماً
 إذا ما أسأؤوا أن يقبل ويرحماً^(٤)
 ووطده في الأرض ديناً ودعماً
 وأكمل القرآن نوراً وتمماً

وقومها بالسيف والرُمح والقنا
 فيا لك من جيش حماه إلهه
 فلم يرمهم رام بنافذ سهمه
 وحدث عن الفتح المبين وما بدا
 ألم يقبل الداعي الفقير بجحفل
 بكل فتى أمضى من السيف عزمه
 تراه إذا ما لفه الليل قانتاً
 ألم يدخل البيت الممنع فاتحاً
 فكم من إله تحت أقدام جنده
 ألا سائل القوم الذين مشوا له
 وصبوا عليه السوط - سوط عذابهم -
 وإن كان ظلم الناس للمرء مؤلماً
 أما جمعوا بالبيت من كل ناظم
 أما أطرقوا رأساً مخافة بأسه
 أما قدروا أن يبطش البطشة التي
 فمال إلى الصفح الجميل عن الأذى
 ولكنه داع إلى الخير، شأنه
 أقام يتيم البيد أركان دولة
 هو الحق قد أرسى الإله بناءه

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.

(٢) يقصد بأم القرى مكة ويتحدث عن فتحها.

(٣) فالمسلمون كما وصفوا: «رهبان في الليل فرسان في النهار».

(٤) إشارة إلى اجتماع قريش عند رسول الله ﷺ أمام الكعبة بعد الفتح - وسؤاله ﷺ لهم - «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «فأذهبوا فأنتم الطلقاء».

دعامته الشورى، وشريعته الهدى،
لديه استوى من لم يُزنه نجاره
فلا فضل إلا بالتقى ولو أنه
لقد أخذ الأُمِّي يسعى بقومه
وقاد رعاة الضأن شامخ دولة
هُم ملكوا الدنيا فنالت بظلمهم
وسارت على الأيام يزداد بأسها
فلما استقام الملك وانتظم الورى
أضعناه عن ضعفٍ وذلٍ ولم نقم
فما عرف الإسلام من بعدهم سوى
فعاد عزيز الدين يندب عزة
فيا رب إن يُصبح بنا الغرب هازئاً
ندمنا على ما ضاع لو كان مُجدياً

به من رحمن السماء وأنعما
ومن لقریش في الأنام قد انتمى (١)
يكون لمن قد عاش بالفقر مُعدماً
إلى ذروة العلياء حتى تستمأ
كما لم يقد من قبل من كان قيماً
عدالةً تشريع، وحكماً مُنظماً
وتصعد للعلياء والمجد سلماً
وشارف في العلياء بالأفق أنجماً
عليه وقد أودى جداداً ومأنماً
ذليل عن الإسراع للمجد أحجماً
ويلعق جرحاً في الفؤاد مُكتماً
فقد كان منا من غزاه وعلماً
لطالب مجدٍ ضاع أن يتندماً

* . * . * . * . *

(١) نجاره : نسبه .

مولد النور (*)

جيدُ الظُّبَا، والمقلَّةُ الحوراءُ
 ما زلتَ تلهو في شبَابِكِ عابثاً
 وكذاكِ سِحْرُ الغانياتِ عَلِمْتَهُ
 كيفَ الوصولُ إلى التي قد ضَمَّها
 إِنِّي سعيْتُ لها بقلبٍ وإلهٍ
 وخطوتُ مُجتازاً إليها ساحةً
 وهمستُ من تحتِ الدياجي باسمِها
 ورأيتُ تحتَ السُّجفِ بدرأً عندما
 ضربتُ بكفِ صدرِها وتعجَّبتُ
 فأجبتُها: لا تعجبي غَلَبَ الهوى
 ولقد سريتُ بها نكتُمُ سِرِّنا

هذان يا قلبي هما الغُرماءُ^(١)
 حتى رَمَتَكَ الغادةُ الحسناءُ
 ما للمصابِ بجرحهنَّ شفاءً
 خِذْرٌ تُظَلِّلُهُ القنا وَخِباءُ^(٢)
 وعليَّ من نسجِ الظَّلامِ رداءً
 للقومِ حولَ خيامِها إغفاءً
 وبدا لخطويِ عندها إبطاءً
 برزتُ إليَّ يَلْفُها استحياءُ^(٣)
 مِنْ جُرأتي ولعَيْنِها إيماءً
 ضَحِكْتُ وقالتِ هكذا الشُّعراءُ^(٤)
 ولنورها بينَ الدُّجى إفشاءً

(*) أُلقيت في الليلة الختامية للإحتفال بذكرى ميلاد الرسول ﷺ - بأشخاص - يوم ٨ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٤ وأعيد ألقاؤها في الحفل الكبير الذي أقيم بجمعية المحافظة على القرآن الكريم بالقازيق لسماع محاضرة شيخ المعهد يوم ١٥ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٤ .

(١) الجيد : العنق، المقلَّة : العين، الغرماء : جمع غريم وهو الرجل الذي عليه الدين ويقصد هنا المعتدي .

(٢) الخدر الستر .

(٣) السُّجف : جمع سجعف وهو الستر .

(٤) يبدو تأثر شاعرنا بعمر بن أبي ربيعة .

فَتَفَنَعَتْ تُخْفِي الضِيَاءَ وَمَا لَهُ
 نَادِيَتُهَا لَا تَحْجُبِيهِ فَإِنَّمَا
 هَذَا كَنُورِ الْحَقِّ حِينَ بَدَأَ لَنَا
 هُوَ نَفْحَةُ الرَّحْمَنِ لِلْكَوْنِ الَّذِي
 قَدْ شَاءَهُ لِهُدَى النَّبْوَةِ إِنَّهُ
 لَمَّا تَأَذَّنَ بِالرِّسَالَةِ أَشْرَقَتْ
 وَبَدَأَ عَلَى الصَّحْرَاءِ يَرْحَفُ مُشْرِقًا
 هَذَا الْيَتِيمُ الْفَدَى مَا عَهَدْتُ لَهُ
 سَبْحَانَ مُحْيِي الْبَيْدِ حَتَّى أَنَّهَُا
 أَمَا الْوَلِيدُ: فَكَانَ مُنْقَذَ أُمَّةٍ
 جَاءَ الضِّيَاءَ لِمَنْ مَضَوْا فِي غِيْهِمْ
 هَذَا النَّهَارُ تُطَاحُنُ وَتَشَاخُنُ
 أَمَا الْقُلُوبُ فَقَدْ تَنَافَرَ وَدُهَا
 وَنَفُوسُ قَوْمٍ مَا تَوَلَّدَ مِيلُهَا
 اللَّهُ أَكْبَرُ إِذْ أَرَادَ شِفَاءَهَا
 فَأَعَدَّ لِلْأَمْرِ الْجَلِيلِ مُحَمَّدًا
 مِنْ أَرْشَدِ السَّارِي إِلَى سَبْلِ الْهَدْيِ
 عَهْدِي بِمَنْ قَدْ فَاضَ مَاءُ شَبَابِهِ

لَمَّا تَبَلَّجَ فَجَرُّهُ إِخْفَاءُ
 لِلشَّمْسِ مِنْ خَلْفِ الْغَمَامِ ضِيَاءُ
 بِمُحَمَّدٍ مَا إِنَّ لَهُ إِطْفَاءُ
 كَأَنَّهُ تَحِيْطُ بِأَهْلِهِ الظُّلْمَاءُ
 يَضَعُ الْهَدْيَ وَالْمُلْكَ حَيْثُ يَشَاءُ
 أَرْضُ وَضَاعَتْ بِالْعَبِيرِ سَمَاءُ (١)
 فَجَرُّهُ مِنْ فَوْقِهَا لِأَلَاءِ (٢)
 مِنْ مُشْبِهِ فِي وَصْفِهِ الْبِيدَاءِ
 نَبَتْ عَلَيْهَا الزَّهْرَةُ الْفَيْحَاءُ
 وَثَنِيَّةٌ لَعِبَتْ بِهَا الْأَهْوَاءُ
 وَعَلَى الْعَيُونِ غِشَاوَةٌ سُودَاءُ
 وَاللَّيْلُ كَأَنَّ ثَرَّةً وَنِسَاءً (٣)
 حَتَّى تَفَشَّتْ بَيْنَهَا الْبَغْضَاءُ
 لِلْخَيْرِ لَمَّا ذَاعَتْ الْفَحْشَاءُ (٤)
 بِهَدْيٍ حَكِيمٍ دُونَهُ الْحُكْمَاءُ
 إِنَّ الْعِظَائِمَ كَفَوْهَا الْعِظْمَاءُ
 فَطَوَاهُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ حِرَاءُ
 يَقْظُ الْمَطَامِعَ لَفَّهُ الْإِغْوَاءُ

(١) ضاعت : فاحت بالعبير.

(٢) لألاء : لمعان.

(٣) يصف الشاعر حالة العرب عند مولده - ﷺ - من عبادة الأوثان. والضلال في التفكير والتخاصم والنزاع لأنفه الأسباب بين القبائل، ومعاقرة الخمر، وفعل الفواحش من زنا وغيره.

(٤) أي لم يقم أحد بمحاربة الفحشاء أو الظلم عندما فشا ذلك بين الناس في الجاهلية.

قَدْ كَانَ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ فَمَالَهُ
 مَا بِالْهُ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهُوَ الَّذِي
 تَرَكَ الْحَيَاةَ عَرِيضَةً مِنْ خَلْفِهِ
 يَسْتَلْهُمُ الْعَقْلَ الطَّرِيقَ إِلَى الَّذِي
 هَذِي الْبَسِيطَةُ قَدْ أَمَدَّ فِجَاجِهَا
 هَذَا الْفَضَاءَ وَمَا بِهِ مِنْ كَوَكِبٍ
 هَذِي الْحَيَاةُ وَمَا بِهَا مِنْ مُعْجِزٍ
 هَذِي الزَّرْوَعُ وَغَرَسُهَا حَبًّا لَهُ
 هَذِي الْمِيَاءُ وَقَدْ تَفَجَّرَ نَبْعُهَا
 وَاللَّيْلُ يَتَّبَعُهُ النَّهَارُ عَلَيْهِمَا
 مَنْ سَخَّرَ الْأَرْيَاحَ تِلْكَ لَوَاقِحًا
 لِمَنْ الْجَوَارِي الْمُنْشَثَاتُ مَوَآخِرًا
 حَسَبُ الْعُقُولِ فَتِلْكَ صِنْعَةُ مُبْدِعٍ
 لَا غَرَوَ إِنْ هَجَرَ الضَّلَالُ مُحَمَّدٌ
 اللَّيْلُ مَعْتَكُرُ الْجَوَانِبِ سَاكِنٌ
 سَكَّتْ رِبْوَعُ الْبَيْدِ إِلَّا مِنْ صَدَى
 وَهَنَاكَ فِي غَارِ الْهَدَايَةِ عَابِدٌ
 مَا زَالَ يَضْرِبُ فِي اللَّيَالِي رَاجِيًا
 حَتَّى سَرَى فِي الْبَيْدِ ذَاتَ عَشِيَّةٍ
 إِقْرَأْ فَإِنَّ الْحَقَّ ضَاحٍ قَدْ بَدَأَ

لَا يَسْتَجِيبُ إِذَا دَعَا الْإِغْرَاءَ
 يَلْهُو بِهِ مَنْ حَوْلَهُ الْقُرْنَاءَ (١)
 وَمَضَى إِلَى الصَّلَوَاتِ وَهِيَ خَلَاءَ
 فِي الْكَائِنَاتِ بَدَتْ لَهُ آلَاءُ
 فَغَدَّتْ عَلَيْهَا يَخْطُرُ الْأَحْيَاءُ
 ضُرِبَتْ عَلَيْهِ الْقَبَّةُ الْعَلْيَاءُ
 يَعْدُو عَلَيْهَا فِي الزَّمَانِ فَنَاءَ
 فِي الْأَرْضِ، فَرَعُ بَاسِقٌ وَنَمَاءُ
 حَتَّى تَدْفُقَ فِي الصَّخُورِ الْمَاءُ
 يَتَعَاقَبُ الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
 سَارَتْ وَمِنْهَا عَاصِفٌ وَرُخَاءُ
 يَجْرِي بِهَا فَوْقَ الْعُبَابِ هَوَاءُ (٢)
 ذَلِكَ عَلَيْهِ فَلَيْسَ فِيهِ خَفَاءُ
 فَبِمَثَلِ هَذَا يَهْتَدِي الْعُقْلَاءُ
 وَالسَّهْلُ قَفْرٌ وَالْحُزُونُ فِضَاءُ (٣)
 قَدْ رَدَّدَتْ رِنَاتِهِ الْبَطْحَاءُ
 قَدْ طَالَ مِنْهُ عَلَى الرَّمَالِ نَوَاءُ (٤)
 لِلْحَقِّ حَتَّى جَاءَهُ الْإِيْحَاءُ
 صَوْتُ لَهُ مِنْ فَوْقِهَا أَصْدَاءُ
 لِلنَّاسِ مِنْ بَعْدِ الرَّدَى إِحْيَاءُ (٥)

(١) القرناء : الأصدقاء ومن في سنه من الشباب.

(٢) الجواري المنشثات : السفن.

(٣) الحزون : جمع حزين وهو ما غلظ في الأرض.

(٤) نواء : مكوت.

(٥) ضاح : بارز.

وصحا الأنام على صباح مُبَشِّرٍ
وغدا بمكة أهلها في كَرِيهِم
صوتٌ هو الإرشاد يَطْرُقُ سمعهم
نورٌ كرابعةِ النهارِ بدا لهم
والشمسُ إن بَهَرَ الأنامَ ضياؤها

* . * . * . * . *

عصبيةٌ تُذكي أوارَ عنادهم
ما صَيَّرَ الأوثانَ رباً كونها
هم يعرفون الحقَّ إلا أنها
قد أنكروا أن قامَ يدعوهم إلى
السادةِ الأمجادِ كيف يقودهم
تلكَ النبوةُ كيف تتركهم إلى
لولا تَنَزَّلَ ذاكَ بينهم على
اللهِ أعلمُ حيثُ يجعلُ وحيه

* . * . * . * . *

ومضى ابنُ عبدِ الله ينشرُ هديهُ
وقَفُوا لَهُ مُتَكَتِّلِينَ يمسُّهُ
ومشى ابنُ عبدِ الله يصرخُ حوله
ما ناله من كَيْدِهِمْ إعياءُ (٤)
أنى تَوَجَّهَ بينهم إيذاءً
ويرنُّ في أذنيه الاستهزاء

(١) عشواء : الناقة العشواء هي الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تخطب بيديها كل شيء،
ومنها استعملت هنا للمقلة التي لا تبصر.
(٢) إحن : حقد وأضغان والمفرد إحنه . بُرحاء شدة الأذى.
(٣) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وقالو لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم﴾ [الزخرف - ٣١ -] .
(٤) إعياء : بمعنى التعب وهي من العي : خلاف البيان، وعدم الإهداء إلى القلوب .

لَمْ يُثْنِهِ مَا قَدَمُوهُ وَهَكَذَا بَيْنَ الْعَوَاصِفِ تَحْمَلُ الْأَعْبَاءُ^(١)

* . * . * . * . *

ظَنُّوا بِهِ كُلَّ الظَّنُونِ وَإِنَّهُ زَعَمُوهُ لَمَا أَنْ تَكَامَلَ حِقْدَهُمْ قَالُوا: حَسُودٌ قَدْ أَرَادَ سِيَادَةَ طَوْرًا أَخُو سَحِرٍ وَطَوْرًا شَاعِرٌ إِنْ كَانَ حَقًّا مَا أَتَوْهُ فَكَيْفَ لَمْ قَدْ جَاءَ مَعْجِزَةَ النَّبِيِّ وَغَايَةَ مَا بَالُ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ مَا أَدْرَكَ الْقَوْمُ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا أَنْ الْعِنَايَةَ فِي السَّمَاءِ تَحْوِطُهُ سَلُّ مِنْ عَلِيٍّ بَابِ الرَّسُولِ تَرِبْصُوا هَلْ أَبْصَرُوهُ وَقَدْ تَخْطَى جَمْعَهُمْ نَثَرَ التَّرَابَ عَلَى الْوَجْهِ فَاصْبَحُوا وَمَشَى إِلَى الصَّدِيقِ يَصْحَبُهُ إِلَى مَا دَارَ فِي خَلْدِ اللَّثَامِ وَلَوْجُهُ

مَنْ كُلِّ هَاتِيكَ الظَّنُونِ بَرَاءٌ ذَا جِنَّةٍ يَطْفِي عَلَيْهِ الدَّاءُ وَفَقِيرٌ قَوْمٍ هَمَّهُ الْإِثْرَاءُ^(٢) يَا إِفْكٌ مَا نَادَتْ بِهِ السَّفَهَاءُ^(٣) تَنْطِقُ بِمِثْلِ حَدِيثِهِ الْبَلْغَاءُ فِي الْقَوْلِ يَكْبُو دُونَهَا الْفُصْحَاءُ^(٤) أَعْيَتْهُمُ تَرَاجِعُ الْفُصْحَاءُ وَقَلُوبُهُمْ مِنْ غَيْظِهِمْ رَمَضَاءُ وَمِنْ الْعِنَايَةِ فِي الْخُطُوبِ وَقَاءُ^(٥) وَالْبَيْتُ فِيهِ عَلِيُّ الْفَدَاءُ وَمَضَى لَهُ تَحْتَ الدُّجَى إِسْرَاءُ حَتَّى كَأَنَّ عَيُونَهُمْ رَمْدَاءُ وَطَنٍ كَرِيمٍ أَهْلُهُ كُرْمَاءُ فِي الْغَارِ لَمَا بَاضَتْ الْوَرَقَاءُ^(٦)

(١) إشارة إلى الاستهزاء برسول الله - ﷺ - وإيذائه من قبل قريش.

(٢) إشارة إلى قول كفار قريش: بأن محمداً يريد أن يكون ملكاً وغنى وعرضوا عليه ذلك.

(٣) إفك : كذب.

(٤) يقصد بمعجزة النبي ﷺ القرآن الكريم.

(٥) وقاء ووقاء ما وقيت به شيئاً.

(٦) هذا البيت والأبيات السابقة تشير إلى حادثة الهجرة، وخروج الرسول والقوم يحيطون

ببيته، ووضعوا التراب على رؤوسهم وهم نيام، وعناية الله برسوله ﷺ.

ولوجه : دخوله . الورقاء : الحمامة.

وبداخلِ النَفَقِ الأَمِينِ عليهما
 ما مِنْ طعامٍ يُرْزَقانِ بهِ سَوى
 قَفِّ يا سَراقَةَ حَيْثُ أَنْتِ فَإِنما
 كَيْفَ الوُصُولُ إِلى الرِسالِ ودونهِ
 تَلَكِ القِوائِمُ مِنْ جِوادِكِ ما لَها
 أَتَريدُ نَيْلَ مُحَمَّدٍ، وبِقاؤُهُ
 سارا ولِلصِّديقِ فِيهِ بُكاءُ
 ذاكِ الَّذي جَاءَتْ بِهِ أَسماءُ^(١)
 أَدرِكتُهُ لو تَدْرِكُ العِناقُ^(٢)
 تَأبى المِسيرَ كَأَنَّها شِلاءُ^(٣)
 مِنْ رِحمَةِ اللَّهِ القَدِيرِ كَساءُ
 لِلحَقِّ وَالدينِ الحَنِيفِ بَقاءُ

* . * . * . * . *

حَيًّا إِلهُ مِنَ المَدِينَةِ مَعشَراً
 قَوْمٌ هُمُ الأَنْصارُ أَمّا ذَكَرَهُمُ
 الأَحْذِينَ مِنَ الرِسالِ مِوائِقاً
 والباذِلِينَ لَمَنْ إِليهِمْ هاجَروا
 والمُشركِينَ القَوْمِ فِي أَموالِهِمْ
 والمُؤثِرِينَ عَلى نَفوسِهِمْ وَإِنْ
 مَدُّوا إِليهِمْ فِي مَدِينَتِهِمْ يَدًا
 جَمَعَتُهُمْ فِي اللَّهِ خَيْرُ أَحوَةٍ
 آوؤُهُ حِينَ أرادَهُ الأَعْداءُ
 فَنَدِ، وَأما عَهدُهُمْ فَوَفاءُ^(٤)
 سارَ الزَمانُ وَهَمَّ لَها أَمْنا
 إِخْلاصَ قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ رِياءُ
 - لا المُشركِينَ - وَدينُهُمْ وَضاءُ
 نَزَلَتْ بِهَمَّ مِنْ حَاجَةٍ ضَراءُ
 لَمّا بَدَأَ فِي الأَقْرَبِينَ جَفاءُ
 فَالدينُ وَدُ بَينَهُمُ وإِخاءُ

* . * . * . * . *

-
- (١) أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، حيث كانت تأتي بالزاد لرسول الله ﷺ ولأبيها وهما في الغار وربطت الزاد بشق من نطاقها لذا سميت بذات النطاقين.
- (٢) سراقه بن مالك الذي لحق برسول الله ﷺ ليأخذ جائزة قريش بمن يأتي بمحمد.
- العنقاء : الداهية والأصل هو طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم وكناية عن عجز الإنسان عن إدراك ما يتمنى.
- (٣) إشارة إلى ما حصل لسراقه عندما ساخت قوائم فرسه في الأرض حتى دعا له رسول الله ﷺ وانطلقت. انظر إلى كل هذه الحوادث في سيرة ابن هشام أو غيرها عند حوادث الهجرة.
- (٤) ندي : جواد : أي هم أصحاب الجود والوفاء.

نفس الصواع وللمسيء جزاء^(١)
 قد غطيت بغارها الصحراء
 إبل لها عند الرحيل رغاء^(٢)
 إذ شمّرت عن ساقها الهيجاء
 قام اصطدام عارم ولقاء
 يوم الكريهة للرسول لواء
 فعلى الشريعة في الأنام عفاء^(٣)
 إذ أنت فصل بينهم وقضاء
 وعرفت كيف تنائر الأشلاء
 لما وهته الغارة الشعواء
 قد صب فوق الرأس فيه بلاء
 سالت على البيداء منه دماء
 إن الحياة غشاوة وغطاء^(٤)

وأراد ربك أن يكيل لمن بغوا
 ومضت بدر للقتال ضياغم
 بكرت خيول للوغى وتدافعت
 وعلى رمال البيد شب لهيها
 بين الضلال وبين حي مشرق
 الفتية الأبرار يخفق فوقهم
 هم للشريعة نبتها إن يقتلوا
 يا يوم بدر قد شهدت لِقَاءهم
 يا يوم بدر قد رأيت صراعهم
 كيف ارتداد الغي فيك محطماً
 كيف اندحار الشرك يلعق جرحه
 هذا أبو جهل لديك مُجندل
 فلعله عرف الحقيقة مَيّاً

* . * . * . * . *

وعلى المكيدة أزمع الحلفاء
 تجمّع الجهال والغوغاء
 فجرت بما قاموا به الأنبياء
 نال الجميع شقاوة وعناء

وتحالف الأعداء فيما بينهم
 عزموا على غزو المدينة بغتة
 سارت إلى حرب الرسول جموعهم
 وهناك حول الخندق المضروب قد

(١) الصواع : لغة في الصاع : وهو إناء يشرب فيه وأتى هنا بمعنى المكيال أو الطريقة.

(٢) رغاء : صوت الإبل.

(٣) عفاء : التراب.

(٤) إشارة إلى قول رسول الله ﷺ لقتلى بدر من المشركين: «يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، يا أبا جهل، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟» انظر سيرة ابن هشام (عزوة بدر).

جاءتَهُمُ الرِّيحُ العَقِيمُ فكمْ هوتُ عُمُدٌ وأكفأُ في الخيامِ وعاءُ^(١)

* . * . * . * . *

وقضى الإلهُ بفتحِ مكةَ فأنبرى
وتدفَّقَ الوادي بخيلِ فوقها
مهلاً أبا سفيانَ ذاكَ مُحَمَّد
طلعتُ عليكِ فوارسُ لا تتقى
يا قائِدَ الأشرارِ في أحدٍ ويا
ماذا لقيتُ من الرسولِ وقد أتى
ما كانَ ضرراً محمداً لو أنه
أنتمُ من أضطهدوه حتى أنه
لو أنه صبَّ الجزاءُ مُضاعفاً
أوليسَ قد رَسَمَ الطريقَ إلى الهدى
نظروا إليه ذليلاً أعناقهم
ناداهمُ ماذا تروني فاعلاً:
فأجابهمُ : إنِّي عفوتُ عن الذي

* . * . * . * . *

يا سيّدَ الرُّسلِ الكرامِ ومنَ بهِ قد قامَ للدينِ العظيمِ بناء

(١) إشارة إلى ما فعلته الريح بخيام قريش وجيشها عندما كانوا يحاصرون المدينة في غزوة الخندق حتى أخزاهم الله سبحانه.

(٢) إشارة إلى لقاء أبي سفيان مع العباس رضي الله عنهم عند فتح مكة وكان أبو سفيان يستطلع خبر النيران التي رآها من بعيد حتى عرف أنه جيش رسول الله ﷺ (انظر فتح مكة) في سيرة ابن هشام.

(٣) الحية الرقطاء : نوع من الحيات المنقطة بالسواد والبياض وهي من أخبت الحيات.

(٤) إشارة إلى قوله ﷺ لأهل مكة «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وعفا عنهم.

والشرك ليل أنت فيه ذكاء (١)
 فمضى على سنن له الخلفاء
 حتى بدا للمشركين عداء
 صبغت بحمرة لونه الحصباء
 حتى سما مجد لهم وثناء
 لا تستبين بيهديها أخطاء
 ولكل أمرٍ حادثٍ شهداء
 سألت عليها في الزمان ثناء
 فالبذل بيع عنده وشراء
 لك شريعة قدسية غراء
 ناديت صماً ما لهم إصغاء
 عاف التجرع إذ أتاه دواء
 بالبيت تصدقة لهم ومكاء (٢)
 ظلمات ليل شاءه القدماء
 فجراً لدين ليس فيه مراء
 إن لم يكنها فالجهود هباء
 والصبر منك شجاعة وإباء
 هذي الهداية فالقلوب صفاء
 فهما أمم الحق منك سواء
 لا يعترى من يتغيه حياء
 عضو شكا سهرت له الأعضاء

الحق نور أنت مظهر فجره
 والعدل أنت وضعت ثابت ركنه
 والسلم دأبك ما ركبت كرهه
 لولا أجتراء الزور لم يسفك دم
 الرائد الأمي علم قومه
 نظم العدالة من رسالتك التي
 بالسيف والدم قد شققت طريقها
 مهج من الأبطال في يوم الوغى
 باعوا نفوسهم بجنة ربهم
 الدين وأدنيا لنا جمعتهما
 لم يعرف الجهال قدرك إنما
 إن المريض وإن تألم طالما
 أين الغداة من الصلاة وذكرها
 بل أين من نور الإله وهديه
 يأمرسلاً بالحق يحمل وحيه
 إن المشرع قدوة في شرعه
 الجود عندك ديدن وغريزة
 والظلم قد أخذت عليه سبيله
 ليس الغني على الفقير بسيد
 أما الزكاة فتلك حق ثابت
 والمسلمون جميعهم جسد إذا

(١) ذكاء : الشمس .

(٢) التصدية : التصفيق ، والمكاء : مصغر التصغير وهكذا كانت صلاة الجاهليين لقوله تعالى : ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية﴾ .

كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَسْتَ أَمْلِكُ حَصْرَهَا جَلَّتْ فَلَيْسَ يَضُمُّهَا إِحْصَاءُ
يَا سَيِّدَ الشَّفْعَاءِ هَذِي مَدْحَتِي مَنِي إِلَيْكَ فَرِيدَةٌ عَصْمَاءُ
اللَّهُ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكَ فَهَلْ لِمَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ اللَّهُ إِطْرَاءُ
فَاقْبَلْ تَحِيَّةَ شَاعِرٍ لَوْ أَنَّ مِنْ مِثْلِي لِمِثْلِكَ يَجْمُلُ الْإِهْدَاءُ

* . * . * . * . *

في الكفاح الإسلامي

1

1

1

1

فلسطين

[باكورة الشعر]

[عندما أقرت هيئة الأمم مشروع تقسيم فلسطين، تحركت في قلب كل عربي النخوة والشهامة لإنقاذ هذه الدولة - فنظمت هذه القصيدة حاثاً شباب العرب على التطوع والجهاد . . وهي أول قصيدة نظمها، والمقصود من ذكرها هنا التذكير فقط].

آنَ الجهادُ فأقدمُ أيُّها البطلُ وأمسكُ حُسامك واطعن قلب صهيونا^(١)
جاءوا يريدونَ تقسيماً فقلْ لَهُمْ والسيفُ يشطرُهُم لَنْ نقبلَ الهونا
قَدماً ملكنا زمامَ الأرضِ أجمعها هنداً وتركاً كذا فرساً ورومانا

* . * . * . * . *

(١) سنّبت بعض الأبيات هنا مع وجود الأخطاء، واعتمدت فيها على النسخة التي صنعها الشاعر وأسمها «نسيم السحر» وقد صححت بعض الأخطاء كما صححها الشاعر في النسخة الثانية: «أهات شريدة» بعد أن اشتد عوده وازدادت خبرته في الشعر.

محنة اليمن

[٢٢ مارس - آذار - ١٩٤٨]

[في إبان الفتنة العمياء التي اجتاحت الأمة اليمنية بعد مقتل إمامها والتي اکتوى بناها الكثيرون كتبت أقول]:

انظر «لصنعا» اليوم والأرجاء
تجد الحروب وقد تفاقم شرها
كم من فتى كئا له في حاجة
يا أيها اليمن الشقيق تحيتي
ما بال أهلک قد طغوا وتفرقوا
إن الديار ديارهم وبلادهم
يا أيها القوم الألى أعماكم
إن العدو يريد غزو بلادكم
بالأمس قد قتل الإمام مليککم
تجد الدمار أقام في الأنحاء
في الأرض حيث جرى دم الشهداء^(١)
ذهب الشهيد ضحية الأهواء
أهديكها وإن تشأ فرثائي
ما بين تخريب وسفك دماء^(٢)
ما الغزو للبلد الغريب النائي
حب التملك أنصتوا لدعائي^(٣)
ليذلكم في صبحه ومساء^(٤)
واليوم قام بفتنة عمياء

(١) في نسيم السحر:

تجد الحروب تشيب الطفل الذي

(٢) أهلك في مجموعة آهات (قومك).

(٣) في آهات شريدة البيت كما يلي:

يا أيها القوم الذين أضرهم

(٤) ليذيقكم منه كؤوس شقاء (في مجموعة آهات شريدة).

في المهد حين جرى دم الشهداء

داء التناحر أنصتوا لدعائي

إِنَّ التَّفْرُقَ أُسُّ كُلِّ هَزِيمَةٍ فتعاونوا لنفوزَ بالأعداءِ (١)
وَلَنُلْحِقَنَّ بِهِمْ أَشَدَّ مَصِيبَةٍ ولننقهرنَّ القومَ في الهيجاءِ (٢)
وَلَنُرْفَعَنَّ عِلْمَ الْعَرُوبَةِ عَالِيًّا ونعيشُ جمعاً في هناً وصفاءِ

* . * . * . * . *

(١) (إن التفرق) بدلاً منها (هذا التفرق) في مجموعة (آهات).
(٢) البيتان الأخيران غير موجودين في مجموعة (آهات).

تحية الشباب (*)

حيّ الشبابَ العاملين
 مَنْ شِيدُوا صرْحَ الرُّشَا
 مَنْ قَد أَبَوْا إِلَّا الجِهَادَ
 لَا يَعمَلُونَ لِغَايَةٍ
 جَاءُوا المَلَا بِرِسَالَةٍ
 وَدَعُوا إِلَى السَّيرِ القَوِ
 قَسَمَا لَهُم مَجْدٌ أَغرُّ
 وَمَشَى الرُّكَّابُ بِذِكْرِهِم
 أَنشَاصُ يَا تَاجُ البِلَادِ
 هَذَا الرِّدَاءُ مِنَ التَّكَا
 إِنَّ كَلَّ عَزْمٌ لِلسَّيُوخِ
 لَا تَجزَعِي أَوْ تَيَأسِي
 يَا فَتِيَّةَ الإِرشَادِ جُنْدَ
 يَا فَخْرَ مَنْ حَمَلَ المِشَاعِلَ
 سِيرُوا إِلَى العَلِيَاءِ لَا فَرًّا
 وَاللَّهُ جَلُّ يَمُدُّكُمْ
 خَيْرَ الكِتَابِ أَجمَعِينَ
 دِ لِيرفَعُوا لِلَّهِ دِينَ
 فَذَيْتُهُمْ مِنْ مُصلِحِينَ
 إِلَّا فَلَاحَ المُسَلِمِينَ
 لِأَحَالٍ مِنْ وَحْيِ الأَمِينِ
 يَمِ عَلَى غِرَارِ السَّالْفِينَ
 فَاقَ مَجْدَ الخَالِدِينَ
 نَدَا عَلَى مَرِّ السَّنِينِ^(١)
 وَدَرَّةَ العَرشِ المَكِينِ
 سُلِّ وَالخَمُولِ سَتخَلَعِينَ
 وَبِالنَّجَاحِ لَهُم نَدِينُ
 عَزْمُ الشُّبَيْبَةِ لَا يَلِينُ
 المَجْدِ مُصْبَاحِ اليَقِينِ
 لِلهُدَى فِي العَالَمِينَ
 تَ عِيُونَ الحَاسِدِينَ
 بِالعَوْنِ وَالنَّصْرِ المِينِ

(*) نظمت في ٢٢ يونيه - حزيران ١٩٥٠ وقال في مقدمتها: «إلى الشباب الفتي من طلبة إنشاص

الذين قامت على أكتافهم «رابطة الطلبة» إنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم رشداً.

(١) ند : الريح الطيب.

الدستور الخالد (*)

مَنْ مُقْلَتِي تَدْفَقْتُ عِبْرَاتِي فنظمتُ من حَبَّاتِهَا أَيْبَاتِي
أَقْسَمْتُ لَا حَبًّا شَكُوتُ وَلَا هَوَى يُدْمِي الْفُؤَادَ فَيُرْسِلُ الْأَهَاتِ
كَلَّا فَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ شَقَاؤُهُمْ وَهَنَاؤُهُمْ بِمَشِيئَةِ لِفْتَاةِ
لَكِنِّي أَبْكِي وَحَقُّ لِي الْبُكَاءُ مَجْدًا أضعنَاهُ بِغَيْرِ أَنَاةِ

* . * . * . * . *

مَنْ لِي بِقَبْرِ ابْنِ الْوَلِيدِ أَبُتُّهُ حُزْنِي وَأَسْمَعُهُ أَنْيْنَ شَكَاتِي^(١)
وَأَقُومُ مِنْ فَوْقِ الرِّفَاتِ مَنَادِيًّا: فِي اللَّهِ مَا أَبْلَيْتَ مِنْ عَزَوَاتِ
ذَهَبَ الَّذِي خَلَفْتَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ عَزٍ طَلَبْتَهَا بِضَرْبِ قَنَاةِ
وَالدِّينِ أَوْشَكَ أَنْ يَزُولَ ضِيَاؤُهُ وَبَنُوهُ رَاحُوا فِي عَمِيقِ سُبَاتِ

* . * . * . * . *

تَرَكَوْا كِتَابًا لِلْإِلَهِ وَمَا حَوَى مِنْ رِفْعَةٍ وَهَدَايَةٍ وَعِظَاتِ
وَمَشَوْا وَرَاءَ الْغَرْبِ حَتَّى أَغْرَقُوا فِي اللَّهْوِ وَالْآثَامِ وَالشَّهَوَاتِ
كَمْ مِنْ فَقِيرٍ بَاتَ يَشْكُو جُوعَهُ ضَنَّ الْغَنِيِّ عَلَيْهِمْ بِزَكَاةِ
وَمَضَى إِلَى الْأَذَاتِ يَجْرَعُ كَأْسَهَا وَوَرَاءَهُ مَنْ يَجْرَعُ الْحَسْرَاتِ

* . * . * . * . *

(*) مجلة العالم الإسلامي «الثقافية» فبراير - شباط - ١٩٥١ [الشاعر].
(١) يقصده به خالد بن الوليد رضي الله عنه، ويريد من ذكره استنهاض همم المسلمين للجهاد في سبيل الله عز وجل.

مَنْ ذَا يَعِيدُ إِلَى الْحَنِيفَةِ مَجْدَهَا
 أَيَّامَ كَانَ الْحَقَّ حَقًّا أَلْبَجًا
 لَيْسَ الْغَنِيِّ عَلَى الْفَقِيرِ بَسِيدٌ
 خَيْرُ الرَّعِيَةِ فِي صَلَاحِ رُعَاتِهَا
 لِعِزِّ شَأْنِهَا كَالْعَدُوِّ الْآتِي
 وَالْعَدْلُ عَدْلًا أبيضِ الصَّفْحَاتِ
 مَا لَمْ يَسُدَّهُ بِحِجَةِ وَصَلَاةٍ
 كَمْ مِنْ رَعِيَةٍ أَقْتَدَتْ بِرُعَاةِ

* . * . * . * . *

صَدَقَ الرَّسُولُ وَمَنْ سِوَاهُ مَصْدَقٌ
 إِنِّي تَرَكْتُ لَكُمْ كِتَابًا جَامِعًا
 قَسَمًا بِرَبِّي لَنْ تَضِلُّوا طَالَمَا
 وَمَضَى الرَّسُولُ فَلَيْتَنَا مِنْ بَعْدِهِ
 إِذْ قَالَ حِينَ دَنَا مِنَ السُّكْرَاتِ
 هُوَ خَيْرٌ دَسْتُورٍ لَخَيْرِ قُضَاةٍ (١)
 هُوَ بَيْنَكُمْ بِمِثَابَةِ الْمِشْكَاةِ
 كُنَّا لِنُصَحِّحَ حَدِيثَهُ بِوُعَاةِ

* . * . * . * . *

يَا قَوْمُ بَعْضًا مِنْ صَوَابِ إِنَّا
 اللَّهُ أَنْزَلَهُ كِتَابًا خَالِدًا
 لَيْسَتْ فَرَنْسَا حِينَ تَحْذُوا حَذْوَهَا
 بِأَجَلٍّ مِنْ نُورِ الْإِلَهِ وَهَدِيهِ
 نَمِشِي بَلِيلَ حَالِكِ الْجَنَابَاتِ
 فَخَذُوا بِهِ تَنْجُوا مِنَ الْعَثْرَاتِ
 فِي حُكْمِهَا الْخَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ (٢)
 شَتَّانَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَاتِ

* . * . * . * . *

إِنَّ الْأَوَائِلَ حِينَمَا حَكَمُوا بِهِ
 فَتَحُوا الْمَمَالِكَ وَالشُّعُوبَ وَأَخْضَعُوا
 حَتَّى إِذَا رَاحُوا وَأَقْبَلَ بَعْدَهُمْ
 هَانُوا وَلَوْ حَكَمُوا بِهِ مَا ذَلَّهُمْ
 جَعَلَ الْأَوَائِلَ أَفْضَلَ السَّادَاتِ
 حَكَامَهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ عَاتٍ
 خَلَفُوا أَضَاعُوا مُحْكَمَ الْآيَاتِ
 أَعْدَاؤُهُمْ وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ

* . * . * . * . *

(١) إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ: «... فإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده كتاب

الله وستي»... من خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع.

(٢) ذكر فرنسا لأن أكثر الدساتير الوضعية في الوطن العربي وغيره أخذت من الدستور الفرنسي.

ثروة (*)

هاتِ الحسامَ وودِّعِ هذه الدَّارِ
 واثأزْ لنفسيكَ يا ابنَ المجدِّ مقتحمًا
 بالأمسِ هُدِّدنا بالسجنِ وا أسفا
 الأزهرُ الفردُ تياهُ بقوْتِهِ
 جيشُ الفتوةِ والإيمانِ تكلوهُ
 كهفُ العدالةِ في دنياءَ ما فَتِثْ
 كمُ بثَّ في الكونِ هدياً منْ شريعته
 وقادَ في مصرَ والأيامُ شاهدةً
 نورُ النبوةِ يجري في مَفارِقِهِمْ
 الحكمُ لله يا من باعَ أمتَهُ
 هذي الكنانةُ لنْ تنسى لكمُ أبداً
 ما للفرنجِ بمصرٍ من مآثِرِها
 ولستُ أنسى وإن طالَ الزمانُ بنا
 وجئتُ في جحفلٍ شاكٍ بيارِقِهِ
 يا أيها الحاكمُ الطاغي بقوْتِهِ
 فالخطبَ أشعلَ في أحشائي النارا
 سآخَ المعاركِ وامحُ الذُّلَّ والعارا
 واليومَ حاصرَ بغياً هذه الدارِ^(١)
 كالسيلِ يقتحمُ الأكامَ هُدَّارِ
 عينُ الإلهِ، إذا ما جلَّ أو سارا
 يدهُ تولى الورىِ علماً وأسارِا
 وفاضَ كالشمسِ آلاءَ وأنوارِا
 كتائباً جمعتُ للباسِ أحرارِا
 نبلاً وفضلاً وإقداماً وآثارِا^(٢)
 كي يأخذَ الحكمَ من مولاهُ إجبارِا
 في حُكمِكَ المرُّ آثاماً وأوزارِا
 حتى تكونَ لهمْ بينَ الورىِ دارِا
 لوناً طليتْ لنا آفاقَهُ قارا
 حمراءُ تحملُ في عيدانِها العارا
 لا تُغْرِ بالأزهرِ المعمورِ أشرارِا

(*) أرجح أنها قيلت أواخر سنة ١٩٥٢، أو سنة ١٩٥٢.

(١) إشارة إلى محاضرة دار الشاعر من قبل رجال الأمن زمن الملك فاروق.

(٢) إشارة إلى كتاب الفدائيين من الشباب الإسلامي الذين اقضوا مضجع الجيش البريطاني.

إن كَانَ فِي طَوْعِكَ الْبُولِيسُ إِن لَنَا
وإن فِي «مِصْحَفِ الْقُرْآنِ» خَيْرَ حَمِي
يَوْمَ الْجِهَادِ قَلْبًا تَلْقَفُ النَّارَ
لِلْأَزْهَرِيِّينَ إِعْلَانًا وَإِسْرَارًا
مَهْمَا عَلَوْتَ فَإِنَّ الطَّيْرَ مَرْتَفِعًا
عِنْدَ السَّقُوطِ يَذُوقُ الْمَوْتَ تَكَرَّرًا

* . * . * . * . *

الأسد السجين (*)

محمد مصدق

يَدُّ تُطَوِي، ومكرمة تُعَقِّقُ
ويَدُّكُ أَيُّهَا الرَّمَامِيَّةُ ظُلْمًا
هزبرٌ لم تنل منه الليالي
ولم تثلِّمْ له الأدواء عَزْمًا
رأى إيرانَ قد أضحت بنيتها
فشاء لنيل عزَّتْها بلوغًا
وصمَّ أن ينال المجد قسرًا
ولو مُلِّكْتُ له بالموتِ طُرُقُ

* . * . * . * . * . *

بلاذٌ قد جرى البترول فيها
فكيف ينالُه فيهم غريبٌ
لهم بعدَ الذي يكفيه سُورٌ
فمنه لأهلها قوتٌ وورق
وينبض بينهم بالجوعِ عِرْقُ
أبين صنيعه والغصبِ فرق؟ (٣)

(*) ٢٤ ديسمبر - كانون أول - ١٩٥٣ .

(١) وضع الشاعر أرقاماً بين أشطر الأبيات، ولعله كان يريد انتقاء هذه الأبيات من القصيدة لنشرها في إحدى المجلات والله أعلم .

(٢) الهزبر : الأسد .

(٣) السور : البقية، يلاحظ أن الشاعر ينسج على منوال إحدى قصائد شوقي في وصف دمشق وضرب الفرنسيين لها عام ١٩٤٥ ومطلعها:

سلام من صبا بردى أرقُ
ودمع لا يكتكف يا دمشق

سَلِ الشَّيْخَ الَّذِي طَلَبَ الْمُعَالِي
وَأَرْهَبَ جُنْدَ الاسْتِعْمَارِ حَتَّى
أَفِي الأَدْوَاءِ لِلْمَرْضَى سَلَاخَ
وَهَلْ فِي الشَّيْبِ لِلأَوْطَانِ مَجْدُ
أَخَافَ وَمَلْؤُهُ دَاءٌ وَسُقْمٌ
وَمَا أَنْسَاهُ يَوْمَ عَلَيْهِ صَالُوا
مِظَلَّاتِ الجُنُودِ لَهَا هُبُوطُ
فَلَمْ يَكْ غَيْرَ ذِي عَزْمٍ تَرَاءَى
لِئِنْ لَمْ تَرْحَلُوا عَنَا سَيُفْنِي
فَفَرُوا عَنْهُ يَدْفَعُهُمْ هَوَانٌ
وَلَمَّا أَنْ تَبَدَّى مِنْهُ شَهْمٌ
أَتَوْا بِالْكِيدِ، إِنْ الْكِيدَ أَمْرٌ
هُمْ دَخَلُوا الْعَرِينَ عَلَيْهِ لَيْلًا
وَبَاتَ اللَّيْثُ مَقْهُورًا، وَأَعْطُوا
وَزَائِفَ نَصْرِهِمْ مِنْهُ قِيوُدٌ
دَسَائِسَ مَا جَنَّا مِنْهَا لَهَيْبٌ
وَلِلْمُسْتَعْمَرِينَ بِكُلِّ قَطْرِ
فَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ الأَحْدَاثِ غَرْبٌ
فَفِي الوَادِي لَهُمْ كَيْدٌ وَمُكْرٌ
وَفِي مَرَاكِشٍ سَالَتْ دِمَاءٌ
هَبَّوهُ أَتَى الَّذِي عَدُوهُ جُرْمًا

بِجَسْمٍ بَاتَ مِنْ دَاءٍ يَدَقُّ (١)
أَذَلَّتْ مِنْهُ فِي عِبْدَانَ عُنُقُ (٢)
لَهُ فِي الْكَرْبِ نَقْعٌ لَا يُشَقُّ (٣)
إِذَا أَعْيَا الشَّبَابَ إِلَيْهِ سَبَقُ
أَخَا جَيْشٍ لَهُ فِي الْحَرْبِ رَشَقُ
وَلِلْإِرْهَابِ أَبْوَابُ تُدَقُّ
يَهْدُهُ وَلِلْأَسْطُولِ صَعَقُ
وَفِي فَمِهِ مِنَ الإِقْدَامِ نُطَقُ:
بِكُمْ عِبْدَانَ إِتْلَافٌ وَحَرْقُ
وَعَزْمٌ مِنْ كَهَوْلَتِهِ أَرْقُ
لَهُ فِي الْحَقِّ إِقْدَامٌ وَصَدَقُ
لَهُمْ فِيهِ تَدَابِيرٌ وَنَسَقُ
وَقَدْ سَكَنَ الدَّجَى وَاسْوَدَّ أَفَقُ
زَمَامَ الْحَكْمِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُ
لِطُّلَابِ الْفَخَارِ وَفِيهِ رِقُ
وَلَمْ يَرْتَقِ لَهَا فِي الأَرْضِ فَتَقُ
خِدَاعٌ عَدَّهُ فِي الصَّدْقِ خُلُقُ
وَلَمْ يَأْمَنْ شُرُورَ القَوْمِ شَرْقُ
وَفِي إِيرَانَ أَرْعَادٌ وَبَرْقُ
بَكْتُ مَصْرٌ لَهَا وَرَثْتُ دِمَشَقُ
فَفِي مَاضِيهِ تَكْفِيرٌ وَعَتَقُ

(١) يدق : يضعف.

(٢) عبدان : اسم بلدة في إيران، تقع على الخليج العربي.

(٣) النقع : الغبار.

سلوا من أصدروا بالسجن حكماً ألم يأخذهم بالشيخِ رفق؟
حكمتُم حكمتُم فبكلِّ قلبٍ كأمثالِ الحجارة لا ترق؟
وللدنيا على الأحرار حُكْمٌ أتى للحقَّ قبلُكمُ يُحق

* . * . * . * . *

دماء في السودان (*)

كفى فتنةً فليغمدِ السيفَ صاحبهُ
متى كان للإنسانِ من أهلِ داره
أيصرُعُ فينا البعضُ بعضاً كأننا
وتنتظِمُ الأهليْنَ حربٌ، فكم بها
دهتنا الليالي الحالكاتُ بغاصِبِ
إذا جمعَ الوادي ائتلافَ ووحدة
ألا سائل الخرطومَ من ذا أثارها
رمتها سيوفُ أرهفَ المكرُ نصلها
فكم من صريعٍ بالدماءِ مُجلَّلِ
لها الله من مكلومةٍ طلَعوا لها
وصبَّحها بالمشرفيةِ والقنا
أثارَ بيومِ الحفلِ مذبحهٗ إذا

فإنَّ أخاهُ اليوم من هو ضارِبُه
عدوٌ لدودٌ بالسيوفِ يُواثبهُ (١)
فقدنا عدواً في البلادِ نحارِبُه
تهاوى قتيلٌ ساكنُ العرقِ ناضبه
دسائِسُه ما تنقضي ومصائبه
مشت لاشتعال النارِ فيه تغالبه (٢)
فسال الدمُ المهرأقُ وانهلَّ ساكبه
لُيردى بكفِّ المرءِ فيها أقاربه
طواه الردى لما رمته معاطبه
بقاطعِ سيفٍ ليس تنبو مضارِبُه (٣)
أخو حسدٍ باغٍ تدبُّ عقاربُه (٤)
رآها وليدُ المهدي شابت ذوابه (٥)

(*) كان المقرر يوم الاثنين أول مارس - آذار - ١٩٥٤ أن يفتتح أول برلمان سوداني لولا تلك المذبحة الدامية التي دبرها الاستعمار وأعوانه.

(١) كان البيت في الأصل:

- عدواً لدوداً بالسيوفِ يواثبه
متى كان للإنسان من أهل داره
- (٢) كناية عن المكر والمؤامرات التي تصنع للفرقة وإراقة الدماء.
- (٣) تنبو: من نبا بمعنى تجافي وتباعد، ونبا السيف ينبو، إذا لم يعمل في الضريبة ولم يقطع.
- (٤) المشرفية: سيوف تنسب إلى قرى من أرض العرب تقرب من الريف.
- (٥) الذواب: جمع ذؤابة وهو مقدمة شعر الرأس.

فما راعها والبشرُ في مهرجانها
سوى الهولِ من جيش العبيد يلفها
وما زال يسقي أهلها حامل الردى
إلى أن تراءى الليلُ أسوانَ قاتماً
تسيرُ بأرجاءِ البلادِ ركائبُهُ
بأيمانِهِ أرمأحُه وقواضِبُهُ^(١)
فيشربُ كأسَ الموتِ من هو شاربُهُ
كأن حدادَ الثاكلاتِ عناهبُهُ^(٢)

* . * . * . * . *

أرى ذلك المحتلُّ أشعلَ نارها
وباتَ لها المهديُّ يذكي أوارها
صنيعةُ الاستعمارِ ما أنت بالذي
أهجتَ لنا ناراً تلظى وفتنةً
وما زلتَ للمحتلِّ حتى تحققتَ
زحفتَ على الخرطومِ ، بالله نبني
لعلَّ خداعَ القومِ أنساكَ نبشهم
أبوك فتى الإقدامِ والعزمِ من إلى
أولئك تدري أنهم - بعد موته -
وباتَ هناك الرأسِ - رأسُ أبيك - في
فإن تك يوماً حاملَ السيفِ فليكن
ذكرتُ أباكَ القرمِ حين انبرى لهم
وما كانَ من مجدٍ له بالغِ الذرى
ظنناك تمضي في تتبعِ خطوه

وأنَّ يدَ الأنصارِ فيها مخالِبُهُ^(٣)
على الحقدِ إذ ضاقتْ عليه مذاهبه
على ذلك الجرمِ الشنيعِ تعاتبه
لها الظفرُ لا ينفكُ في العنقِ ناشبه
بحدَّ الطُّبا أطماعهُ ومآربه
أكان بها «غوردون» جئتَ تحاسبه^(٤)
لقبرِ أبٍ حرٍ تسامتَ مراتبه
سماءُ العُلا والمجدِ سارت مواكبه
قد امتهنوا قبراً سقته سحائبُهُ
متاحفهم بالذمِّ يرميه عائبه
من القومِ هذا الثأرُ ما أنت طالبه
وحين دهنهم في البلادِ كتابه^(٥)
تليدٍ فإنَّ السيفَ بالدمِ كاتبه
ولكنَّهُ مجدٌ نأى عنك ذاهبه

(١) قواضب : جمع قاضب . وهو السيف القاطع .

(٢) أسوان : بمعنى حزين .

(٣) الأنصار : هم جماعة الأنصار التي كان يرأسها المهدي في السودان .

(٤) غوردون : اسم المندوب السامي البريطاني والقائد العسكري في مصر والسودان .

(٥) القرم : السيد المبجل . وأصل معناه للبعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة .

وَمَصْدَرٍ شَرٍّ لَيْسَ يُؤْمَنُ جَانِبَهُ
 إِذَا قَدْ تَوَلَّى عَنكَ فِي الْفِكْرِ ثَاقِبَهُ
 عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَخَفْ عَنكَ عَوَاقِبَهُ
 تَعَاوُنَهُ حَتَّى تَتَمَّ رَغَائِبَهُ
 لِيُنْعَبَ فِينَا بِالْمَكِيدَةِ نَاعِبَهُ
 تُدَبِّرُهَا أَهْوَاؤُهُ وَمَشَارِبَهُ
 وَكُنْتَ عَلَى الْأَهْلِينَ حَرْباً طَحُونَةً
 تُحَالِفُ أَعْدَاءَ وَتَقْصِي عَشِيرَةً
 رَكِبْتَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَخْطَرَ مَرْكَبٍ
 رَأَى فِيكَ الْإِسْتِعْمَارَ رَوْحاً وَضِيعَةً
 فَأَصْبَحْتَ لِلْمَحْتَلِّ كَفَاءً وَسَاعِداً
 فَكَانَ لَهُ مَا شَاءَهُ مِنْ دَسَائِسٍ

* . * . * . * . *

إِلَّا إِنَّ الْإِسْتِعْمَارَ قَدْ كَانَ بَاغِيًّا
 وَكُلُّ الَّذِي آوَى إِلَيْهِ نَعْدُهُ
 وَسَوْفَ يَرَى الشَّعْبُ الَّذِي هَبَ ثَائِرًا
 عَلَيْنَا، وَإِنَّ الْحَقَّ لَا شَكَّ غَالِبَهُ
 عَدُوًّا لَنَا بَيْنَ الْبِلَادِ نُجَانِبُهُ
 أَخَا ثَوْرَةٍ حَتَّى تُجَابَ مَطَالِبُهُ

* . * . * . * . *

فَإِنَّ كَانَ يَا ابْنَ النِّيلِ رَمَحَكَ ظَامِتًا
 وَلَا تُتْلَقَ بِالْأَلِّ لِلْوَعْدِ فَإِنَّهُ
 وَلَنْ يَتْرُكَ الشُّطْرَيْنِ عَنْ طَيْبِ خَاطِرٍ
 فَأُورِدُهُ مُحْتَلًّا تَوَالَتْ نَوَائِبُهُ
 كَعَهْدِكَ فِيهِ مَخْلَفُ الْوَعْدِ كَاذِبُهُ
 لِأَهْلِهِمَا أَوْ يَتْرُكُ الضَّرْعَ حَالِبُهُ

* . * . * . * . *

شرق وغرب (*)

أيقظ الشرق وهزَّ العَرَبَا فبريقُ المجدِ في الشرقِ خِبا
 علٌّ مَنْ عاشوا على الماضي الذي بدأ في نيل الفخارِ المغرِبَا
 يَسْتَعِيدُونَ سَنَا مُلْكٍ لَهُمْ قَدْ تَوَانَوْا عَنْهُ حَتَّى ذَهَبَا

* . * . * . * . *

قف على بغدادَ - واندب من بها رَفَعُوا لِلشَّرْقِ ذِكْرًا طَيِّبَا
 وابك في الأيامِ مَنْ قال وقد أَبْصَرَ الغَيْمَ تَهَادَى صَيِّبَا
 سرِ يميناً أو يساراً إن لي خَرَجَ هَذَا المَاءِ أَنِّي سَكْبَا^(١)
 ودمشقُ الأَمْسِ سَلْهَا عَنْ فَتَى رَكِبَ الأَمْوَاجَ فِيمَا رَكْبَا
 أمويٍّ من بنيتها باسلاً ذَاكَ مِنْ شَقِّ العِبَابِ اللُّجْبَا
 ومضى للشاطيءِ الغربي ما قَدَّرَ المَقْدَامَ أَنْ يَنْقَلِبَا^(٢)
 تلكَ أسدُ شيدت أمجادها بِقِنَاةٍ أَعْمَلُوهَا وَظَبْبَا^(٣)
 سبقوا الناسَ بما قَدْ أْبَدَعُوا وَأَنَارُوا لِلْأَنَامِ الحُقْبَا
 وورثنا بعدهم مُلكاً سَمَا عِزَّةً، عِلْمًا، سِنَاءً، أَدْبَا
 فأضعنا كلَّ ما قَدْ جَمَعُوا وَهَدَمْنَا مَا بَنَوْا.. وَاحْرَبَا

(*) سبتمبر - أيلول - ١٩٥٤.

(١) يشير إلى هارون الرشيد حيث خاطب السحابة قائلاً: (اذهي حيث شئت فسيأتيني خراجك)
 (٢) إشارة إلى عبد الرحمن الداخل الذي هرب من العباسيين حتى وصل إلى الأندلس وبنى دولة أموية
 ظلت مئات السنين.

(٣) القناة: يعني بها الرماح، والظبي: السيوف.

لا تقولوا: نحن عُربٌ إننا لهم لا نستحقُّ النَّسبَا

* . * . * . * . *

كَانَ هَذَا الشَّرْقُ فِي الدَّهْرِ فَتَى
وَقَدِيمًا كَانَ خَصْبًا مُثْمَرًا
عَادَدْتَ الْأَذْنَابُ رَأْسًا لِلوَرَى
أَيْنَ نَحْنُ الْيَوْمَ مِنْ رَكْبِ الْأَلَى
سَخَّرُوا الدَّرَّةَ، بَلْ قَدْ أَوْشَكُوا
بَلَّغُوا لِلْبَحْرِ قَاعًا وَانْتَهَوْا
وَأَضَاءَ الْكُونِ مَا جَاؤُوا بِهِ
أَحْرَزُوا قَصَبَ السَّبْقِ وَمَا
سَارَ مِنْ سَارَ إِلَى الْعَلِيَاءِ لَمْ
وَمَضَى فِي الْغَرْبِ أَبْطَالٌ إِلَى
فَلْنَا الْأَمْسُ. وَهَذَا يَوْمُهُمْ
دَوْلُ الْغَرْبِ إِلَى غَايَاتِهَا
كُلُّ شَعْبٍ رَاحَ يَسْعَى جَاهِدًا
صَنَعَ الْقُوَّةَ حَتَّى أَنَّهُ
إِنَّمَا الدُّوَلَاتُ فِي أَحْوَالِهَا
وَأَرَى الشَّرْقَ سَيَبْدُو دَائِمًا

حِينَ كَانَ الْغَرْبُ طِفْلًا مَا حَبَا
وَأَرَاهُ الْيَوْمَ أَمْسَى مُجْدِبًا^(١)
وَعَدَا الرَّأْسُ لَدَيْهِمْ ذَنْبًا^(٢)
وَطَّدُوا لِلْعَلَمِ هَذَا الطُّنْبَا^(٣)
أَنْ يَنَالُوا فِي السَّمَاءِ الْكَوْكَبَا
فِي فَخَارٍ يَرْكَبُونَ السُّحْبَا
مِنْ فُنُونٍ قَدْ أَثَارَتْ عَجَبَا
بَيْنَنَا مَنْ يُحَرِّزُونَ الْقَصْبَا
يَأْخُذِ اللَّهُوَ إِلَيْهَا مَرْكَبَا
مَجْدِهِمْ لَا يَعْرِفُونَ اللَّعْبَا
مَا أَرَى الْأَيَّامَ إِلَّا قَلْبَا
أَسْرَعَتْ حَتَّى تَنَالَ الْمَارْبَا
كَيْ يُرَى فِي الْأَرْضِ لَيْثًا أَغْلَبَا
أَنْبَتِ الْأَرْضُ عِنَادًا وَشْبَا^(٤)
حَمَلٌ عَانٍ وَذَنْبٌ وَثْبَا^(٥)
مُسْتَدَلًّا فِي الْوَرَى أَوْ يَرْهَبَا

(١) المجذب : الذي لانبات فيه ويقصد الشاعر أن أمسنا كان مليئاً بالمفاخر . واليوم تمتلكنا الأزمات والضعف من كل جانب .

(٢) يتحدث عن ظاهرة امتلاك زمام الأمور لمن لا يملك الأهلية . بينما يحارب الصالحون .

(٣) الطنب : جبل الخباء والجمع أطناب ، وأطب .

(٤) شبا : جمع والمفرد شباه ، وهي حد الشيء وطره والقصد هنا السيوف .

(٥) هذه صورة العصر الحديث حيث يتحكم القوي بالمادة ويسوق الناس كالأنعام ، وهذه سمة الحضارة الأوربية وحوش تفتش الشعوب دون أن تروى ظمأها .

ها هو العالمُ في إعصارِهِ
جرَّهُ نحوَ الرّدى قاذتُهُ
ويَحهمُ مِن قادهِ إني أرى
قادهُ في نيلِ أطماعِ لهم
شامهم يومَ الرّدى فاندفعوا
وكأنّي بالنّسورِ انطلقتُ
وبدتُ للحوتِ في لُجّتهِ
إن تكنُ في الغربِ شئتُ غارةُ
وإذا حربٌ بدتُ أخطأها
أترانا قد أخذنا حذرنا
لا أرى فيهم صناديدَ الوغى

* . * . * . * . *

ما لهذا تَوّاقٍ إلى
قد مضى نحوَ الرّدى لم يكفه
سائلِ الأنقاضِ مَنْ ذا دكّها
مَنْ أخافَ الطفلِ في رقدتهِ
مَنْ بغى بالنارِ... مَنْ هذا الذي
مَنْ مضى في الجوّ يسري ركبُهُ
رُبَّ طفلٍ تحتَ طيّاتِ الدّجى
وغلامٍ قد مضى عائِلُهُ
ونساءٍ والهاتِ في أسى
فكفى العالمُ ما قد ذاقهُ

(١) القضب السيوف القاطعة.

(٢) العطب : الهلاك.

إن دعى الداعي إلى الحرب أبي
فتراءى بجبين قُطبا
فراى في السلم برقا خُلبا (١)
وباد الحقُ لديهم كذبا
لغدا في الخير سعياً مُخصبا

* . * . * . *

سارت الدولاتُ فيها خبيبا (٢)
سادة كانوا كراماً نُجبا (٣)
مجدُهُ بين الورى ما طُلبا
لا يهَبون إلى مَنْ ضربا
فهو أمرٌ لا يثيرُ الغُصبا
ذلةٌ مدّت عليهم غيَهبَا
كدجاجاتٍ تبيضُ الذُهبَا
يندبُ اليومَ بها مَنْ ندبا
هائماً بين الورى مُغتربا
ذلك الرقُّ بها قد نكبا
مَنْ على أمرٍ له قد غلبا
في اندحارِ العُربِ كانوا السببا

* . * . * . *

وبهم ظُفُرُ العوادي نَسبا

مَنْ لهذا الكونِ بالعقلِ الذي
خيّمَ الهولُ على أرجائه
خدعوه مَنْ رَعَوْا سلماً له
غرّروا في مجلسِ الأمنِ به
ليتهم في الخيرِ يسعونَ إذا

طُرُقُ المجدِ تراءتْ جمّةً
وأرى اليومَ على مفرقها
ضيّعوا الأَمسَ، وهذا غَدُهُمْ
قد غدا العُربُ إذا ما ضُربوا
وإذا سيّموا بيومٍ خُطّةً
ورأيْتُ القومَ قد صاروا إلى
أصبحوا لقمّةَ أعداءٍ لهم
فلسطينُ أُضيعتْ وغدّتْ
جاءها كلُّ يهوديٍ بدا
فأقاموا شوكةً في أرضها
ه ليسَ مَنْ نالَ الأمانى مُشبهاً
لا رعى الرحمنُ يوماً مَنْ بها

واستُذِلَّ القومَ في مرّاكشٍ

(١) البرق الخلب : الذي لا مطر وراءه .

(٢) الخبب : نوع من العدو، وخبب الفرس، هو عدوه حين يراوح بين يديه ورجليه .

(٣) المَفْرَق : بكسر الراء وفتحها : وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر، ومفرق الطريق : مكان تشعبه .

ضَرَبَ البؤسُ قِباباً فَوَقَّهْم
وَشَعوبُ العُربِ في صَمْتِ إلى
وَكأنَّ الأمرَ لا يَعنِيهْم
يا بني الإسلامِ هُبُوا وانهضوا
واذكروا عهداً سَمَتْ أمجادُكم
رَبِّ سيفِ صارمٍ ذي نبوةٍ
ورماهم مَنْ رَمى مُغتصباً
أن ظنَّنا مجدَهم ما سلباً
أُترى الذلُّ إليهم حَبباً؟
لا تناموا، بَلِّغِ السيلُ الزُّبى
فيه حيناً إذا سَموتُم رُتبا
وجوادٍ سابقٍ يوماً كبا

* . * . * . * . *

رسالة في ليلة التنفيذ(*)

أبتأه، ماذا قد يخطُ بناني
هذا الكتاب إليك من زنانية
لم تَبَقْ إلا ليلةً أحيا بها
ستمرُّ يا أبتأه - لستُ أشكُ في
والحبْلُ والجلادُ منتظرانِ
مقرورة^(١) صخريةِ الجدرانِ
وأحسُّ أن ظلامها أكفاني
هذا - وتحملُ بعدها جُثماني

* . * . * . *

الليلُ من حولي هدوءٌ قاتلُ
ويهدُّني ألمي، فأنشدُ راحتي
والنفسُ بين جوانحي شفافةٌ
قد عشتُ أو منُ بالآلهِ ولم أذقُ
شكراً لهم، أنا لا أريدُ طعامهم
هذا الطعامُ المرُّ ما صنعته لي
كلا، ولم يشهده يا أبتى معي
مدُّوا إليَّ به يداً مصبوغةً
والذكرياتُ تمورُ في وجداني
في بضعِ آياتٍ من القرآنِ
دَبَّ الخشوعُ بها فهزَّ كياني
إلا أخيراً لذةَ الإيمانِ
فليرفعوه، فلسْتُ بالجوعانِ
أمي، ولا وضعوه فوقَ خُوان^(٢)
أخوانِ لي جاءه يستبقانِ
بدمي، وهذي غاية الإحسانِ

(*) كتبت هذه القصيدة في آذار-مارس-١٩٥٥ ولها بقية طويلة في ديوان «جراح مصر» للشاعر. وكان ناشر المجموعة الأولى من شعر الرفاعي (محمد كامل حته) قد وضع لها مقدمة يوحى بها أن القصيدة كتبت سنة ١٩٥٨ وأنها قيلت بمناسبة أحداث العراق زمن عبد الكريم قاسم. . . ولكن أصول هذه القصيدة توضح أن كتابتها كانت سنة ١٩٥٥.

(١) مقرورة : باردة.

(٢) الخوان : بضم الخاء وكسرهما: منضدة الطعام.

عبثت بهن أصابع السجان
يرنو إلي بمقلتي شيطان
ويعود في أمن إلى الدوران
ماذا جنى؟ فتمسه أضغاني
لم يبد في ظمأ إلى العدوان
ذاق العيال مرارة الحرمان
لو كان مثلي شاعراً لرثاني
يوماً ودُكر صورتي لبكاني
معنى الحياة غليظة القضبان
في الثائرين على الأسى اليقظان
ما في قلوب الناس من غليان
كتموا، وكان الموت في إعلاني
بالثورة الحمقاء قد أغراني؟
مثل الجميع أسير في إذعان؟
غلب الأسى بالغث في الكتمان
ما ثار في جنبي من نيران
سيكف في غده عن الخفقان^(٣)
موتي، ولن يودي به قرباني^(٤)
شاة إذا اجتثت من القطعان

والصمْتُ يقطعهُ رنينُ سلاسلٍ
ما بين آونةٍ تمُرُ... وأختها
من كوةٍ بالبابِ يرقبُ صيدهُ
أنا لا أحسُّ بأيِّ حقدٍ نحوهُ
هو طيبُ الأخلاقِ مثلكَ يا أباي
لكنه إن نامَ عني لحظةً
فلربما وهو المروِّعُ سحنةً^(١)
أو عاد - من يدري؟ - إلى أولاده
وعلى الجدارِ الصُّلبِ نافذةٌ بها
قد طالما شارفتُها^(٢) متأملاً
فأرى وجوماً كالضبابِ مصوراً
نفسُ الشعورِ لدى الجميعِ وإن همُ
ويدورُ همسٌ في الجوانحِ ما الذي
أو لم يكنْ خيراً لنفسِي أن أرى
ما ضرَّني لو قد سكَّتُ، وكلما
هذا دمي سيسيلُ، يجري مطفئاً
وفؤادي الموارُ في نبضاته
والظلمُ باقٍ، لن يحطِّمَ قيدهُ
ويسيرُ ركبُ البغي ليس يصيرهُ

* . * . * . *

- (١) السحنة: يسكون الحاء وفتحها: الهيئة، اللون.
(٢) شارف المكان: علاه. شارف الشيء: اطلع عليه من فوق، قاربه ودنا منه.
(٣) الموار: السريع.
(٤) يودي: يزيل ويذهب، قرباني: تضحيتي.

هذا حديث النفس حين تشق عن
وتقول لي: إن الحياة لغاية
أنفاسك الحرى وإن هي أخذت
وقروح جسمك وهو تحت سياطهم
دمع السجين هناك في أغلاله
حتى إذا ما أفعمت بهما الربا
ومن العواصف ما يكون هبؤها
إن احتدام النار في جوف الثرى
وتتابع القطرات ينزل بعده
في موج.. يقتلع الطغاة مزمجرأ
أنا لست أدري، هل ستذكر قصتي
أو أنني سأكون في تاريخنا
كل الذي أدريه أن تجرعي
لو لم أكن في ثورتي متطلبأ
أهوى الحياة كريمة لا قيد، لا
فإذا سقطت سقطت أحمل عزتي

بشريتي.. وتمور بعد ثوان
أسمى من التصفيق للطغيان
ستظل تغمر أفقهم بدخان
قسمات صبح يتقيه الجاني^(١)
ودم الشهيد هنا سيلتقيان
لم يبق غير تمرّد الفيضان
بعد الهدوء وراحة الربان
أمر يثير حفيظة البركان
سيل يليه تدفق الطوفان
أقوى من الجبروت والسلطان
أم سوف يعروها دجى النسيان؟
متأمراً أم هادم الأوثان؟
كأس المذلة ليس في إمكاني
غير الضياء لأمتي لكفاني
إرهاب، لا استخفاف بالإنسان
يغلي دم الأحرار في شرياني

* * * * *

أبتأه، إن طلع الصباح على الدنى
واستقبل العصفور بين غصونه
وسمعت أنغام التفاؤل ثرة
وأتى يدق - كما تعود - بابنا

وأضاء نور الشمس كل مكان^(٢)
يوماً جديداً مشرق الألوان
تجري على فم بائع الألبان^(٣)
سيدق باب السجن جلاّدان!

(١) القروح : الجروح جمع قرح.
(٢) الدنى : جمع الدنيا.
(٣) ثرة : كثيرة.

وأكون بعدَ هنيهةٍ متأرجحاً
لِيَكُنْ عَزَاؤُكَ أَنَّ هَذَا الْحَبْلَ مَا
نَسَجُوهُ فِي بَلَدٍ يَشْعُ حَضَارَةً
أَوْ هَكَذَا زَعَمُوا، وَجِيءَ بِهِ إِلَى
أَنَا لَا أُرِيدُكَ أَنْ تَعِيشَ مُحْطَماً
إِنَّ ابْنَكَ الْمَصْفُودَ فِي أَغْلَالِهِ
فَإذْكَرْ حِكَايَاتِ بَأْيَامِ الصَّبَا
وَإِذَا سَمِعْتَ نَشِيجَ أُمِّي فِي الدَّجَى
وَتَكْتُمُ الْحَسْرَاتِ فِي أَعْمَاقِهَا
فَاطْلُبْ إِلَيْهَا الصَّفْحَ عَنِّي، إِنِّي
مَا زَالَ فِي سَمْعِي رَنِينُ حَدِيثِهَا
أُبَيِّ : إِنِّي قَدْ غَدَوْتُ عَلِيلَةً
فَأَذِقْ فَوَازِي فَرْحَةً بِالْبَحْثِ عَن
كَانَتْ لَهَا أُمِينَةً . . رِيَانَةً
غَزَلْتُ خَيْوَطَ السَّعْدِ مَخْضِلاً وَلَمْ
وَالآنَ لَا أُدْرِي بِأَيِّ جَوَانِحِ

في الحبلِ مشدوداً إلى العيدان
صنعتُهُ في هذي الربوع يدان
وتُضَاءُ مِنْهُ مَشَاعِلُ الْعِرْفَانِ
بِلَدِي الْجَرِيحِ عَلَى يَدِ الْأَعْوَانِ
فِي زَحْمَةِ الْأَلَامِ وَالْأَشْجَانِ
قَدْ سَبَقَ نَحْوَ الْمَوْتِ غَيْرَ مَدَانِ
قَدْ قُلْتَهَا لِي عَن هَوَى الْأَوْطَانِ
تَبْكِي شَبَاباً ضَاعَ فِي الرِّيعَانِ (١)
أَلَمْ أَتَوَارِيهِ عَنِ الْجِيرَانِ
لَا ابْتَغِي مِنْهَا سِوَى الْغَفْرَانِ
وَمَقَالِهَا فِي رَحْمَةِ وَحْنَانِ
لَمْ يَبْقَ لِي جَلْدٌ عَلَى الْأَحْزَانِ
بِنْتُ الْحَلَالِ وَدَعَاكَ مِنْ عَصِيَانِي
يَا حُسْنَ آمَالٍ لَهَا وَأَمَانٍ!
يَكُنْ انْتِقَاضُ الْغَزْلِ فِي الْحُسْبَانِ (٢)
سَتَيْتُ بَعْدِي أُمَّ بَأْيِ جَنَانِ (٣)
* . * . *

بعض الذي يجري بفكرِ عان
بِيَدِ الْجَمُوعِ شَرِيعَةُ الْقُرْصَانِ (٤)
مَنْ كَانَ فِي بِلَدِي حَلِيفَ هَوَانِ
قَدْسِيَةِ الْأَحْكَامِ وَالْمِيزَانِ

هذا الذي سَطَّرْتُهُ لَكَ يَا أَبِي
لَكِنْ إِذَا انْتَصَرَ الضِّيَاءُ وَمُرَّقَتْ
فَلَسَوْفَ يَذْكَرُنِي وَيُكَبِّرُ هَمَّتِي
وإلى لقاء تحت ظل عدالته

(١) النشيج : غصة البكاء .

(٢) المخضل : الناعم .

(٣) الجوانح : الضلوع الجنان : القلب .

(٤) القرصان : لصووس البحر .

جزار الغرب

[ألقاها بندوة الشباب برابطة موظفي الحكومة مساء ٥ ديسمبر /
كانون أول / سنة ١٩٥٧].

سنا أملٍ ملء الربا والمعالم
تأملتُ في هذي الحياة فلم أجد
وآمالٍ قلبٍ ينشدُ الخيرَ تلتقي
وذي قوةٍ قد راحَ يسطو بمخلبٍ
جرىءٍ على من يستكينُ بجندهِ
حياةً من الغاب استعارتُ شريعةً
ومن ضمَّ في جنبه قلبَ نعامٍ
وأشلاء ليلٍ غالة الصبحِ قاتمٍ
سوى ذلِّ مظلومٍ وطغيانِ ظالمٍ
إذا أشرفت يوماً بأطماعِ جارم^(١)
ونابٍ على شعبٍ وديعٍ مسالمٍ
جبانٍ لدى القرمِ القوي المقوم^(٢)
فلا يلتقي فيها الضعيفُ براحمٍ
فلا ينتظرُ إلا وثوبَ الضراغمِ

* . * . * . * . *

ففي الشرق لحنُ البعثِ يهدرُ نائراً
ويتنفضُ العملاقُ، ينضو^(٣) قيوده
ويجلو من الماضي جوانبَ لوحه
وما هو بالباغي على الحقِّ مورياً
فيودي بكابوسٍ من الضعفِ جاثمٍ
ويمحو دُجى ذلِّ على الناسِ قائمٍ
فتشرقُ من خلفِ الثرى المتراكمِ
زنادَ أسيٍّ أو ناشراً للمظالمِ

(١) جارم : بمعنى مجرم.
(٢) القرم : السيد المحترم والمقدم بين الناس وأصل الكلمة للبعير الذي لا يحمل عليه ولا يذلل
ويترك للفحلة.
(٣) ينضو : يترع.

تذيبُ الورى في شرها المتفاقم
 ولا يرتضي في حقه من مُساوم
 بأسود قتالٍ من الحقدِ فاحم
 عن البغي، أو مصغٍ إلى صوتِ لائم
 ويصنعُ كأساً من عظام الجماجم
 فتشخذُ أمضى شفرةً للجرائم
 تُشابُ إذا سِقت بِسَمِّ الأرقام^(٢)
 فيهرعُ مذعوراً بمعولِ هادم
 لنسبحَ في حلمٍ من الأمنِ واهم
 إلينا موثيقَ العدو المهاجم
 لمنهزمٍ، أو فيه فخرٌ لهازم
 على جسد المصفود^(٣) في يد آثم
 فلست - وإن شئتَ الحياد - بسالم
 إلى مدفعِ عاتٍ، إلى حدِّ صارم
 مؤازرةً، تُمسكُ بأوهامِ حالم
 يعالجُ محكومٍ سلاسلِ حاكم
 قد اختلفوا حولَ اقتسامِ الغنائم
 دموعُ الثكالي في الأسى المتلاطم
 جنازةُ شعبٍ، أو قيامِ المآثم

وليسَ بمن يسعى إلى بعثِ فتنةٍ
 ولكنه يبغى الحياةَ تَزاحماً
 وفي الغربِ جزائرُ سعى غربُ نصله^(١)
 وعربدٌ في الأفاقِ، ليس بمنتَه
 يعتقُ خمراً من دماءِ أباحها
 يدها: يدٌ تدني إلى الكونِ حتفه
 وأخرى تُنيلُ المُعوزين معوفةً
 يؤرِّقه أن يبيي الشرقُ عزه
 ويسكب في الأسماعِ لفظاً مُنمقاً
 ونصحو على قصفِ المدافعِ ناعياً
 هو الشُّرِّيا ابن الشرقِ ما فيه خسةٌ
 ولكنَّ سوطَ الظلمِ ينضحُ قسوةً
 تراك عيونُ الجانبيينِ فريسةً
 فإن سلبوكَ الحقَّ في المجدِ فاحتكم
 متى تنتظرُ من دولةٍ أو جماعةً
 فكلهمُ في الخزيِ غربٌ، وتحتهم
 ذئابٌ إذا أبدوا خلافاً رأيتهم
 وإن أطفئوا ناراً تشبُّ فمأوهم
 وإن لَوَّحوا بالسلمِ للناسِ فارتقب

* . * . * . * . *

(١) غرب نصله: حده.

(٢) الأرقام: جمع أرقم وهو نوع من الثعابين المشهورة بسمها.

(٣) المصفود: المقيد.

الجزائر الثائرة

[أُقيمت في حفل نادي الطلبة الشرقيين بالقاهرة لتأييد كفاح
الجزائريين، يوم ٢٨ سبتمبر/ أيلول/ ١٩٥٨، ونالت جائزة
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب].

بهواك، وبالدمِ فوق تُربك يا جزائرُ
يجري وينبُع من حُشاشة^(١) كل نائر
بشهادك الملقى على سفح المجازر
بالسخطِ يغلي في القلوبِ وفي الحناجر

بالرابضينَ على القِمم
الشائرينَ على الظلم
سَنفجرُ الأضواءَ في تلكَ الدياجر^(٢)
وتسيلُ أفراحَ الحياةِ على المقابر

* . * . * . *

لن نستكينَ لبطشِ جزاري فرنسا
لن نعرفَ الآمالُ في الأضلاعِ ياسا
والصبحُ نبذرهُ على الأكامِ ياسا

(١) الحشاشة: بقية الروح.

(٢) الدياجر: جمع ديجور، وهو الظلمة.

والحتف^(١) بين الصخرِ لا نالوه غرسا^(٢)

حتى تعودَ ذرى الهضاب
حمراء.. تَبْتُ بالرقاب
ونرى الحصا يطفو على أشلاءِ غادر
جاءت لتلقى الموت، موعدهُ الجزائر

* . * . * . *

السفحُ متقد الجوانبِ بالرصاصِ
فيه الدُمُ المسفوحُ يصرخُ بالقصاصِ
كمعالمِ حمراء في طرقِ الخلاصِ
والموتُ في كهفٍ يحدقُ من خصاصِ^(٣)

يده تمزقُ قنبلهُ
فوق الحشودِ المقبلة
ويخلفُ الطرقاتِ مخضوبِ الأظافرُ
يمشي على هاماتِ أعداءِ الجزائر

* . * . * . *

هذا المُدلُّ^(٤) ببأسِهِ فوقَ التلالِ
ساغثُ على فمِهِ مرارةُ الاحتلالِ
علقتُ بجهتهِ انطباعاتُ النِّعالِ
من وطأةِ الألمانِ، من بأسِ الرجالِ

باريسُ تحني صاغرةُ

(١) الحتف: الموت.

(٢) أي لا نخشى تقديم الضحايا والفداء بالنفوس في سبيل طرد الكفرة والمستعمرين.

(٣) الخصاص : الفرجة في الباب وغيره.

(٤) المدل : المفتخر.

رأسَ المَجُونِ الداعِرَة
وترنُّ في أعناقِها أغلالُ قاهر
تلكَ التي تعدو على شعبِ الجزائر

* . * . * . *

القريةُ الملقاةُ في أحضانِ غابٍ
كانتْ تطوفُ بها أغاريدُ الشباب
ما راعها إلا (طوابيرُ) الذئاب
مجنونةُ الأظفارِ تحطمُ كلَّ باب

وتضيقُ خلفَ القافلةِ
شمسُ السلامِ الأفلةِ
وعلى الثرى غصنٌ من الزيتونِ ناضر
سقطتْ حمامةٌ به فوقَ الجزائر

* . * . * . *

الطفلُ مُلقَى تحتِ أرجلِ مُجرِمِهِ
والرملُ يحسُرُ ما تدفقَ من دمه
قتلوا أناشيدَ الرجاءِ على فمه
وخبا على الصحراءِ نورُ تبسُّمِهِ

وقد انحث فوقَ الجراحِ
أمَّ تَعَضُّ على السلاحِ
شَقُّوا بجانبِ لحدِهِ لحدَّ الضمائرِ
منزوعةً من جنبِ جلاذِ الجزائر

* . * . * . *

هذي القلاعُ القائمةُ على الجبلِ
ورصاصُها المدعور في صدرِ البطلِ

لن توصلد الأبواب في وجه الأمل
فالبعث يزحف نحوها زحف الأجل

ويقص أجنحة الدماز
العاديات على القفار
وغداً سيخفق صوتها دق البشائر
يملي على الدنيا انتصارات الجزائر

* . * . * . *

ستعود ألحان المني .. للراية
نشوى بأصباغ الحياة الزاهية
ويرن في الوادي نشيد الراية
يروى الملاحم عن حروب دامية

روت ثرى التل الجديب
وأث على المرعى الخصب
وغدت وقائعها حكاية كل سامر
من بعد أن دارت على أرض الجزائر

* . * . * . *

رسالة من افريقية

[جنود الإستعمار يتساقطون في كل مكان، وهذا واحد منهم،
يكتب من إفريقية رسالة إلى فتاته. ألقاها الشاعر في ندوة
رابطة موظفي الحكومة مساء ٩ / أكتوبر / تشرين أول /
١٩٥٨.]

الغابةُ السمرَاءُ من حولي يغلفها الضبابُ
تَهَبُ السيادةُ للقويِّ ومَنْ له ظفرٌ ونابُ
وأنا وراءَ الغَيْلِ^(١) تطلبني الأسنّةُ والحرابُ
مترقبٌ للهولِ، يَرعشُ في يدي هذا الكتابُ

فمنَ البقاعِ النائبةِ
خلفَ السهولِ الداميةِ
أزجي إليك الشوقَ دفاقاً وأبعثُ بالحنينِ
متمنياً أن يرجعَ الماضي الجميل... أتذكرين؟

* . * . * . * . *

كانتْ لنا دنيا تُجَمِّلُها الوداعةُ والسكينةُ
الريفُ والمرعى النضيرُ وربوةُ الحبِّ الأمانةُ
وسرورُنا الوثابُ في يومِ الذَّهابِ إلى المدينةِ
والآنَ حيثُ خناجرُ الثوارِ تلمعُ بالضعفينةِ

(١) الغيل الشجر الكثير الملتف.

أحيا لتقتيلِ الشيوخ
في كلِّ زاويةٍ وكوخ
ويداي تغمسُ كلَّ يومٍ في دمِ المستضعفينَ
الثائرينَ على القيودِ وسطوةِ المتجبرينَ

* . * . * . * . *

ومع المساءِ تزلزلُ الأحراشَ دقاتُ الطبولِ
وترنُّ أنغامُ الدمارِ على الروابي والسهولِ
ومراجلُ الأحقادِ تغلي في المراعي والحقولِ
وأمامَ حشدِ الزاحفينَ تفرُّ أسرابُ الوعولِ

حتى إذا صرخَ.. النذيرُ
وَدَنُوا من السورِ الكبيرِ
جُنَّتْ بنادقُنا، وخاضوا نارها متقحمينَ
فإذا النصالُ من الشمالِ تَلَفْنَا ومن اليمينِ

* . * . * . *

اليومَ كنتُ مع الجنودِ أسيرُ في المستعمرةِ
شاكِي السلاحِ وكلُّ شبرٍ تحتِ رجلي مقبرةِ
فتدققوا من جوفِ أكواخِ هناكِ مبعثرةِ
طلعوا علينا في مناجلهم وكانت مجزرةِ

دوى بها صوتُ الرصاصِ
وتعذرتُ سُبُلُ الخلاصِ
وودتُ لو ظفروا بقائدي الشهمِ الأمينِ
ذاك الذي أَلِفَ الثاؤبِ خلفَ مكتبهِ الحصينِ

* . * . * . *

ورجعتُ محمومَ الفؤادِ وقد تأجلَ مصري

وذراعَي الدامي تجلّد ثم ناء^(١) بمدفعي
وفقدتُ في الميدانِ صورتكِ التي كانت معي
وفقدتُ إحساساً جميلاً كان يملأ أضلعي

أحسستُ أنني صرتُ وحشاً
أو لا أقصّرُ عنه بطشاً
والفرقُ أن الذئبَ لا يُودي بذئبٍ في كمين
وأنا.. أنا الإنسانُ أقتلُ إخوتي في كل حين

* . * . * . * . *

ويسيلُ فيضُ الذكرياتِ إذا جلسنا للسمُرُ
هذا يحدثنا عن العشاقِ في ضوءِ القمرِ
وسواءُ يسخرُ من أسي الدنيا وأطماعِ البشرِ
وأنا أحنُّ إلى ليالينا وما قبلَ السفرِ

وتدفقِ الأملِ الحبيبِ
في نُصرةِ الوادي الخصبِ
وتدورُ عيني تسألُ الأصحابَ في صمتِ حزين
عن غايةٍ جئنا لندركها قساةً معتدين

* . * . * . *

أو ليسَ يكفيننا لكي نحيا نتاجَ المزرعهِ
حتى أصبَّ على أخي سوطَ العذابِ لأخضعه
ويقضُّ حيناً مضجعي وأقضُّ حيناً مضجعه
وأعيشُ مغترباً هنا بين الرماحِ المشرعهِ

يأتي الطعامُ إلى فمي
مُراً تلوّثَ بالدمِ

(١) ناء : سقط .

وأصوغُ من آلامِ قومِ جنَّةٍ للمترفين
الحالمينَ، ثورةَ البركانِ تهدرُ من سنينِ

* . * . * . *

فإلى متى يستعذبونَ البغيَ في ليلِ الجراحِ
قولي لهم: لا تغمضوا الأبصارَ عن ضوءِ الصباحِ
لا توصلدوا الأذانَ قد دوتَ أناشيدُ الكفاحِ
لنْ نُسكتَ الصوتَ القويَّ بما لدينا من سلاحِ

وأنا إذا عادَ الجنودُ
سأعودُ، أرجو أن أعودُ
ولربما تأتيك أنباءٌ عن المتمردين
من يقرأونَ ويسمعونَ: «الموتُ للمستعمرين»

* . * . * . *

أغنية صومالية

[ألقاها الشاعر في حفل الصوماليين بنادي الطلبة الشرقيين
مساء ١٢ / أكتوبر / تشرين أول سنة ١٩٥٨].

أبدأ لن تخنق آمالي لن تبقى في وطني الغالي
سأحطم يوماً أغلالي سيهزك بركان نضالي

حتى يرجع لي صومالي

* . * . * . *

ستعود الأشلاء الخمس^(١) جسداً لا يطويه اليأس
وجحيماً سَعْرهُ البأس تُذكيه نفوس الأبطال

بينون مفاخر صومالي

* . * . * . *

صومالي ما كان صيباً لتكون على الأرض وصيا
وتكبل بالقيد يديا وتبارك قتلي وقتالي

(١) الصومال قطر إفريقي يكافح في سبيل الحرية والوحدة. مزقه الإستعمار خمسة أشلاء...
اقتسمتها فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والحبشة وكينيا - وكانت مستعمرة بريطانية - وبعد تصفية
المستعمرات الإيطالية عقب الحرب العالمية الثانية. قررت الأمم المتحدة وضع الجزء الذي
اغتصبته إيطاليا تحت الوصاية الدولية، على أن يتولى الصوماليون شؤون بلدهم بعد عشر
سنوات، وذلك في يولييه سنة ١٩٦٠، وقد استشهد في سبيل استقلال الصومال المرحوم كمال
الدين صلاح عضو الوصاية الدولية. اغتالته يد أئمة من صنائع الإستعمار.

فإلامَ تُمَزَّقُ صومالي

الغابَةُ قد مُلِئت ناراً والوادي يهتاجُ شراراً
والسَفْحُ تَدْفَقُ أحراراً أفنوا أياماً وليالي
يبغونَ تحرُّرَ صومالي

* . * . * . *

الليلُ تركناه صباحاً والحقُّ حملناه سلاحاً
والمجدُ لبسناه وشاحاً نُهديه غداً للأجيالِ
أجيالِ تبني صومالي

* . * . * . *

لي وحدي تقريرُ مصيري ويوحى شعوري وضميري
وإلى معركةِ التحريرِ سأسيرُ تدمدمُ أهوالي
وتروغكُ وثبةُ صومالي

* . * . * . *

(مقديشو) يملؤها الفجرُ أضواءً فجَّرها النصرُ
قد ظلَّ لها علمٌ حر بدمي، بيقيني، وبمالي
أفديه وأفدي صومالي

* . * . * . *

قد عشقُ سجيناً محترقاً وعرفتُ الظلمةَ والرِّمَّما
وبنيكُ نعيماً مؤتلقاً من قُوتي، من قوت عيالي
فاليومَ أحرُّ صومالي

* . * . * . *

ستراني في كلِّ طريقٍ أسحقُ من حاولَ تمزيقي
فهتافُ البعثِ الإفريقي دوي في قلبِ الأدغالِ
فصحتُ لأنقذَ صومالي

فسلاماً إن شئت سلامي أو ناراً في غدنا الدامي
سأنزُرُ بعدك أيامي وأمدُ يميني وشمالي
لأدعمَ نهضة صومالي

* . * . * . * . *

دين وعروبة

[نظم الشاعر هذه القصيدة في ١٢ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٥٨]

أيها السائرُ بينَ الغيْهِبِ عاثرَ الخطوِ جليَّ التعبِ^(١)
ضارباً في لجةِ غامضةٍ من محيطِ العالمِ المضطربِ
لا تقفُ حيرانَ مشوبَ الأسي هكذا نهياً لشتى الرِّيبِ^(٢)
ذلكَ الدُّرْبُ سلكناهُ معاً من قديمٍ لستَ بالمغترِبِ
أنتَ في الدنيا نماءً هائلُ مشرقُ الماضي عريقُ النَّسبِ
أنتَ لا تعرفُ منْ أنتَ ولمْ تقرأ التاريخَ يا ابنَ العربِ

* . * . * . *

عُدْ لتاريخِكَ وانشد قَبْساً من سناً بددَ ليلَ الحُقْبِ^(٣)
تلمسُ العلةَ تشكو بأسها ثم لا تدري لها من سببِ
أنا أنبيكَ عن الداءِ وعن طبِّهِ المهجورِ ملءَ الكُتُبِ
يا ترى، عندكَ ألقى خبراً عن أناسِ بصعيدِ مُجدبِ؟
مِن رُعاةِ الشاءِ عاشوا زمناً لم يسيروا للعلا في موكبِ
أدركو الذلةَ ذاقوا مُرَّها عرفوا بطشَ القويِّ الأجنبيِّ

(١) الغيْهِبِ : الظلمة والجمع غياهب.

(٢) الرِّيبِ: الشكوك، الظنون.

(٣) الحُقْبِ: بضم الحاء والقاف، وهو الدهر، وجمعه أحقاب أما الحُقْبِ: بتسكين القاف وهو

ثمانون سنة وقيل أكثر من ذلك وجمعه حقاب

جاءهم بالمجد والنور نبي
 من أجابوه ومن لم يُجب
 كم أسيّ قد حطّه عن منكب^(١)
 سادة تحت ظلالِ القُضْبِ^(٢)
 أفعمت آياته بالعجب
 قوَّضَ الرومانَ بالرمحِ أبي
 فتكَّه الإِعمارِ عندَ الغُضْبِ
 لجة البحر تُجاءَ المغربِ^(٣)
 لفتاناً في صحافِ الذهبِ
 هذه الأضواءُ مثلَ الشُّهبِ
 هذه الأمجادُ فوقَ الكوكبِ
 بحروفٍ من سناً، من لهبِ
 ثابتَ الركنِ قويِّ الطُّنبِ^(٤)
 حاقداً يلبسُ جلدَ التُّعلبِ
 ما الذي يحملُ لمغتصبِ
 يشهدُ الليلُ ديبَ العقربِ
 عاصمِ كالدينِ عندَ الثُّوبِ^(٥)
 أهلكَ السارينَ ليلَ العطبِ

ثم في يومٍ أبيّ مشرقٍ
 فما في ظلِّ ما جاء به
 كم رقابٍ فكها من صَفْدِ
 ومشى في ساحةِ المجدِ بهم
 عرفَ العالمُ عنهم نبأً
 لم يزل في خاطري أن الذي
 كيف لا أذكرُ أجداداً لهم
 وجواداً قبلك حافره
 وملوكُ الصينِ تهدي تربها
 أي روحٍ من هُداها انبجست
 أي إشراقه نفسٍ رفعت
 إنها قصةٌ بعثتُ كتبتُ
 نهضةً بالدينِ شادوا صرحها
 أعرفتُ الآنَ معنى أن ترى
 عرَفَ الإسلامَ، ما غايتهُ،
 فمشى بالكأسِ مسموماً وكم
 همُّهُ أن يُصبحَ العربِ بلا
 همُّهُ المصباحُ، لو أطفأه

(١) الصَّفْد: ما يوثق به الأسير من قيد وغل.

(٢) القُضْب: السيوف.

(٣) يشير إلى ماروي منسوباً إلى القائد المسلم عقبة بن نافع الفهري إذ خاض بقوائم فرسه شاطيء

الأطلسي بعد فتوح المغرب وهو يقول: «اللهم لو أني أعلم أن وراء هذا البحر يابسة لأقتحمت

هذا الهول المائج لأنشر اسمك العظيم في أقصى بقاع الدنيا».

(٤) الطُّنب: حبل الخباء.

(٥) الثوب: المصائب.

واختلفنا في الورى السنةً
وافترقنا بينهم أفئدةً
وابتعدنا كلُّنا عن هدفٍ
أمةُ العربِ بخيرِ طالما
يجهلُ المصريُّ لفظَ الحلبي (١)
جُمعت حول التراثِ الطيبِ
بات يُذنيه اتحادُ المشربِ
هي في إسلامها لم تُنكَبِ

* . * . * . * . *

(١) الحلبي : نسبة إلى مدينة حلب وهي مدينة كبيرة في شمالي سورية وكانت عاصمة سيف الدولة الحمداني .

وصية لاجيء

[ألقاها الشاعر في ندوة الشبان المسلمين لنصرة قضية فلسطين
مساء ١٨ / نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٥٨ / ونالت جائزة
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب].

أنا يا بُنيَّ غداً سيطويني العَسُو
لَمْ يبقَ من ظلِّ الحياةِ سوى رَمَقِ
وحطامِ قلبٍ عاشَ مشبُوبَ القلقِ
قدَّ أشرقَ المصباحُ يوماً واحترقَ
جفَّتْ بهِ آماله حتى اختنقَ

فإذا نفضتَ غبارَ قبوري عن يدك
ومضيتَ تلمسَ الطريقِ إلى غدك
فاذكرُ وصيةَ لاجيءٍ تحتَ الترابِ
سلبوهُ آمالَ الكهولةِ والشبابِ

* . * . * . *

مأسأتنا مأسأةُ ناسٍ أبرياءِ
وحكايةُ يغلي بأسطرها الشقاء
حملتُ إلى الأفاقِ رائحةَ الدماءِ
وجريمتي كانتُ محاولةَ البقاءِ
أنا لم اعتديتُ ولا ادخرتُكَ لاعتداءِ

لكن لثأرٍ نبَّعه دام .. هُنا
بين الضلوعِ جعلتُهُ كلَّ المنى
وصبغتُ أحلامي به فوق الهضاب
وظمئتُ عمري .. ثم متُّ بلا شراب

* . * . * . *

كانت لنا دارٌ، وكان لنا وطنٌ
ألفتُ به أيدي الخيانتِ للمحن
وبذلتُ في إنقاذِهِ أغلى ثَمَنُ
بيدي دفنتُ أخاكَ فيه بلا كَفَنُ
إلا الدماء، وما ألمَّ بي الوهنُ

إن كنت يوماً قد سَكبتُ الأدمعا
فلانني حُمَّلتُ فقدهُما .. معاً
جرجانٍ في جنبي: ثُكلٌ واغتراب
ولدٌ أضيع .. وبلدةٌ رهنَ العذاب

* . * . * . *

تلك الربوعُ هناك قد عرفتَكَ طفلاً
يجني السنا والزهرَ حين يجوبُ حقلاً
فاضتُ عليك رياضُها ماءً وظلاً
واليومَ قد دهمتُ لك الأحداثُ أهلاً
ومرُوجك الخضراء تحني الهام ذلاً

هم أخرجوك فعد إلى من أخرجوك
فهناك أرضٌ كان يزرعُها أبوك
قد ذُقت من أثمارها الشهد المذاب
فإلام تتركُها لألسنة الحراب؟

إن جئتُها يوماً وفي يدك السلاح
وظلعت بين ربوعها مثل الصباح
فاهتفتُ على سمع الروابي والبطاح
إني أنا الأمس الذي ضمَّد الجراح
ليبك يا وطني العزيز المُستباح

أو لستَ تذكرني؟ أنا ذاك الغلام
من أحرقوا مأواه في جنح الظلام
بلهيب نارٍ حولها رقص الذئاب
لفت حياتي بالدخان وبالضباب

* . * . * . *

لا تبكين، فما بكث عينُ الجناه
هي قصة الطغيان من فجر الحياه
فارجع إلى بلد كنوز أبي حصاه
قد كنت أرجو أن أموت على ثراه
أملٌ ذوي، ما كان لي أملٌ سواه

فإذا نفضت غبار قبري عن يدك
ومضيت تلتمسُ الطريقَ إلى غدك
فاذكرُ وصيةً لاجيء تحت التراب
سلبوه آمال الكهولة والشباب

* . * . * . *

أضواء من السماء

[نظمت هذه القصيدة أول ديسمبر كانون أول ١٩٥٨]

ليلٌ، وليسَ هناكَ غيرُ شعاعِ
ما زالَ وضَاءَ السَّنَا في أمةٍ
سالتُ على الصَّحراءِ من عهدِ مضي
يا للمنارِ السَّمْح، قد غَشَى الدُّجَى
دينُ بنى الإنسانَ، كَرَمَ شأنُهُ
وإذا تَقَنَّتِ الحَقَائِقُ كُلُّهَا

* . * . * . * . *

في آسِيا وعلى جديبِ رمالها
نبتَ الهدى والحقُّ في جَنَبَاتِهَا
وكما يسيلُ الفجرُ سالَ النورُ من
ومشَّت مواكبُهُ وفي أقمانيها
من كلِّ صنديدٍ تضم ضلوعُهُ
وإذا الضلالُ طغى على صوتِ الهدى

* . * . * . * . *

وكسا الضياءُ الأرضَ في إفريقيا
بَسَطت ذِرَاعِيهَا لِيَحْتَضِنَ السَنَا
ما بين غاباتِ بها... ومراعٍ
طَبًّا يخلُصُهَا مِنَ الأوجاعِ

عَرَفْتُهُ فَتَحاً لِلبِنَاءِ وَلِلْعَلَا
وَتَسَمَّتْ رِيحُ الْمَنَى فِي زَحْفِهِ
فَإِذَا الْوَجُوهُ السُّمْرُ مِنْ أبنَائِهَا
وَتَدُكُ خَلْفَ الْمَاءِ عَرشَ مَحَكِّمِ

* . * . * . *

يَا مَنَهلاً عَذْباً، وَكَمْ مِنْ ظَامِيءٍ
أَيُّ الشَّرَائِعِ قَدْ حَمَلَتْ لِعَالَمِ
إِنْ كَانَ هُمُّهُمُ السَّلَامُ وَأَمْرُهُ
فَلْيَأْخُذُوا مِمَّا لَدَيْكَ إِنْ ابْتَغَوْا
أَوْ قَامَ مِنْهُمْ بِالْإِخَاءِ مُطَالِبٌ
لَيْسَ الْإِخَاءُ شَرِيعَةً تُمَلَى وَلَا
لَكِنَّهُ - وَكَمَا رَسَمْتَ خَطْوَةً -
وَعِلَاقَةً يَسْمُو بِهَا الْإِنْسَانُ لَا

* . * . * . *

هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ لَا شَرْقٌ وَلَا
وَاللَّهِ مَا اخْتَلَفُوا لِمَصْلَحَةِ الْوَرَى
فَإِذَا رَأَوْا حَقّاً ضِعَافاً أَهْلُهُ
وَالضَّعْفُ لَا يَحْيَا بِأَيَّةِ أُمَّةٍ

* . * . * . *

(١) قيد: بفتح فسكون، وبكسر أوله: قدر.

شباب الإسلام

[ألقاها الشاعر في ندوة أقيمت بجمعية الشبان المسلمين مساء
٩ / فبراير شباط / سنة ١٩٥٩ لمناقشة انحراف الشباب،
وأبان الشاعر في هذه القصيدة عن خصائص شباب الإسلام].

مَلَكْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا قُرُونًا
وَسَطَّرْنَا صَحَائِفَ مِنْ ضِيَاءٍ
حَمَلْنَاهَا سَيْوْفًا لِامْعَاتِ
إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْأَعْمَادِ يَوْمًا
وَكُنَّا حِينَ يَرْمِينَا أَنْاسٌ
وَكُنَّا حِينَ يَأْخُذْنَا وَلِي
تَفِيضُ قُلُوبُنَا بِالْهَدْيِ بَأْسًا
وَمَا فَتَىءَ الزَّمَانُ يَدُورُ حَتَّى
وَأَصْبَحَ لَا يُرَى فِي الرِّكَبِ قَوْمِي
وَأَلْمَنِي وَأَلَمَ كُلِّ حَرٍ

وَأَخْضَعَهَا جَدُودٌ خَالِدُونَ
فَمَا نَسِيَ الزَّمَانُ وَلَا نَسِينَا
غَدَاةَ الرَّوْعِ^(١) تَأْبَى أَنْ تَلِينَا
رَأَيْتَ الْهَوْلَ وَالْفَتْحَ الْمَبِينَا
نُؤَدُّ بِهِمْ أَبَاءَ قَادِرِينَا
بَطْغِيَانٍ تَدُوسُ لَهُ الْجَبِينَا
فَمَا نُغْضِي عَنِ الظُّلْمِ الْجُفُونَا
مَضَى بِالْمَجْدِ قَوْمٌ آخِرُونَا
وَقَدْ عَاشُوا أَيْمَتَهُ سَنِينَا
سُؤَالَ الدَّهْرِ: أَيْنَ الْمُسْلِمُونَا؟

* . * . * . *

تُرَى هَلْ يَرْجِعُ الْمَاضِي؟ فَإِنِّي
بَنِينَا حُقْبَةً فِي الْأَرْضِ مُلْكًا
أَذُوبُ لِذَلِكَ الْمَاضِي حِينَا
يَدْعُمُهُ شَبَابٌ طَامِحُونَا

(١) الروع : الحرب.

وما عَرَفُوا سِوَى الْإِسْلَامِ دِينًا
 كَرِيمًا طَابَ فِي الدُّنْيَا غَصُونًا
 فَسَأَلَتْ عَنْهُمْ مَاءَ مَعِينَا
 يَدُكُونَ الْمَعَاقِلَ وَالْحُصُونَا
 مِنَ الْإِسْفَاقِ إِلَّا سَاجِدِينَا
 وَلَمْ يُسَلِّمْ إِلَى الْخَصْمِ الْعَرِينَا
 وَقَدْ مَلَأُوا نَوَادِيهِمْ مُجُونَا
 وَلَكِنَّ الْعُلَا صِيغَتْ لِحُونَا
 وَعِلْمًا، لَا بِأَجْرِهِمْ عِيُونَا!
 وَيَأْتَلْفُونَ مُجْتَمِعًا رَزِينَا
 وَلَا عَرَفَ التَّخْتُّ فِي بَنِينَا
 وَلَمْ يَتَّقِبُوا فِي الْمُلْحَدِينَا
 خَطِيرٍ كَيْ يَقَالَ مَثْقُونَا

* . * . * . *

شَبَابًا مُخْلِصًا حَرًّا أَمِينَا
 فَيَأْبَى أَنْ يُقَيَّدَ أَوْ يَهُونَا
 فَلَمْ أَجِدِ الْمُنَى إِلَّا ظَنُونَا
 وَقَوُوا بَيْنَ جَنَبِيَّ الْيَقِينَا
 وَابْنِ الْمَجْدِ مَوْتَلَقًا مَكِينَا

* . * . * . *

شَبَابٌ ذَلَّلُوا سُبُلَ الْمَعَالِي
 تَعَهَّدَهُمْ فَأَنْبَتَهُمْ نَبَاتًا
 هُمْ وَرَدُوا الْحِيَاضَ مَبَارِكَاتٍ
 إِذَا شَهَدُوا الْوَعْيَ كَانُوا كُفَمَاةً
 وَإِنْ جَنَّ (١) الْمَسَاءُ فَلَا تَرَاهُمْ
 شَبَابٌ لَمْ تُحَطِّمَهُ اللَّيَالِي
 وَلَمْ تَشْهَدُهُمُ الْأَقْدَاخُ يَوْمًا
 وَمَا عَرَفُوا الْأَغَانِي مَائِعَاتٍ
 وَقَدْ دَانُوا بِأَعْظَمِهِمْ نِضَالًا
 فَيَتَّحِدُونَ أَخْلَاقًا عِذَابًا
 فَمَا عَرَفَ الْخِلَاعَةَ فِي بَنَاتٍ
 وَلَمْ يَتَشَدَّقُوا بِقَشُورِ عِلْمٍ
 وَلَمْ يَتَبَجَّحُوا فِي كُلِّ أَمْرٍ

كَذَلِكَ أَخْرَجَ الْإِسْلَامُ قَوْمِي
 وَعَلَّمَهُ الْكِرَامَةَ كَيْفَ تُبْنَى
 دَعُونِي مِنْ أَمَانٍ كَاذِبَاتٍ
 وَهَاتُوا لِي مِنَ الْإِيمَانِ نُورًا
 أَمْدُ يَدِي فَأَنْتَزِعُ الرُّوَاسِي

(١) جن الليل: أظلم.

أغنية أم

[محنة الإسلاميين في مصر، ومحنة العراق كله، ومحنة المسلمين في كل مكان يصورها الشاعر في أغنية أم لوليدها الذي أعدم أبوه، ويتبع أسلوب التورية خوفاً من بطش الطغاة، فيتظاهر أنه يتحدث عن محنة العراق سنة ١٩٥٩].
[نظمت هذه القصيدة في ١٩ مارس آذار

نَمَّ يا صغيري، إنَّ هذا المهد يجرسُهُ الرجاءُ
مَنْ مُقَلَّةٍ سهرتْ لآلامٍ تثورُ معَ المساءِ
فأصوغُها لحناً مقاطعُهُ تأجُّجٌ في الدماءِ
أشدو بأغنيتي الحزينة، ثمَّ يغلبني البكاءُ
وأمدُّ كفي للسماءِ لأستحثَّ خطأَ الساءِ

نَمَّ، لا تُشاركني المرارةَ والمِحْنَ
فلسوفَ أرضعك الجراحَ مع اللبَنِ
حتى أنالَ على يدك مُنَى وهبتُ لها الحياهِ
يا من رأى الدنيا، ولكنَّ لَنْ يرى فيها أباهِ

* . * . * . *

ستمُّ أعوامَ طوالٍ في الأنينِ وفي العذابِ
وأراك يا ولدي قويَّ الخطوِّ موفورَ الشبابِ

تأوي إلى أمٍ محطمةٍ مغضّنةٍ (١) الإهاب (٢)
وهناك تسألني كثيراً عن أبيك وكيف غاب
هذا سؤالٌ يا صغيري قد أعدّ له الجواب

فلئنٍ حيث فسوف أسردهُ عليك
أو متٌ فانظر من يسرُّ به إليك
فإذا عرفت جريمةَ الجاني وما أقترفت يداه
فانثر على قبري وقبرِ أبيك شيئاً من دماه

غدك الذي كنا نؤمل أن يُصاغ من الورود
نسجوه من نارٍ ومن ظلمٍ تَدَجَجَ بالحديد
فلكلِّ مولودٍ مكانٌ بين أسرابِ العبيد
المسلمينَ ظهورهم للسطوِّ في أيدي الجنود
والزاعمين أنوفهم بالترب من طولِ السجود

فلقد وُلدتَ لكي ترى إذلالَ أمه
غفلتَ فعاشت في دياجيرِ ألممه
ماتَ الأبيُّ بها ولم نسمع بصوتٍ قد بكاه
وسعوا إلى الشكي الحزين فألجموا بالرعبِ فاه (٣)

* . * . * . *

أما حكايتنا فمن لونِ الحكاياتِ القديمةِ
تلك التي يمضي بها التاريخُ داميةً أليمةً
الحاكمُ الجبارُ، والبطشُ المسلحُ، والجريمةُ
وشريعةٌ لم تعترف بالرأي أو شرفِ الخصومه
ماعداد في تنورها لحضارةِ الإنسانِ قيمه

(١) مغضّنة : مجمعة .

(٢) الإهاب : الجلد .

(٣) لعله يشير إلى إعدام قادة الإخوان المسلمين والتكليف بهم .

الحرُّ يعرفُ ما تريدُ المحكمة
وقضائهُ سلفاً قد ارتشفوا دمه
لا ترتجي دفعاً لبهتانٍ رماهُ به الطغاه
المجرمونَ الجالسونَ على كراسيِّ القضاة

حكّموا بما شاءوا وسيقَ أبوكَ في أصفادهِ
قد كان يرجو رحمةً للناس من جلّادِهِ
ما كان - يرحمهُ الإله - يخونُ حبَّ بلادهِ
لكئنهُ كيدُ المدلِّ بجنده.. . وعتادهِ
المشتهي سفكَ الدماءِ على ثرى بغداده

كذبوا وقالوا عن بطولتهِ خيانه
وأماننا التقريرُ ينطقُ بالإدانةِ
هذا الذي قالوه عنه.. . غداً يُرددُ عن سواه
ما دمْتُ أبحثُ عن أبي في البلادِ ولا أراه

* . * . * . * . *

هو مشهدٌ من قصةِ حمراءِ في أرضِ خصيبه
كُتبت وقائعهُ على جُدرٍ مضرّجةٍ رهيبه
قد شادها الطغيانُ أكفاناً لعزتنا السليبه
مشتِ الكتيبةُ تنشرُ الأهوالَ في إثرِ الكتيبه
والناسُ في صمتٍ وقد عقدتْ لسانهمُ المصيبه

حتى صدى الهمساتِ غشاها الوهن
لا تنطقوا، إن الجدارَ له أذنُ
وتخاذلوا، والظالمونَ نعالهمُ فوق الجباه
كشياهِ جزائرٍ، وهل تستنكرُ الذبحَ الشياهِ؟

* . * . * . * . *

لا تُصغِ يا ولدي إلى ما لَقَّوه ورَدَدوه
من أنهم قاموا إلى الوطنِ الذليلِ فحرروه
لو كانَ حقاً ذاك ما جاروا عليه وكَبَلوه
ولما رموا بالحَرِّ في كهفِ العذابِ ليقتلوه
ولما مشوا للحق في وهجِ السلاحِ فأخرسوه

هذا الذي كَتَبوه مسمومُ المذاقِ
لم يبقَ مسموعاً سوى صوتُ النفاقِ
صوتُ الذين يُقدسونَ الفردَ من دونِ الإلهِ
ويسبِّحونَ بحمدهِ ويقدمونَ له الصلاةَ

* . * . * . * . *

لا ترحمِ الجاني إذا ظفرتَ به يوماً يداكُ
فهو الذي جلبَ الشقاءَ لنا، ولم يرحمِ أباكُ
كَمْ كان يهوى أن يعيشَ لكي يُظللَ في حماكُ
فاطلبِ عدوكُ، لا يفتكُ، تُرحِ فؤاداً قد رعاكُ
هذي مُنابي وأمنياتُ أبيكُ فاجعلها مُناكُ

فإذا بطشتَ به فذاك هو الثمنُ
ثمنُ الجراحاتِ المشويةِ باللبنِ
وهناكُ أدركُ يا صغيري ما وهبتُ له الحياهِ
وأقولُ هذا ابني، ولم يرَ في طفولتهِ أباهِ

* . * . * . * . *

غرام لاجيء

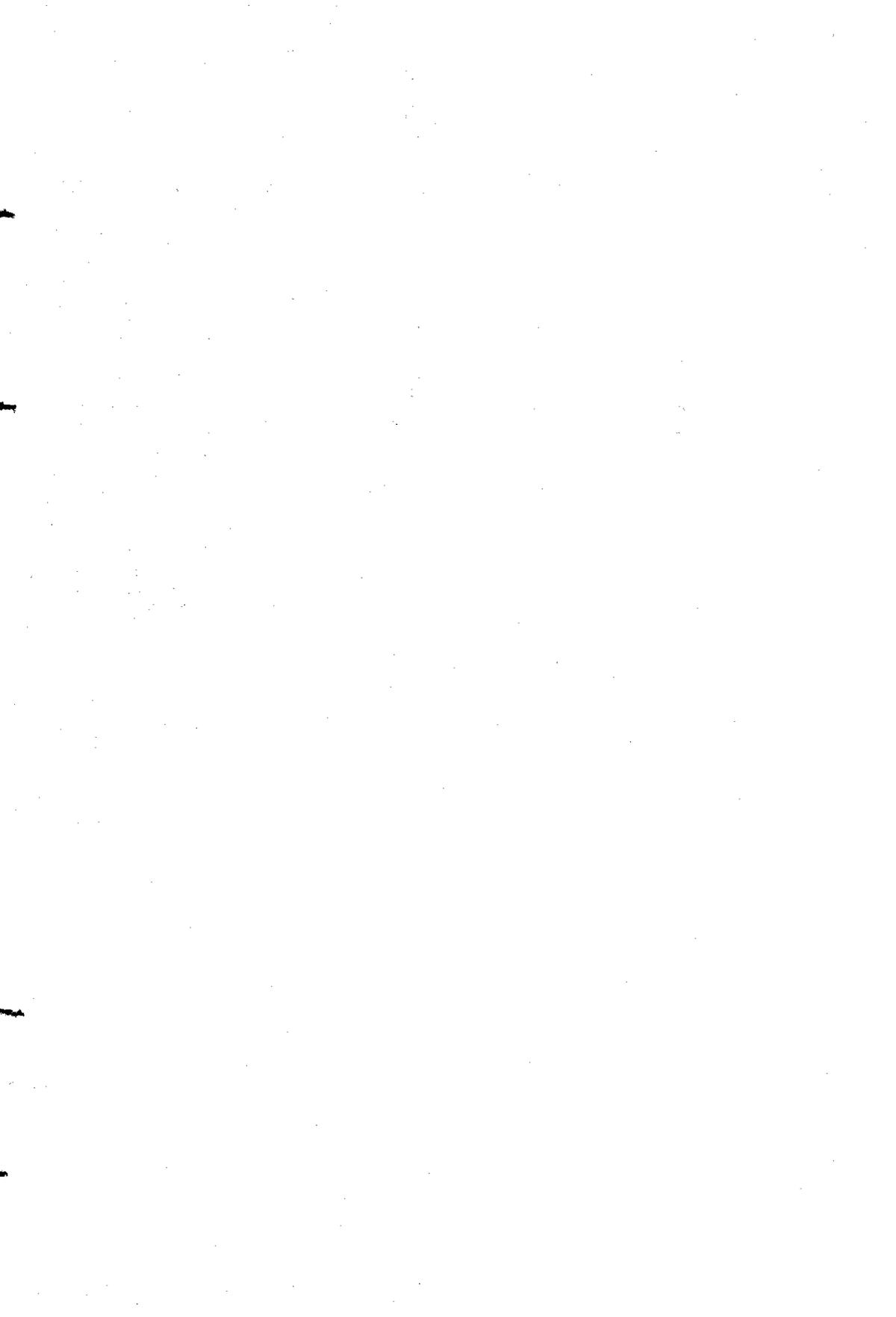
[قصيدة لم تكتمل، تحدث فيها الشاعر بلسان لاجيء يصور
غرامه، ويناجي وطنه السليب].

يا بنت عمي مرت الأعوامُ وتفتحت عن زهرها الأكمَامُ
ولبست أثوابَ الشبابِ قشيبَةً ونما كأعوادِ الربيعِ غرامُ
قلبانِ مغتربانِ أينعت أُلْمِي بهما، وزفت للهوى أحلامُ
أملُ يُراودنا ودونَ بلوغِهِ نارُ، ويومُ، هائلُ، وصدامُ
إنَّا نعدُّ له.. فلا تترقي أن تشهد العرسَ البهيجَ خيامُ
فهناك في وطنِ سليبٍ، في غدٍ أفراخنا، بربوعِهِ ستقامُ
وطنُ يعيشُ، هواهُ ملءُ جوانحي لي في رباهُ رضاعةً وفِطامُ

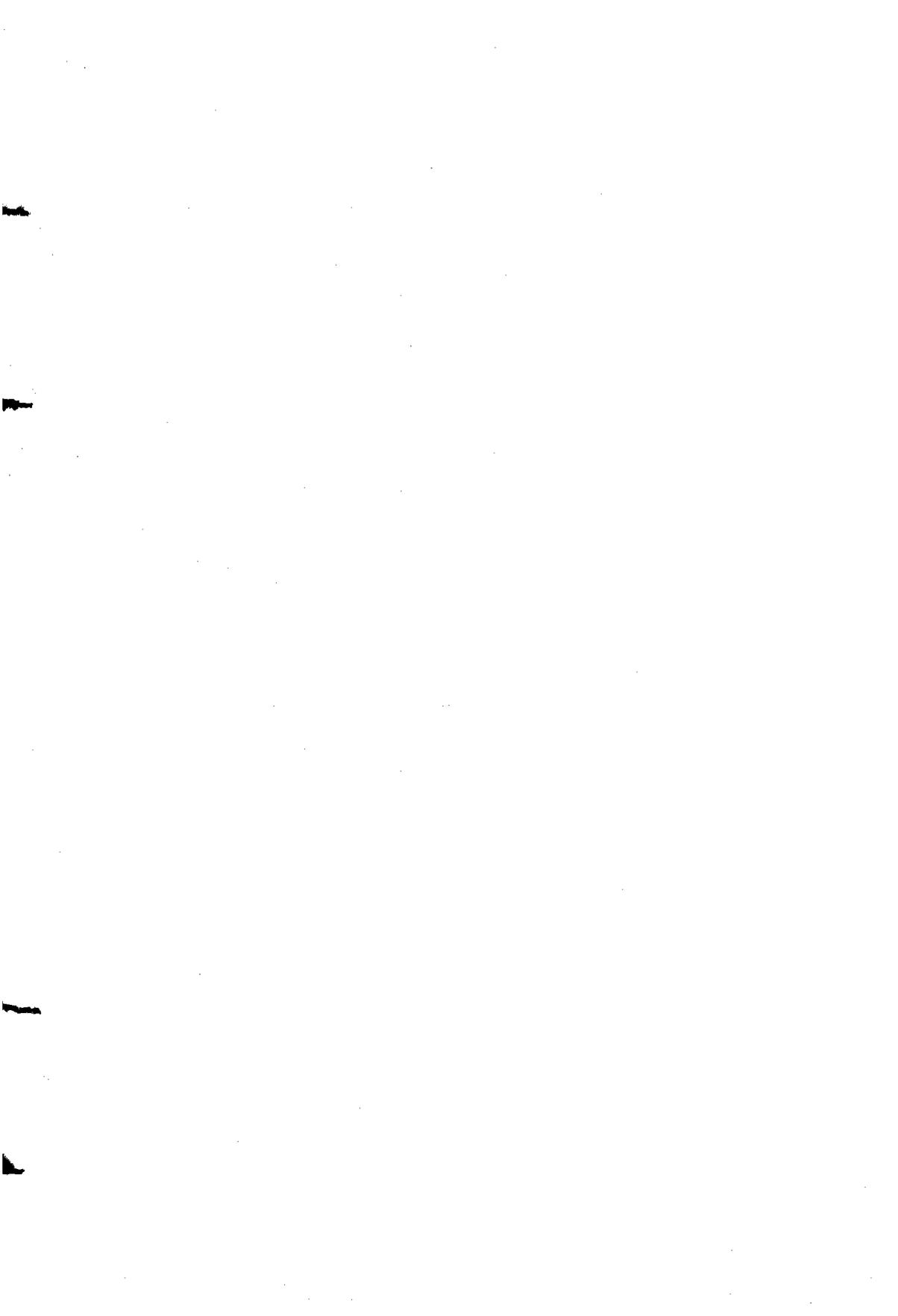
* . * . * . * . *

قد بارك الليمونُ يوماً مولدي فيه ورفرفَ بالسلامِ حَمَامُ
واليومَ حينَ تعودُني أطيافه يهتاجُ في قلبي أسيَّ وِقْتامُ
دُعرَ الحمامُ على الغصونِ فلم يعد يشدو ولم يشرقَ عليه سلامُ
وحداتُ الأعتابِ حولَ بيوتنا لم أدرِ ما فعلتُ بها الأيامُ
قد كانَ آخرُ عهدِهِ بمروجه يوماً تمرُّ بهولِهِ الأعوامُ
لم أدرِ ساعتها لماذا أسرعَت أمي لتحملنا ونحنُ نيامُ

* . * . * . * . *



جَرَاحِ مِصْرَ
القَصَائِدِ العَشْرِ



بين احتلالين

[أكتوبر / تشرين أول / ١٩٥٤]

قالوا الجلاء.. فقلت حلم خيال
ليس الجلاء رحيل جيش غاصب
إن يترك الوادي الدخيل فإننا
نحيا بمصر فريسة الإذلال
ما كان هذا الأجنبي يبالغ
في البطش مبلغ سالم وجمال^(٢)

* . * . * . * . *

يا نيل إن السيل قد بلغ الزبي
وغدت بلادك دمية الأطفال^(٣)
الشعب مشدود الإسار مكمم
يشكو القيود، وما له من وال
ولقد ظننا أننا في عهدهم
سنزيح عنا مرهق الأثقال
حتى تكشف للبلاد خداعهم
هيات للظمان ري الآل^(٤)

(١) كان ذلك بعد عقد اتفاقية الجلاء عن قناة السويس وقبول شروط بريطانيا بعودة القوات البريطانية إليها إذا وقع اعتداء على تركيا وغيرها من حلفاء بريطانيا آنذاك.

(٢) جمال عبد الناصر، وصلاح سالم.

(٣) لأن البلاد كانت تمر بفترة مضطربة ووقعت فريسة لنزوات الضباط وصراعاتهم، (ويبلغ السيل الزبي) مثل مشهور. الزبي: الربي.

(٤) الآل: السراب ويعبر عن خيبة أمل الشعب بهذه الثورة.

طعنوا جَبَابِرَةَ الكفاحِ وأصقوا
ورَمُوا بخنجرِ كيديهِم مَنْ قَدَمُوا
هَمَّ أخرسوا الأصواتِ حتى أنها
هَمَّ حَطَمُوا الأَقلامَ... وما تركوا لنا
بَثُوا عيونَ البغيِ فينا، واشتروا
واشتدَّ لَفْحُ الرعبِ حتى أحمَدوا
وهوتْ منا بَرْنَا... فَرُبُّ صحيفَةٍ
كانتْ أشدَّ من السُّهَامِ مرارةً
حتى إذا انتظَمَ الكنانةَ غيهِبُ
فعدا عليها الظالمونَ وحطَمُوا

* * * * *

لِلحرِّ... بل قَدِ صِرَتْ دارَ نَكَالٍ
من ظالمٍ في الظُّلمِ ليس بيالي
حرٌّ، عَنِ الإقدامِ ليسَ بسالٍ
تأتي لكلِّ مواطنٍ بوبالٍ
إِنَّ الطغاةَ قَصيرةَ الأجالِ
لا تستكنُّ لبوادرِ الزلزالِ
خسفاً، بمثلِ مكيدةِ العمالِ(*)

ما عدتِ يا أرضُ الكنانةِ موطناً
قَدِ حُورِبَ الأحرارُ في أرزاقِهِم
لا تَغضبي إن فرَّ منك مهاجرٌ
ما عادَ قولُ الحقِّ غيرَ جريمةٍ
عُدَّ يا جمالُ بما تشاءُ مُظفراً
واظلمَ كما تهوى.. فظلمك سائغٌ
وارمِ البلادَ لكي تظللَّ تسومنا

(١) يقصد بهم الفدائيين الذين أقضوا مضجع الانكليز في القناة وهم من الشباب المسلم الغيور.

(٢) غوال : أي ثمينه.

المحاكمات معروفة إذ تصدر الأحكام قبل الإتهام.

وقتل مئات منهم تحت التعذيب.

(*) القلاقل التي أثارها العمال عقب صدور قرارات ٥ مارس - آذار - ١٩٥٤، من إضرابات

ومظاهرات تهدف إلى إبقاء جمال وعصابته في الحكم [الشاعر].

لم يعرفِ الباستيلُ يوماً بعضَ ما في سجنِكَ الحربيِّ مِنْ أهوالِ (١)
مَنْ كَانَ يَخْشَاهُ فَمَصْرٌ قَدْ غَدَتِ سجنًا كبيراً مُحكمَ الأقفالِ
ما أخطأتكَ رصاصةٌ من بُغضِنَا إذ أخطأتكَ رصاصةُ المُغتالِ (٢)
فاغنمِ مِنَ اللذاتِ حظاً وافراً قَدْ أذنتُ شمسٌ لَكُمْ بزوالِ
ومدى الحياةِ... وفي القبورِ.. عليكمُ
ستظلُّ تهْمِي لَعْنَةُ الأجيالِ

* . * . * . * .

يا أيُّها الشعبُ الدَّليْلَةُ رَوْحُهُ هذا هوائِكَ مضربُ الأمثالِ
فيمَ التطلُّعِ للكرامةِ والعِلا هلْ تعرفُ الهيجاءَ ذاتِ حِجالِ (٣)
في مصرَ والذلُّ الرهيبُ يلفُّها عشنا.. ولكنْ ليسَ عيشَ رجالِ

* . * . * . * .

(١) السجن الحربي : وهو السجن الذي جرت فيه أفظع صور التعذيب بمصر للإخوان المسلمين وغيرهم .

(٢) يشير إلى الرصاصات التي انطلقت ضد جمال عبد الناصر وجرت بعدها اعتقالات الإخوان المسلمين والتي أظهرت كثير من الحقائق أنها كانت مسرحية لإعدام قادة الإخوان وشبابهم (أنظر مذكرات حسن عشاوي) التي تنشر في مجلة روز اليوسف .

(٣) ذات الحجال : هي المرأة .

جلاد الكنانة (*)

[مارس - آذار - ١٩٥٥]

أنزل بهذا الشعب كل هوانٍ
واقتل به ما استعطت كل كرامةٍ
أطلق زبانية الجحيم عليه من
واصنع به ما شئت غير مُحاسبٍ
وأعد عهد الرق للأذهانِ
وافرض عليه شريعة القرصانِ
بوليسك الحربي والأعوانِ
فالقيد لم يُخلق لغير جبانِ

* . * . * . * . *

يا باعث الوادي أما من جنةٍ
هدمت صرح فساده لكن على
ما بين محكمة تُقام، وأختها
الشعب يلعنها، وتُقرن باسمه (*)
للمتقين بجانب النيرانِ؟
حريّة الأرواح والأبدانِ!
مُني الضمير بغفوة الثعسانِ
أرأيت كيف تبجح البهتانِ؟
لعادلة مختلة الميزان^(١) وإنما
فيها القضاة هم الخصوم، وإنها

* . * . * . * . *

هيني خدعتُ بكل ما زيفته
عن سادة الأحزاب والإخوان^(٢)

(*) إشارة إلى تسميتها بمحكمة الشعب. [الشاعر].

(١) لأن رجال الثورة هم الخصوم وهم القضاة، وأصبحت تلك المحاكمات معروفة إذ تصدر الأحكام قبل الإتهام.

(٢) وهي المؤامرة على الإخوان المسلمين التي ذهب ضحيتها عدد كبير من قادتهم وشبابهم.

أَمْ رَاحَ نَهَبَ الْحَقْدِ وَالْأَضْغَانِ
 بَعْدَ الْعَهودِ وَبِيعَةِ الرِّضْوَانِ (١)
 أَضْحَى لَدَيْكُمْ خَائِنَ الْأُوطَانِ؟
 حُرٌّ... وَليْسَ سَجِيْنَكُمْ بِمُدَانِ
 فِي الرَّأْيِ... إِنْ أَتَيْتَنِي عَلَى الطَّغْيَانِ
 قَدْ أَطْلَقُوا لِلزُّورِ كُلِّ لِسَانِ
 فِي جَوْفِ أَرْبَعَةٍ مِنْ الْجِدْرَانِ
 أَلْقَوْا بِهَا فِي ظَلْمَةِ الْقَضِيَانِ
 عَادَتْ بَدَاءِ الْوَقْرِ لِلذَّانِ (٢)
 مِنْ مَائِعِ الْأَخْبَارِ وَالْأَلْحَانِ

* . * . * . * . *

جَعَلَ الْمَوَاطِنَ صَاحِبَ السُّلْطَانِ
 مَنْ رَاحَ يَطْبَعُهَا عَلَى الْخِذْلَانِ
 لَمْ تَنْتَشِرْ يَوْمًا بِكُلِّ مَكَانِ
 فَإِذَا بِهَا أَنْكَى مِنْ السُّرْطَانِ
 وَشِوَعُهَا مَا احْتِاجَ لِلْبَرْهَانِ
 لَبَسُوا مَسُوحًا فِيهِ لِلرَّهْبَانِ
 نَحْوَ السَّجُونِ يُسَاقُ كَالْقَطْعَانِ
 مَا فَاقَ كُلَّ وَسَائِلِ الشَّيْطَانِ
 أَفَلَا نَنَالُ الرَّفْقَ بِالْإِنْسَانِ

هَلْ خَانَ قَائِدُنَا «نَجِيبٌ» عَهْدَنَا
 لَمْ يَرْضَ بِالْحُكْمِ انْفِرَادًا غَادِرًا
 أَوْكُلُّ شَهْمٍ لَا يَطِيقُ خِدَاعَكُمْ
 إِنْ الشَّهِيدَ قَتَلَكُمْ - وَطَرِيدَكُمْ
 كَفَلُوا لِكُلِّ مَوَاطِنٍ حَرِيَّةً
 مَنْ ذَا الَّذِي يَخْشَى الْكَلَامَ وَهَاهُمْ
 هَذِي الصَّحَافَةُ حُرَّةٌ أَقْلَامُهَا
 لَمْ تَخْشَ بِأَسْرَقَابَةٍ - مِنْ بَعْدِ أَنْ
 أَمَا الْإِذَاعَةُ فِيهِ بَوقُ دَعَايَةٍ
 مُلْتَثٌ بِكُلِّ مُخَدَّرٍ... وَمُضَلِّلٍ

زَعَمُوهُ عَهْدَ تَقَدُّمٍ نَحْوَ الْعُلَا
 فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَرِيدُ مَجْدَ بِلَادِهِ
 جَلَبُوا الشَّقَاءَ لَنَا - فَأَيُّ نَقِيصَةٍ
 وَصَفُوا الدَّوَاءَ لِرَشْوَةٍ مَذْمُومَةٍ
 وَتَظَاهَرُوا بِفَنَاءِ مَحْسُوبِيَّةٍ
 وَدَعَاؤُهُ عَهْدَ تَحَرُّرٍ مِنْ قَيْدِنَا
 فَرَأَيْتُ شَعْبًا مُسْتَذَلًّا صَاغِرًا
 يَسْتَعْمَلُ الْأَشْرَارَ فِي تَعْذِيهِ
 الرَّفْقَ بِالْحَيَوَانِ أَصْبَحَ وَاجِبًا

(١) يقصد بذلك محمد نجيب الذي كان يريد الرجوع للحياة النيابية ولم يرض بالانفراد بالحكم حيث كان عبد الناصر يحيك المؤامرات للانفراد به .
 (٢) الوقسر: الثقل في السمع . وكانت الإذاعة وسيلة مهمة يعتمد عليها عبد الناصر للتأثير على الناس وتزييف الحقائق وإثارة المشاكل في البلاد العربية الأخرى .

قالوا: اقضاء عى الفوارق بيننا
 أيّ الثمارِ أصابَ بعد زوالها
 قد أبدلَ الباشا القديمُ بسيدٍ
 كم جائعٍ قد خافَ جلاداً له
 ومعذبٍ سمعَ الدُجى أناته
 مارداً جوعاً... أو كسا عرياً بدا
 المالُ قد أفنوه كي يتظاهروا
 ماذا أفادَ النيلُ من كورنيشه
 إنَّ السجينَ إذا ارتدى من سندسٍ
 وإزالة الألقابِ مُقتَرنانِ
 من باتَ يجرعُ سابقَ الحرمانِ
 والشعبُ بينهما المريضُ العاني
 فأسرَّ بالشكوى إلى عريانِ
 مُتعللاً بالصبرِ والإيمانِ
 تحديدهم ملكية الأطيان^(١)
 بتتابعِ التشييدِ والعُمرانِ
 إن كانَ يشكو ذلّةً ويُعاني
 في القيدِ لا يرتاحُ للسجانِ

* . * . * . *

شغلَ الكُماةُ الغرُّ كلَّ وظيفةٍ
 حتى كأنَّ بمصرَ كلَّ كفاءةٍ
 وأرى العدوَّ ببابنا مُتربصاً
 كم شئنٌ عندَ حدودنا من غارةٍ
 والجيشُ مشغولٌ بإذلالِ الحمى
 يكفيه عرضُ الجندِ في حفلاته
 لن ندركَ النصرَ المرادَ إذا التقى
 أتريدُ من جيشٍ هزيلٍ قاده
 وتسلموا في النيلِ كلَّ عنانِ
 قصرت على أبطالها الفرسان^(٢)
 ويكادُ أن ينقضَّ كالعُقبانِ
 قد قوبلت بالصفحِ والغفرانِ
 هل خوضُ معركتين بالإمكانِ؟
 والكشفُ عن من فيه من شُجعانِ
 يوماً بإسرائيلَ في ميدانِ
 «صاغ» دفاعاً ساعةً العدوان^(٣)

* . * . * . *

جلادَ مصرًا!! ويا كبير بُغاتها مهلاً - فأيامُ الخلاصِ دواني

(١) المقصود بالأطيان : الأرض الصالحة للزراعة.

(٢) استغلال السلطة، وتقلد الضباط لكل المناصب السياسية والفنية مما أدى إلى تأخر البلاد وإشاعة الفوضى في كثير من القطاعات.

(٣) وتحقق ذلك سنة ١٩٥٦ م عندما احتلت إسرائيل سيناء ثم في سنة ١٩٦٧ م ، وماحل بالجيش من هزيمة منكرة.

من أيّ غابٍ قد أتيت بشريعةٍ
وبأيّ قانونٍ حكمتَ فلمْ تدعْ
أبرأيكم ؟! والله يشهدُ أنه
أمّ ذاك رأيُ الشعبِ وهو مكبّلُ
قد باتَ مثلَ الزوجِ مخدوعاً متى
لو كانَ عهدكُ قبلَ عهدِ محمدٍ

ما إن يُسأسُ بها سوى الحيوان
شيئاً لطاغيةٍ مدى الأزمانِ
فيه الهوى والغنى يلتقيانِ
فحياتُهُ والموتُ يستويانِ؟!
يعلمُ فبعدَ تحدثِ الجيرانِ
للُعنتِ يا غرعونُ في القرآنِ

* . * . * . * . *

في ظلّ فترةِ الانتقالِ بنا إلى
هجرَ القضاءِ الحرِّ مجلسُ دولةٍ
وأضيعَ دستورُ البلادِ وحقُّها
نيرونُ لو قيسَتْ بكم أفعالهُ
يا ربِّ مغلوبٍ ينامُ على الأذى
لا يُغريتكمُوما بضربِ رقابنا
ومنّ العواصفِ ما يكونُ هبوبها
إنّ احتدامَ النارِ في جوفِ الثرى
وتتابعُ القطراتِ ينزلُ بعده
كمْ من قويٍ ظالمٍ قد ناله
فتشتُ لمْ أرْ مستبدأً ناجياً
عرفَ «الشيشكلي» قبلكم في سوريا
فاروقُ لمْ يكنِ الخيالُ يراهُ في
ما كانَ فينا حالمٌ بنزوله
لكنهُ ظلمُ الطغاةِ شعوبها

دارِ البقاءِ ورحمةِ الديانِ
قد نامَ ملءُ العينِ والأجفانِ
في برلمانِ ثابتِ الأركانِ
سيكونُ ربُّ الخيرِ والإحسانِ
لكنْ بمقلةٍ ساهرٍ يقظانِ
هذا السكونُ فإنّه لأوانِ
بعدَ الهدوءِ وراحةِ الرُّبانِ
أمرٌ يُثيرُ حفيظةَ البُركانِ
سيلُ يليه تدفقُ الطوفانِ^(١)
من شعبه ما ليس في الحُسانِ
دمعُ الضحايا فاحشُ الأثمانِ
ماذا وراء الصمتِ والإذعانِ
يومِ الخروجِ يُجرُّ في الأحزانِ
عن عرشه في لحظةٍ وثوانِ
جعلَ الحياةَ تدبُّ في الجُثمانِ

(١) هذه الأبيات الثلاثة من (ومن العواصف) إلى هذا البيت من قصيدة (رسالة في ليلة التنفيذ بل هاتان القصيدتان قصيدة واحدة، ولكن لم يستطع الشاعر إذاعة إلا تلك الأبيات.

في الربيع

[ابريل - نيسان - ١٩٥٥]

ومات له فوق الشفاه نسيده
ولا عيدُه بين المصائب عيد
يُشمُّ نسيماً أو تُشمُّ وروء
من الظلم في الوادي لها ترديد
لكل برىء أثقلته قيود
يلاحقه الإرهاب وهو طريد
على الأرض مخضوب الجراح شهيد
لدى الليل ثكلى والفؤاد عميد
على مصر بالدمع الهتون تجود
يسير وفي الأعناق منه حديد

* . * . * . *

تُفجّر أسوان بها ورشيد
فردّها في أرض مصر صعيد
وكادت بهم أرض البلاد تميد
لها بُدلت تحت الظلام جهود
لتخلد فينا للشقاء عهد

ربيع أظلته العيون السود
فلا النيل بسام يوم وروده
بنا من زكام الرب ما ليس عنده
وعادت أناشيد البلابل صرخة
وأصبح تحنان الأغاريد آهة
ذكرت بمصفر الورود مُعذباً
وأحمر من زهر الرياض كأنه
وساقية باتت تئن فخلتها
بدا ماؤها ينساب حتى ظننتها
يدور بها أعمى كليل كشعبنا

أخي إن في مصر المراحل جمّة
وندت عن الدلتا من الظلم صرخة
وحين بدا أن التجبر زائل
رمونا بما قد دبّروا من مكيدة
وثار من العمال كل أخي هوى

إرادة شعبٍ قد أذلت وحطمت كذلك نحياً: سادةٌ وعبيدُ

* . * . * . * . *

ألا ليت شعري هل نعيشن مرةً
وهل ندرك اليوم الذي نرتقي به
نريدُ لمصرَ العيش حراً - وانه
ونأملُ أن نحيا بمنأى عن الأسي
أفي مصرَ نحيا اليومَ أم في جهنمِ
ثلاثةُ أعوامٍ رأينا خلالها
وذقنا من الإرهابِ ما لا يذوقه
ولو كان ذلٌ ينتهي لاحتملتُهُ
سقيناً همومنا الودادَ مجيباً
سنغسلُ عنا العارَ يوماً بغضبةِ

وليس لبطشِ الحاكمينَ وجودُ
ولم يبدُ منا للطغاةِ سُجودُ
عن الشعبِ مُذألفَ الخضوعِ بعيد
فينزلُ من فيضِ الشقاءِ مزيدُ
فقد نضجتُ منَّا الغداةُ جلودُ
من الهولِ ما لا قد رأتهُ ثمودُ
ولو مرةً عندَ الحدودِ يهودُ
ولكنَّهُ لم يبدُ منه حدودُ
فطالَعتنا لؤمٌ لهم وجحودُ
لها من دمائِ الثائرينَ وقودُ

* . * . * . * . *

زفرة... ..

[أبريل - نيسان - ١٩٥٥]

أنا يا أخي في النيل.. والظلم المخيم والجراح
في ظلمة الإرهاب أحياء.. تحت تهديد السلاح
مُتلهفاً للفجر.. فجر النور.. أحلم بالصباح
والشعب مجروح الإباء... يُمضه وخز الرماح
دامي الفؤاد من التعسف.. من جمال.. من صلاح^(١)

* * * *

أنا يا أخي في مصر أرسف في السلاسل والقيود
بالنار يحكمني الطغاة.. وبالمشائقي والحديد
والغل.. غل الظالمين.. مضى يطوق كل جيد
لم نرتضي هذا الهوان بنا.. ولسنا بالعبيد
قد ضقت ذرعاً يا أخي بالمجد، والعهد الجديد

* * * *

أأظل أمضي في الحياة بلا لسان أو فم
أبكي على حرّيتي.. بالدمع يقطر والدم

(١) جمال : هو جمال عبد الناصر.

صلاح : صلاح سالم.

وأعيشُ عيشَ الذلِّ .. عيشَ العبدِ .. عيشَ الأبيكم
ألقي الهوانَ وأنحني .. للمُستبدِّ المُجرمِ
وأرى البلادَ ذليلةً، وأقولُ يا مصرُ اسلمي
السيفُ في كفِّ الطغاةِ مُخضبُ بدمِ مُراقٍ
ويقابلونَ إذا مشوا فينا بمعمولِ العناقِ
أما الصحافةُ فالذي كتبتُهُ مَسومُ المذاقِ
أنا يا أخي في لجةِ التضليلِ أحياءُ .. والنفاقِ
في موكبِ الزورِ المُهينِ أسيرُ مشدودِ الوثاقِ

* . * . * . * . *

إني كفرتُ بمصرَ .. بالأهرامِ .. بالنيلِ الحبيبِ
في أرضِ آبائي أعيشُ وليت لي عزُّ الغريبِ^(١)
أصبحتُ من يومِ الخلاصِ أعيشُ في شكٍ مُريبِ
والشمسُ .. شمسُ عزيمةِ الأحرارِ تَجَنَّحُ للغروبِ
قد لَفَّها شَفَقُ الدماءِ، وُحْمرةُ الدمعِ الصَّيبِ

* . * . * . * . *

سأظلُّ أذكرُ صرخةَ المحزونِ والمستنجدِ
وهناك في فصلِ الشتاءِ القُرِّ .. حولَ الموقدِ^(٢)
أروي لأولادي الصغارِ حديثَ حكمِ أسودِ
ملأتُ مرارتهُ فمي .. وطوتُ سلاسلهُ يدي
كي يأمنوا بطشاً لطاغٍ مُستبدِّ في الغدِ

(١) اعتاد الحكم إثارة القلاقل في الدولة العربية عن طريق الدسائس والمؤامرات والحرب الإذاعية ويؤدي هذا إلى مشاغبات وصراعات يخرج على أثرها كثير من الناس هاربين خوفاً من الاعتقال، وكانوا يجدون مأوى في ظل عبد الناصر فيمنحهم حق اللجوء السياسي، ويغدق عليهم الأموال ويستخدمهم للتآمر على شعوبهم وحكوماتهم.

(٢) القر : البارد - البرد.

جمال ...

يعود من «باندونغ»

[مايو - أيار - ١٩٥٥]

قومي!! علامَ تُهلَّلونَ علامَا؟
ولأَيِّ عيدٍ قدْ أقمتُم موكباً
هلْ صارَ وادي النيلِ حُرّاً بعدَ أنْ
هلْ عادَ دُستورُ البلادِ يُظللُها
هلْ قامَ مِنْ بعدِ التجبُّرِ نائبٌ
قدْ خلَّتْ^(١) في دَقِّ البشائرِ أنَّهُم
وظننْتُ أنْ هتافَ مَنْ هتفوا على
بَشَرتُموني بالِخلاصِ.. ومَنْ يذُق
يا أمةً مُنيثَ بأفدحِ نكبةِ

ولمَنْ نَصَبْتُم هذهِ الأعلامَا؟
أبصرتُ فيهِ حرارةً وزحاما
عَرَفَ الحياةَ تعسُفاً وظلاماً؟!
مَنْ بعدِ أنْ دُقنا الأسيَ أعواما..؟
في البرلمانِ يحاسبُ الحكامَا؟!
نزعوا القيودَ وحرَّروا الأعلامَا
أنقاصِ سجنِ فارقوهُ حطاما
مُرَّ الحقيقةِ يَألفُ الأحلامَا
زادَتْ شقيَّ حَيَاتِها آلامَا

* . * . * . *

مَنْ ذلكَ الصنديدُ رَدَدَتْ اسمُهُ
أو ليسَ مَنْ فاقَ الطغاةَ ضراوةً
هذي الألوْفُ وقلَّدتُهُ وسامَا؟
وأحلَّ مِنْ حُرِّ الدِّماءِ حراما

(١) خلَّت : ظننت .

أَوْ لَيْسَ مِنْ صَبِّ الْبَلَاءِ مُضَاعَفًا
 أَوْ لَيْسَ مُنْكَرَ كُلِّ حَقِّ حَوْلُهُ
 قَدْ كَانَ أَوْلَى بِالْبِلَادِ لَوْ أَنَّهَا
 هَلْ عَادَ مَنْ بَانْدُونَجَ يَا قَوْمِي سَوَى
 قَدْ رَاحَ يُعْلَنُ فِي الْمَجَامِعِ رَأْيُهُ
 وَيَصِيحُ مِنْ فَوْقِ الْمَنَابِرِ صِيحَةً
 أَيْرِيدُ أَمِنْ النَّاسِ مَنْ فِي أَرْضِهِ
 عَجَبًا لِتِلْكَ صَفَاقَةً... بِقِيودِنَا
 الْكُلُّ يَعْرِفُ مَا بَنَا... فَإِلَى مَتَى
 وَأَثَارَ لِلرَّعْبِ الْبَغِيضِ قَتَامًا^(١)
 وَلَوْ اسْتَطَاعَ لِأَنْكَرِ الْإِسْلَامَا؟
 مِنْ حُزْنِهَا خَفَضَتْ لِدَاكِ الْهَامَا
 مَنْ سَامَنَا الْإِذْلَالَ وَالْإِيْلَامَا
 وَيَخْطُ لِلْسَّلْمِ الْمِضَاعِ نِظَامَا
 لَمْ تَعُدْ يَوْمًا أَنْ تَكُونَ... كَلَامَا
 مَا شَاءَ عَدْلًا. أَوْ أَقَامَ سَلَامَا
 عِلْمَ الْجَمِيعِ وَلَمْ يَزَلْ يَتَعَامَى
 يُخْفُونَ وَجْهًا فِي الرَّمَالِ... نَعَامَا^(٢)

* . * . * . *

«نَهْرُو» رِعَاكَ اللَّهُ ثَائِرَ أُمَّةٍ
 هَوْنَتْ مِنْ شَأْنِ الْبَطُولَةِ حِينَمَا
 قَدْ كَانَ مُؤْتَمِرًا يَضُمُّ مَنْ ابْتَغَا
 فَبَائِي حَقِّي قَدْ دَعَوْتَ إِلَيْهِ مَنْ
 أَجَلَسْتَ فِي صَفِّ الرِّجَالِ غُلَامًا^(٣)
 أَنْزَلْتَهُ لِلْمَخْلَصِينَ مَقَامَا
 بِيْلَادِهِمْ خَيْرًا... يَضُمُّ كِرَامَا
 لَمْ يَرَعَ لِلشَّعْبِ الْكَرِيمِ ذِمَامَا

* . * . * . *

مَا ذَقْتِ يَا مِصْرَ التَّحَرَّرَ مَرَّةً
 النَّيْلُ يَشْكُو... وَالْقُلُوبُ مَرَاجِلُ
 وَالسَّجْنُ يَفْغَرُ فَاهُ لِاسْتِقْبَالِنَا
 هُوَ لَعْنَةٌ نَزَلَتْ عَلَى قَوْمِي... وَمَا
 أُعْفِيهِ مِنْ كُلِّ الْمَلَامِ فَإِنَّهُ
 أَعْلِيكَ قَدْ كَانَ الْعَذَابُ لِيَامَا
 وَالشَّعْبُ مَمْتَلِيءُ النُّفُوسِ ضَرَامَا
 وَالسُّوْطُ فَوْقَ ظَهْرِنَا أَحْكَامَا
 زَالُوا عَلَى رِغْمِ الْهَوَانِ نِيَامَا
 ذَنْبٌ رَأَى فِي جَوْعِهِ أَغْنَامَا

(١) القتام : الغبار.

(٢) أي يخفون وجوههم كالنعامة.

(٣) لم يكن نهرو أقل من عبد الناصر ظلماً وطفياً حيث ذاق المسلمون على يديه الأمرين في الهند،

ولكن شاعرنا لم يكن لديه ذلك الوعي السياسي ليدرك ارتباط الطواغيت ببعضهم.

مع الثورة

في ربقة القيد

[أغسطس - آب - ١٩٥٥]

هو الظلمُ يا ابنَ النيلِ بالنيلِ نازلُ
صباحك ديجورُ . . وحقك ضائعُ
عهدتُك لا تستعذبُ الضيمَ مشربا
اضرُّ بك الكيدُ المدبُّرُ والأذى
خداعُ ومكرُ واعتداءُ وفتنةُ
أرى كلَّ يومٍ للطُّغاةِ مكيدةُ
سجونُ قد اكتظتْ بمن نزلوا بها
وقد نُصبتْ فوقَ الرؤوسِ مشانقُ
يقولون: عهدُ الانتقالِ ورفعةُ
لئن كانَ حقاً ما يُقالُ . . فما لهمُ
مهازلُ ما زلنا نُقاسي جَحيماً
بلا أي قانونٍ سوى شِرةِ الهوى

تمرُّ بكِ الأعوامُ والليلُ شاملُ
وعهدك مخفورُ فما أنتِ فاعلُ؟
وإن أُحكمتْ حولَ اليدينِ السلاسلُ
وناءُ بما حُمَلتُهُ اليومَ كاهلُ
تموجُ بها أرضُ، ويطفحُ ساحلُ
فلا الحقُّ موضوعُ ولا الجورُ زائلُ
ومعتقلاتُ أفعمتها الجحافلُ
لمن يبتغي دفعا لهم أو يُحاولُ
سيعقبُهُ حُكمٌ من الشعبِ كاملُ
على غير ما قالوا تدلُّ الدلائلُ؟^(١)
وقد كثرتُ فيما أتوه المهازلُ
نسيرُ ولا تنفكُ تترى الغوائلُ

(١) هكذا ادعى عبد الناصر ورجال الجيش، حتى استبد بالحكم إلى أن قبضه الله إليه، وهكذا يدعي كل من ينجح في تدبير انقلاب لاستلام السلطة.

وأنى مشوا في كلِّ وادٍ... فحولهم
عليهم سياجُ الجندِ يُضربُ.. إنهم
فلا يأمنُ البطشُ المدبَّرَ جائِرٌ
فكيف ولمْ يُغضِ الجفونَ على القذى
ولا مصرَ قدْ نامت على ما أصابها
ولا هُم عن الغيِّ الذي عمَّ أقصروا
فلا يستطيعُ الجيشُ كبحَ جماحها
كأنني بهذا الشعبِ قد نازَ ثورةً
سِيلَنها الناقوسُ يوماً.. وعندها
فلا عهدُهم قد كانَ خيراً كما أدعوا
فذلك عهدٌ بالهوانِ مُسمَّمٌ
وما بينهم - لو يصدقُ الظنُّ فيهم -
أما قدْ تداعثَ وحدةٌ عربيةٌ
سلَّ القومَ بالسودانِ.. أين نداؤهم
وأين الذي قد راحَ يرقصُ عندهم
على دبلوماسيِّ العروبةِ رحمةً
لئنْ أسكتونا بالمشانقِ مرةً
فمنْ مُسكَّتِ السودانِ؟ أو منْ يسومه

يُصَفُّقُ ماجورٌ ويهتِفُ جاهلٌ
يُورِّقهم طيفٌ من الخوفِ مائلٌ
وليسَ يخافُ الناسَ إن سارَ عادلٌ
أخو تِرةٍ أودي بأهليه قاتلٌ^(١)
ولا الشعبُ قد سُلتَ لديه الأناملُ
فيسكُّ موتورٌ ويهدأُ ثاكلٌ
يدكُ لديها حصنهم والمعاقلُ
وليست على الإخمادِ تقوى القبائلُ^(٢)
يُحسُّ أخو نومٍ ويشعرُ ذاهلٌ^(٣)
ولا عذبتُ عندَ الورودِ المناهلُ^(٤)
وذلك حكمٌ بالإساءاتِ حافلٌ
وبينَ الردىِ إلا ليالٍ قلائلُ
ولم يبدُ في الحلفِ الثلاثيِّ طائلُ^(٥)
بوحدَةِ وادي النيلِ.. فالخطبُ هائلُ
وإداداً قد التفتُّ عليه القبائلُ؟^(٦)
فقد لفظتُهُ كالنواةِ المحافلُ
وبالسجنِ أخرى - ليسَ ينطقُ قائلُ
من القومِ خسفاً كالذي هو حاصلُ

(١) أخوترة : صاحب الثأر الذي قتل له قتيلا .

(٢) تقوى : تستطيع .

(٣) الذاهل عن الشيء : الغافل والناسي له .

(٤) الورود : الحضور، المناهل : جمع منهل وهو النبع .

(٥) يقصد بذلك وحدة مصر والسودان .

(٦) يقصد به الصاغ صلاح سالم .

ولست أرى السودانَ لقمةً جائعٍ كمصرَ التي ساغتْ لمنْ هو آكلُ
أكانوا أرادوهُ احتلالاً مقنعاً عليه من الودِّ الرخيصِ غلائلُ
فهيئات - ما كلُّ البلادِ كنانةً ولا شعبُهُم كالشعبِ في مصرَ غافلُ

* . * . * . *

سقوط ركن من أركان الطغيان

الصاغ صلاح سالم

[سبتمبر - أيلول - ١٩٥٤]

أبى الله إلا أن تُذَلَّ وتخضعاً
ويا طولَ ما أوجعت في مصر آمناً
وفارقت دستَ الحكمِ والأنفُ راغمُ
هو الكأسُ قد ذُقناه فاشربه علقماً
هوى غيرِ مأسوفٍ عليه - فلم يدعُ
وكانَ سقوطُ الفردِ مصدرَ فرحةٍ
تخذتُم من الجندِ الكثيفِ حصونكم
وشاركت في نشرِ الظلامِ فَنبني
وَبُتُّم . . فقلنا: وثبةُ الحقِّ والهدى
وَجُرْتُم علينا مرةً بعدَ مرةٍ
أدزُّتُم جهازَ الحكمِ وفقَ هواكُم
ومالت بكمُ فلكِ السياسةِ بينما
أرى مصرَ والسودانَ من بعدِ وحدةٍ
فعدوانكم قد ألبسَ النيلَ فرقةً
وما نالَ أقطارَ العروبةِ غيرَ أن

وشاء لركنِ البغي أن يتصدَّعا
فبث مثلَ مَنْ قَد باتَ بالأسسِ موجعاً
فمُت بالأسى أو عِش ذليلاً مُضيعاً
وُعُد بمريرِ الخزيِ منا مُشيئاً
بأيِّ فؤادٍ للترُّحمِ مَوْضعا
فكيف يكونُ الأمرُ لو سقطوا معاً؟
وكانت قلوبُ الشعبِ أقوى وأمنعا
أما كانَ حكمُ النورِ أجدى وأنفعا
فكتتم وبالأ ما أشدَّ وأفظعا
وجرعتُمونا الكأسَ بالهونِ مُترعا
ولم تَرتضوا منا سواكم مُشرعا
أشارَ أخو رأيي فلم يلقَ مسمعا
تفرَّق من شمليهما ما تجمعا
وأسخطموا منه مَصبا ومَنبعا
تقطَّع من ميثاقهم ما تقطعا

تقاضيتموا منا جزاء وثوقنا
وأشعلتموا ناراً رأينا لهيها
بكم يوم أن جئتم دماءً وأدمعاً
رعى من بني مصر العزيزة ما رعى
وقد فرغنا منا.. فأنتم وقودها
ولا بُدُّ أن يلقى أخو البغي مصرعاً

* . * . *

ذكريات عام ضائع

[أبريل - نيسان - ١٩٥٦]

خيالٌ تمرُّ عليه الصورُ
ويضربُ في لججِ الذكرياتِ
تصوُّرها عينُه حيَّةٌ
ويحملني اليومَ عبرَ السنينِ
أطالعُ في سفرِ أيامِه
حياةً بأيامها ما يسوءُ
يعيدُ من الدهرِ ما قد عبرُ
فترجعُ مائلةً للنظرِ
كأنَّ عهدِي بها لم تمرُ
لماضٍ بأحداثِه قد ذخِرُ
حياتي وأنقلُ فيها البصرُ
على أن في بعضها ما يُسرُ

* . * . * . *

سقيتُ الهزيمةَ من كَفِّها
ومرَّ بي اليأسُ مثلَ الظلامِ
بلوتُ بها خلقَ الأصدقاءِ
وما خنتُ عهداً لمن قد وفى
وقد يُعيدُ الدهرُ عني الصديقَ
فأذكرُ أيامنا في الصِّبا
وأحلامنا في هدوءِ الحياةِ
مَنى لو نظرتُ إلى حاضري
وذقتُ بها نشوةَ المُتصِرِّ
وأذنتُ لي الأملَ المُزدهرِ
فكم كنتُ مستخلصاً للعبْرِ
ولا صُنْتُ ودّاً لمن قد غدَرُ
وتنأى به الدارُ والمستقرُ
وأذكرُ أعمامنا في الصَّغرِ
وآماننا في الشبابِ النَّضِرِ
لألفيتها زهرةً تنتثرُ

* . * . * . *

وَجُرِّعَتْ إِدْبَارَهَا كَالضَّبْرِ
وَقَضِيَّتْهَا فِي شَهْيِ السَّمْرِ
وَبِعَصْرِهَا قَبْلَ أَنْ يَنْحَسِرَ
مَرَرْتُ بِهَا فِي ربيعِ العُمُرِ
فَتَى لَا يَدْبُ إِلَيْهِ الخَوَزُ
وَلَمْ تُغْنِ يَوْمًا لَدَيْهِ التُّذْرُ
وَأِنْ كَانَ فِيهِ وَلَوْجُ الخَطْرِ
تَحْدِي بِهَا الجَوَزُ فِي المُوْتَمِرِ
وَكَانَ صَدَاهَا اندلَاعُ الشَّرْرِ

* . * . * . *

هتافٌ لهمْ قد علا وانتشر
أتى المستدُّ بهِ أو أمرُ
من الظلمِ في ليله المَعْتَكِرِ
وبركانها احتدَّ ثم انفَجِرُ
كزيتٍ على لهبٍ ينهمرُ^(١)

* . * . * . *

عوى ريحها فاستقرَّ الشجرُ
وهزَّ الخليَّ رنينُ الوترِ
فأيقظني صوتُ شيخِ الخَفْرِ
فأحسستُ بالخطرِ المتظنرِ
بها البطشُ في قسوةِ بل فُجِرُ
فأغفي الجفونَ إذا قيلَ فرُ
من الجورِ لواحَةٌ للبشرِ

عَرَفْتُ اللَّيَالِي وَإِقْبَالَهَا
وَعَشْتُ بِهَا حَظْبًا لِلْهَمومِ
خَبَرْتُ الأَسَى كَيْفَ يُدْمِي القلوبَ
تَجَارِيْبُ مَا أَدْرَكْتُهَا الشيوخُ
لِيَالِي الكِفَاحِ، أَمَا قَدْ شَهِدْتِ
يَهُمُّ فَلَا يَنْشِنِي لِلوعِيدِ
وَيُؤْمِنُ بِالرَّأْيِ حَرًّا يُذَاعُ
أَمَا تَذَكِّرِينَ لَهُ وَقْفَةً
فَلَمْ تَكُ مِنْهُ سَوَى صِيحَةٍ

مَنْ الفَتِيَّةُ الصيْدُ شَقُّ الفِضَاءِ
غَضَابٌ وَقَدْ رَضِيَتْ مَصْرَعَا
وَأَيَقَظُهُمْ مَا أَنَامَ الجَمِيعَ
هِيَ الثَّوْرَةُ اندلَعَتْ فِي العَرِينِ
وَأَنَّ العِقَابَ أَثَارَ الغَضَابِ

ويا ليلةً في الشتاءِ الكئيبِ
شَدتْ أُمَّ كَلثومَ فِي حَفَلِهَا
وَنَمْتُ عَلَى نغمِ حالمِ
أَتَى يَطْرُقُ البَابَ فِي لَهْفَةٍ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا سَجُونُ طغى
بِمُغْتَنِمِ فِرْصَةٍ لِلْفِرَارِ
وَلَكِنَّهَا النَّارُ ذَاتُ الوَقُودِ

(١) يشير الشاعر إلى ثورته على الظلم والقيود في المعهد الديني، مما أدى إلى إبعاده.

نجوتُ بنفسِي من شرِّها
خرجتُ وجلبابُ نومي يذيقُ
وما هدأ القلبُ حتى نعمتُ
فلم أدِر، والسهدُ داءُ المَطَارِدِ
ودلُّ على الفجرِ لآلؤه
أسائلُ نفسي عن الصبحِ كيفَ
إلى أينَ سيقوا، وهلَ يرجعونُ
مَصيرٌ يُحيطُ بمجهولِهِ

* * * * *

وفتيانُ صدقٍ بإيمانِهِم
تَنادوا ببذلِ أشقِّ الجهودِ
وما هو هزلٌ.. ولكنَّهُ
تراهمُ وعاصمةُ النيلِ قدْ
يسرونَ في يدهمُ للولاءِ
فَسَلْ رمضانَ الكسولَ الخمولِ
حقائبُ قدْ أولعتُ بالسَّفَرِ
لرفعِ القرارِ الذي قدْ صدرُ^(١)
فناءً... ومستقبلٌ يحتَضِرُ
تراختُ ضحىً بعدَ طولِ السَّهرِ
مذكرةٌ لمْ تدعُ أو تَذرُ^(٢)
عن السعيِّ في قيظِهِ المُستسعرِ

* * * * *

يُدْمِرُنَا عطشٌ قاتلُ
إدارتُنَا مروءةٌ والصفَا
نهرولُ بينهما في الهجيرِ
ونسألُ في الأمرِ مَنْ يستجيبُ
وإنَّا لَهُ لكرامُ صُبرُ
وزيرُ إلى عونهِ نفتقرُ
بما زادَ عن سَبْعِهِ المُعتمرِ^(٣)
ومن خدُّهُ كَلِفٌ بالصَّعَرِ

(١) يشير إلى مطالبة زملائه وأصدقائه باعادته إلى المعهد.
(٢) إشارة إلى المذكرة المقدمة من الطلبة إلى المسؤولين بشأن عودة الشاعد إلى المعهد.
(٣) إشارة إلى السعي بين الصفا والمروة أثناء العمرة والحج وما ترمز إليه من طاعة الله والبحث عن ماء الحياة، وهنا يصور كثرة ترددهم على المسؤولين والوزير بشأن فصل الشاعر من المعهد.

نروح ونغدو وأجسادنا تنوءُ بعبئينِ صومٍ وحرّ
ونشهدُ تقويضَ آمالنا فلا يُضعِفُ الجهدُ منا الضجر

* . * . * . *

زقاقُ السباعيِّ كمَ فيك منْ
حملنا لكِ الذكرياتِ العذاب
أتذكرُ عزةَ شهرِ الصَّيام
تضاعفُ أشجاننا فرحةً
وليس الشجيُّ كمَن قلبُهُ
فمنا الذي قد دعاهُ الخلاق
أتذكرُ إفطارنا إذ أُعدَّ
تضمُّ بأفواهنا بارداً
وما زادُ بُقيه حتى السُّحور
وإن ضاقَ بالفولِ جوفُ الوعاء
وخبزُ الرِّفاقِ لذيذِ المذاق
ومطبَّخُهُم كاملٌ عامِرُ
وربُّ مُذكرةٍ قد سَهَرَتْ
وتأبى صحافتنا أنْ تمدَّ
ونذهبُ نحملها في الصُّباحِ
وضجُّ الثرى تحتَ أقدامنا
ورحنا إلى النيلِ نَبغي العزاءَ
نَبُّتُ أبا مصرَ ما نالنا

ليالٍ لنا طيباتِ الثَّمَرِ
يَمُرُّ الزمانُ ولا تَنَدَثِرُ
ونحنُ بهِ غرباءُ الأَسرِ
لمنْ حولنا بالهلالِ الأغرِ
خليٌّ ولا الصفوُّ مثلُ الكَدْرِ
فصامَ، ومنا الذي قد فطرُ
على سرعةٍ من شهِي الخُضرِ
إلى ساخنٍ لا نخافُ الضرِّ
فناكلُ من قوتنا المُدخِرِ
فأنيّةُ الشاي لا تَعْتَذِرُ
أتينا عليه بيومٍ عَسِرِ
ومسكَنُهُم حافلٌ بالسُّرُرِ^(١)
أدبُّجُ أشطرها في السُّحرِ
يَديها وتؤثرُ فينا الحدَرُ^(٢)
لأشياخنا والجهتِ الأَخدرِ
من السَّيرِ حتى احتوانا الثَّهَرِ
على زورقِ حالمٍ قد عَبِرُ
فِيدي حنانَ الرَّحيمِ الأَبَرِ

(١) السرور: جمع سرير.

(٢) يشير إلى سكوت الصحافة وعدم تحدثها عن مشكلة الطلبة المفصولين وكان ذلك خوفاً من

السلطة.

وَنُلْقِي إِلَيْهِ بِكُلِّ الْأَسَى فِيغْرَقُ فِي مَائِهِ الْمُنْحَدِرُ
وَيَبْعَثُ آمَالَنَا فِي الصُّدُورِ كَأَن لَّمْ تُبْكَرْ إِلَيْهَا الْغَيْرُ
وَأَنْشَدْتُهُ الشُّعْرَ فِي الظَّالِمِينَ مَرِيراً فَمَا بَاحَ يَوْمًا بَسْرُ

* . * . * . *

كَذَاكَ وَقَدْ ضَيَّعُوا عَامَنَا يَضِيعُ بِأَوْطَانِهِ كُلُّ حَرٍ
وَعَدْنَا فَوَا عَجِيباً لِلزَّمَانِ بِبِسْمَتِهِ جَرْمُهُ يُغْتَفَرُ
وَقَدْ تَشْرِقُ الشَّمْسُ بَعْدَ الْغَمَامِ وَيَعْتَدِلُ الْجَوُّ بَعْدَ الْمَطْرِ^(١)

* . * . * . *

(١) هذه القصيدة تدل دلالة واضحة أن الشاعر تعرض للفصل من معهد الزقازيق في عهد عبد الناصر وظل كذلك حتى عام ١٩٥٦، بينما ادعى محمد كامل حته في الديوان الذي نشره باسم الشاعر أن فصل الشاعر من المعهد كان في زمن فاروق، وأن الثورة أعادته. وكذلك تؤكد مذكراته ما جاء في هذه القصيدة، وكانت عودته بعد اتصال الشاعر بالوزير كمال الدين حسين آنذاك وهذه القصيدة التي ضمها إلى ديوانه [جراح مصر] كانت تصويراً للجانب من جوانب الظلم، مع العلم أن هذا الديوان - ذا القصائد العشر - كان الشاعر قد أخفاه عن الأنظار ولم يعرف به إلا المقربون.

جمال . . . رئيس الجمهورية

[يولييه - تموز - ١٩٥٦]

لا مصرُ دارِي . . ولا هذي الربا بلدي
أمسي نفاق، ويومي ملؤه كذبٌ
قد أغمضَ القومُ أجفاناً مُقرَّحةً
شعبٌ تلذُّ له أسيافُ قاتِله
وقد أراهُ وسوطَ الذلِّ يُلْهيه
إني من الحقِّ فيها قد نفضتُ يدي
فما أوْمَلُ من خيرٍ صباحَ غدي
على الهوانِ، وإن كانوا ذوي عدد
حُمراً، وتطربُه ترنيمَةُ الصَّفَدِ (١)
فلا يُحسُّ، ولا يرثي لمضطهدِ

* . * . * . *

وقالَ جلاؤه يوماً . . يداعِبُه
رِئاستي إن تُردها أنتَ كانَ بها
وسيقَ قومي إلى تأييدِ سيدهمُ
كأنَّهُ لم يَلِغْ (٢) بالأمسِ في دمهم
ولم يَرِ النيلَ شطِّي حَسرةٍ وأسى
اخترَ رِئيسَكَ لا ترهبُ أذى أحدِ
ولا سوايَ لها إن أنتَ لم تُردِ
يلفُ أعناقَهُمُ حبلٌ من المَسَدِ
بلا قصاصٍ . . بلا نأرٍ . . بلا قودِ (٣)
ظمانَ للنورِ يُعطي الماءَ وهو صدي !!

* . * . * . * . *

وقائلَ لي - ينهاني وينصُحني :
السجنُ باتَ قريباً منك فابتعدِ

(١) ترنيمَة : الصفد : صوت القيد .

(٢) يَلِغُ : من ولغ يَلِغُ وهي بمعنى شرب، والمقصود هنا سفك الدماء .

(٣) القود : القصاص .

إن كنتَ ذا شَمَمٍ في معشرٍ جنحوا
فقلتُ: فكري، إحساسي... أأقتله؟
لنَّ يحبسوا الروحَ عن سحرِ انطلاقتها
نطقتُ بالشعرِ آلاماً... مُصَوِّرةً
للذَّلِّ فاجنحْ له.. تَركنُ إلى رَشْدِ
هذا الذي لَمْ يَدُرْ ياقومُ في خلدي
إنَّ يسجنوني.. ولنَّ يشقى سوى جسدي
وعدتُ أضربُ في يأسٍ يداً بيد

* . * . * . *

نواب الأمة

[يوليو - تموز - ١٩٥٧]

لا يفتحونَ بغيرِ ما تهوى فما
لِيُصفقوا إن شئتَ أن تتكلما
هتفوا بأن تحيا لمصرَ وتسلما
ما تشتهي، ويكبروا لكُ كلما
منهم لتحقيقِ المطامعِ سلّما
فالآنَ تَسطو لا تخافُ اللّوما

ها هم كما تهوى - فحرّكهم - دُمى
إنا لنعلمُ أنّهم قد جُمعوا
وهمُ الذين إذا صببتَ لنا الأسى
لم تلقَ خيراً منهمُ ليشرّعوا
قد كنتَ مكشوفَ النوايا فاتخذُ
وسطوتَ قبلَ اليومِ تحذُرُ لائماً

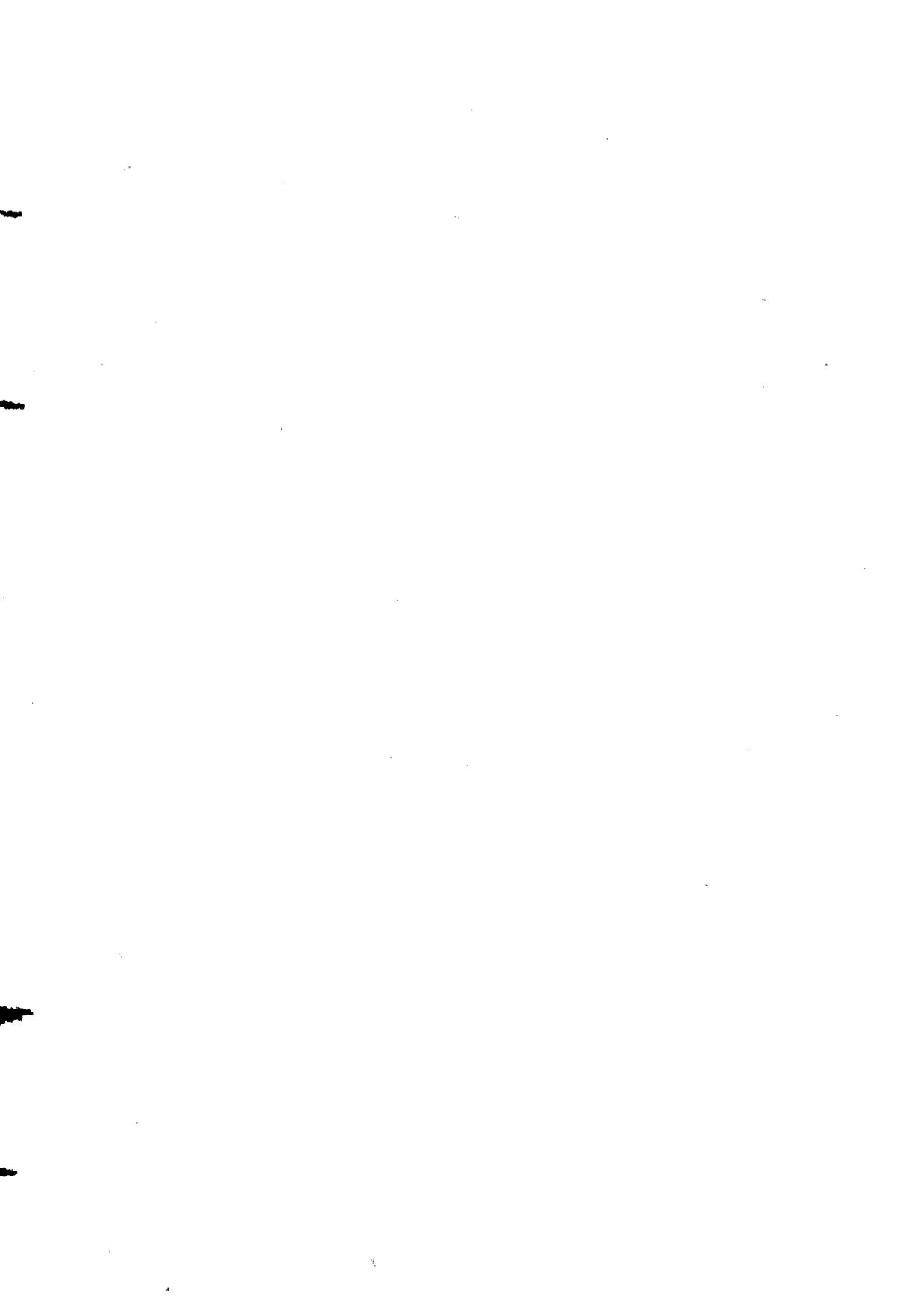
* . * . * . * . *

إحكامِ تدبيرِ المكيدةِ مُلهما
بشرٌ، وجئتَ بها خِداعاً مُبرما
صرخاتِ ذئبٍ في إهابكُ قد نما
وإذا جلاها الذوقُ كانتَ عُلقما
للشعبِ.. يلمسُها الغداةَ جهنما
تنفكُ - إن ذكرَ العدا مُتهكما
حرٍ.. فصدقنا وقلنا.. ربّما
بكُ في التّعومةِ والضراوةِ أرقما^(١)
سُقتمُ إليه «موافقين» ونومًا

أَيُّ الشياطينِ احتباكُ فكنتَ في
كم روعتنا لا يجيءُ بمثلها
كلماتكُ الجوفاءِ كان طنينها
تنسابُ في آذاننا معسولةً
وظللتَ تنسجُ جنةً من أحرفِ
غررتنا يومَ القنالِ وكنتَ لا
ودعوتنا لنقيمَ مجلسِ أمةٍ
فأبيتَ إلا أن تكونَ كعهدنا
وفجعتَ أمتنا بمجلسِها الذي

(١) الأرقم : الثعبان .

مُتَفَرِّقَاتٍ وَصُورٍ مِنَ الطِّفْلِ وَالصَّبَا



أحزان (*)

[ليس هناك أليق بهذه القطعة إلا هذا العنوان . . فهي في الواقع
أحزان . . وأية أحزان] .

عيدٌ بأيةِ حالٍ عدتَ يا عيدُ بما مضي أمٍ لأمرٍ فيكَ تجديدُ^(١)
أتيتَ للنَّاسِ لا لي إنني تَعِسُ قَسْتُ عليه صروفُ الدهرِ ياعيدُ
وكيفَ أفرحُ والأحداثُ قد تركتُ بالقلبِ حزنَ وبالعينينِ تسهيدُ^(٢)
قد كنتُ أفرحُ يومَ العيدِ من زمنٍ واليومَ لا فرحُ فالحظُّ منكودُ
اليومَ أبكي لخطبٍ قد مُنيتُ به والجسْمُ صارَ من الأحزانِ مجهودُ
مالي وللعيدِ هيَّا يا زمانُ بنا فالعيدُ ليس لأقوامٍ مناكيدُ^(٣)
أسرعُ وإنِّي سأحدو كيِّ يمرُّ بنا عامٌ فأنجحَ كيِّ تشدو أغاريدُ
إذ ذاكَ أمرحُ والأفراحُ تغمرني هذا هو العيدُ حقاً إنَّه عيدُ

* . * . * . *

-
- (*) يبدو أن الأبيات في أواخر ١٩٤٨ .
(١) واضح من هذا المطلع تأثر شاعرنا بالمتنبي ومحاولة تقليده حيث ابتداء بيت له وهناك مجموعة مختارات للشاعر من شعر المتنبي .
(٢) وقع الشاعر بخطأ بالإعراب يقتضي نصب حزن وتسهيد .
(٣) يقتضي السياق كسر مناكيد . وخطأ الشاعر في تلك الفترة المبكرة من عمره .

ملل وضجر

[هذه أبيات كتبتها في أيام... أيام لا أرجعها الله من سفر]

مَلَلْتُ الحَيَاةَ أَيَا صَاحِبِي كَأَنِّي نَزَلْتُ خَرِيفَ العُمُرِ
وَكَيْفَ يَؤُودُ الحَيَاةَ امْرُؤٌ مَهِيضُ الجَنَاحِ طَرِيدُ القَدَرِ
ومنها:

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَرُونَ القَضَا ءَ ذُنُوباً كِبَائِرَ لَا تُغْتَفَرُ
وهذا قَضَاءُ الإِلَهِ وَمَا مِنْ قَضَاءِ الإِلَهِ هُنَاكَ مَفَرُ

تحية

[بيت كتبه في مدح الأخ جودة عبد الله]

يَا جُودَةً جَادَ الزَمَانُ لِنَابِهَا لِيَكُونَ مِنْهُ الجُودُ والإِحْسَانُ

«لَا تَسْقِنِي مَاءَ المَلَامِ فَإِنِّي» عُدْبْتُ مِنْ ظَلَمِ الحَبِيبِ النَّائِي
وَهَجَرْتُ مَاءَ الكَأْسِ إِنِّي فِي الهَوَى «صَبَّ قَدْ اسْتَعْدْبْتُ مَاءَ بَكَائِي»^(١)

* . * . * . *

(١) زيادة عن مجموعة «نسيم السحر» ورواية القصيدة من مجموعة «آهات شريدة».

هـاء

[أراد الأخ «جودة عبد الله مصطفى» أن يصحح بعض أبيات من قصيدتي «يوم النصر» و«آلام عاشق» ويبدلها بأبيات محطمة ذات ألفاظ ما سمعنا بها في آباتنا الأولين، فكتبت إليه مازحاً هذه القطعة]:

أمثلك بيتي تصحيح شعري
سموت مكانة وعلوت قدراً
أتجرؤ يا أقل الناس علماً
لقد دنت القيامة إذا تخطى
وأنت جهولٌ عسرك والأوان
عن الأخطاء حتى في البيان
على نقد الأديب أبي المعاني
حدود الشعر أذنب الزمان^(١)

[١٩ مارس - آذار - ١٩٤٩]

* . * . * . *

(١) نلاحظ اعتداد الشاعر بنفسه ومبالغاته في الفخر، وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على ثقته بنفسه وقوة شخصيته.

ليلة الفرح (*)

ما لي أرى الكون بالأعلام مُزدانا
 أم من بشيرٍ أتى باليمنِ بَشَرنا
 أم من هناءِ دنا أم فرحةٍ شملت
 أرى السعادةَ قد فاضتْ جداولها
 والبشرُ شاهدتْ قد بانَتْ طلائعُه
 في يومِ عرسِكَ يا مَنْ نلتَ مكرمةً
 والكلُّ باتَ وفيضِ النورِ يغمره
 أروضةً هذه أم حفلٌ اجتمعتْ
 هذي الوجوهُ أرى بشراً يصافحها
 تَترى أدامَ اللهَ بهجَتَها
 فكانَ تَشريفهم سيمًا مودتِهم
 يا مصطفى في الوري عمَّت فضائله
 إن قلتَ إنك بحرٌ في معارفِه
 أو قلتَ إنك فردٌ لن وجودُ لنا
 فقولتي رغم من قد باتَ يحسدُكم
 وما لنورِ الصفا قد باتَ يغشانا؟!
 فالقلبُ قد باتَ من بُشراهُ فرحانا
 كلُّ الأحبَّةِ إخواناً وجيرانا
 تروي بماءِ المنى مَنْ كانَ ظمآنًا
 تُضفي علينا من الإِسعادِ ألوانا
 قد غرَّدَ الطيرُ فوقَ الغصنِ ألحانا
 شيخاً وكهلاً وأطفالاً وشبانا
 به الأزهيرُ حتى صارَ بُستانا
 والبشرُ ساحاتُه الأفراحُ
 تُزجي التهاني زرافاتٍ ووحدانا
 وكانَ تَشريفهم للودِّ إعلانا
 نبلاً وبراً وإصلاحاً وإحساناً
 فليس قولِي إذا ما قلتَ بهتاناً^(١)
 بمِثلِه الدهرُ أحقاباً وأزماناً^(١)
 حقٌ وما أرتضي للحقِّ كتماننا

(*) فبراير - شباط - ١٩٥٠. نظمت لتلقى في ليلة زفاف أحد الإخوان، ولكن

الظروف حالت دون ذلك.

(١) ترى المبالغة في مدح صديقه.

في السعي نحو العلاقد نلت منزلةً وفقت في المجد إخواناً وأقراناً
يا منبع الصدق والإخلاص ها أنذا لصادق الحب قد قدمت برهاناً
لا زلت يا مصطفى للعلم مَفخرةً وللجيل من الأعمال عنواناً

* . * . * . *

هزيمة المعهد (*)

جلَّ المُصَابُ وضاعَ المجدُّ والأملُ
يا معهداً كان بالأمس القريب فتى
أضحى جنودك بعد العزِّ في ضِعَةٍ
لو أنهم باتحادٍ لَمْ شعْتهمُ
وانهارَ صرْحُ العُلا واستنوقَ الجملُ^(١)
بيطشه بالأعادي يُضربُ المثلُ
وأصبحوا وعليهم من أسيِّ حِلُّ
ما كانَ يُضربُ آسادَ الشرى حملُ

* . * . * . * . *

(*) فبراير - شباط - ١٩٥٠ - نظمت على إثر حادثة حدثت في هذا التاريخ وألقيت أمام
طلبة الفرقة بحضور مدرّس الأدب.

(١) استنوق الجمل: أي صار ناقة - يضرب للرجل يكون في حديث أو صفة شيء ثم
يخلطه بغيره - وينتقل إليه - وأصله أن طرفة ابن العبد كان عند بعض الملوك
والمسيب بن علس ينشده شعراً في وصف جمل ثم حوله إلى وصف ناقة، فقال
طرفة: قد استنوق الجمل.

مأساة يتيم (*)

سجلت قصّتك التي مثلتها لما خشينا عنك سهو الذاكرة^(١)
إن كنت ودّعت الحياة وأهلها فلسوف تجمّعنا الديار الآخرة
فاسعد جوار الله واهناً قربه وامرح بجنات الورود الناضرة

* . * . * . * . *

(*) قصة غلام بائس من أصدقاء الطفولة ذهبت به القسوة وقضى عليه الإهمال «غير موجودة في المختارات» ولعلها قيلت سنة ١٩٥٠. [المحقق].
(١) ورد هذا البيت في مجموعة «نسيم السحر» كما يلي:
سجلت قصتك التي مثلتها لتكون ذكرى يا وحيد وتذكرة

عيد الأمومة^(١)

عيد الأمومة والربيعُ تجمعا
كسما الوجود محبةً ونضارةً
هذا يسطرُ للحنانِ صحائفاً
وأطلَّ عيدُ الأم يغدقُ رحمةً
عيدان قد طلعا على الدنيا معا
لله ما أبهى الوجودَ وأبدعا
بيضاً وذاك العطرُ فيه تضيوعاً
سألت على زهرِ الربيعِ فأينعا

* . * . * . *

هذي الرياضُ قد ارتدت في عيدها
لبست قشياً للحبيبةِ وازدهت
وإذا الربيعُ أتى بثغرٍ باسمٍ
لكمما الأمُ المجيدةُ ترتقي
ثوباً من الوردِ الجميلِ مرصعاً
من بعد أن كانت ثياباً بلقعا
سنراه يوماً للرياضِ مودعاً
في قلبنا عرشاً مُقيماً أرفعا

* . * . * . *

أمي غرستِ الحبَّ في أحنائنا
أمي وقد علّمت كلَّ حميدةٍ
فإذا فرحنا تظهرين بشاشةً
لو أن غيرَ الله يُعبد بيننا
وملأتِ بالمُثلِ الرفيعة أضلعا
وهدي شربناه غذاءَ مُرضعا
وإذا مرضنا تذرّفين الأدمعا
لوجدتِ أقواماً أمامك رُكعا
تهدين كأساً للحنانِ مُشعشعاً
يا مَنْ سهرتِ الليلَ في تريضنا

(١) من البدع التي قلدنا بها الغربيين الذين قطعوا صلة الأرحام، وتفككت الأسرة وأصبحت حياتهم مادة، لذلك اصطنعوا هذا العيد ليذكروا الأمهات فيه.

أمي العزيزة أنت بيتُ قصيدنا إن نحنُ أنشدناه، زنتِ المطلعا
حفوا بغارِ رأسٍ مَنْ قَدْ قَدَّمت روحاً وقلباً بالمشاعر مُترعاً
إنَّ الفؤادَ لقد أضاءَ بحبِّها وروابطُ الإخلاص لن تتقطعا

* . * . * . *

منشورات

فيا قلمي تكلم لا تبالي بشيء لا عليك ولن تضارا

* . * . * . *

طف بالمدينة خاشعاً متدلاً واخشع ملياً عند ذاك الوادي
قبر الرسول محمد مع صحبه والآل والأحباب والأولاد

* . * . * . *

تهنئة (*)

قرأتُ بديعَ شعرك في «الزمان»
 برُّبكُ نَبِيّ هلْ من نُضارٍ
 قصيد يتركُ الألبابَ نشوى
 وسحرٌ خلقتُ هاروتاً أتانا
 لقد زادَ القريضُ بك انتعاشاً
 أرفُ إليك تقديراً عميقاً
 فقلتُ لأنتَ معجزةُ الزمان
 تصوغُ عقودَه أم من جُمان؟^(١)
 وإنْ لم تُسَق من خميرِ الدنان^(٢)
 به لكئنه سحرُ المعاني^(٣)
 كما فعلَ الندى بالأقحوان^(٤)
 وأهديكَ التحيةَ والتهاني

* . * . * . *

(*) أهديت للزميل الشاعر محمد عادل سليمان . على إثر نشر قصيدته «الربيع» بجريدة

«الزمان» مايو - أيار - ١٩٥٢ .

(١) النضار: الذهب . الجمانة: حبة تعمل من الفضة كالدرة وجمعه جمان .

(٢) الدنان : ج دن وهي الحباب .

(٣) هاروت: اسم أحد الملائكة، ورد في الآية: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾، وقال بعض المفسرين: اسما شيطانين من الإنس أو الجن، وجعلهما نصباً بدلاً من قوله تعالى: ﴿ولكن الشياطين﴾ . .

(٤) الأقحوان : البابونج ، وهو نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر وجمعه أقاحي وأقاح .

دعابات

[دعائي، وصديقي الأستاذ أحمد علي. الزميل الكريم غنيمي
سكران، لتناول طعام الغداء ظهر السبت ٢٤ مايو - أيار -
١٩٥٢. وعندما مدت «المائدة المستديرة» تبخرت الآمال التي كنا
نمني أنفسنا بها، إذ حضر غنيمي الطعام مكوناً من الفطير واللفت
والجبن، فاهتزت قريحتي لهذا الخطب الفادح، وأنشأت أقول على
نمط قصيدة امرئ القيس التي مطلعها: «سما بك شوق بعد ما
كان أقصراً... الخ»]

أتانا «غنيمي» بالفطير وأحضرا وكنا حسبناه دجاجاً مُحَمَّراً
بكي أحمدٌ لما رأى اللفتَ دونهُ وأيقنَ أن الجوعَ كان مقدرًا
فقلتُ له لا تبكِ عينكِ إننا سنأكلُ لِفْتاً أو نَموتَ فُنُقْبِراً^(١)

* . * . * . * . *

(١) يعارض فيه امرئ القيس في أبياته:

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لا حقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

يوم الامتحان

[والخميس أول مايو ١٩٥٢ الامتحان التحريري، قد بقي على موعده يوم الأحد. والقلوب راجفة، والنفوس واجفة، كأنها في موقف الآخرة، تظن أن يفعل بها فاقرة، وفي ظلام ذلك الرعب وليل هذا الفزع، ينطلق القلم ليسجل بعض ما يجيش في النفس من الخواطر].

قد جاءنا التحرير بالويل والثبور^(١)
الفيه لا أذكرة والنحو لسك أذكرة
يا صاح ماذا نصنع نغش أم نصنع
سنفتح الكتابا إن لم نجد جوابا
ونضرب المراقبا لناخذ المطالبا

* . * . * . *

(١) أي الامتحان الكتابي.

مناسبات ودعابات

وقلت في مناسبة:

خليلي هذا منزل البؤس فارحلا ولا تنشدا فيه الهناء منزلا
فإنا فطرنا فيه فولاً مدمساً وإنا تسحرنا خياراً مُخللاً

* . * . * . *

وفي مناسبة أخرى:

لعمرك إني قد برمتُ بحرمة إذا جثت يوماً أطلبُ القرشَ تردح
وإن قلتُ هاتي أفطريني رأيتها تقولُ: حَدَاكَ العيشُ والجبنُ فاطفح

* . * . * . *

[الصديق الأستاذ أحمد حجر يمتاز بروح مرحة ودعابة فكهة،
وقد جمعنا الظروف في مسكن واحد أثناء تأدية امتحان السنة
الثانية الثانوية. وفي إحدى الجلسات داعبته بالبيتين الآتين،
بناء على طلب الاخوان]:

يا أحمداً هلا أخذت بداعي فلأنت في نشرِ الرذيلة ساعي
أدعو إلهي يبتليك ببلوة يا سيدة نُضراه، مدد يا رفاعي^(١)
وفي مناسبة ضاحكة:

داري حمارك أم عيدِ داري لا تكشفني سترأ من الأستارِ
إني أراه بدا لنا مُتقلصاً ومُعضمأ من قلة الأ... ر

(١) هذا مما يقوله الصوفية، بالاستعانة بشيوخهم من دون الله - استغفر الله -

زارع الخيار (*)

كنا نذهب مع عصر كل يوم من أيام رمضان للسمر تحت
ظلال الشجر على رأس حقل الزميل محمد علي مصطفى ولم
نك ندري أن بداخل الحقل الذي زرع قطناً ناحية غرس فيها
«الخيار» إلى أن اكتشف ذلك أحد زملاء فكتبت إلى الزميل
صاحب الحقل أقول:

يا زارعاً بالحقلِ رُكْنَ خيارِ في القطنِ كيّ يخفى عن الأنظارِ
قسماً لئن لم تأتني بزيارةٍ لأقولُ فيك قصيدةً من نارِ

* . * . * . * . *

(*) يونيه - حزيران - ١٩٥٢ .

يوم القيامة (*)

يا سيدي يا «بدوي» ^(١)	بكره امتحانُ الشفوي
إن جئتُ بناجي	لستُ من «البلتاجي»
هَلَكْتُ في يديه	متى تَرَدُّ عليه
يَسْلُخُ في القِرآنِ	وشيخُنَا «الفرجاني»
فحظُّهُ الرسوبُ	إن جاءهُ منكوبُ
فاضربهُ بالمركوبِ	وإن لقيت «الهوي»
كالأفعوانِ ساهي	فإنهُ والله
إن شفتموه فاجروا	«عبدُ السميعِ بشرُ»
بشكلهِ المروءِ	فإنهُ كالْبُعبعِ
مُصيبةٌ إذا أتى	«والأزهريُّ» يا فتى
فالخيرُ منه لا يُرى	بدا لنا مُكشراً
فمدنَّا بالعونِ ^(٢)	أدعوكُ ربُّ الكونِ
من هذه القيامة	نسألكُ السَّلامهُ

(*) في امتحان النقل من السنة الثانية الثانوية، وفي اليوم الذي يسبق الامتحان الشفوي كتبت هذه الأرجوزة الساخرة، انتقاماً من بعض الأساتذة الذين يشتدون في امتحاناتهم الشفوية. [الشاعر].

(١) هذه من الضلالات التي شاعت في المجتمعات المعاصرة، وهي مناداة الأموات والاستعانة بهم. وهو شرك.

(٢) الكلمات الموضوعية داخل الأقواس « » هي أسماء الأساتذة الذين كانوا يدرسونه. ولعلها قيلت سنة ١٩٥٢. [المحقق].

زيارة(*)

وأَمْسِيَةٌ عِنْدَ شَاهِينِ قَدْ
 قَصَدْتُ إِلَيْهِ إِلَى سَيْدِ
 فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ لِي مَجْلِسًا
 إِذَا قَامَ فِي مَحْفَلٍ مَنَشِدًا
 أَدَارَ عَلَيْنَا حَدِيثًا لَهُ
 فَمَنْ حَكَمَ خَالِدَاتٍ إِلَى
 وَمَنْ نَبَأَ مِنْهُ عَنْ رِحْلَةٍ
 إِلَى سَاحِرٍ مِنْ دُعَابَاتِهِ
 وَرَبِّ قَصِيدٍ لَهُ صَاغِهِ
 تَلَاهُ عَلَيْنَا فَرَحْنَا بِهِ
 وَحَمْرَاءَ فِي لَوْنِ يَاقُوتَةٍ
 فَلَوْ ذَاقَهَا شَارِبٌ مَرَّةً
 فَمَا نَلَكُ مِنْهَا سِوَى قِطْعَةٍ
 فَيَا زُورَةً لِي عَلَى طَوْلِهَا
 أَمَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَى عُودَةٍ

لَمَسْتُ بِهَا نُبْلَهُ عَنْ كَثْبِ
 جَمِيلِ الْمَلَاقَاةِ لَا يَحْتَجِبُ
 بَدَارِ أَدِيبٍ سَمَا كَالشُّهْبِ
 رَأَيْتُ «زِيَادًا» يَسُوقُ الْعَرَبَ (١)
 يَفُوقُ حَدِيثًا يَبْطِنُ الْكُتُبِ
 طَرَائِفَ مَأْثُورُهَا مِنْ ذَهَبِ
 عَلَى النَّيْلِ مَجْبُوبَةٍ مِنْ عَجَبِ
 لِإِخْوَانِ صَدَقِ كِرَامٍ نُجَبِ
 كَعَقِيدٍ مِنَ اللَّوْلُؤِ الْمُتَّخَبِ
 نَحَلَّقُ فِي قِمَةٍ مِنْ طَرَبِ
 أَتَانَا بِهَا مِنْ بَنَاتِ الرُّطَبِ
 لِأَنْسَتُهُ طَعْمًا لَبِنَتِ الْعَنْبِ
 وَأَلْهَيْتُ عَنْهَا بِحَسَنِ الْأَدَبِ
 تَقَضَّتْ كَوْمَضٍ خِلَالَ السُّحْبِ
 وَهَلْ مِنْ طَرِيقٍ وَهَلْ مِنْ سَبَبِ؟

(*) مهدة إلى فضيلة الأستاذ الشاعر «محمد شاهين» المدرّس بالمعهد - ذكرى ليلة
 جمعتنا فأحسننت. مارس - آذار - ١٩٥٣ .

(١) إشارة إلى زياد بن أبيه الذي عرف ببراعته في الخطابة، وحزمه في الحكم.

تحية(*)

اعتلى القُمريُّ غصناً وشدا في الكون لحناً^(١)
ومضى يتلو نشيداً ساحراً عذباً علينا
فسألت الطيرَ ماذا سره حتى تغنى
قال: قم هنيءً أديباً قد حباه الله فنا
إنَّ «بدرًا» تاج مجدٍ زادنا قدراً وشأنا
كلُّنا نهديك بدرًا أعمقَ التقديرِ منا
عشت فخراً للقوافي دمت للأزجال حصناً^(٢)

* . * . * . *

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٣. أهديت للأزجال «بدر مصطفى يوسف». [المحقق].

(١) القمري : منسوب إلى طير قمر، والأنثى قمرية.

(٢) القوافي: يصد به الشعر الموزن، الأزجال جمع زجل وهو لون من الشعر الشعبي.

عودة المتصرين (*)

رجع الكميّ إلى الحمى وأغاراً
فقفوا له يا قوم وقفه باسلٍ
قد كان في دنيا الرياضة مجدنا
عرفت لنا أرض الملاعب فتيةً
صيّد، بواسل، ما رموا بهزيمةٍ
حتى إذا راحوا رأينا بعدهم
في عامنا الماضي على أيديكم
ولئن نسيتم يومه فهناك من
كم عابسٍ قد كان يرجو نصركم
فإذا أردتم بعث أمجادٍ لنا
فإن انتصرتُم توجت هاماتكم
أو كانت الأخرى صفعت وجوهكم
كالصّابِ طعماً، والسّهام مرارةً
من كان في يوم السباقٍ مُقصرّاً
لن يمنع التائب إن حاقت بكم
فتأهبوا للنصر واسعوا إنني

متحدياً، يُبدي بنا استهتارا
يحمي لمعدنا العريق ذمارا
بسمو عليهم عزةً وفخارا
شغلوا الأكف ومتعوا الأنظاراً^(١)
لا يلحقون إذا أتوا مضمارا
صرح الرياضة عندنا مُنهارا
نلنا المهانة منهم والعارا
لم ينس يوماً أسحماً ونهارا
قد شقّ من هول المصاب إزارا
كونوا أسوداً يُدركون الثارا
مني بمنضود القصائد غارا
وتلوّتها بين السورى أشعارا
تكسوا الفريقَ مذلةً وشناراً
عند الهزيمة يظلم الأقدار
أن تخلّقوا وتقدّموا الأعذارا
أعدرتكم وبعثتها إنذارا

(*) مهداة إلى فريق المعهد بكرة القدم بمناسبة عودة فريق كلية اللغة لمباراته ٦ يناير -

كانون ثاني - ٩٥٤ .

(١) كناية عن التصفيق للفريق والتمتع بمشاهدة لعبة الجيد .

آخر خيبة (*)

قفوا هذا الفريقَ غداةَ خابا
فريقٌ لو عدِمنا لابعيه
هُم نالوا «الخيابة» بامتيازٍ
إذا ذهبوا إلى النادي نَراهم
يظلُّ هنالك المحروسُ منهم
ويبرُعُ في «الهيافة» كلُّ «خَلقٍ»
ولا يُنيبكُ عن سرِّ المخازي
«شبينُ الكوم» تهزُمنا «وطنطا»
وفي «الإسكندرية» جاءَ منها
لنا «المنصورة» اكتسحت وعادت
«فلوس» من جِرايتنا عليه
وفي «الهاف تايم» يطفحُ برتقالاً
ولو في الأمرِ كانَ لنا اختيارٌ
أريحونا فإننا قد شَبِعنا
عليكم بالشوارعِ و«الحواري»

* . * . * . *

(*) مارس - آذار - ١٩٥٤ - الهزائم المنكرة تتوالى محيقة بفريق المعهد لكرة القدم في موسمهِ الرياضي.

أيام الطفولة (*)

أتذكر سحرَ أيامِ الطفولة
غداةَ تعبٍ مِنْ صفوٍ متاحٍ
وحولك صبيةً غرَّ لِداتُ
إذا ما جنَّ ليلُكمُ اجتمعتمُ
وحينَ يجيئُكمُ يسعَى رفيقُ
إلى أن تَقطعوا في اللهِوِ شطراً
فيقصدُ ذاكَ منزلهُ وحيداً
ولهوِكُ تحتَ أفنانِ الخميِلةِ
ويشِرُّ قَلَّ أن تلقى مثيله
يُشاطِرُ بعضُكمُ بعضاً مَيوله
وقدَ بسَطَ الهناءَ لكم سَبيله
يُشمِّرُ عندَ رؤيتكمُ ذَيوله
مِنَ الليلِ الذي أَرخى سُدولَه
وذاكَ يعودُ مُصطحباً زميله

* . * . * . *

لقد مرَّتْ عهدُ ماضياتُ
فهذا الشاطيءُ المهجورُ كمَ ذا
أما - والشمسُ يطويها مَغيبُ -
ألسْتُ به الذي قد كانَ يعدو
صبيُّ يرقبُ الأحداثَ تجري
وكمَ قد طالَ لهوِكُ في مساءٍ
أتنسى الجِدَّةَ الشمطاءَ ليلاً
وتجلسُ في حِماها مُستكيناً
رعاها اللهُ كمَ كانتَ جَميلةِ
وثبتُ عليه ساعاتُ طويلةِ
علوتُ بذلكَ الوادي نَخيلَه
وراءَ فراشةٍ عبرتُ حُقوله
عليه وما روى فيها فُضوله
وعندَ العودِ ما أعيَتكَ حِيلَه
تقصُّ حديثها فتخافُ غولَه؟
ترى صدقاً خرافاتِ الكُهولةِ

* . * . * . *

(*) أغسطس - آب - ١٩٥٤ .

وتصحو والضياء بدا خطوطاً
ونحو المكتب الممقوت تمضي
أمام الشيخ تجلس في خشوع
ويثقت إن ثاءب أو تمطى
وحين يراك لم تحفظ دروساً
تداعب منكيبك عصاً نحيله
فتفرك ناهضاً عيناً كليله
لتقضي فيه أوقات ثقيله
فلا تجديك تك الدليله
عليك وأنت في فزع خموله
تداعب منكيبك عصاً نحيله

* . * . * . *

هي الأيام لا تبقي عزيزاً
إذا نشر الضياء عليك نجم
وساعات السرور بها قليله
وأشرق فارتقب يوماً أفوله

* . * . * . *

شم النسيم (*)

أطلّ على ضفاف النهـ ر صباحاً موكبُ النورِ
وطارَ بهِ إلى الدنيا بشيراً كل عُصفورِ
ولم يترك نسيم الروضِ زهراً غيرَ مخمورِ
ورقرق للندى حباً كُدرٍ فيه مَنثورِ

* . * . * . *

هنالك في ربوع الريد ف حيثُ منازلُ الأهلِ
وحيثُ خمائلُ الصفصا ف والجميز والنخلِ
وحيثُ يظلُّ ممتداً بساطُ الشبِّ والظلِ
وحيثُ القومُ قد عاشوا بلا حقد ولا ختل^(١)

* . * . * . *

بَكَرْتُ إلى الرُّبا أبغي شذا جناتِها الخضري
على دراجةٍ والشمـ س لم تبرز من الخدرِ
وقد ذبّت بأوصالي عُقاراً نسمةً الفجرِ^(٢)
تسلل دفؤها في نشـ وة يسعى إلى الصدرِ

* . * . * . *

(*) نظمت في أول يونيو - حزيران - ١٩٥٥ .

(١) ختل : خداع .

(٢) العقار : الخمر .

وأطفالاً على الطرقات
تخالهم وقد ساروا
بأيديهم مناديل الم
يسر الدهر بعضهم
ذكرت بهم عهداً من
أزوني صورة الماضي
تماماً قد لهوت كما
وأدركت الشباب فما

ت في ثوب الصبا الغض
ملائكة على الأرض
نى والخبز والبيض
وقد يقسو على البعض
سناً في فجر أيامي
مجسمة لأحلامي
لها في ظل أوهامي
شعرت بغير آلامي

* . * . * . *

قطعتك يا ربيع العم
ولم أملاً كغيري من
نهارى متعب شاك
كتابي في يدي يغفو

ر مهموماً بأتراحي
نعيم العيش أقداحي
وليلي قائم صاح
على أنك مصباحي

* . * . * . *

قضيتك يا ربيع العم
فلا أسعدت لي روحاً
مضى العشاق في فرح
وما ذاق الهوى قلبي

ر لم أعرف بك الحبا
ولا أحييت لي قلباً
ولم أدرك لهم ركبا
وغيري عبه عباً

* . * . * . *

ألا ليت الصبا طالت
وليت العمر نقطعه
بقلب ما أمضته
ولم تنزل بساحته

له في الدهر أزمان
ونحن لديه صبيان
من الألام ألوان
على الأيام أحزان

* . * . * . *

أسوان

[كان الشاعر في رحلة إلى أسوان مع زملائه طلبة معهد
الزقايق الديني في الفترة من ٢٨ / يناير إلى أول فبراير /
شباط ١٩٥٦، وفي هذه القصيدة سجل مشاهدته ومشاعره].

سلامٌ في شماليك صيغَ لحناً
وشوقٌ ليس يعد له اشتياقٌ
نزلتُ رُبَاكَ يسبقني خيالي
فهم ظلموكِ إذ زعموكِ منفي
إلى واديك يا أسوان مئناً
لجناتٍ لديك تُخالُ عدنا
وقد ملئوه تزييفاً وميئناً
وجارَ عليكِ من يدعوكِ سجننا

* . * . * . *

تعالى الله باريء كلِّ حُسنٍ
وشقٍ خلالَ صخرِكِ أيِّ نهرٍ
إذا ما الصخرُ سدَّ له طريقاً
لقد تركتُ رويوعكِ ذكرياتٍ
لقد ملأَ الجزيرةَ فيكِ حسناً
يفيضُ نضارةً ويسيلُ يُمناً
تحولَ ساخرأً يمشي الهويني
بقلبي من نعيمِ العيشِ أهنا

* . * . * . *

وداعٍ للرحيلِ دعا فجننا .
وزادي ما استرحتُ إليه حتى
عرفتُ الجوعَ يفسد كلَّ بشرٍ
وسارَ بنا القطارُ فليس يهفو
وقد طربَ الفؤادُ له وغني
ملأتُ حقيقتي حلوى وجبنا
فأعددتُ الشطائرَ منه حصنا
لسهلٍ أو يخافُ الأرضَ حزننا
خلعتُ ملابسي ولزمتُ ركننا
ونافذةً بجانبها أراني

إليها قد جلستَ فخلتُ أنا إلى دارِ الخيالةِ قد جَلَسْنَا
تمرُّ بنا المشاهدُ في تَوَالٍ تجددُ روعةً أبهى وأسنَى

* . * . * . *

مَشِينَا نلتقي بالنيلِ طوراً وطوراً قد نأى مجراهُ عنا
ويخضرُ البساطُ بصفتيه ونرقبهُ على البيداءِ يفنى
وَجَنَّ الليلُ بينَ مُنى ولهوٍ فما نمنا إذا ما الليلُ جَنَّا
وكيفَ ينامُ مَنْ معه رفاقُ رأوا في النومِ مضيةً ووهنا

* . * . * . *

ووقفنَا على أمجادِ ماضٍ ملكنا العالمينَ بهِ وسُدْنَا
بنينا صرحها والدهرُ عُضُّ فشابَ ولم يشبَ ما قد بنينا
بدت بالأقصرِ الأثارُ تروي حديثَ خلودها حساً ومعنى
فقف بالكرنكِ المرفوعِ واشهدْ صخوراً سجلتْ علماً وفنا
وربَّ مسألةٍ شهرتْ سلاحاً تصونُ تراثنا قرناً فقرنا^(١)

* . * . * . *

وفي أسوانَ طابَ لنا مقامٌ وآوانا على الصحراءِ مبني
تضيّقُ بنا القبابُ فلا نبالي كذلكَ ينشدُ المَقْرورُ فُرْنَا
فأكثرُ ليلنا سمرُ شهِي يدورُ فلا يزورُ النومُ جفنا
وموسيقا تُرددُها الفيافي متى طلَعَ النهارُ لها طربنا

* . * . * . *

(١) المسلة بالفتح والكسر: مفرد المسال وهي الابر العظام . وأصبحت تدل على نصب
تذكاري من الحجر الصلد أو غيره يكتب عليه معلومات عن الآثار التي أقيمت
عندها .

ليالي الزقازيق

[قضى الشاعر بالزقازيق، في معهدها الدُّيني، من سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٥٦، وفي هذه القصيدة يصور الشاعر ذكرياته، ويودع معهدَه وموطنَ صباه].

ربوعٌ قد صحبْتُ بها الشبابَا وعشتُ بواكرَ العُسرِ اغترابَا
وَرَدْتُ حياضَ معهدِها صبيّاً يدقُّ بكفِّه للنورِ بابَا
به نزلوا المدينةَ ذاتَ يومٍ فأبصر في شوارِعِها العُجابَا
تنازَعَتِ المشاهدُ مُقتَبيه فقلَّبَ طَرفه فيها اقتضابَا
وعادوا بعد أن تركوه يبكي حزيناً لا يود لهم إيابَا

* . * . * . *

وظلَّ هناك يغلبه حنينُ وشوق يؤلم القلبَ انتيابَا
فما شغَلَتْهُ أضواءُ الليالي بها عن قريةٍ خصبتُ جنابَا
بعيدٌ عن ديار الأهلِ ناءٍ يذوب ليوم عودته ارتقابَا
يؤرِّقُ جفنه ذكري لداثٍ إليهم شاء في البعد الذهابَا
وسار به الزمان يطيب حيناً وحيناً يملأ الأقداح صابَا
إلى أن صار يعشقها فتياً ولدُّ له المقام بها وطابَا
رعاها الله أياماً قضاها بصحبة رائد^(١) يهدي الصوابَا

(١) الأستاذ مصطفى الرفاعي الأخ الأكبر للشاعر. كان أول طالب أزهرى من أنشاص، ثم توالى بعده الطلبة على معهد الزقازيق، وأقاموا معه في مسكن واحد، فكان كبيرهم ورائدهم، وكان يأخذهم بكثير من الجد والحزم.

وإن العيش يحلو في رفاق
فلا يخشاهُ في شيء بريء
فتلك عهد غرسٍ قد تقصّت
إذا خافوا لراعيهم حسابا
ولا يألوا أخوا ذنب عقابا
وما عرفوا بها إلا الكتابا

* . * . * . *

ومجلسُ فتيةٍ جمعوا بليلٍ
دعابةً مازحٍ، وضجيجُ لاهٍ
وكم كانت أحاديث الأمانى
وكم أملٍ جميلٍ أمّله
وما فتىء الزمان يدور حتى
تفرق شملهم بعد اجتماع
فدار حديثهم شهداً مذابا
وصوتٌ مهرج يشدو غرابا
تلذّ لهم - على ظمياً - شرابا
فما وجدوا المنى إلا سرابا
أعاد بشاشة الوجه اكتسابا
وعامرٌ أنسهم أضحى خرابا

* . * . * . *

وساعات الأصيل على مؤسس^(١)
يدغدغ صفحةً للماء فيه
ويختال النسيم بشاطئيه
إذا ما أقبلت تمشي كعابٍ
فطوراً قد أثار الشّعْر لثماً
وقد جمع الأجابة والصحابا
جناحا زورقٍ شقّ العبابا
ندياً ينعش النفس انسيابا
يداعبُ فوق ضفته الكعابا
وطوراً أرهق الثوب اجتذابا

* . * . * . *

وربّ لظىٍ لأيام امتحانٍ
تريك جلودنا، والصيف وارٍ^(٢)
تمر بنا الليالي حاملاتٍ
ولا ننسى لنا في اللهو قسطاً
لبسنا للشقاء بها ثيابا
يكاد الحرُّ ينضحها التهابا
لهولٍ إن رآه الطفلُ شابا
وغلّ^(٣) نضالنا يدمي الرقابا

(١) موسى : بحر موسى، ترعة بالزقازيق.

(٢) وار : انطلقت ناره.

(٣) الغل طوق من الحديد أو الجلد يجعل في اليد أو العنق.

فكنْتُ أصوغه شعراً ضحوكاً
عهد من جحيم غير أنا
وبعد السير في بيد الليالي
وقفْتُ مودعاً طيب المغاني
سأذكر ما حيثُ بها هناء
فسقياً للعهود البيض ... مرت
نبدد للغناء به ضبابا
نذوق إذا قطعناها الرضابا
أشقُّ السهل منها والهضابا
وداراً تنبت العلم اللبابا
وأطرحُ المتاعب والصعابا
علينا - رغم ما نلقى - عذابا

* . * . * . *

نشيد الوادي

للموسيقار محمد عبد الوهاب(*)

أَنْشُودَةٌ عَطَّرَتْ أَرْجَاءَ وادِيكَ شَدَا بِهَا فِي الْوَرَى يَا مِصْرُ شَادِيكَ
لَمَّا تَرَنَّمْ مِنْ مِزْمَارِهِ غَرِدُ يَدْعُو لِئَيْلِ الْعُلَا أَبْنَاءَ وادِيكَ
تَأَقَّتْ نَفُوسٌ لَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِلَى يَوْمِ الْوَعَى حِينَ يَعْلُو صَوْتُ دَاعِيكَ
كَمْ صِيحَةٍ صَاغَهَا لِلنَّيْلِ بُلْبُلُهُ لِحْنًا يَهْزُ الْحَنَايَا فِي نَوَاحِيكَ

(*) لعلها قيلت قبل سنة ١٩٥٦. [المحقق]

نشيد الجامعة

فِي فَمِي أَلْحَانَ مَجْدٍ رَائِعَةٍ وَفَوَادِي مَفْعَمٍ بِالْأَمَلِ
أَنَا مِنْ مِصْرٍ. أَنَا ابْنُ الْجَامِعَةِ غُدَّةُ الْأَهْرَامِ لِلْمُسْتَقْبَلِ^(١)

* . * . * . *

كُلُّ مَا تَرْجُوهُ أَرْضِي الْخَالِدَةَ مِنْ أَمَانٍ مَلَأَ هَذَا الْحَرَمَ
وَمِصَابِيحُ الْجَمُوعِ الصَّاعِدَةَ مَبْضَعِي أَوْ مَعْمَلِي أَوْ قَلَمِي

* . * . * . *

لِلْعَلَا أَمْضِي فَإِنْ جَاءَ غَدِي وَرَأَيْتُ الزَّهْرَ وَضَّاحَ الرِّوَاءِ
سَوْفَ أَزْهَوُ إِنَّهُ غَرَسَ يَدِي وَيَمِينِي شِيدَتْ هَذَا الْبِنَاءِ

(*) نظم الشاعر هذا النشيد وكان لما يزل يعيش في الحدود الضيقة لوطنه الصغير.

فهو «ابن مصر» وهو «عدة الأهرام» ولكنه سرعان ما تخلص من مشاعره الضيقة،

وانطلق يشدو ويحدو في آفاق الوطن العربي الكبير والعالم الإسلامي الواحد.

(١) موضوع القصيدة يوحي أنها قيلت ما بعد ١٩٥٦ والله أعلم. [المحقق].

شكر (*).

[فريال ونبيلة وفائزة، من زميلات الشاعر بكلية دار العلوم، أرسلن إليه مهنتات بفوزه بجائزة الشعر في مسابقة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، فكتب إلى كل منهن - شاكراً - هذه الأبيات].

— ١ —

شُكري إليك يسوقهُ قلبي ولا يجدي لساني فيه يا فريال؟^(١)
لي أمنياتُ كانَ فوزي واحداً منها فهل تتحققُ الآمالُ؟^(١)

— ٢ —

هكذا فليكنْ شعورُ الزميلة لفتةً حلوة وروحٌ جميلة
إنَّ هذا الإحساسَ كان رقيقاً ونبيلاً فانتِ حقاً «نبيلة»

— ٣ —

إذا فازَ في دارنا فائزٌ فإنك من قبله «فائزة»
وإنَّ تحياتك العاطراتِ لأحسنُ عندي من الجائزة

(*). لعلها قيلت سنة ١٩٥٧ .

(١) كان الشاعر قد تقدم لخطبة هذه الفتاة، ولم تكتمل رغبته هذه، ويبدو تلميح الشاعر في رده لها وتبادلها العاطفة معها، بينما لا يبدو ذلك في بقية الأبيات.

الغاية المعذبة (*)

فاتنةٌ مُهذَّبةٌ مِنْ نشوةٍ مُرَّكَّبه
توسَّدتُ أَناملي واستسلمتُ مُلتَهِّبه
وعرَّبتُ على فمي أَنفاسها المضطَّربة

* . * . * . *

تظلُّ وهي في يدي مُبعدةٌ مُقربه
وكلَّما أَذْنَيْتُها لِلحظةِ المُستعذبة
تحمُرُّ من حيائها وجتُّها المخضَّبة

* . * . * . *

وهبتُها لصاحبي فلم يَرُدِّ الموهَّبه^(١)
وراح يعلو ثغرها يشفِّةٍ مُرَّحِّبه
ولم يكنْ بآثمٍ ولم تكنْ بآثمة

* . * . * . *

أحبُّها فضيَّةَ الردِّ اءِ أوْ مُذَّهِّبه
تذوبُ كي تَمُدُّني بالمتعةِ المرتقبة
مشغولةٌ يقبلتي عن روحها المغتصبة

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٨ . [المحقق].

(١) الموهبة : العطية، أو الشبي الموهوب.

في كلِّ حينٍ أصبحتُ رفيقَةً مُصطَحبه
أمتصُّها حتى إذا قضى الفؤادُ أربَه
أدوسُها بقدمي ذليلةً مُكْتئبة

* . * . * . *

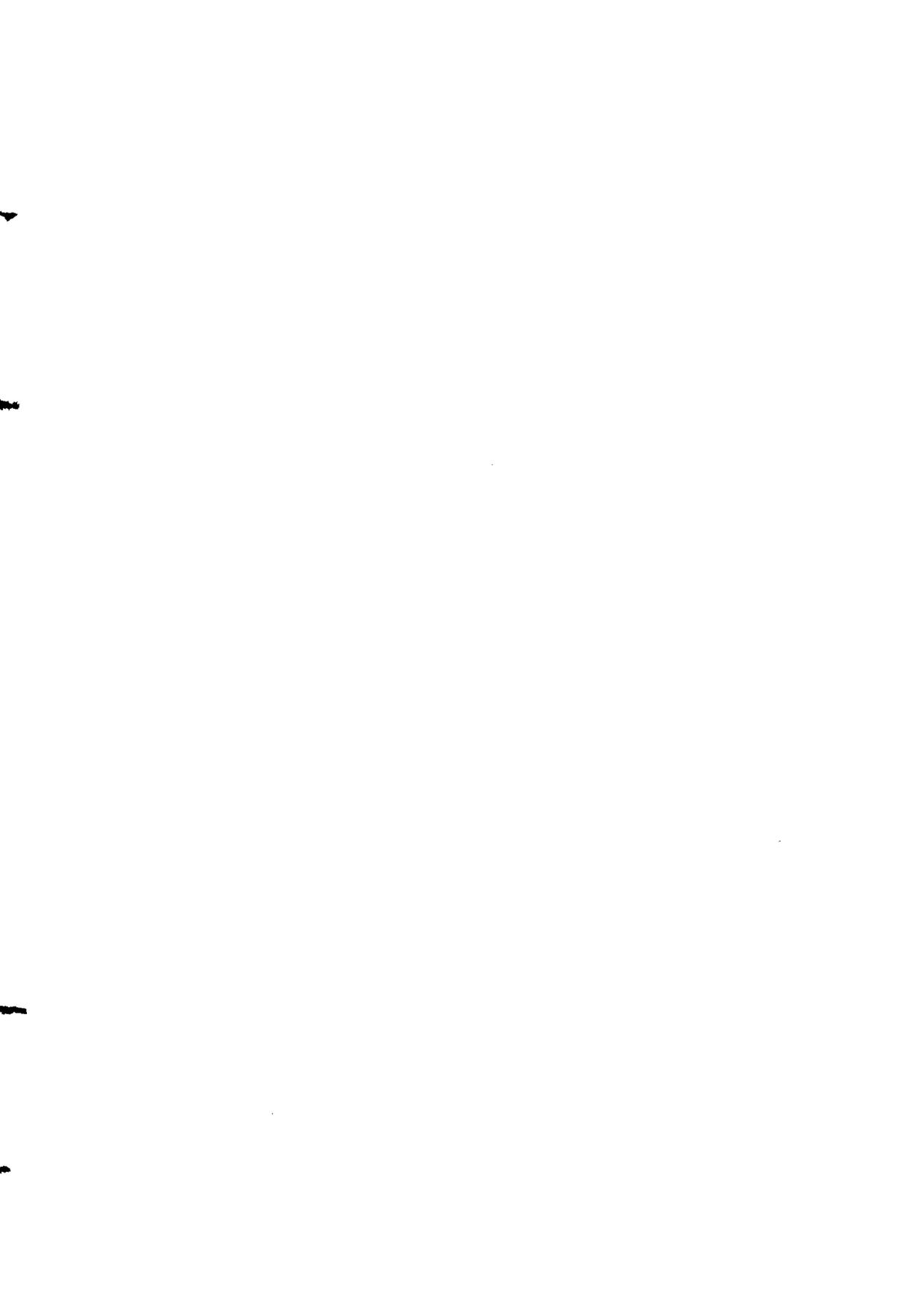
فهل عرفتَ هذا الغانية المعذبة؟
إياك والظنَّ الذي يمدُّ حولي ريبَه (١)
ولا تلمَّ فإنَّها «سيجارتي» المحبَّبه (٢)

* . * . * . *

-
- (١) الريب : جمع ريبة وهي الشك والتهمة.
(٢) الشاعر يصف (السيجارة) هذا الوصف المحبب، ويصوغ هذه القصيدة بأسلوب قصصي مع لغز في آخرها، ولكن هذا ينبغي أن لا ينسينا خطر السجارة على الصحة والعقل، ولهذا فإن كثيراً من علماء المسلمين إن لم يحرمها يجعل قضية شربها مكروهاً كراهية تحريمية.

القِسْمُ الثَّانِي

الزَّجَلُ وَالشَّعْرُ الْفُكَاهِي



نشيد الأم

وحياتك عندي يا ماما إن أنتي عزيزة عليه
تستاهلي ألف سلامة دي غلاوتك أدعيه

طول عمرك على خدمتنا أيمه وبالليل سهرانه
وتشوفي تمللي راحتنا ولا يوم بتأولي تعبانه

يا سلام على طيبة ألبك عشتي يا غاليه يا أميره
دا شوية إن ألت باحبك وجمايك والله كثيره

واليوم دا ايه يوم عيدك عملوا الأفراح أصناف
راح أبوس لما ارجع ايديك علشان تدعي لعفاف

[مدرسة إنشاص الابتدائية]

* . * . * . * . *

يكفي بقى هدم في مبانيه^(١)

وطني العزيز غالي عليه أفديه با الروح
 أنا بت على حالته دهيه عيان مطروح
 وبكيت عليه لما عينيه من كتر النوح
 دبلت وشاف قلبي أسيه وصبح مجروح

* . * . * . *

شفت الفضايح في السیما منها راح انجن
 ما بقاش كرامة ولا قيمة أبدأ للفن
 والعاقبة راح تبقى وخيمة ولا حد يحن
 علشان أشوف حاجة عظيمة صوتي مدبوح
 وبكيت كثير لما عينيه من كتر النوح
 دبلت وشاف قلبي أسيه وصبح مجروح

* . * . * . *

وشفت خمره بتنباع فيه بقى دا اسمه كلام
 دا شي يا ناس ما أمرناش بيه دين الإسلام
 يكفي هدم في مبانيه دا، دا كله حرام
 لأوا الفساد دائماً بلاقيه ما أطرح ما أروح
 حتى بكيت لما عينيه من كتر النوح

(١) تم التأليف يوم ١٦ يناير - كانون الثاني - ١٩٥٠ .

مجرّوح	وصبح	دبلك وشاف قلبي أسّيّه
دلوعه	بقي	والشباب يا مصر تمايع
جربوعه	مع	يقضي وقته ما فيش مانع
مبلوعه	مش	أفعال جنابه لو طواع
ما ترد يا لوح		ما تقول لي ليه ما انتش نافع
من كتر النوح		وبكيت عليه لما عينيه
مجرّوح	وصبح	دبلك وشاف قلبي أسّيّه

* . * . * . *

فيها	وتنفوخ	أما البنات حا تولعها
أهليها	من	مش لاقيه حد بيرجعها
لياليها	طول	تفضل مع «روميو» بتاعها
الروح	وترد	لحد ما النار تلسعها
وتنوح	وتبكي	ترجع وتقول كنت ضحيه
المجرّوح	قلبي	من دي الأمور لاقى أسّيّه

* . * . * . *

خد شوف فيه إيه		أحسن مجلة حاجيبها لك
ما أعرفش دا ليه		صور الفجور ناشرينها لك
من سيدنا التيه		وإن قلت عيب ما انتش سالك
تبوح	بالسر	وحاجات كثير لو أقولها لك
من كتر النوح		خلتني أبكي وعينيه
مجرّوح	وصبح	دبلك وشاف قلبي أسّيّه

* . * . * . *

زجالي الإسكندرية

[أنشأه معهد الزقازيق ٢٥ مارس - آذار - ١٩٥٠]

فكري:

منفوخ على إيه وعاملي أديب ويتفهم في التأليف
عمرك ما نظمت زجل بالذمة في يوم ما كنتش سخيف
وواخدها بفتحة صدرك لكن فنك لسه ضعيف
تستاهل شارة كبيرة تعرف إيه «دبلوم تخريف»
عقل:

من قلة عقلك دائماً بادعي وأقول ألطف يا لطيف
فتحت يا واد من أمتي ومدة عمرك وأنت كيف
راح أدلك ع اللي يناسب قدر جنابك شوف يا خفيف
من بكره قوام في الحاره لف وقول «يخلق برغيف»
كمشوش:

يا كمشمش اختم واشهد أنك صاحب فن نظيف
وتملي كلامك غالي لأنك غالي وذوق وظريف
دا جواب القلب إليك يا أمير أزجالنا بدون تحريف
أما الباقيين ينقصهم فكر وعقل غير التعريف

* . * . *

بقك دا راح أقفله

لساني يا فكري، حذرتك، لسان ماضي
وليه يا فكري في فن الزجل ماضي
تلقاني في الارتفاع دائماً أنا ماضي
واكتب على الحقيقة ما اختشي من لوم
لوحتي فيها «طره» وباسمي أروح ماضي
كان اتفاقنا ما فيش شتمة ولا سبه
رجعت ليه يا غبي زودتها حبه
يا للي على آخر الزمان جيت للزجل نكبه
نقضت ليه العهود جنيت على روحك
بقك دا راح أقفله واكسر لك الضبه
صبرك شويه لبعده اللخمة دي ما تفور
واخلص من الامتحان وارجع كده مسرور
ح أهزل مقامكم صحيح يا زجالين بالزور
واظهر عيوبكم وأبين ضعف أرجالكم
ما دام ما حدش رضي يخلي الطبق مستور

* . * . * . *

إلى فكري :

بالقلب راضين وبيننا القلب مش راضي
تتحدى ليه من جديد باين عليك فاضي

جيت لك يا فكري «الميدان» حامل سلاح ماضي
قررت أحمل عليك أوعى بقى لنفسك
حانكون خصوم في الميدان والمفتي به قاضي
لما أنت مش مالي عينك في البلد زجال
وقعت في المعركة يا فكري ليه آمال
شمت كل الأعادي فيك مع العذال
حكمه عظيمه من اللي قبلنا قالوا
أوعى الغرور يركبك أصل الغرور بطأل

* . * . *

المرأة والانتخاب

في يوم مسكت الجريدة والتقى مكتوب إن الهوانم بتطلب حق كان منهوب
والستت دول ضروري تنتخب وتنوب ويكون لهاحق في

* . *

حامي الاستعمار

[زجل نظمه الشاعر في ٩ فبراير - شباط - ١٩٥٢، وكان الاستعمار البريطاني قد فقد صوابه، فراح يصب نغمته على المواطنين العزل، ويتنكر للشعب الذي آزره في أيامه السوداء].

كُلُّ الشعوبُ تلعنكُ يا حامي الإستعمار
يا باغي عَ الحقِّ دائماً بالحديدِ والنازُ
أسمكُ صبغُ من تاريخه للندالة شعارُ
بكرةُ الزمنِ راحُ يسجلُ في صحيفه السّود
أفعالك اللي حتنطقُ بالهوانُ والعار
أشهدُ إنكُ يا مستر^(١) في السفالة زعيم
خاينُ لإنكُ بتتنكّرُ لشعبِ كريم
فضله عليكُ قبلِ غيركُ يا خواجه عميم
وأنْ كنتُ ناسي جنابكُ زنقة العّلمين
يفكّرُكُ «مونتجمري» اللي بيومها عليم^(٢)

(١) مستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الأسبق.

(٢) واقعة العلمين، إحدى الوقائع الفاصلة في الحرب العالمية الثانية بين الانجليز وقوات المحور، تحول فيها انتصار قوات رومل وزحفها الساحق لضرب القوات البريطانية في مصر إلى هزيمة، وكان من أهم انتصار القوات البريطانية بقيادة مونتجمري، تعاون مصر التي يسرت المواصلات ومواد التموين للقوات البريطانية، وحمّت ظهورها وهي تواجه عدوها الغلاب، في معركة يائسة عند العلمين.

يُوم ما بكيت بالدموع يا عاهل الطغيان
وقلث يا مصرُ ساعدي العاجزَ الغلبان
باسم الصداقة حَمينا ضهركم يا جبان
ولا نابنا بعدين خلافَ الهَمِّ يا ريتنا
سَبناك تَوَطَّىء وتلطَّع جزيمةِ الألمان
كان فين «إرسكين»^(١) بتاعكم قاتل الأطفال
وأنتم فـ«دنكر»^(٢) شايفين العذاب أشكال
وقفت تخطب نهارها وتشكي سوء الحال
وتقول ما عنديش خلاف الدمع^(٣) دلوقتي
داهيه تسمُ البعيد الخاين البطل
قضيتُ على دولتك بأمورك الخايبه
وفاهم انك سياسي.. غور جاتك نايبه
وفي الختام يا زعيم انجلترا الشايبه
أهدي إليك لعنة من أبطال بلاد النيل
اللي حيقضوا عليك بسهامهم الصايبه

* . * . * . *

(١) إرسكين قائد القوات البريطانية في منطقة القناة، في الفترة التي اشتدت فيها وطأة الفدائيين على معسكرات الاحتلال. ارتكب عدة جرائم وحشية ضد المدنيين، وقام بحملات إنتقامية.. فهدم الدور ونسف المقابر وقتل النساء والأطفال.

(٢) دنكر: ميناء فرنسي اتخذته القوات البريطانية قاعدة للانسحاب من شمالي فرنسا، بعد أن هوت فرنسا تحت أقدام الألمان. وكانت الطائرات الألمانية المنقضة تضرب المياه وتطارد القوافل البحرية الهاربة إلى الشاطئ البريطاني.

(٣) كلمة تشرشل المشهورة بعد هزيمة فرنسا، وخوف بريطانيا من الغزو الألماني.. قالها قومه: لم يبق لكم إلا العرق والدموع والدم....

أيام هواك

[أغنية تنبض بالأسى واللوعة، نظمها الشاعر في ٢٤ سبتمبر - أيلول ١٩٥٣]

أيامُ هواك كانت أحلامَ يا ريتها طالت أحلامه
دامتَ لمين في الهوى أيام لَمَّا تدوم لنا أيامه!
كانت لنا دُنْيَةً أفرح فيها الأمل، فيها النشوهُ
كُتُفَ هَنا والبأل مُرتاح أيامنا نقضيها ف غنوه

ما فضلش منها غير ذكرى

فيها الألم، فيها الحسرة

كان كلُّ دا كان أوهام والقلب تكثر أوهامه
دمتَ لمين في الهوى أيام لَمَّا تدوم لنا أيامه
يا ما ليالي علينا كثير فاتت وكنت قريب مَتي
تَشْكي الهوى من قلب أسير ودموعي تشكي لك عني

راحث وراح أملي فيها

ما بقيتش أفرح يوم بيها

ماتت على عودي الأنغام وياما رنت أنغامه
دامتَ لمين في الهوى أيام لَمَّا تدوم لنا أيامه
لو كان زمانك تاني يعود أفرح بقربك واتهنا
لكن الزمان عمره ما بيجود ويرجع اللي يروح منا

أمل .. وضاع ويا حبيبي

وَقَلَّ فِي الْحَبِّ نَصِيبِي
وَالْقَلْبُ أَصْبَحَ كُلَّهُ أَلَامٌ وَطَالَ عَلَيْهِ لَيْلُ آلَامِهِ
دَامَتْ لَمِينٌ فِي الْهَوَى أَيَّامٌ لَمَّا تَدَوَّمْ لَنَا أَيَّامُهُ

* . * . * . * . *

هزيمة

[كانت الهزائم تتوالى على الفرق الرياضية بمعهد الزقازيق الديني.. انهزم فريق كرة السلة، وانهزم فريق كرة القدم.. فنظم الشاعر هذه القصيدة في ٢٣ / ديسمبر / كانون أول / ١٩٥٣].

«تعالى» يا فريقُ هنا «تعالى»
لمن أهدي القصيدة؟ لستُ أدري
كلا البطلينِ فرقتُهُ تبارت
لنا في «الباسكت» اختاروا فريقاً
وفي «الفوتبول» أفرادٌ تبدّوا
إذا ما صوبوا كرةً يميناً
وليس لهم بها علمٌ ولكن
أصلحُ للرياضةِ فيلُ قومٍ
يحرّكُ جسمه المكتظُّ لحمًا
إلى المحرّاثِ شدّوهم وإني
فندمُك بيننا أضحى حلالاً
أهديها «حبيباً» أم «هلالاً»
فما ساوت لدى اللعبِ العيالا
يحاكي في ضخامتهِ البغالا
عِراضاً في مَلاعبها طوالاً
لخيبةِ أمرهم طلعتُ شمالاً
خَدها بالتلامّةِ والرّذالا
إذا ما سار تحسبه الجبالا
ويحسب نفسه فينا غزالا
سأفتل كي تجرهمُ الجبالا

* . * . * . *

ليلة الفرح

[٣١ ديسمبر / كانون الأول / ١٩٥٣]

ليه يا ليالي الفرح من العمر تبقى قليل؟
وليه يكون انتظارنا ليوم لقاكي طويل؟
دي بهجتك الفؤاد مالها من شبه ومثيل
غنت بفتنة جمالك وأنت عارفاني
شاعر يحب الجمال ويميل لكل جميل

ما أحلى ليالي الهنى لَمَّا لنا بتعود
ونسْمَعُ اللَّحْنَ بِسِحْرٍ من كمانجه وعود
والفرح يسقينا كأسه من صفا وسعود
سألت فين الهنا قالوا بتسأل ليه؟
الفرح مش بعرفه دا الفرح للموعود

والسعد وعد ونصيبك غيره ما تلاقى
والطيب اللي عملته في دنيتك باقي
لا تقول بمالي عليك لكن بأخلاقى
أمانه لو درت يوم بالسعد تسقى الناس

لتفوت على حيننا وتسقيننا يا ساقى
ليه يا ليالى الهنا طال الغياب عئنا
والقلب يا ما انتظر رؤياكي واستنى
نفسى أزور الحبايب مره واتهنى
ولما أشوفهم كده فى ساحة الفرحة قاعدين
ندرين على لأرش المسك والحنه

هاتوا الودع واسألوه يمكن يطمني
فين الحبيب اللي أغلى عندي م التني
جدع حليوه صغير كفه مجنني
وهاتوه لي حالاً ادي انتو عرفتو أوصافه
بدى أرباك له ليه الدخلة وأغني

منسوب لعيله لها رفعه ومقام عالي
همه الحبايب وفيهم مدحي بحلالي
مبروك عليك يا صديق الكل يا غالي
يا لى تركت الأعادي قلبها قليان
وكل واحد يقول: يا رب عقبالي

فرحت قلبي مع قلوب اللي بحبوك
والكل حولك يهتو بعض ويهتوك
إدعي إلهك يطول لك فى عمر أبوك
لما يشوفك كده فى المركز العالي
ويفتخر بك وأهلك فى العين يشيلوك

دي الليلة ليلية المُنَى أما النهار دي
نور السعادة يزِينُ الحفلة والنادي
نادي الحبايب يجوا لنا يشرفوا نادي
وغنّي لحن الهنا من قلب كلّه سرور
دي الليلة اللّي لها طال انتظارنا، دي

عمري ما حنسى جمالها يوم من الأيام
قيموا الرايات يا حبايب وانصبوا الأعلام
وهاتوا ياللا الورق وابروله الأعلام
علشان تحيوا حبيبنا في ليلة الفرحة
حقيقه دي واللا أنا في حلم مِ الأحلام؟

الفرح بات جنينا والخير بقى فريحنا
إحنا اللّي لنا المُنَى وزيادة وفراحننا
فاقت عن المسك في ليلة الزفاف ربحنا
ولما نادى بشير السّعد والأفراح
سعدت نفوسنا وغنى القلب وفرحننا

يا عم اللّي ملاك البشر غنى وعيد
أصلّ الليله دي لها في القلب فرحة وعيد
والسّعد وافى وحالنا كله في المواعيد
وشربنا كاس الصّفا والبشرِ قدامنا
واليمّن من خلفنا روح ياعدولنا بعيد

عندي جواز القريبه بالقرب مطلوب
تصفي ما بينهم على العيشه نفوس وقلوب
والعرق داس وبعد الخلق فيها عيوب
وع العموم دا نصيب أصل الجواز قسمه
وشيء مقدّر، ومين يهرب من المكتوب؟

أصبح جواز الغريبه شغله ومحاولة
وكله تعذيب وأخذ وردّ ومداولة
والحكم بعد استشارة مجلس الدولة
على أية قرف أو تعب أو ما هو المثل يقول
جحا في سالف زمانه بلحم طوره أولى

قالوا الأصيل للأصيلة تزينه ويزينها
وده بنت عمه عروسته مش غريب عنها
تاج الطهارة يحلّي جبينه وجبينها
والرك على الأصل دولة عيله لها أمجاد
والطرح في الشجرة ياخذ سكره منها

الشمس لبدر مش عايضة كلام ثاني
واديّني لبدر مش طاقتي قلت أوزاني
وإن كنت قصرت برضة البركة في إخواني
لو عمري طال لما تجي ليلة تشبه دي
لأقول زيادة وأهدي زهر بستاني

أنشاص

[١٥ / يوليه / تموز / ١٩٥٤].

عاوز أقول كلمتين بس اسمعوا يلا
واللي عليّ عمله والحق راح قوله
عاوز أقول كلمتين عندي ما فيش غيرهم
واللي حايذ عمل يلاقي البحر قدامه
اللي أعرفه راح أقوله حاجه المكشوف
لا مؤاخذه يا أهل البلد إن كنت راح أصرح
مش راح أجامل ولا أظلم حد أروح أكش
واكمنكم أهل يعني أمدحكم
يا ما كان في نفسي أمجد وأكتب الأزجال
لكن أعمل أيه دا حنا دافينه سوا واللي
خبيتك يا انشاص ، يا بلدي خيبة مش على حد
لو كان حدا يا هدم غير دي لشقيتها
الأوله ليه كده فيكي الغني مفعوج
يستخسر القرش وانتي شايفه بعنيكي
اللي فلوسه كثيرة وحاجه ما لها حساب
وان رحنا نطلب تبرع منه للإصلاح

يرتاح ضميري واخلص ذمتي من الله
أهو والسلام منها فايده ومنها نتسلى
عن أهل بلدي وعن حالهم وعن سيرهم
يشرب ويشبع . . وطبعاً كله من خيرهم
واللي يقول الحقيقة ليه يكون مكشوف
وأكشف عيوبنا كدة قدام جماعة ضيوف
وأكون منافق كبير كداب بستين وش
واخلق لكم لحمه ضاني من البصل والمش
وأقول بلدنا عظيمة وحاجة عال العادل
من بنت عمه اختشي ما يجيش منها عيال
واجني ليه ما انت عارفه الحاله مش ولا بد
نفسى أعيط وخايف لتقولولي سد
كرشه اتملا والفقير رايح يموت م الجوع
لا نادي نافع ولا جمعية ولا مشروع
من بخله دايم على نفسه يسك الباب
يفتح لنا حلقة ويخلي عيشتنا هباب

والثانية ليه كلمنا كلمتنا مش واحدة
واكمننا ناس أقول إيه مش بني آدمين
«سلمنت» جارتنا نفعتها أهاليها
وادي احنا لا كلنا لا أبيض ولا أسود
والثالثة حاجة سخيفة بعيد عن السامعين
وان ربنا قدر الطلبة وعملوا لهم
وناس كتير رأس مالها التريقة والفشر
مركب النقص مستولي على عقولهم
والرابعة داء مايشوفوش يارب كل حبيب
ولوف يوم زي دا واحد وقف يخطب
جاهل ما يعرفش من فن الأدب حاجه
لا هو بيعمل ولا بيكسب ولو جيت له
يكفي بقى دول بلاش الخمسة والسته
لكن صحيح ليه في حفلة زي دي ماتجوش
نهايته قصر الكلام ادخل في موضوعنا
طبعاً عرفنا المخيم والغرض منه
ونادي يعمل لنا جمعية للإصلاح
ودي حاجة طبعاً عظيمة بس عايزالها
مش راح يتم العمل إلا إن تبرعنا
وكل واحد يجود باللي عليه يقدر
حان نصف الحته وتركب لنا الفوانيس
وتعلمك ياللي ما بتقراني ولا بتكتب

متفرقين والبلاد حولينا متحدة
ضاع منا النادي والمستشفى والوحدة
«وميت معلا» خلاص الوحدة جت منها^(١)
وعن قريب راح نجيب عاليها في واطيها
دايماً بشوف إننا في بعض غير واثقين
جماعة بتقول عليهم دول عيال فاضيين
يادوب بتصفي الحقيقة في مزعهم ع العشر
وبحشر وانفسهم في كل مجلس حشر
ليه الغبي ، والنبي يعمل ذكي وأديب
يفضل يالس عليه ويقول عامللي خطيب
وعنده دايماً برود ما تقول تلاجه
تقول له عيب راح يهاجمك دوغري بسماجه
ما فيش لزوم للكلام دا حنا ولا دحته
وإن انعدتيم في ختمه تجروا ع الفتة
قلة عملنا وكذلك ضيعنا
وإنه في الأصل جاي علشان يشجعنا
يلاقي فيها الموظف فايده والفلاح
ناس يعملوا والتعاون أصل كل نجاح
وحا تساعدنا الحكومة زي ما سمعنا
والقرش ع القرش يبقى كتير وينفعنا
وتخلي إنشاص جميلة أحلى من باريس
يا رب وفقنا وابعد عنا إبليس

(١) سلمنت : قرية قريبة من أنشاص ، وكذلك «ميت معلا» .

وفي الختام أهدي ألفين شكر وزيادة
لضيفنا اللي ملونا بشر وسعادة
عقبال ما بيجو يزورونا بالسنة الجاية
ما هي خلاص دي بإذن الله بقت عادة

* . * . * . * . * . *

عريس المستقبل

[صور للحياة الزوجية كما يراها الشاعر . نشر هذا الزجل بمجلة
البعكوكة في ١٠ / يوليه / تموز / ١٩٥٥].

يا كريمة أنا جيت اتقدم
واديني شاب ومتعلم
عزيمتي يا عروسة قوية
وفي الشهادة الثانوية
طيب.. ومن عيلة أصيلة
وخصالي محبوبة جميلة
ما نيش غني.. لكن يعني
وتطلبني إيه غير إني
جانبني عش جميل وسعيد
وكل يوم الود يزيد
وفي غرام روميو وجوليت
ومدام حانبقى سوا في البيت
حاكون أنا أمر ناھي

أكون عريس المستقبل
وللنجاح دائماً بعمل
وقلبي كله أمل وطموح
وطريقي قدامي مفتوح
غاوي الهدوء مش غلباوي
يشهد عليّ الشرقاوي
الحالة عال مش بطالة
على أهلي مش عايش عالية
أساسه حبي وحنانك
يملا عواظفي ووجدانك
نقضي الحياة الزوجية
ما فيش معارك زجلية^(١)
والكلمة راح تبقى بتاعي

(١) معارك كانت تثيرها مجلة البعكوكة بين الزجالين .

أراضيكى لكن والله
فيه لسه حاجة حاقولها لك
لو كنت حاتطولي بالك
أنا ضد إعطاء الستات
لاف برلمان ولا ف انتخابات
بيتك ويس دا مملكتك
ريهم أنتي ف مدرستك
لو تطمعي.. عندي عصايتي
ولو انها يعني خطيرة
حا تبقى بالحب جديره
شيء م الحقوق السياسية
كافر بدعوة درية^(١)
والشعب جوزك وعيالك
يقي اتفقنا على ذلك..؟..

* . * . * . *

(١) درية شفيق.. وكانت الدعوة إلى حقوق المرأة إذ ذاك، كغيرها من الدعوات المزيفة المنحرفة.

في المعركة الزجلية (*)

يا عم الحاج أنا آسف
وأصلي من زمان عارف
صحيح أنا قلت بلساني
واديني با عتذر تاني
لأن النعل لو ينزل
ومش ممكن أنا أقبل
كتابتك للغباوة مثال
وجاي تعمل لنا رجال
مشبعنا كلام فاضي
زمانك راح مع الماضي
كلام داروين صحيح معقول
لكن لو شافك أنت يقول
حا تفضل خيبة طول عمرك
وتكتب يومها على قبرك
معاك أنا أصلي بتساهل
لو أنك يعني «تيس» تاهل
لكن حا ارجع أقول لك ليه
لأني غلظت في حقك
وساخة أو لعدي بقك
إهانتك بالوطا لازمه
لكن مش لك .. دا للجزمه
على صداغك ح يتوسخ
يروح في الوحله ويلخ
وخيبتك عندنا تقيله
يا شيخ قفل.. جتك نيله
وعامل في الميدان ده أمير
وليه ما خدوكش في التطهير؟
وبنلاقي عليه برهان
بأن القرد كان إنسان
وحا تموت م البالغ مهري
هنا العرة هنا فكري
وأقول راجل كبير معذور
و«مع ذلك» جبان مغرور
وأنا عاملك صاحب ليه

(*) نشر في العدد السابع من مجلة البعكوكة تاريخ ١٩ يونيو/ حزيران ١٩٥٥.

وتستعجل وترفض ليه تتر وتعترف بيه
وبعد أنصحك على خيبتك وخيبة زجالين بلدك
أقول اللي نتف شيبتك ومن فن الزجل طردك
وأخشى أموت يا شرقاوي يا ناس كُـل إخوانك
على زيارتك أنا ناوي بسرعة ابت لي عنوانك
أمانة لو تلاقي حمار في ٩ شارع الليثي
هاتولي أما اركبه مشوار وأعميه العمى الحيثي

* . * . * . * . *

الفول أكلي ما حييت (*)

الفقرُ يملأ بالمذلةِ كاسي
لا الجيبُ يعمرُ بالنقودِ ولا يدي
أصبحتُ باطي والنجوم^(١) ولا أرى
الفولُ أكلي ما حييت . . وإنني
قد كدتُ يا قومي أصيخُ منهقاً
البطنُ خالٍ - كالجيوب - وأشتهي
وإذا مشيتُ فإنني متهالك
وأمرُ بالحاتي فأهتفُ قائلاً:
قد بعثُ مهري^(٣) الهدوم وفي غد
وإذا ذهبتُ لحفلةٍ أشدو بلا
فهنالك من يأتي يهدد صائحاً:
فألمُ أبياتَ القصيدِ وأنثني
ويظلُّ ينخلُ الحذاءَ على الثرى
لو كان هذا الفقرُ شخصاً بيننا

إني سأشهر في الورى إفلاسي
فيها فلوسُ زيِّ كلِّ الناس
أحدٌ يُخففُ كُرتي ويواسي
متحرقٌ شوقاً إلى القلقاس^(٢)
وتخلعت من أكله أضراسي
ما في المساميط من لحومِ الراس
وأكادُ ألفظُ جائعاً أنفاسي
كم ذا يكابدُ مفلسٌ ويقاسي
سأبيع حتماً للعبادِ نحاسي
أجر، كعبدِ الحيِّ أو حواس^(٤)
أجلسُ لحاكِ الله من هلاس
أمشي على الطرقاتِ كالمُحتاس
فمقاسُ صاحبه خلافُ مقاسي
لقطعتُ حالاً رأسه بالفاس

(*) نشرت بمجلة البعكوكة في ٢٤ يولييه تموز سنة ١٩٥٥ .

(١) يقال : باطه والنجم - مثل عامي يضرب للإفلاس . يعني ليس بين إبطه والنجم حائل . . إن ذراعة عارية ، ويده خاوية .

(٢) القلقاس : البطاطا المسلوقة .

(٣) مهري أصله مهروء : للحم الذي زاد نضجه حتى سقط عنه العظم ، شبه به ملابسه البالية .

(٤) أسماء مغنين مشهورين بمصر آنذاك .

بلدي (*)

على ترعة الإسماعيلية
عملوها مدينة سياحية
على شط الترعة الحلوة
دا جمال الدنيا في غنوة
النار في القلب أهى والعة
طفوها يا شائلة الزلعة^(١)
بلدي روضة من الجنة
والقلب فرح واتهنا
جناينها فتنة وزينة
والخير بقي ملو ايدينا
كم مرة يعدي علينا
نعطش ونشوف بعينينا
مطبوع في ذهني مناظر
والخير كان يا خدة الناظر
دلوقت بقت حاجة تانيه
دره في جبين الوادي
لجمال الجو الهادي
امشي اتمخطري يا صبية
منك ساعة الصبحية
م الحسن صبحت في حيرة
دي المية معاكي كتيرة
لجمالها البال بيروق
من يوم ما طردنا فاروق
حرمونا كتير من نورها
ويوماً لي على الله بزورها
شم نسيم ما نعتبها
ميتنا ولا نشربها
من أيام التفتيش
والي زارعيه ما فيش
شمت بالثورة نفسها

(*) ٢٤ / يولييه / تموز / ١٩٥٥ .

(١) الزلعة : جرة الماء تصنع من الفخار.

دائماً بالخير والتقوى والود عاشت مليانة
وكفاية ان احنه شرافوه بالجود الناس عرفانه
يا ما شفتي كثير يا بلدنا أقول إيه وأعيد إيه يا أنشاص
دا احنا أحسن من أجددنا ما انزاح الظلم خلاص

* . * . * . *

حديث أم علي صباح العيد

[صورة ريفية أصيلة الملامح صادقة التعبير، نشرت بمجلة
البعكوكة في ٣١ يولييه / تموز / ١٩٥٥].

يا حاجّ قوم الفجر شقشق واصحّ
ياللا البسي واتجهزيّ يا عروسة
ويقول على ميعاد الفرح ويشورنا
ونخلي حسادنا تبات مفروسة
ماله كده وادني ليه من يومه
علشان يقوم من فرشته يتشطف
رايح يصلي العيد هناك في الجامع
عيده على الإسلام بخير واتلطف
والسكر اشتريناه وبُنّ القهوة
ما تشوفي شغلك ياللا ليه اللبخة
أطلع على خالك حسن بالرحمه
إبقي انت بس ارمي الحطب للطبخه
قوم يا بني قوم ياللا استحمه وغير
والشمس طلعت وانت برضك نايم
دلوقت راح يجي لنا بسكاكينه

عيدنا الكبير جانا يتمّ الفرحة
فين يا خديجة شبشبك والطرحه
أحسن عريسك جاي لنا حايورنا
ويزيد هنانا في البلد وسرورنا
صحي أخوكي على قوام من نومه
الميه سخنة وجهزي له هدومه
هاتي المداس أحسن أبوكي طالع
يا ربّ آدي أنت أهه شايفني وسامع
المندره نضفيه تمللي وحلوة
أنا خايفة ليطبوا الضيوف على سهوة
رياحة القرافة يا بنتي قبل الزحمة
وأديني جهزت الحلّل للحمّة
قوم يا علي هوّه أنت لسّه صغير
مِ الفجر والنوم من دماغني مطير
جزار بلدنا من زمان داعيينه

وخروفنا من رجب اللي فات شارينه
لما الصلا تخلص أبوك حاشوفك
اصرف على نفسك وحيّ ضيوفك
واعمل حسابك راح تروح وتعيد
الجحش عندك في الزريه مقيد
يا ربّ خيرك على الغلابه دايم
بوس إيده يذكّ قوام مصروفك
أولاد خالاتك يا علي حايجولك
على ست أبوك اختك وجوزها سيّد
يا رب يا بني يبلغك مأمولك

* . * . * . * . *

صديق في ضيق

[للشاعر صديق كثيراً ما كان يورطه كرمه وحيأؤه في مغارم
تخلف له الضيق والحاجة، وقد نشر الشاعر هذه القصيدة في
١٥ / ديسمبر كانون أول / ١٩٥٥ يداعب صديقه على أثر
ورطة ذهبت بمصروفه الشهري...].

ما بين بؤسٍ وضيقٍ	عش حائراً يا صديقي
ضيفك اليوم جاءوا	من كل فج عميق
وليس يأتون إلا	في كل ظرف دقيق
«السينما» والمقاهي	صحبتهم.. كالغريق
ولست تملك قرشاً	في جيبك المخروق
ضيّعت «مصرف» شهر	فيما لهم من حقوق
فداؤك اليوم نفسي	من حاتمي عريق
كم استلفت نقوداً	من «هيكل» المزنوق (*)
راحت جميعاً عليهم	يا للشعور الرقيق
قد غادروك لغلبٍ	مُرّاً وتنشيف ريق
«فتوح» يصرخ: مالي	ومالهم، في زعيق (*)
و«عابد» بات يهذي	في غضبة المفلوق (*)
والشيخ «هيكل» جفت	دمأؤه في العُروق (*)
فتم بكل غروب	ولا تقم في الشروق
واهرب ولا تبد يوماً	لِزائرٍ في طَريق

(*) أسماء الذين كان يستدين منهم صديق الشاعر من أصحاب المحلات والأصدقاء.

من وحي الرحلة

[كان الشاعر في رحلة لطلبة معهد الزقازيق إلى الأقصر
وأسوان، وفي حفلة سمر أقيمت بمعسكر الشباب بأسوان مساء
يوم ٣٠ يناير كانون الثاني ١٩٥٦ ألقى هذه القصيدة...]

أتيك إلى هذه الرحلة
وقيل لي: الزبي لا تنسه
وقد لبس الكل ما عندهم
وهأنذا بينكم قد ظهر
وما أنس لا أنس أمر الطعا
غموسي أكثر ما قد حمل
وما ينفخ الخبز في شنطة
لقد قتمروا في مصاريفنا
إذا قلت هاتوا لنا مأكلاً
وها نحن لم نلق زاداً لنا
و«شاهين» جاء لنا عامداً
وراح يقطعها بيننا
وما قال: هاشم.. خذ حنة
فأقسم إن لم يجيوا لنا
ويحصل طبخ ولهط وشف
سنعلثها ثورة لا تلين

أجرُّ أذيال كاكولتي
فلم تنج رأسي من عمّتي
من البنطلون إلى البدلة
ت حزيناً.. بهاتيكم البلوة
م أوقع الكل في ورطة
ت وعيشي تضيق به شنطتي
وقد كان يوضع في قفة
وما «لا يمونا» على الفكّة
يقولون: هل نحن في ختمة؟
سوى العيش والملح والجبنّة
يحنّسنا اليوم بالفرخة
ويبلغ ما طاب من لحمة
وقد كنت نفسي في حنة
لحوماً من الغد بالأقّة
ط ونغرق في الدهن والفتنة
وكم أشعل الجوع من ثورة

ذكرى (*)

على باب حارتنا الفرحة جايه ورايحه
حارة الأمانة ياللي زي الجنة
قبل الصيام ادي احنا أهه حانعيد
ولا كل فرح يتم زي فرحنا
ادعوا حباينا وجيرة الجيرة
قابلني يا أمة وكنت شايله الزلعة
بانشر غسيلي يا أمة في الشمسية
جيته يا أمه دي الجدع جيته
يا مقسم الأفراح وناسي نصيبي
والله إن قابلته في الطريق لاندلهه

وازاي يا قلبي راح تساع الفرحة
ندرن عليه لافرشك بالحنه
عيدنا الكبير يوم (...).
إحنا اللي فيكم يا عواذل إحنا
بس ادعوا الحسن نيكووا م الغيرة
خلا الفؤاد من حبه زي الولعة
خطى السطوح وجه قعد وياه
والحب باق في عينيه ما جنيته
دا مسيري يوم افرح بقرب حبيبي
واطلب رضاه واخده واطير من أهله

* . * . * . *

(*) أول ابريل / نيسان / ١٩٥٥ الواحدة صباحاً.

أمير الهههه

إزميل أزهرى التحق بكلية دار العلوم، فتبدلت حالة وتبدل في مسلكه. نظم الشاعر فيه هذه القصيدة الساخرة. تاريخ القصيدة/ ١١ يناير/ كانون ثانى/ ١٩٥٧].

زينُ الشباب الجامعي التابعيُّ التابعي
الضاحكُ المرحُ الطروب العاطفي اللوذعي
«الدون جوان» الفدُّ من تهوَاهُ ذاتُ البرقع
الغيثُ قد دلَّعنه أفديه من متدلع^(١)
قد كان يبدو الأزهرى لهنَّ مثل البُبعِ
حتى أتى هذا فقوبل بالفؤادِ المولعِ
يا صاح: يا ملكَ الفكاهة.. يا أمير الهههه^(٢)
أصبحت تجتذبُ القلوبَ بمشية المتقمع^(٣)
ويشارُ نحوك إن مررت على الحسان بإصبعِ
أنسيَّت ما حوت المتونُ وما رواه الأصمعي
أنسيَّت يوم تخرقتُ عيناك من جخلنجع^(٤)

(١) المدلع: الناشيء في العز والنعمة. وهو من كلام المولدن.

(٢) الهههه: اسم صوت من هع.. هع.

(٣) المتقمع: المتحير. ولكن هذا اللفظ في معناه الشائع الذي يقصده. الشاعر يطلق على المختال.

(٤) جخلنجع: إشارة إلى الألفاظ الحوشية الغربية.

الآن تأسُّ بالفتاةِ ولا تقولُ افرنقعي^(١)
فإذا استعطتْ خداعهنَّ فإننا لمْ نُخدعِ
إني أرى أثرَ العمامةِ في جبينِ المجدعِ

* . * . *

(١) افرنقعي : تنجي ، ابتعدي .

مشي الهلافت

لا بالملام ولا بالنصح تتفَعُ
 رأيتُ ذقنك مثل الصوف شايبةً
 كييفُ مرمطةً.. حَرِيْفُ شعْبَطَةٍ
 وأنتِ مِشْ عَيْلٌ حتى يَلِيْقُ بِهِ
 قضيتُ خمسين عاماً كلها قرفُ
 عارٌ عليك، إذا أصبحتِ منحيأً
 وقد بدا رغم «مكياج» تزاوُلُهُ
 قطعَتْ عمركَ في هزلٍ ومسخرةٍ
 فكم سهرتُ بكازينو تبعزق في
 وإن رأيتِ «لهاليو»^(٢) لك ابتسمتِ
 لك انبساطٌ وتهيِصٌ وفرفشةٌ
 وحين تطلبُ شيئاً منك تطبخُهُ
 اسمع كلامي يا هذا وكن رجلاً

متى أراك عن التهليس^(١) تمتنع
 ولستَ عن سيرك البطل تنقطع
 من غيرِ لخبطةٍ للطيشِ تندفع
 هذا الهزار وهذا اللهو والدلع
 حتى كبرتِ وعاد الضرس ينخلع
 وفيك كلُّ صنوفِ الهلس، والبدع
 في رأسك الأبيضان: الشيب والصلع
 وعندك البؤس بالتشيح يجتمع
 مصروفِ بيتك والأولاد ما شبعوا
 تطبُّ في حبها كالعجلِ إذ يقع
 وللولية^(٣) هم القلبِ والوجع
 أراك تخلق أعداراً وتخترع
 مَشِي الهلافتِ مَشِي ليس ينبلع

* . * . * . *

-
- (١) التهليس: من الهلس وهو داء يسلب العقل، وهو في العامية قريب من هذا المعنى.
 (٢) لهاليو: من الأسماء التنكزية أو الساخرة للراقصات.
 (٣) الولية: كناية عن الزوجة.

هل تعرف أساتذتك؟

[ثمانية من أساتذة الشاعر بكلية دار العلوم، وصف كلا منهم
بمسياه ثم تسأل من يكون؟].

بالثبَلِ معروفٍ ودي مش حاجة من عندي
وكلنا نشيله في العين دي وفِ العينِ دي
ملاكٌ على الأرضِ ماشي، واما بنقابله
في رحمةِ الأبِّ ياخذُ مِننا ويدي
دا يبقى مين؟^(١)

أستاذ ما يرضاش عن اللِّي يمشي بالمقلوب
طلَّعَ كلامِ سيويه في النحوِ كلُّه عيوبُ
وتناقشه ف محاضرتَه تضربُ معاك لخمه
وان كنتُ غالبٌ.. تملِّي يقعدك مغلوب
دا يبقى مين؟^(٢)

محاضرتَه فِ الغزلِ أحلى من التوفي
كتبِ فِ أنواعه: كن ليه نسي الصوفي

(١) الأستاذ علي الجندي عميد كلية دار العلوم (سابقاً).

(٢) الدكتور عبد الرحمن محمد أيوب.

أسلوبه أسلوب جميل لكن بتحفظ فيه
نصوص كثيره.. يا خوفي منها يا خوفي
دا يبقى مين؟^(١)

النقد بيدرسه بطريقة عال العال
لكن احنا ما فهمناهاش.. والحق راح ينقال
وعلشان ما يظهرش منا الجهل قدامه
كنا بنسكت ولا نسألش أي سؤال
دا يبقى مين؟^(٢)

شرقاوي طيب، وقلبه أبيض من النيكل
شاعر، وف محاضرتة أسرع من الديدزل
تعبت علشان أجيب القافيه على اسمه
ما لقيتش إسم يساويه في الوزن غير فيصل
دا يبقى مين؟^(٣)

باحث وعقله كبير فعلاً، ودا مش فشر
ومعلوماته عظيمة تستحق النشر
جبه السنه دي جديد وادانا في التطبيق
حاجات كثيره ذاكرنا منها بيحي العشر
دا يبقى مين؟^(٤)

عالم متين، وان سألته سؤال يروح زهقان
إدانا في الفقه مقلب مستوي مليون

(١) الدكتور أحمد الحوفي .

(٢) الدكتور محمد غنيمي هلال .

(٣) لدكتور أحمد هيكل .

(٤) الدكتور كمال محمد بشر .

وجابُ لنا أسئلة صعبة ما حلَّهاش
وتقابله يضحك.. كأن اللي جرى ما كان
دا يبقى مين؟^(١)

دينمو في دار العلوم مليون حاجات تنفع
لكل فكرة جميلة يُعتبر منبع
آراؤه دائماً سديدة، بس في الجامعة
روتين معقد.. ومين يقرا ومين يسمع
دا يبقى مين؟^(٢)

* . * . *

(١) الأستاذ بدران أبو العينين بدران.

(٢) الدكتور عبد الحكيم بليغ.

في المعركة الزجلية

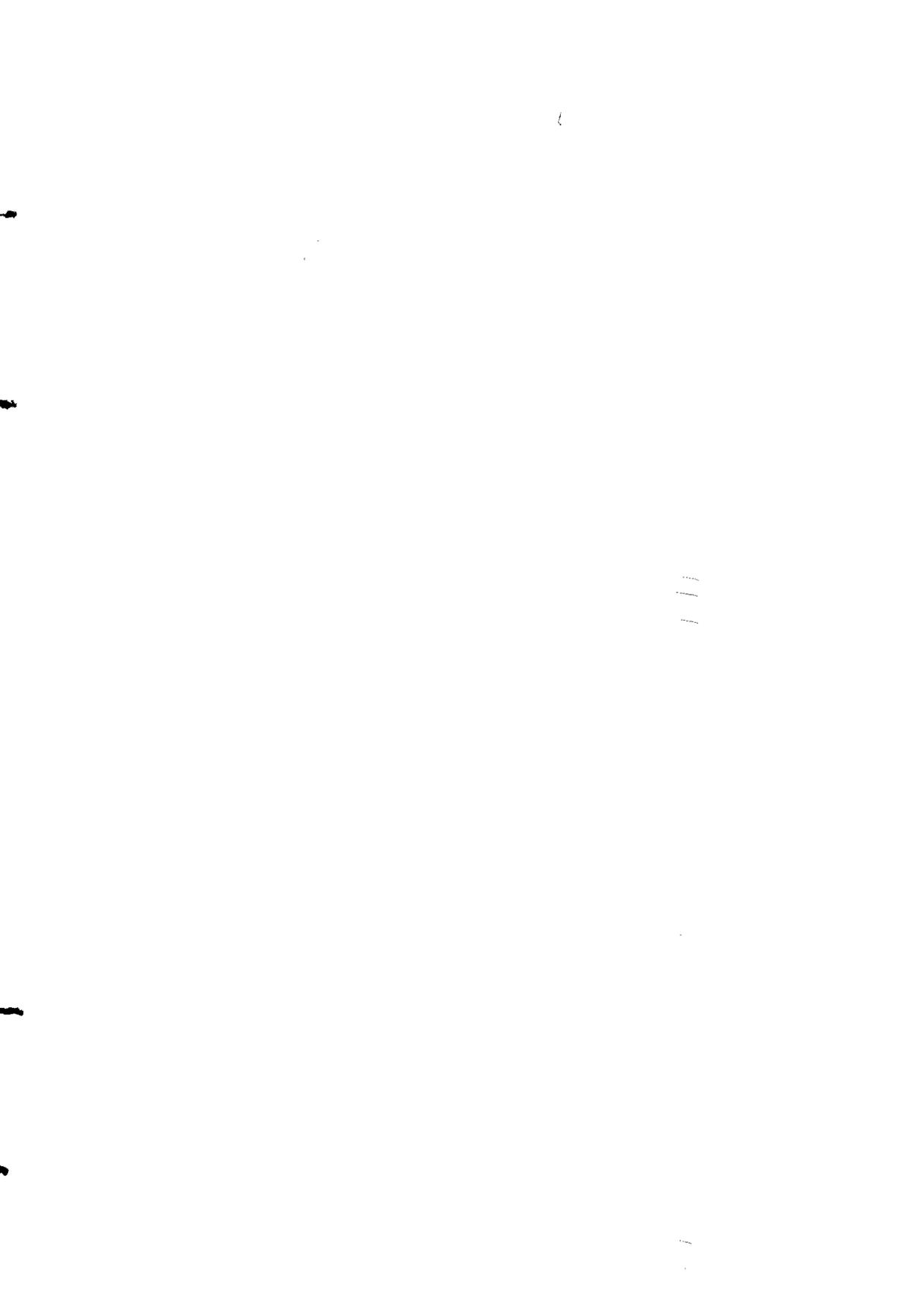
[أنشاص]

شو فوله مركوب وأدوله	دم في طوله
وهاتوا كوديه ودقوله	يمكن ملبوس
الراجل الندل الخايب	أبو ديل شايب
من غير لجام تلقاه سايب	علشان منحوس
الفن من أمثاله بريء	واطي ودنيء
وان كان ما يسمعش التهزيء	يصبح عيان
شلق، سفيه، جاهل عرّه	إطلع بره
ما لكش مطرح بالمرّة	جوه الميدان
قدرت تشتمني.. يا ويلك	يا سواد ليك
ولسه بتهزف في ديلك	لكن على مين
يا للي المرّة أحسن منك	لازم أرنك
دا مستحيل أبداً إنك	م البني آدمين
كل اللي بيشوفك على طول	يرمي لك فول
وادي احنا أهو من غير ما نقول	عارفينك دون
في العطارين لما يقابلوك	يمشوا يزفوك
ودغري على وشك يكفوك	يا بو داء ملعون

أهـ... يا خروف نطاح وحياة ما رد يا مشكاح راح تتلين قول انشا الله أما سماجه فيك حاتسله واكشف غشك يا زميل إبليس ليه يا مغفل وبلاش تهليس لو تلمسني كونك مغرور ربي عيالك بزيادة يا طور يا خراب بيتك مش بدوره صعب وحمي حامحي وجوده تشتما فيه يا بتوع أيوه وكله من ده حالعن له أبوه	<p> خلينا نضحك على جهلك حاسب لتغرق على مهلك بلاش بقى تصب تلامتك مالك كمشت كده... سلامتك رذالة ما تقولش مزين نهارك أسود ومطين طب لا أنت زجال ولا حاجه إيه البرود ده يا تلاجه حلفت يا فكري لادشك الكل حا (...). في وشك عالفن جي بتتطفل قفل دا جهلك بان... قفل أبعد بعيد لتنجسني عجوز زغبي واللي فارسني خليك يا حاج بقى في حالك صعبان عليّ اللي جرى لك حاكسب ثواب لو ربيتك ما ابقاش أنا إن ما سقتك يا زجالين آدي كلامي واللي حا يظهر قدامي وإن جيتو يا إسكندرانيه حاخلي أثنخكو وليّه اديني علناً باتحدى والله أشوفه هايتعدى </p>
--	--

القِسْمُ الثَّالِثُ

مَسْرَحِيَّةُ شَهِيدِ بَنِي عَدْرَةَ



تعريف بالقصة (*)

[هو عروة بن حزام بن مالك بن ضبة بن عبد بن عذرة، شاعر
لييب حاذق، متمكن في العشق، قيل إنه أول عاشق مات
بالحجر من المخضرمين أو من العذريين، ولشدة مقاساته في
العشق ضرب به المثل بين العرب والمولسدين].

قال المجنون:

عجبتُ لعروة العذريِّ أمسى
وعروة مات موتاً مستريحاً
أحاديثاً لقومٍ بعد قومٍ
وها أنذا أموتُ كلَّ يومٍ

وقال قيسُ لُبنى:

وفي عروة العذريِّ إنْ متُّ أسوءُ
وبي مثلُ ما قد نابهُ غيرَ أني
وعمر بنِ عجلانَ الذي قتلْتُ هندُ
إلى أجلٍ لم يأتني وقته بعدُ

وقال جرير:

هل أنتِ شافيةٌ قلباً يهيمُ بكمُ
ما في فؤادي من داءٍ يخامرهُ
لم يلقَ عروةً من عفرَاءِ ما وجدَا
إلا التي لو رآها راهبٌ سجدا

وقال أبو عيينة:

فما وجد النهدِيُّ إذ مات حسرةً
عشية بانَت من جباله هندُ

(*) داود الأنطاكي : في كتاب «تزيين الأسواق».

ولا عروة العذري إذ طال وجدُهُ بعفراء حتى شَفَّ مهجته الوجدُ
كوجدي غداةَ البينِ عندَ التفاتِها وقد طأرَ عنها بين أترابِها البردُ
إلى غير ذلك.

وعفراء هي بنت هصر أخي حزام، كلاهما ابنا مالك، من بطن من العذريين يقال له «نهد» قال في تسريح النواظر: إن سبب عشقه لها أن أباه حزاماً توفي ولعروة من العمر أربع سنين، وكفله هصر أبو عفراء فانتشأ جميعاً، فكان يألّفها وتألّفه، فلما بلغ الحلم سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجها إلى الشام ببيعير له، وجاء ابن أخ له يقال له أثلة بن سعيد بن مالك يريد الحج فنزل بعمه هصر، فبينما هو جالس يوماً تجاه البيت إذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصمها تحمل جداوة سمن وعليها إزار خز أخضر، فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة. فخطبها من عمه فزوجه بها. وإن عروة أقبل مع العير وقد حمل أثلة عفراء على جمل أحمر، فعرفها من البعد وأخبر أصحابه، فلما التقيا وعرف الأمر بهت لا يحير جواباً حتى افترق القوم فأنشد:

وإني لتعروني لذكراك رعدةً لها بين جلدي والعظامِ ديبُ
فما هوَ إلا أن رآها فجأةً فأبهتَ حتى ما يكاد يجيبُ

وحين وصل الحي أخذته الهديان والقلق وأقام أياماً لا يتناول قوتاً حتى شفت عظامه ولم يخبر بسرّه أحداً. وكان باليمامة عراف يقال له رياح بن راشد فحملوه إليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقي فلما لم ينجع ذلك أخبرهم أن ما به ليس إلا من العشق. فلما أحس عروة باليأس أنشد:

فقلك لعرافِ اليمامةِ داوني فإنك إن أبرأتني لطيبُ
فما بي من حمى ولا مسّ جنّةٍ ولكن عمي الحميرى كذوبُ

بنا من جوى الأحزانِ والبعدِ لوعةً تكادُ لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ
وما عجبي موتُ المحبينِ في الهوى ولكنْ بقاءَ العاشقينَ عجيْبُ

وحُمِلَ إلى عرافٍ آخرٍ بنجدٍ ففعل به مثل ذلك فأنشد في نونيته:

جعلتُ لعرافِ الإمامةِ حكمةً وعرافِ نجدٍ إن هما شفياني
فما تركا من رُقيةٍ يعلمانيها ولا سلوةٍ إلا وقد سقياني
وما شفيا الداءَ الذي بي كلُّه ولا ادخرَ نصحاً ولا ألواني
فقالا شفاك اللهُ، والله ما لنا بما حملتْ منك الضلوعُ يدانِ

ولما أيس من الشفاء تمرض بين أهله زماناً حتى شاع انتحاله في العرب مثلاً وأن ابن أبي عتيق مرَّ به يوماً فرأى أمه تلاطف غلاماً كالخيال فسألها عن شأنه فقالت: هو عروة، فسألها نضو الغطاء عنه، فلما شاهده قضى عجباً، ثم استنشده فأنشده: «جعلتُ لعرافِ الإمامةِ . . الأبيات». ولما علم الضجر من أهله قال لهم احتملونني إلى البلقاء فإني أرجو الشفاء. فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر في مظان مرورها عاودته الصحة، فأقام كذلك إلى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له: متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحككم بكثرة ما يتشعب بكم. فقال: من؟ قال عروة، قال: أنت أحق بما وصفته به، والله ما علمت بقدمه. وكان زوج عفراء موصوفاً بالسيادة ومحاسن الأخلاق في قومه، فلما أصبح جعل يتصفح الأمكنة حتى لقي عروة فعاتبه وأقسم بالمحرجات أنه لا ينزل إلا عنده، فوعده ذلك فذهب مطمئناً وأن عروة عزم ألا يبيت الليل وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى دون منازل قومه.

ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها: قد تعلم ما بينك وبينى وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد، وأن ذلك على الحسن الجميل، فهل تأذن

لي أن أخرج إلى قبره فأندبه فقد بلغني أنه قضى؟ قال: ذلك إليك..
فخرجت حتى أتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلاً ثم أنشدت:

ألا أيها الركبُ المحثون ويحكم بحق نعيتم عروة بن حزام
فإن كان حقاً ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك راحةً ولا رجعوا من غيبةٍ بسلام

ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة.
ولما قضت دفنت إلى جانبه فنبتت من القبرين شجرتان حتى إذا صارتا
على حد قامة التفتاً، فكانت المارة تنظر إليهما ولا يعرفان من أي ضرب من
النبات.

وكثيراً ما أنشدت فيهما الناس. فمن ذلك قول الشهاب محمود:
بالله يا سرحةً الوادي إذا خطرت تلك المعاطف حيث الرند والغار
فعانقيهم عن الصب الكئيب فما على معانقة الأغصان إنكار

وتوفي عروة بن حزام على ما ذكره الذهبي في تاريخه في خلافة
عثمان سنة ثلاثين من الهجرة.

* . * . * . *

أشخاص المسرحية

عروة بن حزام : عاشق عفراء وابن أخي هصر.
هصر بن مالك : من شيوخ بني عذرة ووالد عفراء.
عفراء : محبوبة عروة.
أثالة بن سعيد : زوج عفراء وابن أخي هصر.
عبد الله بن أبي عتيق : من وجوه العرب.
أم عروة :
أم عفراء :
العراف : طيب نجد.

أبو سلمى

من رجال بني عذرة.

عامر

راشد

سعاد

صديقتان لعفراء.

رباب

«رجال - نساء - فتيان - فتيات»

زمن الرواية : عصر الخلفاء الراشدين.

مكان الرواية : الجزيرة العربية.

الفصل الأول

المنظر : ساحة في حي بني عذرة أمام خباء هصر بن مالك أحد شيوخ القبيلة
يجلس هصر متوسطاً ثلاثة من رجال الحي

راشد :

يا قومُ ماذا ترونَ اليومَ في حدثٍ

أبو سلمى : ما ذاك؟

راشد :

نارٌ يكادُ الشرُّ يضرُّمها
إنَّ ابنَ عفانَ قد مادَتْ خلافتُهُ
ما زالَ بالفتنةِ العمياءِ يُشعلُها
آلتُ إليهِ مقاليدُ الأمورِ فما
ذُوو قرابتهِ صاروا الولاءَ ولا
ما كانَ هذا يُرى من صاحبيهِ ولا
لكنَّها بدعةٌ من قبلُ لم نرها
هي الطبيعةُ تأبى غيرَ خلتها

شعواءُ، نكباءُ، لا تُبقي ولا تذر
هيهاتَ ينفعُهُ الإشفاقُ والحذرُ
حتى ترائى لها بينَ الورىِ شرُّ
ساسَ الأمورِ كما قدَّ ساسها عمرُ
ترى سواهمُ بثوبِ الحُكمِ يأتزُرُ
جاءت بهِ عنهما الأخبارُ والسيرُ
من خلفها كامنُ الأهواءِ يستترُ
إنَّ الخليفةَ من قبلِ التقيِ بشر^(١)

(١) لقد تابع الشاعر أراجيف المبطلين الذين أساءوا إلى تاريخنا، وجرحوا صحابياً كريماً له من شهادة رسول الله ﷺ - ما يكفيه - وليس ذلك بعجيب، فالشاعر آنذاك شاب يدرس التاريخ - كغيره من الطلاب - من الكتب المدرسية التي ألفها تلامذة المبشرين، وهذه لإتهامات لا تقوم أمام الحجة الصادقة، والقارئ الكريم يستطيع =

هصر :

يا قوم ما هكذا . . لا تظلموا رجلاً
ممن أعزت بهم في الأرضِ شرعتنا
السابقون إلى الإسلام ليس لهم
هذا لعمرى حديثُ الشرِّ فاقصدوا

أبو سلمى :

لا، لانظنُّ بهِ سوءاً فإنَّ لهُ
لكنُّه اللينُ، لا أبغي سواه بهِ
واللين - في بعض أحوالٍ - له ضررُ
يداً على الدين لا يخفى لها أثر

عامر :

الحقُّ ما قاله . . . عثمانُ نعرفُهُ
لكنَّ قوماً له صاروا حكومتُهُ
بنو أميةٍ مذ كانوا ذوو دَخَلٍ
قومٌ من الشرِّ صيغوا، لا تزالُ بهم
هل كانَ كيدُ أبي سفيانٍ مُستتراً
ذاك الذي تعرفُ الدنيا مَكِيدَتُهُ
الحقُّ يا قوم ما أبديه بينكمُ :
أخا تُقى، ليس في صفوٍ له كدر
في الناسٍ لم يُرضِهِم بدوٌ ولا حضر
لم يُسلموا عن رضى، لكنه الخورُ
للجاهليةِ في أخلاقِهِم صور
للدين، أو كان منه البغي ينحسر
إذ جاء في أحدٍ للكفرِ ينتصر
إنَّ الخليفةَ للتوجيهِ يفتقر^(١)

= أن يعود إلى كتاب (عثمان الخليفة المفترى عليه) للأستاذ صادق عرجون وإلى كتاب
(أبو ذر الغفاري) للأستاذ منير غضبان، ليتعرف إلى بعض الحقائق التي حاول أعداء
الإسلام إلصاقها بتاريخنا وتابعهم في ذلك الجاهلون.

(١) الإسلام يجب ما قبله، وأبو سفيان أصبح صحابياً كريماً واشترك في الفتوحات
الإسلامية ولا يجوز رمية بالكذب أو النفاق، وقد حسن إسلامه (انظر كتاب معاوية
بن أبي سفيان) للأستاذ منير غضبان، ولعل أكثر هذه الافتراءات على بني أمية من
التعصب لآل البيت تحت اسم التشيع.

أبو سلمى :

دعوا المقادير تأتي ما تشاء بنا
علّ الإله بروحٍ منه ينقذنا
نبئتُ أنّ لنا غيرَ سيرٍ غداً
للسامِ . هل صحَّ هذا القولُ يا هُصر

هصر :

عجبتُ منك أبا سلمى ألسـت ترى
الكلُّ في الحيِّ يدري أمرَ رحلتها
من حولك القومُ للأحمال قد بكروا
وأنتَ للآنَ لم يبلغْ لك الخبر

عامر :

عذراً له يا رفاقي إنَّ صاحِبنا
نساؤه قد أضعنَ العقلَ منه أما
قد زلزلتُ لبَّه الأحدثُ والغير
ترونه هالكاً قد ناله البهر

راشد :

إذا ألمَّ بسعدى جاءها وجلاً
وإن أتى زينباً كان الشقيِّ
يكادُ من سكراتِ الخوفِ يُحتضر

عامر :

في كلِّ صبحٍ تُرى والسوط في يدها
ولا كأمِّ سلمى ببابِ البيتِ تنتظر
وعندَ كلِّ مساءٍ يجثمُ الخطر

«يضحكون»

أبو سلمى :

أما لكم من حديثٍ غيرِ نائبي
هذا قضاءً من الرحمنِ سطره
أحزأكم الله لا يفنى لكم هذر
وهل يُردُّ قضاءَ الله والقدر

يلتفت إلى هصر :

ومن على العيرِ يرعاها بخبرتهِ
وهل يطولُ بها في الغيبةِ السَّفَر؟

هصر :

كلا، فَإِنَّ يَسَّرَ الرَّحْمَنُ بُغْيَتَهَا
وقد جعلتُ عليها عروةَ ابنِ أخي

راشد :

نِعَمَ الْفَتَى، إِنَّهُ لِلْخَيْرِ يُدْخِرُ
لا زالتِ اليَدُ بِالْأَمْجَادِ تَفْتَخِرُ

عامر :

قوموا إلى الرزقِ نسعى في تَطَلُّبِهِ
نضمُّ للعيرِ شيئاً من تجارتنا

«ينهضون»

أبو سلمى : هَيَّا.

هصر :

سأمضي إلى أقصى الحمى معكم لي في انطلاقي إلى أقصى الحمى وطر

[يخرجون... وتظهر عفراء خارجة من الخباء وفي نفس اللحظة تظهر سعاد ورباب
قادمتين لزيارة عفراء].

عفراء :

تعالِي سعادُ تعالِي رباب
فمن مُدَّةٍ ما اجتمعنا ولا
لعمركُ ما قد تبدلتما
نقصُ حديثِ المُنَى والشباب
عرَضنا لذكرِ أمانِ عذاب
وإلا فما بالُ هذا الغياب؟

«يجلسن».

سعاد :

وحقُّك يا أختُ أنتِ التي أحفُّ وأولى بهذا العتابُ

(١) يجب جزم تعود (تعُد) جواباً لحرف الشرط (إن).

هيناً هنا ما سَعِينَا إِلَيْكَ فهل عَزَّ مِنْكَ إِلَيْنَا ذَهَابٌ؟
رباب :

لَهَا الْعِذْرُ، مَنْ يَلْقَى أَحِبَّابَهُ يعزُّ عَلَيْهِ لِقَاءَ الصَّحَابِ
عفراء :

أَمَازِحَةٌ أَنْتِ، مَا لِلْغَرَامِ ومالي
رباب :

وَإِنِّي لِأَعْرِفُ أَنَّ الْفِؤَادَ لَهُ فِي الْهَوَى خَفَقَةً وَاضْطِرَابَ
يُوَدُّ ذَوُو الْعَشَقِ كَتْمًا لَهُ فَتَفْضَحُهُمْ زَفْرَةً وَاكْتِثَابَ
عفراء :

إِذَا كَانَ حَقًّا فَهَاتِي الدَّلِيلَ ففيهِ إِذَا شِئْتَ فَصَلِّ الْخَطَابِ
وقولي بِمَنْ هِمْتُ حَبًّا

رباب : به

يُرى فِي الْوَرَى أَجْسَرَ الْعَاشِقِينَ فَتَى فِي الدِّيَارِ رَفِيعِ النَّصَابِ
يَجِيئُكَ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَشَاءُ عَلَى زُورَةٍ فِي الْهَوَى وَاقْتِرَابِ
يَرَاهُ أَبُوكَ فَلَا غُضْبَةً وَلَمْ يَخْشَ لِلنَّاسِ سُوءَ ارْتِيَابِ
وَلَيْسَ يَضِيرُكَ أَنْ تَدْخُلِي وَلَا السِّيفُ يَتْرُكُ جُوفَ الْقِرَابِ
عَلَيْهِ خَبَاءٌ بَدُونَ النَّقَابِ

سعاد :

إِذَا كُنْتَ أَخْطَأْتِ فِي حُدْسِهِ فَقَدْ ضَلَّ مِنْكَ ادْعَاءُ وَخَابِ
فَمَا نَحْنُ يَا أَخْتُ مَنْ يَسْتَبْحَنُ عَلَى الْحَبِّ طَهْرًا كَبِيضِ الثِّيَابِ
نَقْدُسُ عِرْضًا بَدَا قَدْسُهُ يَرْفُ عَلَيْنَا رَفِيفَ الشُّهَابِ
لَنَا الذِّكْرُ قَدْ سَارَ فِي الْعَالَمِينَ يَفُوقُ شِذَاهُ أَرِيحَ الْمَلَابِ (٢)

(١) التغاب : التغابي والتجاهل.

(٢) الملاّب: طيب يشبه الزعفران.

كرامُ الشيوخِ نُقاةُ الشبابِ
وقامَ من الطُّهرِ فيهم حجاب
لهم في الصبابةِ طبعٌ وداب

بنو عذرةَ الطاهرونَ الأباة
إذا عَشِقُوا كان عِشْقَ التُّقاة
يموتون حباً لأنَّ العفافَ

عفراء :

أعروة من تقصدين ؟

هو الصبُّ

رباب : أجل

لم تنصفي يا رباب
حقوقَ عُرَى بَيْننا وانتساب
غراماً لقد قلتِ غيرَ الصَّواب

عفراء في اضطراب يسير:
فما هوَ غيرَ ابنِ عمٍ له
فهلْ تحسبينَ ودادَ القريب

رباب:

فليسَ في الأمرِ شيءٌ يُعاب
سنا بدره من لُجَيْنِ الإهاب
ولياك فيما وراءَ القباب
إذا التقيَا بعدَ طولِ ارتقاب
تواريتُ خلفَ نشوزِ الهضاب
تُحسِّسًا وجوديَ عندَ الإياب
فماذا يسمي .؟ أريدُ الجواب

رويدك يا أخت لا تُتكري
وإني خرجتُ بليلٍ كساهُ
فما كانَ مني سوى أنني
يضمُّكما مجلسُ العاشقينَ
فما كانَ مني سوى أنني
إلى أن تجاوزَ تُماني ولم
إذا لم يكنْ ذاكَ عينَ الهوى

سعاد:

أفي عَفِّ الهوى عارُ
فإنَّ الوجودَ قهَّارُ
جرتُ بالحبِّ أقدارُ

هبيها قد أحبتهُ
أقلى العذلَ وأتئدي
ولا تزجي الملام إذا

عفراء في خجل :

والعُشاقُ أسرارُ

على أني وإن أحببتُ

فحبي لا تُدَنَّسُهُ
لقد باتت تجمُّعنا
فما زُفَعْتُ على ريبٍ
من الأهواءِ أكَدَارُ
على عهدِ التُّقى دارُ
لنا في الحبِّ أَسْتَارُ

رباب:

أخافُ عليكم أَلْمَأُ
كأنِّي بالغمِّ مشتٌ
فردَّدها أحاديثاً
وغنَّي في البلادِ بها
هناك تحوُّلٌ بينكما
ولا تُقْضَى بقربكما
لنا من مَسِّهِ نارُ
به في البِيدِ أشعارُ
بجنحِ الليلِ أشعارُ
على الأيامِ مِزمارُ
تقاليدُ وأفكارُ
أمانِي وأوطارُ

سعاد:

سألتُ اللهَ بالعشاقِ رِفْقاً
وتلكَ عيونُهُم تنهلُ دمعاً
«تنهض . . وتتبعها رباب».

ويا عفرَاءَ طالَ بنا جلوسُ
وآن لنا القيامُ فطبتُ يوماً
رباب - مودعة لعفراء:

إلى اللقاء

[تخرجان وتبقى عفراء]

عفراء - مناجية نفسها:

أرى في الغيبِ ألاماً كباراً
فما نطقت ربابٌ بغيرِ حقٍ
مُحَوَّطَاتٍ بِأَسْتَارِ الخَفَاءِ
وإن أملتُ خيراً في القضاء

[يظهر عروة قادماً من الخارج متقلداً كنانته وقوسه]

عروة: سلامُ الله يا عفراء ء

فاسلم يا فتى العرب
ح^(١) لم تبرز من الحُجُبِ

تُ بعدُ النبع من كئِبِ
بصحبة فتية نُجُبِ
تَسَابَقْنَا فلمْ أَخْبِ
نحو الحيِّ سارَ أبي

اكأ في الغدِ هذي الأربعا
مسرعاً أطوي بهنَّ البلقعا

حفظَ اللهُ فتانا ورعى

بسهامٍ يختَرِ من الأضلعا
بات في الحيِّ رهيناً مودعا

قد شربْتُ الكأسَ منها مُترعا
يبعثُ الشوقَ إلى أن ترجعا
أعينِ باتتْ تسحُّ الأدمعا

عفراء :
أراك خرجت حين برا
فأين ذهبت ؟

عروة: ما جاوز
مشيتُ إليه مبتكراً
نصيدُ ظبائه وَلَكُمْ
وأين العمُّ يا عفرا
عفراء:

عُرُو،^(٢) هل تمضي مع العير؟

عروة: أجل
سأسوقُ العيسَ في عرضِ الفلا

عفراء :

في حمى الرحمنِ إنْ غَادَرْتَنَا
عروة:

لستُ أدري كيف ينأى ظاعنُ
أو يستطيعُ النوى من قلبه

عفراء:

لا تُثر في النفسِ آلامَ الهوى
فحنيني في فؤادي كامنُ
آه من قلبي ومن روحي ومن

(١) براح : الشمس .

(٢) ترخيم عروة :

عروة:

تحملتُ يا عفراءُ حُباً كأنه
فؤادي فؤادٌ ملؤه البُثُّ والضنى
فلا هو عن حبِّ ابنة العمِّ مُقصرٌ
وما زالَ مَدُّ نحيثُ عني تماثمي
نشأنا سوياً يجمعُ الشملَ بيننا
وماذا يفيدُ القربُ إن لم يكنْ لنا

عفراء:

تكلمتُ عن حبِّ تُقاسي عذابه
كلانا له في الوجدِ شكوى ولوعةٌ
عرفنا الهوى طفلين نرتادُ ربوةً
وكنّا نري للبيدِ ناشيء حُبنا
إلى حين أدركنا الشبابَ على هوى

عروة:

لنا الله يا عفراءُ ، ما كانَ بالغاً
سأفضي إليه اليومَ بالأمرِ علهُ
وأطلبُ قرباً بالزواجِ فربّما
عفراء - ناظرة إلى الخارج:

قد عادَ ثمَّ أبي

عروة: سأنشُدُ عندهُ
حُمَّلْتُ من ألمِ الغرامِ ونارهِ
سأنالُ منه العهدَ، عهدَ زواجنا
إنصافَ قلبينا فديتكَ فادخلي
فَحَمَلْتُ جهدَ الصابرِ المتحملِ
وَأبوعسى أيامي إذا لم يقبلِ

[«تدخل عفراء خبائها ويظهر هصر»]

هصر حُيِّتَ يا ابنَ أخي

من مُنعمٍ بين الحمى مُتفضِّلٍ
وعليه عندَ الحِداثِ مُعَوَّلِي

عروة: سلمتَ لنا أبي

أعدو على صرفِ الزمانِ بِحوْلِهِ

هصر بعد أن يجلس:

فلربَّ مدحٍ كان محضَ تقوُّلٍ

أجزلتَ يا ولدي ثناءكَ فاقتصد

عروة:

ولقد نشأتُ وفيضَ بركٍ منهلي
فظللتَ تשמلي بعطفٍ مسبلٍ
ومنحتني بر الكريم المجزل

أأكون منكِرَ نعمةٍ أوليتها

قد ماتَ عني في الطفولةِ والدي

وسقيتني شهدَ الرعايةَ ريقاً^(١)

هصر:

منهُ العنايةَ غيرَ ذاتِ تبدُّلٍ
ردُّ الحقوقِ عن الشاءِ بمعزلٍ
لرحيلِكُم؟

الفضلُ فضلُ أبيكَ عاشَ يُنيلي

ما ذاكَ إلا الدَّينُ قد أديتُهُ

أتراركَ قد أعددتَ عروةَ عُدَّةً

عروة:

عن ذاكَ لم أتمهَّلِ
والعيسُ عن أحمالِها لم أغفلِ
إن شاء ربُّ الكونِ فجرأ نرحل

كُل المطايا عندنا مزمومةٌ

هيأتُ للغيرِ الأمورَ وفي غدٍ

[يسكت برهة ثم يستطرد في خجل]

ضاقَ الفؤادُ بها ولمَّا يسأل
ألا تجودَ بها - أبي - لمؤمِّل

لكنَّ لي يا عمُّ عندك حاجة

أخشى إذا ما جئتُ أطلبُ نيلها

هصر:

إن ما طلبت؟ .. نطقتَ مينا فاعدل
ما كنتُ يوماً إن طلبتَ بمهمِّل

أبني، تخشى أن أردك خائباً

إني أراك ظلمتَ عمك في الوري

(١) الريق من كل شيء : أوله وأفضله .

سلفاً، فقل ما شئتُ لا تخجل

كُلُّ الذي تهوَاهُ فهوَ محقَّقٌ

عروة:

ولها بقلبي كلُّ ودٍ أنبلِ
إني أحقُّ بها فماذا قلتَ لي؟

عفرَاءُ يا عمي، رفيقَةُ نشأتي
وأريدها بينَ المنازلِ زوجةً

هصر:

أمراً عسيرَ النيلِ غيرَ مُذلِ
ورضاكَ عندي في المكانِ الأولِ

أفذاكَ ما تبغيهِ؟ .. إني خلتهُ
أبنيّ: تعلمُ أنني لك مُكبرٌ

وحللتَ من قلبي بأكرمِ منزلِ
وبها عليكَ متى تُعدُّ لم أبخلِ

قد نلتَ عندَ الأهلِ حباً وافراً
عفرَاءُ زوجكُ يا بنيّ فسرْ غداً

عروة - في ابتهاج شديد:

وحباك بالعميرِ المديدِ الأطولِ
وأنرتَ من بعدِ الدجى مستقبلي
يا عينُ قري، يا سعادةً أقبلي

عمي .. جزاكُ اللهُ خيرَ جزائهِ
طيبَتِ نفسي والفؤادُ وخاطري
يا قلبُ فاهداً، يا زمانُ فهنِّنا

هصر - قائماً من مجلسه:

حتى أعودَ إليكَ لا تتحوَّلِ
يهديكَ عندَ رحيلكمُ بالمُجهلِ
ولربِّ أمرٍ بالنصائحِ ينجلي

سأكونُ حيناً بالخباءِ فعنْ هنا
فلقد أشيرُ عليكَ بالأمرِ الذي
وأحقُّ شخصٍ بالنصيحةِ راحلِ

[يخرج هصر وتقبل عفرَاء من الخباء متهللة]

عروة:

قد ذاقها بعدَ الشقاءِ حزينُ
قدرٌ بتحقيقِ الرجاءِ ضنينِ
والدهرُ من بعدِ الجفاءِ يلينُ

عفرَاءُ مالكةُ الفؤادِ أرى المنى
هذي أمانِيُ الشبابِ أنالها
قد يجمعُ الشملَ المفرَّقَ جامعُ

هيهات أن يشقى الفؤاد من الجوى

عفراء :

إني سمعتكما فأشرفتِ الدنا
الآن يسمو في الحمى حبٌ لنا
أنكون في الدنيا يجمعُ بيننا
هذي لعمري غاية ما بعدها
وأراك يا قلبي هدأت وطالما
قد ذقت طعاماً للهناة بعدما
عفراء إن غداً تفرقُ بيننا
فإذا رحلتُ فإنَّ حبك في دمي
أخشى إذا ما الشام بات يضمني
وأخاف من بعد الرحيل نوائباً
صوني زمامَ الحبِّ، راعي عهده
وإذا تكنَّفك التبدُّلُ فاذكري
وترقي بين المنازلِ عودتي

عفراء :

يا عرو تخشى البعد يصدعُ حبنا
ما العهدُ مخفورٌ وإنَّ عرضت نوى
سر في حمى الرحمن حبك واطدُّ

أو أن تعودَ إلى السهادِ جفونُ

حولي، وأثلج في الضلوعِ سخينُ
بينَ الحنايا في الفؤادِ دفينُ
عهدُ من الشرعِ القويمِ متينُ
من غاية في العالمين تكونُ
فاضت لديك من العذابِ شئونُ
قُضيت لنا في العاشقين ديونُ
بيدُ سهولٍ رملها وحزونُ
أبدأ يُحرقني إليك حينُ
بَتَ الوشائج، والقصيُّ يهونُ
للدهرِ إنَّ صروفه لفنونُ
إنَّ الكريمةَ للعهودِ تصونُ
من تحويه من الطريقِ شجونُ
إني على عهدِ الهوى لأمينُ

هيهات، وُدك في الفؤادِ مكينُ
إنَّ الوفاءَ لدى الحرائرِ دينُ
بينَ الحنايا، أو تلمَّ منونُ

[ستار]

الفصل الثاني

[نفس المنظر في الفصل الأول - يجلس هصر بن مالك وابن
أخيه أئالة بن سعيد الذي قدم إلى عمه هصر]

هصر :

مرحباً بالكريمِ نجلِ الكريمِ
منذُ أقبلتَ قد أضاءتْ رُباها
كيفَ أضحي بنو أبينا بنجدٍ
أئالة :

... ؟
بينَ عيشٍ منعمٍ وسلامٍ

هصر :

وأبوكَ الفتى كيفَ تراءى
إنني ما رأيتُهُ منذَ حينٍ
بعد مرَّ الأزمانِ والأعوامِ
لم تكنْ أنتَ فيه غيرَ غلامٍ

أئالة :

هو في صحبةٍ وإن كان يبدو
يقطعُ العمرَ في ثقيٍّ وخشوعٍ
قد دنا من ختامِهِ فهو يرجو
ولقد كانَ مُرسلي ومُنبي
قال لي : عندما تحلُّ وتمضي
في ثيابِ الكهولِ عندَ القيامِ
قائماً ليلَهُ كثيرَ الصيامِ
برضاءِ الإلهِ حسنَ الختامِ
عنه في حجةٍ لبيتِ حرامٍ
وتؤدي مناسكَ الإحرامِ

عَجْ لِدَارِ الْكَرِيمِ عَمَّكَ وَاقْصِدْ
وَتَرَجُلْ إِذَا وَصَلْتَ خِيَاماً
وَاعْرِفِ الدَّارَ دَارَ عَمِّكَ عَنْهَا
وَإِذَا جِئْتَهَا وَيُلْغَتْ قَصِداً
وَاقْرِءِ الْعَمَّ مِنْ أَبِيكَ سَلاماً
قُلْ لَهُ مِنْ أَبِي حَمَلْتُ خَطاباً
إِنَّ فِي بَيْتِنَا وَلِيْمَةً عُرْسِ
وَلَنَا الْخَبْزُ ذُو مِذاقٍ شَهِي

هصر:

قَدْ فَهَمْتُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ
وَاللَّيْبُ الَّذِي دَرَى فِي جِلاءِ
أثالة :

فَمَاذَا قُلْتَ لِي يَا عَمُّ حَدِّثْ
أَتَيْتُكَ أَبْتَغِي رِياً لِقَلْبِ
فَإِنْ قَرَّبْتَنِي وَأَجِبْتَ سؤْلِي
وَإِنْ أَعْرَضْتَ بَيْنَ الْقَوْمِ عَنِي
تَجَشَّمْتُ الْمَتاعِبَ لَا أَبالي
وَفِي رَأْسِي لَدَى الْأَفْكارِ سَيْلُ
تَهيجُ بِهِ الْخِواطِرُ لَسْتُ أَدْرِي
وَمَا أَدْرِي أَرَجُعُ فِي هِناءِ
أَمْ الْأَمالُ تَخْذَعُ آمِلِيها
فَلَا تَبْخُلُ بِما أَبْغِي وَإِلا

لِحِمِي سَيِّدِ رَفِيعِ الْمَقامِ^(١)
كَرَّمَ اللهُ أَهْلَها مِنْ خِيامِ
دَلَّ أَضِياْفَها لَهَيْبِ الضَّرامِ
فَقَفِ الْعِيسَ عِنْدَ بابِ الْهَمامِ
طَيِّباً نَشْرَهُ كَزَهْرِ الشَّامِ
جِئْتُ أَسْعَى بِهِ لِنَيْلِ الْمَرامِ
يا كِبارَ التُّهَى ذِوي الْأَفْهامِ
أَتَرى عِنْدَكُم لهُ مِنْ إِدامِ؟

وعِناهُ مِنْ نِيَّةٍ وَاِعْتِزامِ
غامِضِ الْقِوَلِ أَوْ خَفِيِّ الْكِلامِ

فَإِنَّ الْقَلْبَ يَنْتَظِرُ الْجِوابِ
يُحْمَلُنِي عَلى ظَمَأٍ عِذابِ
فَقَدْ قَلَّدْتَنِي مِنْنا رِغابِ
فِيا لِكَ جِئْتِ ساءَتْ ماأبا
بِها، وَرَكِبْتُ فِي الْبِيدِ الصُّعابِ
مِنْ الْأَمالِ يَنْصَبُ انْصِبابِ
أَأْخَطاً فِي الْخِواطِرِ أَمْ أَصابِ
وَقَدْ أَسَقَيْتَنِي شَهِداً مُذابِ
فِيظَهْرُ نَبْعِها لَها سِرابِ
فَقَدْ جَرَعْتَنِي عُصْصاً وَصابِ

(١) عاج : أقام . عاج بالمكان : أقام به .

لقد طال الأوامُ بغيرِ ريِّ
فهلُ أردنُ بمنزِلِكَ الشرابا
هصر :

عزيزُ جاءَ يسألنا عزيزاً
وليسَ لرفضِ غايته سبيلُ
فإنْ تكُ عندنا عفراءُ تاجاً
فإنكُ مذُ وطئتُ لنا دياراً
ويا ولدي لئنْ فتشتُ أبغي
لما ألفتُ غيركُ خير كفاءِ
أثالة (في فرح) :

فدتكُ النفسُ منْ عمِّ كريمِ
ولمُ ألقَ الشبيهَ بهِ فإني
لِعُصنِ عُلاهُ يربطني انتسابُ
ولجئتُ إلى الهناءِ لديه بابا
رأيتُ نداءهُ قد بدأ السحابا
فأكرمِ في الوجودِ به انتسابا
هصر :

سأطلبُ من عفراءِ إبداءَ رأيها
عسى أن يتمَّ اليومَ إن وافقت قصدُ
أثالة :

فإني إذنْ نحوَ المنازلِ ذاهبُ
إلى أن ترى منها لدى العرضِ ما يبدو

[يخرج أثالة]

هصر(منادياً) أعفراء... يا عفراء
عفراء لبيكُ يا أبي
هصر :

حديثُ المنى والقلبِ في ميعَةِ الصبا
ببشرأهُ ناجتُ ربَّةُ الخدرِ نفسها
تعالى فعندي في الحديثِ لك السَّعد
وحلمُ العذارى قد تندى به الورد
لدى روضةِ الأحلامِ والليلُ مسود

أرى العودَ آدتهُ الثمارُ وقد بدا
وقد زارنا من سرّنا بقدميه
أتى يتغي جني الثمارِ ولا أرى
عفراء:

أني حدستُ الأمر

هصر: بلى قد عرفته
عفراء:

أبي: ما رأيتُ اليومَ قد خالف الذي
لعمري لقد حطمتُ ما كنتُ بانياً
هصر: وكيف؟
عفراء:

ألم تضربَ لعروةَ موعداً
أتى يتغي نيلَ المني فوعدهُ
فماذا يكون القولُ لو عادَ غائبُ
هصر:

عرضتُ لأمرٍ ما أردتُ به سوى
وما كنتُ أعني مالعروةَ قلتهُ
عفراء:

أبي: لا يرى الإنصافُ ما قد رأيتَه
أنهضُ حقاً للقريبِ الذي نأتُ
وفوقِ رمالِ البيدِ صار يُمضه

وليس له من جني أثماره بُد^(١)
فتى من بني الأعمامِ أفضالهُ عد
سوى أنه أولى بها ولها نُدُ

وأدركتُ ما أرمي إليه، فما الردُّ؟
عفراء:

نطقتُ به من قبلِ أن يصعبَ الفقد
وما شدتهُ بالأمسِ فاليومَ ينهد
عفراء:

عشية يومِ العيرِ إذ قولك الجِد
وما كان يدري أن سيخطئه الجِد
من الشامِ تحدوه الموائيقُ والوعد

مجاراةٍ جارٍ حقٌّ منا له الود
أذلك يا عفراء خيرٌ أم الصّد
عفراء:

لعمري! ولا يرضاهُ بين الورى فردُ
به العيسُ في الصحراءِ مسرعةً تعدو
سرى الليلِ والتأويبِ والرملِ والوخد^(٢)

(١) آدته: من آد، يئيد، أيداً: اشتد وقوي أي نضجت ثماره ولا بد من قطفها.

(٢) الوخد: الخطو والمسير.

كأني به قد عادَ هيمانَ طامعاً
ويا أبتا قد عشتَ في البيدِ عادلاً
فإن نَمَّ منكَ اليومَ ما أنتَ قادمٌ

هصر:

تكلمتِ يا عفراءَ قولاً رأيتُهُ
أكنتِ سوى أنثى أراها الذي رأَتِ
وإني لأدري أنَّ في القلبِ والحشا
ولكنْ بذاكِ البيتِ خيرٌ ونعمةٌ
وهذا ابنُ عمِّ وافرُ المالِ كابرٌ
ولو أن ما أسعى لإدراكِ غايةِ
ولكنَّما أبغي لكِ العيشَ هائناً
فليس الذي تَلقِينَهُ غيرَ نزوةٍ
وإني لأرجو أن يعودَ الذي نأى

عفراء:

أبي إن في قلبي لعروة قد نَمَّتْ
وليس إلى السلوانِ ما دمتُ حيةً
فإن شئتَ عذبنِي وإن شئتَ هَنَّنِي

هصر:

أرى الحِلْمَ لا يُجدي فدونكِ غيره
ألا إن شمسَ اليومِ ليستَ عن الحمى
غداً عندما تدرينَ أن الذي هنا

فآلمهُ رفضٌ، وعذبهُ ردٌ
فهل ينزلنَ يوماً بساحتكِ الجحد
عليه، فلا كانَ الوفاءُ ولا العهدُ

حديثُ هوى قد غابَ عن طيشه الرشدُ
من الأمرِ عقلٌ قد تملكهُ الوجدُ
لِعروةٍ ودأ ثائرَ الشوقِ يحتدُ
وعيشٌ على الأيامِ مبتسمٌ رغد
فملبسُهُ خزٌ ومطعمُهُ شهْدُ
لما فاتني نيلُ المكارمِ والمجدُ
يلفُّك في البيتِ الكريمِ له بُردُ
وطيشِ شبابٍ لا يطولُ به الخلدُ
وفي صدره الأشواقُ بدَّها البعدُ

تباريحُ وجدٍ في الجوانحِ تشتد
سبيلٌ، فما يخبو لنارِ الهوى وقد
إذا حكَمَ المولى فما يفعلُ العبدُ

وكل احتمالٍ للحليمِ له حد
بغائبةٍ حتى يضمُّكما عقد
قضيتُ به حقٌ، سيدركني الحمدُ

[ينهض هصر في انفعال ويذهب إلى الخباء]

عفراء:

أرى الدهرَ يا قلبي تأذن صرفه
سأركبُ للالامِ يدفعني أبي
ويؤلمني الحسادُ لا درَّ درهم
وما حيلةُ العشاقِ فاضتْ عيونُهُم
فيا راكباً والوجدُ يُضني فؤاده
توالثُ عليَّ الحادثاتُ كأنها
وحلَّتْ بيَّ الأحزانُ ترى ذميمةً
وقد بثَّ يُضنيني وقد شطَّتِ النوى
وفي النفسِ مما هالني اليومَ ألهبتُ
ألا هل أتاك اليومَ أن الذي بهِ
أطاحَ بهِ صرفُ الليالي وقد غدا
جری دون تحقيقِ الأمانِي بيننا
فيا عينُ هذا موطنُ الدمعِ فاسفحي
ويا قلبُ منذُ اليومَ يقتلكَ الهوى

[يقبل هصر من الخباء ومعه أئالة ووالدة عفراء ووالدة عروة]

هصر:

عفراء قومي لابن عمك إنه
اليومَ يزهو باقترانكما الحمى
وترفُ فوق الحيِّ أطيَّارُ المني
شمسُ وبدرُ أنتما لسنا نرى

أئالة:

عفراء عيشي في ظلالِ محبةِ
دارُ مكرمةٍ وعيشِ مونق^(١)

(١) مونق : معجب.

وجه المنازل بالسعادة يُشرق
نورُ الهناءِ ساطعاً يتألقُ
فيها، ولا بابُ المذلة يطرقُ
وبها ليومِ البذل غيثٌ مغدقُ
ألفيتني نحوَ المكارمِ أسبِقُ
خُلُقُ، وما هو في الخصالِ تخلُقُ

لكِ في الحياةِ فبشرنا متدفقُ
يهفو له قلبُ الحسانِ ويخفقُ
فالعيشُ حالٍ والقرانِ موفقُ

وعليه وشيءٌ للسرورِ منمَّقُ
عرسٌ^(٢) مطهرةٌ وزوجٌ مُعرقُ

وظلامٌ ليلٍ بالشقاوةِ يُطبقُ
ما يحتويه من الشقاءِ لأشفقوا
بينَ الضلوعِ، وعبرةٌ تترقُّ
سهمانٍ: شوقٌ دائمٌ وتفرُّقُ
يا نازحاً وبه الفؤادُ معلقُ
أخشى عليكِ من الهلاكِ وأفرقُ

[هصر: «في صوت مرتفع مخاطباً قومه بينما يسير ومن معه إلى الخباء»]

تجدين إن أقبلتِ نحوَ ديارنا
يبدو على أفنائها وعِراضها^(١)
دارُ ابنِ عمك، لا الهوانُ بنازلِ
لكنَّ فيها للمعامعِ ضيغماً
إن قيلَ مَنْ للحربِ أو مَنْ للندى
هذا شعاري في الحياةِ وإنَّه
أم عفراء:

أدركتِ يا عفراءُ ما أدملته
وحللتِ أكرمَ منزلٍ بفؤادٍ من
وجمعتِ للعلياءِ من أطرافها
أم عروة:

عفراءُ هذا اليومُ يومٌ باسمٍ
لم تشهدِ البيداءَ مثلَ هنائها
عفراء(مناجية نفسها بصوت حزين):

يا لي من الدهرِ الخثونِ وصرفه
ظنوا الفؤادِ به الهناءَ ولو دروا
لم يبقَ لي غيرِ اضطرابٍ معذبٍ
والنفسُ أضناها الأسى وأصابها
من لي بنظرةِ ظاعنٍ ومودعٍ
أوشكتُ أن أريدَ الفراقِ وإنني

(١) العراض : جمع عرصة وهي ساحة الدار.

(٢) عرس : زوجة.

هَيَا اشْعَلُوا النَّارَا هَيَا انْحَرُوا الْجُزْرَا^(١)
هَيَا افْتَحُوا الدَارَا نَاغُوا بِهَا الْوَتْرَا
هَيَا اطْعَمُوا الْجَوْعَى بِرَا وَإِحْسَانَا
وَالْكُلُّ فْلِيْدَعَى شَيْبَا وَشَبَانَا

أم عفراء:

يَا فَرْحَةً رَنْتَ فِي حَيِّنَا الْأَزْهَرُ
أَيْنَ التِّي غَنْتَ بِالْدَفِ وَالْمَزْهَرُ
عَفْرَاءُ قَدْ لَاقَتْ خَيْرَ الْوَرَى طُهْرَا
يُمنَاهُ قَدْ سَاقَتْ أَلْفَا لَهَا الْمَهْرَا

[يقبل الفتيان والفتيات وينشد الجميع]

الفتيات:

عَفْرَاءُ قَرِّي وَأَسْعِدِي فِي بَيْتِكِ الْمَشِيدِ
ذَاتُ الْجَمَالِ الْأَوْحَدِ عَيْشِي بِخَيْرٍ وَدَدِ^(٢)
يَا بِنْتَ خَيْرِ وَالِدِ يَا دَرَةَ الْأَمْجَادِ
يَا مَوْطَنَ الْمُحَامِدِ فَدَاكِ كَلُّ حَاسِدِ

الفتيان:

هَيَا اسْعِدِي، أَثَالَةَ خَيْرُ الشَّبَابِ حَالُهُ
تَقِيِّي ظِلَالُهُ وَاسْتَمْطِرِي نَوَالُهُ
السَّعْدُ مِنْكَ قَدْ دَنَا وَأَشْرَقَتْ بِكَ الدَّنَا
سَمَا الْغَدَاةَ جَدُّنَا فَلِلَّالِهِ حَمْدُنَا

[يرقص الجميع رقصة السيوف]

(١) الجزر: ما يذبح من النوق والغنم.

(٢) الدد: اللهو واللعب، لأمه واو محذوفة، مثل لام الغد.

أثالة: خارجاً من الخباء يتبعه هصر:

شدوا الحمولَ على المطيِّ فإنه
وتهيأوا للسير قد نلنا المنى
أقسمتُ بالبيتِ الحرامِ لِقُدْسِهِ
ما كنتُ لي يا عمُّ غيرَ سحابةٍ
أنزلتني لما أتيتك طالباً
ومنحتني منك الجميل محبباً
نفسى فداؤك في الورى من سيدٍ
قلبي وروحي واللسانُ وخاطري

هصر:

أبني ما قد رُمته فبلغته
ما كنتُ يا ولدي أضنُّ بها إذا
أردتُ دونَ عطاءٍ ما هو طالب
سرِّ يا بني فإنَّ قومك في الورى
وعليك زوجك، فليكن من فوقها
واغفر لها بدراتها وهناتها
وابذل لها منك الوفاء وكن لها

أثالة:

هي في رعاية خالقي ورعايتي
لو لم يكن من أجلها هي فليكن
فلها السعادةُ جمَّةٌ بديارنا
هذا فراقٌ بيننا، فتحيةٌ

[يتهيأون للمسير بينما يدخل من الجانب الآخر للمسرح عروة قادماً بالعبير ومعه نفر

من الذين كانوا معه]

(١) ذميل : لين.

عروة:

عليك سلامُ الله دارَ أحبتي
ومهما تناءى بالبعيدِ تفرُّقُ
فيا لهفَ رُوحِي كَمْ يُعذَّبُ نازِحُ
ويا نفسُ هذا موطنِ الأهلِ فاسعدي
فلا تُشقياني بعدَ هذا بلوعةٍ
لقد طالَ بي يا دارَ عنكِ مغيبُ
فلا بدَّ يوماً أنه سيئوبُ
إلى الأهلِ شوقاً أو يحنُّ غريبُ
ويا قلبُ من عفرَاءَ أنتَ قريبُ
فقد ضمني صحبٌ هنا وحبیبُ

[يبدو عليه الضيق - ويسأل صبياً من المارة]

ولكنَّ ما للعينِ تنذرُ بالأسى
وما بالَ هذا الجمعِ في الحيِّ يا فتى
الصبي:

ألم تدرِ أنَّ اليومَ عفرَاءَ زُوِّجتَ
عروة (لزميلِهِ في دهشة):

أسمعُ ما ألقاهُ لي مِن تَقُولٍ؟! ..
فما كانَ عهدُ العمِّ إياي خائساً^(١)

أعفرَاءَ يعني.؟! .. إنه لكذوبُ
لعمرِي، ولا فيه الرجاءُ يخيَّبُ

[يمر الموكب ويلمح عروة عفرَاءَ تسير إلى الهودج]

إذنَّ صحَّ ما قد قيلَ يا نفسُ فأذني
أعفرَاءَ هل بعدَ التفرُّقِ نلتقي
«وإني لتعروني لذكراكِ رعدةٌ
«فما هو إلا أن رآها فجاءةً
تُعاهدني لا تنقضُ العهدَ بيننا
فمن أين سرَّاءُ الحياةِ وليئها
وأَيُّ سرورٍ يُسعدُ النفسَ بعدها

بطولِ شقاءٍ للفؤادِ يُذيبُ
على العهدِ أم أنَّ الفراقَ سلوبُ
لها بين جسمي والعظامِ ديبُ^(٢)»
فأبَّهت حتى ما يكادُ يجيبُ»
وما علمتُ أنَّ الخطوبَ تنوبُ
وقد ضاع لي منها الغداةَ نصيبُ
وأَيُّ هناءٍ للفؤادِ يطيبُ

[ستار]

(١) خائس : غادر.
(٢) البيتان من شعره عروة.

الفصل الثالث

[المنظر: داخل دار هصر... عروة على فراش المرض
مستنداً بظهره إلى الحائط، على مقربة من الفراش يجلس
هصر]

عروة:

يا عمُّ أينَ رعايَةُ الأبياءِ
ما كانَ منكُ الوعدُ مأتياً ولا
صيرتني ذا شقوةٍ وتركتني

هصر:

يا عروة استمسكِ بأهدابِ التُّهى
إنَّ الأمورَ جميعها تجري على
والصبرِ، لا تَعَجَلْ لَنَا بِجفَاءِ
قَدَرِ مطاعِ حِكْمِهِ وقضائِ

عروة:

يا عمُّ قد أودي الفراقُ بروضةٍ
سعدتُ بها روجي زماناً ليتهُ
أيامَ كُنَّا - والهناءُ يلفُّنا -
وَاطُولَ آهاتِ الفؤادِ غداةً أنْ
لِلحُبِّ، ذاتِ مفاتِنِ غَنَاءِ
لم يُرَمَ منكُ بزعرعِ نكباءِ
في ظلِّ بشرٍ وارِفِ الأفياءِ
عصفتُ بجنَّاتي يدُ الأنواءِ
وأنينَ قلبٍ لاعجِ البُرْحاءِ^(١)

(١) البُرْحاءُ : الحمى ، شديدة الأذى، ولاعج: من عالج بمعنى أحرق، لاعج
البرحاء: أي الحمى المؤذية والمحرقة.

حرَّ الهجير، ولفحة البيداء
والقلب يحكي وقدة الرضاء
أملٍ يداعبُ خاطري ورجاءٍ
للقاءِ آمالي ونيلِ هنائي
ووطئتُ أرضَ الأهلِ بعدَ تناءٍ
فأعادَ شذو العرسِ رجَعَ بكاءٍ
هلُ من سبيلٍ بيننا للقاءِ

بالغدرِ يا ولدي وأنت مُليمٌ (٣)
ثارَ الظلومُ وأذعنَ المظلومُ
أمرٍ لما كنتَ الغداةَ تلومُ
للوجدِ تُبدي الخيرَ وهو دَمِيمٌ
أضنى الفؤادَ فراقها المحتومُ

يُدمي فؤادي فالفؤادُ كلومُ
أم لاضطرامِ النفسِ فهي جحيمُ
تُعساً، وغيري في الهناءِ يُقيمُ
هطلتُ بأرضٍ في البلادِ غيومُ

فلربما تركَ الهدوءَ حلِيمُ

ومضيئٌ لا أحشى - وقد غلبَ الأسى -
والنفسُ فيها للتفرقِ حسرةٌ
نائي المنازلِ ليسَ يحدوني سوى
وزعمتُ لي أنَّ الإنابةَ (١) موعدٌ
حتى رجعتُ إلى المنازلِ ظامئاً
فوجدتُ أنَّ الدهرَ فوقَ (٢) سهمه
يا منيةً عادتُ مَنِيَّةً وإليه

هصر:

مهلاً، فما أنصفتني ووصمتني
وكسوتني ثوبَ الظلومِ وطالما
لو قد علمتُ بما رميتُ إليه من
ولئن رفعتُ عن العيونِ غشاوةً
لرأيتُ ما أنا قد رأيتُ لها وإن

عروة - في تهكم:

ولأيِّ شيءٍ قد رميتُ.. ألاسى
أم للهوانِ ينالني بسهامِهِ
أطننتُ أن أرضى الحياةَ بدونها
إن لم يبلِّ الغيثُ لي أرضاً فلا

هصر:

أسرفتُ في غمزٍ لعمك فائتدُ

(١) الإنابة : العودة.

(٢) فوق سهمه : وضعه في الوتر.

(٣) مليم : واقع في اللوم.

أَبْنِيَّ مَا زَوْجَتُهَا - لَكَ قَالِيَا -
لكنني شئتُ السعادةَ لابنتي
أبغى الهناءَ لها وإنَّ أئالةَ
أنا لا أقولُ بأنه خيرٌ لها
ما كانَ يفضلكَ ابنُ عمكَ عندنا
أرأيتَ لو أحببتَ يا ولدي امرءً
لو كنتَ تهواها لشئتُ هناءها
أم عفرَاء: كيف أضحيَ علينا
عروة في ضجر:

أم عروة: عرو ما الحالُ نَبِي
عروة:

أَقَطُّعُ اللَّيْلَ مُسَهِّدًا
أرَقُبُ النَّجْمَ سَاهِرًا
رَقُّ لِي اللَّيْلُ وَالذُّجَى
أم عروة:

لستُ أدري إلى متى
كلما قلتُ إِنَّهُ
أبصرُ السقمَ لا يَني
يا إلهي قدَرْتَهُ
هصر:

لا تُراعِي فإنه
ما بهِ غيرُ وعكَةٍ

فرضاك ما أرجو وأنتَ عليمُ
ولها أردتُ العيشَ وهو نعيمُ
بهنائها بينَ الوريِّ لزعيمُ
عن ظنَّةٍ، إني إذاً للئيمُ
لولا ثراءٌ وافرٌ وعميمُ
أفلا تودُّ هناءه وترومُ
ولو أَنَّهُ بحمي سواك يدومُ

شَفُّهُ السقمُ والبَهْرُ^(١)

نالني الهمُّ والضجرُ
في عذابٍ وفي فِكرٍ
آه منْ وحشةِ السَّهرِ
ورثي النجمُ والقمر

ذلك الداءُ يَسْتَمِرُّ
عاجلاً عنك ينحسرُ
فيك يسري وينتشرُ
فامنحِ اللطفَ في القدرُ

ليسَ في سقمِهِ خَطَرُ
قد دَهتُهُ مِنَ السفرِ

(١) البهر: انقطاع النفس من شدة الجهد.

وغداً لا نرى لها - يأذنُ اللهُ - من أثر

عروة - في صوت خفيض كأنه يخاطب نفسه :

وعكة ! .. آه إنها طعنة الدهر والعمُر
قد درى سر شقوتي إنه كاذب أشير
يملك الروح فظة وله القلب من حجر
نالني سهم غادر جرمة ليس يُغتفر
لا رعى اللهُ خائناً يا لحا اللهُ من غدر
يا منى النفس إن نأى منك عن أرضنا المقر
فخيالي يزوره ودجى الليل مُعتكر
وبه طاف مثلما طاف بالبيت مُعتمر
إن نفسي لصبّة إن قلبي لمنفطر
وفؤادي من الأسي دائم البث مُستعر
إن سترت الذي به ليس دمعى بمُستتر
هل عن السقم والضنا عندك اليوم من خبر
بث أسوان من هوى في فؤادي قد استقر
أصبح العود ذابلاً ودوي زهره النضر
إنه الدهر فاصبري ليس من صرفه وزر^(١)

أم عفرأء :

وقيل لنا العراف يُبرىء سقمه
فلم يدخر جهداً لنيل شفائه
ولما رأى أن الشفاء مناله
وقال كأن الجن مسته بالأذى
فجئنا بعراف اليمامة بالأمس
بيدل الذي يدريه من ناجع النطس^(٢)
من الصعب لم يركن إلى حيرة اليأس
فإن الذي يرضيه ليس سوى مس

(١) الوزر : الملجأ.

(٢) النطس : الفطين، والنطاسي : هو الطبيب الحاذق والمقصود هنا العلاج الناجع.

هصر:

يُصدِّقُهُ فِي ذَلِكَ الزَّعْمِ وَاللَّبْسِ
وَقَدْ قَامَ مَبْنِيًّا عَلَى الظَّنِّ وَالْحَدْسِ

لَقَدْ كَذَبَ العَرَاثُ مَا كُنْتُ بِالَّذِي
فَلَمْ يَبْدُ مِنْهُ القَوْلُ إِلَّا وَجَدْتُهُ

أم عروة:

وَقَدْ شَرِبَ الأَسْقَامَ مِنْ مُتْرَعِ الكَأْسِ
مُعْذَأً يُوَافِيهِ عَلَى ضَامِرٍ عَنَسٍ^(١)
فَأَبْعَدَ يَوْمًا مِنْ شِفَائِي وَعَنْ تَعْسِي
بِرُوحِي أَقْيِكَ النَّائِبَاتِ وَبِالنَّفْسِ
لشِدَّةِ مَا تَلْقَى إِلَى صَفْرَةِ الوَرَسِ

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّاءَ عَزَّ دَوَاؤُهُ
بَعَثْتُ إِلَى عَرَاثِ نَجْدٍ رَسولُنَا
لَعَلَّ خَبِيرَ الطَّبِّ يَبْرِيءُ سَقْمَهُ
فِيَا أَيُّهَا العَانِي فَدَاؤُكَ مَهْجَتِي
لَقَدْ حَالَ مِنْكَ اللَوْنُ عَنْ حَمْرَةٍ بِهِ

عروة - لنفسه في صوت خفيض:

(٢)
وَصَبُّوا عَلَيْهِ المَاءَ مِنْ أَلَمِ التُّكْسِ
وَلَوْ عَقَلُوا قَالُوا بِهِ نَظْرَةَ الإنْسِ^(٣)
وَفِي لَاعَجٍ مِنْ ذِكْرِيَاتِ الهَوَى أُمْسِي
أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ بؤْسِ
وَأَصْبَحْتُ فِي الدُّنْيَا قَرِيبًا مِنَ الرَّمْسِ
لَمَّا مَرَّ فِي عَهْدِ الهِنَا يُنْسِي
أَطَاخَ بِأَمَالِي وَبَدَّدَ لِي أُنْسِي

«وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِالتَّعَاوِيذِ وَالرُّقِيِّ
«وَقَالُوا بِهِ مِنْ أَعْيُنِ الجِنَّ نَظْرَةً
أَصْبَحُ فِي هَمِّ مَرِيرٍ وَشَقْوَةٍ
وَفِي النَفْسِ أَلَامٌ وَبِالْقَلْبِ مِثْلُهَا
تَمَاسَكْتُ حَتَّى شَفَّ مَهْجَتِي الأَسَى
فَلَا القَلْبُ يَسْلُوعُنْ هَوَاهَا وَلَا الضَّنَى
وَكَيفَ يَطِيبُ العَيْشُ وَالدَّهْرُ جَائِرٌ

[تدخل إحدى الجوارى]

الجارية:

عَرَاثُ نَجْدٍ بِيَابِ البَيْتِ مُنْتَظَرٌ

(١) العنس : الناقة القوية .

(٢) الألم التمس : الذي يعاوده مراراً .

(٣) البيتان من شعر المجنون .

[تخرج الجارية]

عرافُ نجدٍ أتى ..؟ . . فليدخل الأنا

أم عروة:

[يدخل العراف]

ولا نبثُ سوى الرحمنِ شكوانا

لعل في يديه نلقى الشفاء له

العراف: يا سادة الحيِّ تسليماً وتكرمةً

أهلاً بمن فيه خيرُ الناسِ مُذْكَانا

هصر:

فكانَ أشرفَ خلقِ اللهِ إنسانا

يستأصلُ الداءَ من عانٍ أضرب به

العراف:

..؟

أين العليلُ؟ .. أهذا من أراه هنا

أم عروة

نعم ! أليس عليه السقم قد بانا؟

تغيرَ ثوبَ الصِّبا من باتِ عُريانا

بالله يا مبريء العاني سألتك أن

وكانَ زهراً يمجُّ النشْرَ ريحانا

قد صوّحْتُهُ الليالي جد عامدةً

به المضاجعُ يا عرّافُ أسوانا

وأطول آهاتِ نضو^(١) في الظلام نبت

أو كحلّ النومِ عندَ الليلِ أجفانا

ما غادرَ السهدُ أحداقاً مؤزقةً

من شدةِ السقمِ كم قاسى وكم عانى

أذكرُ شقيّاً عليلَ الجسمِ ناحلهُ

جزاك ربُّك يا عرّافُ إحسانا

وابذلّ - هُديت - له بُرءاً وعافيةً

العراف:

لرحمةً ملأت أرجاءَ دنيانا

لا تيأسي من رضاءِ اللهِ أنْ له

فربّما انقلبَ المحزونُ جذلاًنا^(٢)

والآن أدنو من المكروبِ أنظره

[ينصرف إلى فحص عروة ويتحي الجميع ناحيته]

(١) النَّضْوُ: البعير الضعيف المهزول.

(٢) الجذل: الفرع.

أم عفراء:

لعلَّ طِبَّكَ يَا عِرَافُ يُبْرِئُهُ
وَيَسَلِّمُ الْبَائِسُ الْمَسْكِينُ مِنْ سَقَمٍ

أم عروة:

إِنِّي إِلَى اللَّهِ بِالْأَمَالِ ضَارِعَةٌ
مَا نَالَنِي مِنْ أذىٍ أَوْ مَسْنِي نَصَبٌ

أم عفراء:

هَا قَدْ تَرَأَى لَنَا الْعِرَافُ مِبْتَهَجًا
لَعَلَّهُ قَدْ دَرَى طَبًّا لِعِلَّتِهِ

هصر:

عَسَاهُ لَا يَنْطِقُ الْأَلْفَاظَ تَرْضِيَةً
إِنِّي لِأَخْشَى خِرَافَاتٍ يَفُوهُ بِهَا

العِرَافُ مَقْبَلًا عَلَيْهِم:

يَا قَوْمُ لَا تَجْزَعُوا، مَا نَالَهُ خَطَرٌ
لَيْسَ الْعَلِيلُ بِهِ دَاءٌ يَخَامِرُهُ

أم عروة:

مَاذَا تَقُولُ؟ هَوَى فِي الْقَلْبِ يَكْتُمُهُ
لَا تَنْطِقِ الْقَوْلَ أَوْ تَدْرِي حَقِيقَتَهُ

العِرَافُ فِي إِصْرَار:

بَلْ قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي أَلْقِيهِ سَيِّدَتِي
قَدْ مَسَّهُ الْوَجْدُ حَتَّى شَفَّ مُهْجَتَهُ

إِنِّي أَرَى فِي عَيُونِ الصَّبِّ لَوْعَتَهُ
هَذَا فَرِيقٌ مِنَ الْعِشَاقِ أَعْرِفُهُ

[يخرج العراف ويخرج معه هصر لتشييعه]

أم عروة - في أسى وقد أقبلت على ابنها:

أحقُّ ذاك؟ نبئني بما أخفيت من أمرك
وهل للوجدِ آلامٌ تهيجُ النارَ في صدرك
إذا لم أدرِ سرَّك مَنْ ستُطلِّعُهُ على سرِّك
لقد أحرقت لي كبدًا بنارِ الصمتِ من صبرك
فيا عروة حدِّثني بما لاقيت في دهرك
فكم من ليلةٍ بتنا وبتَّ على أسى جمرك
عداكِ السوءِ يا ولدي ومدَّ الله في عُمرِك

عروة في أسى:

يا لقومي لواله خفاقٍ يتلظى بلاعجِ الأشواقِ
يقطعُ العمرَ ذا عذابٍ أليمٍ ما له في عذابه من واقٍ
في حنايا الضلوعِ صارَ حُطاماً من غرامٍ يئطُّ^(١) في الأعماقِ
بات من وحشةِ الفراقِ كثيراً بائساً، ما أمرُّ يومَ الفراقِ
ذاقَ كأسَ الشقاءِ صاباً مريراً من يدِ الدهرِ إنَّهُ شرُّ ساقٍ
ولقد كنتُ في هناءٍ وخيرٍ لا أُلَاقِي من الأسي ما أُلَاقِي
كان من وجهها الصبوحِ صبوحِي^(٢) واللقاءِ السعيدِ كان اغتباقي^(٣)
إنَّ عمي وقدَّ أرادَ لقلبي أن يظلَّ الحياةَ نضوً اعتلاقِ
قد رمى القلبَ في الصميمِ وألوى بعهودِ الفؤادِ والميثاقِ
ليس يبقى على العهدِ مُقيماً وأراني من الأسي غيرَ باقٍ

(١) يئط : يصوت.

(٢) الصبوح : شراب الصباح.

(٣) الاغتباق : شرب الغبوق وهو شراب المساء.

إيه عفراء هل لقيت هناء
 ليت شعري أطفأ البعد حُباً
 أم بك الشوق مثل ما بي شديداً
 إن يكن غير الفؤاد تناء
 كلما هاجه إليك حنين
 وعيون تفيض مثل عيون
 لقي العاشقون كل هناء
 بعدما آذنت نوى بافتراق
 كان في النفس دائم الإشراق
 لاذعاً طعمه، مريراً المذاق
 ففؤادي يُمضني باحتراق
 يذرف الدمع من دم مهراق
 بدموع كوابل مغدق
 غير أنني شقيت في العشاق

[يدخل هصر وفي صحبته عبد الله بن أبي عتيق]

ابن أبي عتيق:

سلام على الكابرين الأباة

أم عروة:

سلام على ذي الندى والكرم
 من الناس أكرم به من علم

أمير علا ذكره في الكرام

ابن أبي عتيق:

نما لي حديث يثير الألم
 من الوجد أضحى حليف العدم
 طواه الضنى وبراه السقم
 حديثهمو . . أصحح

لقد جئت هذا الحمى بعدما
 يقولون: عروة بين الديار
 فجئت أعود العليل الذي
 وددت له لو بدا كاذباً

عروة - في مرارة:

نعم

لأنت أغر كريم الشيم
 رضيك لعمري بما قد قسم
 وركن هنائي وهى وانهدم
 وجرح الصبابة لا يلتئم
 وإن جن ليلى به لم أنم

عدتك عوادي الأسي يا أمير
 لقد قسم الله لي شقوتي
 أضاعت نيمي صروف الحياة
 وكل جريح ينال الشفاء
 أقضي نهاري صريع الأسي

طريحِ الوَسَادِ، حليفِ الشَّهادِ
غزيرِ الدموعِ، قليلِ الهجوعِ
أحاولُ كتمَ دموعِ الغرامِ
أساءَ العذولُ وإنِ الفؤادِ
وما سَلَمَ القلبُ في حُبِّهِ
أما والذي قد تهادتُ إليه
لألفيتُ لما رمتني النوى

ابن أبي عتيق:

سلمتُ من الأدواءِ يا خيرَ عاشقِ
تجلَّدُ فذاك الدهرُ شتى صروفهُ
وكل حبيبٍ قد دنا من حبيبهِ
ولستُ من العشاقِ أولَ بائسِ

عروة:

ولما رأيتُ العينَ فاضتْ جُفونها
تبينتُ أني بالصبايةِ هالكُ
وكنتُ وإياها على رفرِفِ المني
بنا في ربوعِ الحيِّ شوقٌ وصبوةٌ
إلى أن دهننا للفراقِ نوائبُ
«جعلتُ لعرافِ الإمامةِ حكمةً
«فقالا: شفاك اللهُ واللهِ ما لنا

شقيِّ الفؤادِ، عيوني ديمِ
وبينِ الضلوعِ جوىً يحتدمُ
ودمعُ الهوى ليسَ بالمنكتمِ
بهِ عن حديثِ العذولِ صمِّمِ
فكيفَ يُطيعُ الذي قد سلمِ
مطايا الحجيجِ بأرضِ الحرمِ
شديداً على المرءِ ظلمُ الرحمِ

وألبستُ ثوبي: صحبةً وأمانِ
يريشُ لنا سهماً بكلِّ مكانِ
فإنما لا بدُّ مفترقانِ
بكى من أساءَ الناسُ والمملوان^(١)

بدمعِ على الخدينِ أحمرَ قانِ
وإن كانَ حيني^(٢) مُرجاً لأوانِ
لنا أملٌ نلهو بهِ وأمانِ
وإنا على وجدٍ لمؤتلفانِ
فعدتُ أخاهمِ ونضو هوانِ
وعرافِ نجدِ إن هما شفياني^(٣)»
بما حَمَلتُ منكِ الضلوعُ يدانِ»

(١) المملوان : الليل والنهار.

(٢) الحيز : الهلاك.

(٣) الأبيات التي بين الأقواس من شعر عروة.

«وإنني لأهوى الحشر إن قيل إنني
فيا ليت شعري هل يُجمَعُ شملنا
أجبتُ لها داعي الفؤادِ معجلاً
«ألا فاحملاني باركُ الله فيكما
فإنَّ دوائي نظرةً يرتوي بها
ويفرحُ مَحزونٌ ويهنأُ يائسٌ
وعفراءَ يومَ الحشرِ ملتقيان»
وهلْ نحنُ بعدَ البُعدِ مجتمعان
وعاصيتُ فيها الصبرَ حينَ دعاني
إلى حاضرِ البلقاءِ ثمَّ دعاني»
فؤادُ شقيِّ دائمُ الخفقان
يقاسي عذاباً في الهوى ويعاني

[ستار]

* . * . * . *

الفصل الرابع

المنظر الأول

[في ربوع البلقاء... واد به عين ماء تحف بها أشجار ونخيل، عروة يجلس على ربوة تشرف على العيين]

عروة:

ألا من لقلبٍ نأوجتُهُ الزعازعُ
ونار لها بينَ الحنايا تأججُ
وما زال هذا القلبُ مُدْشَطٌ وليها^(١)
يكلِّفني عفرَاءَ والدارُ قد ناءت
فيا قلبُ قد أَلَوْتُ بها وبنا النوى
ويا قلبُ هذي دارُ عفرَاءَ قد دنت
تحدِّدُنِّي نفسي إليها بزورةٍ
مخافةٍ واشٍ أو مظنةٍ عاذِلِ
أقمتُ بأرضٍ قد أقامتْ بحيتها
أظُلُّ مكاني في ارتقابٍ ورودها
وأرْمُقُها عندَ المجيءِ بنظرةٍ

وشوقٍ قد انضمتْ عليه الأضالعُ
تزيدُ ضراماً إن سقتها المدامعُ
وقطَّعَ ما بينَ الخليلين قاطعُ
وقد صدعَ العهدَ الذي كان صادعُ
فهل أنتَ بعدَ البينِ في القربِ طامعُ
إليكَ بمنْ تهوى فما أنتَ صانعُ
ودونَ الذي توحى به النفس مانعُ
يمجُّ لنا من سُمَّهِ وهو ناقعُ
وإني بقربِ الدارِ منها لقانعُ
بسربِ لَدَاتٍ مشيهُنَّ التتابعُ
عجولٍ بها يُشفي من القسمِ جازعُ

(١) الولسى : الهودج.

لَقِيتُ بِقَرِيبِي مِنْ رُبَاهَا سَعَادَةً
أَقِيمُ غَرِيبَ الدَّارِ وَالْأَهْلِ نَازِحاً
وَأَذْكُرُ عَهْداً بِالْكَثِيبِ قَدْ انْقَضَى
نَعْمَنَا بِهِ دَهراً شَرِبْنَا هِنَاءَهُ
فِيهِتَفُّ قَلْبِي حِينَ يَشْتَدُّ وَجْدُهُ:
نَظَرْتُ إِلَى الْأَطْعَانِ يَوْمَ ارْتِحَالِهَا
فَفَاضَتْ دَمَوْعٌ مِنْ عَيُونِ سِوَاكِ
وَقَلْتُ سَلاماً مِنْ شَقِيٍّ مُعَذَّبٍ
فِي دَارَةِ الْبَلْقَاءِ تَلْكَ وَدِيعَةً
نَهَارِي بِهِ الْأَلامِ وَالْبُتِّ وَالضَّنَى
يَقُولُونَ لِي لَا تَقْتَرِبْ مِنْ رَبِوعِهَا
وَكَيْفَ أُرِدُّ الْيَوْمَ عَنْ أَرْضِ حَيْهَا

[بمر به ظبي فيناجيه]

يَا ظَبِي هَلْ بِكَ مِثْلَمَا
فَاتَيْتَ تَطْفِيءُ لِلْفُؤَادِ
هَلْ جِئْتَ مِثْلِي يَا مَلِيحَ
تَبْغِي لِقَاءَ أَحِبَّةٍ
يَا ظَبِي هَذَا مَوْرِدٌ
يَمْشِينَ نَحْوَ سِقَائِهِ
يَا شَبَهَهَا إِنَّا تَشَابَهُ
إِنْ كُنْتَ مِثْلِي فَاتَّبِعْنِي
مَنْ مَرَّ مَا قَدْ ذَاقَهُ
إِنِّي تَقَصَّدُنِي الزَّمَانَ
وَأَرَادَ لِي الدَّهْرُ الشَّقَاءَ
بِالْقَلْبِ مِنْ أَلَمِ الضَّنَى
هَوِيَ بِهِ مُتَمَسِكاً
حَاطَ الطَّرْفِ تَسْعَى هَاهُنَا
لَتَنَالَ عِنْدَهُمُ الْمَنَى
لِظَبَاءِ وَجَرَةٍ فَأَتِنَا
يَبْدِينَ حُسْنًا فَاتِنَا
فِي الْأَسَى مَا نَالْنَا
تَلَقَّ الْإِفَاءَ مُحْسِنَا
ضَاقَتْ بَعِينِيهِ الدُّنَا
فَنِلْتُ ظُلماً بَيْنَا
وَلَمْ يُرَدْ بَدَلُ الْهِنَا

ورمى الحنايا بالسها م من البعاد فآثخنا
آه لقد نال الجميع هناء هم إلا أنا

[يسمع نشيد ترده العذارى يعلو رويداً رويداً]

العذارى : يا سائق الأظعانُ فرقتِ خلاتنا
بالبيتِ ذي الأركانُ قد هجّت أشجانا
يا حادي الركبِ بالبانِ والعلمِ
يا وحشة الصبِّ عرّجٌ لذي سلمِ
واسأل رُبا الوادي عن فتنة القلبِ
بالله يا حادي بالشوقِ، بالحبِ
أين الألى بانوا والوجدُ مشتدُّ
يا ضالُّ يا بان يا شيخُ يا رندٌ^(١)

[وعند ظهورهن يتجهن نحو عروة ويضعن جراهن ويجلسن حوله]

الأولى :

سلامٌ على نضو الصبابة والهوى
عروة : سلامٌ على سربِ عليّ عطوفِ
رثى لي وأضحى بالحنانِ يسُدُّني
وكانَ أليفي حينَ غاب أليفي

الثانية :

عداكُ الأسى يا عروَ
عروة : لا بلُ لقيتُهُ
متى نالني منها على البعدِ عطفها
إذا كنتُ عن عفراءِ جدَّ عزوفِ
فلسْتُ على ما فاتني بأسيفِ

الثالثة :

تجرعتُ كأسَ الحبِ يا عروَ مُترعاً فكيف وجدتَ الحبَّ

(١) الرند : نبات من شجر البادية طيب الرائحة .

عروة: سَم حُتُوفِ
 إذا نَالَ قَلْبَ المرءِ قَلْ نعيمُهُ
 وإن كَانَ في الدنيا أَخَا الحبِّ لم يزل
 تُطَالِعُهُ أَقدَارَهَا بصروفِ
 وإذا شَرُفَتْ أَحسابُهُ قيلَ قد غوى
 وإن كَانَ عَفَاً قيلَ غيرَ عفيفِ
 الرابعة :
 وكيفَ لقيتَ الهجرَ ؟ ..

عروة: مرْمَذاقُهُ
 يُطَالِعُنَا لا كَانَ - عندَ اجتماعنا
 الأولى:
 وإن أَسَقَمَ المرءُ المَعْدَبُ حُبَّهُ
 أينكُرُ الخِلاَنُ يا عروَ
 عروة: لَمْ أَكُنْ
 ولي في دُجَى الظُّلُمَاتِ قَلْبٌ ممزق
 أظَلَّ حليْفَ الهَمِّ والطرفِ سَاهِرُ
 إلى أنْ يُرى وَجَهُ الغِزَالَةِ مُشْرِقاً
 ولما رأيتُ القَلْبَ يَشْتَدُّ دَاوَهُ
 حججتُ إلى البلقاءِ أوي بها إلى
 أتيتُ ولي نفسٌ يفيضُ سناؤُها
 وكنْتُ شريفاً لا أهُمُّ بزورَةٍ
 له في صميمِ القَلْبِ وَقَعُ سيوفِ
 بوجه، كأشباحِ الفِلاَةِ مُخيفِ
 وباتَ بجِسمِ في الغرامِ ضَعيفِ
 وحيداً فقد كَانَ الشقاءَ حليفي
 له من أَلِيمِ الشوقِ رَجَعُ وجيفِ
 وللجفنِ والأماقِ سَيْلُ وكيفِ (١)
 كعُفراءِ مَسْفِرَةً بغيرِ نَصيفِ (٢)
 وأن احتمالَ الهجرِ جَدُّ عنيفِ
 خميلةِ ظِلِّ، للشفاءِ وريفِ
 وجئتُ بثوبِ في الغرامِ نَظيفِ
 لها بينَ حِيٍّ في الدِّيَارِ خُلُوفِ (٣)

(١) الوكيف : القَطَرِ الغزيرِ .

(٢) النصف : الخمار، العمامة . . كل ما غطى الرأس .

(٣) الخلوف : الرائحة المتغيرة، ومنها رائحة الصائم .

ألا إن لي أصلاً يشعُّ طهارةً
 فيا طبيبات الحيِّ إني لعاشقٌ
 إلى أن يشاء الله أمراً وإنني
 الأولى: كساك الإله ثياب الشفاء
 ونجّاك من شرِّ أقداره
 الثانية: كذلك الحياة، إذا لم يكن
 لما عرفَ الناس طعم الهناء
 الثالثة: ملأت البلادَ بشعرٍ مضيءٍ
 وهذا لعمرى الخلود المجيد
 الرابعة: تذوقتُ عروءَ نعيم الحياة
 وفاضت عليك بسيل الحنان

– ينهضن – نعمت صباحاً

عروة: تردنَ المسير!
 بكنْ أرى البشرَ ثم أعود

[تنطلق الفتيات ويسمع صوتهن مرددات]:

يا أيها العاني لا تهلكنَّ وجدا
 مرآكُ أبكاني بالله كنَّ جلدًا
 يا شقوة الصَّبِّ يا لوعة العشاق
 بالشوقِ في القلبِ والدمعِ في الآفاق

[ينقطع الصوت الذي كان عروة ينصت إليه في شرود...]

عروة:

ليالينا عندَ الخميِّلة عودي فقد أذبلَ الهجرانُ ناصرَ عودي
 سقى الله عهداً قد قضيناهُ في الهوى وما بيننا من عاذلٍ وحسودِ

بها والحمى مُستسلمٌ لهجودِ
 أريجُ زهورٍ أو تَضوُّعُ عودِ
 على دارسٍ من عشبِهِ وجديدِ
 لها لؤلؤٌ ينسابُ فوقَ ورودِ
 أحقاً بعادي منك غيرَ بعيدِ
 لنا في روايبها جميلُ عهدِ
 وآلنا بالنحسِ بعدَ سعودِ
 وليسَ على هذا الأسي بحميدِ
 وماتَ على ثغري الغداةَ نشيدي
 ولا لأسي من هداةٍ وحمودِ

وما أنسَ لا أنسَ الخروجَ لدى الدُّجى
 فما الروضُ غشاهُ الربيعَ فزانهُ
 بأجملِ من وادٍ يُجمِّعنا الهوى
 وموقفنا يومِ الوداعِ وقد بدا
 أقولُ لها - والقلبُ يقطرُ حسرةً:
 وأن لستُ مرتاداً من الحيِّ روضةً
 جرى الدهرُ بالتفريقِ بيني وبينها
 وكانَ حميداً فعلُهُ فإذا بهِ
 فصوِّحَ أزهارِي وكانَتْ نديَّةً
 فما لفؤادٍ بعدها من مسرةٍ

[يدخل أثالة بن سعيد قادماً من الحي]

أثالة - محتضناً عروة:

ولم أنظرُ مُحَيَّاهُ
 قَريبٌ لستُ ألقاهُ
 ولا أحظى بِرُؤْيَاهُ
 رضيتُ فما رضيناهُ

سلاماً أيها الداني
 أخي عروة في داري
 يُقيمُ بأرضنا زمناً
 أخي إن كنتَ عن هذا

عروة في تهكم:

لَكَ العَلياءُ والجاهُ
 يَزورُ العبدُ مولاهُ
 وحيُّكَ لستُ أغشاهُ

أثالة عشتَ ذا كرمٍ
 متى - والناسُ أقدارٌ -
 فدارُكَ لستَ آتيها
 وإنِّي ها هنا ثاوٍ

أخي سامحك اللهُ
 يَبيتُ القَفْرُ مأواهُ

أثالة - في عتاب:
 أفقرُ المجدِ من نهدٍ

أعَنْ هَذَا أَخِي تَرْضَى
فِيَابِنَ الْعَمِّ إِنَّ لَكُمْ
أَقَمْتُ بَدَارِكُمْ حِينَا

يسكت - برهة ثم يستطرد:

عَرَفْتُ الْقَلْبَ ذَا أَلْمِ
شَقِيقُ النَّفْسِ مَاذَا عَنِ
وَلَيْسَ بِهِ سِوَى أَهْلِ
فَذَتَكَ النَّفْسُ مِنْ قَالٍ
دُمُ الْقَرْبَى جَرَى فِيهِ
فَلَوْلَا مَنْ أَتَى يَسْعَى
وَقَالَ رَأَيْتُ عَرُوءَ قَدْ
أَلَا إِنَّ الْغَرَامَ إِلَى
تَكَلَّمْ عِنْدَنَا قَوْلًا
وَلَوْلَاهُ لَمَا أَدْرَكْتُ أَنَّكَ

عروءة - في هدوء:

أَثَالَةٌ إِنِّي عَانٍ
غَرِيمِي فِي الْوَرَى عَمِي
فِيَا لِي مِنْ أَخِي سُقْمٍ
وَأَوَاهُ .. إِذَا كَانَتْ
أَثَالَةٌ إِنَّ مَنْ عَانِي
أَلَا إِنَّ الْغَرَامَ إِذَا
يُؤرِّقُهُ السَّهَادُ وَلَا
لِمَا قَدْ ذَاقَهُ عُصْصًا
عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنْ أَلْمِ

وَنَفْسُ الْحَرِّ تَأْبَاهُ
لَدَيْنَا مَا قَضَيْنَاهُ
وَعَهْدًا لَسْتُ أَنْسَاهُ ..

وَأَدْرِي سِرَّ بِلَوَاهُ
رُبُوعِ الْبَيْتِ أَقْصَاهُ
و«أَخْت» فِيهِ تَرَعَاهُ
لَنَا وَالْقَلْبُ يَهْوَاهُ
فَرَوَاهُ وَغِذَاهُ
- وَلَمْ يَعْرِفْكَ إِلاهُ
دَعَا الشُّوقُ فِلبَاهُ
رُبُوعِ الْحَيِّ نَادَاهُ
أَلَيْمَ الْغَمِّزِ مَغْزَاهُ
جِئْتُ .. لَوْلَاهُ

رَمَى الدَّهْرُ فَأَصْمَاهُ
أَلَا مَا كَانَ أَقْسَاهُ
رَمْتَهُ الْيَوْمَ كِفَاهُ
تَفِيدُ الْمَرْءَ أَوَاهُ
تَضِيقُ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ
أَصَابَ الْمَرْءَ أَرْدَاهُ
يَذُوقُ الْغَمِّضَ جَفْنَاهُ
تَسْحُحُ الدَّمْعَ عَيْنَاهُ
يُحَلِّقُ فَاغْرًا فَاهُ

أثالة - في عطف :

أخي لو قد عرفت هوى
لما كنت الذي يمشي
وسرَّ اليومَ محزونٌ
فهيا للديارِ أخي
بقليكَ ثمَّ أضناه
وفيه الداءُ أعياهُ
وأدركَ ما تمناهُ
وحسبُك ما أضعناه

عروة:

كفى المسكينَ قربكم
فدعه في شقاوته
وإني لستُ بالماضي
فللناسِ أقاويلُ
فإنَّ القربَ أحياءُ
يبثُّ البيدَ شكواهُ
حديثُ الناسِ أخشاهُ

ألا خابوا.. ألا شاهوا

أثالة:

فكم ظنُّوا بنا ظناً
فدعك أخي من عاذلٍ متوهمٍ
وأقبلِ إلى دارِ ابنِ عمِّك لا تكن
عن الدارِ - دارِ الأهلِ - يا عرومُ حجماً
وهمٌ في الوهمِ أشباهُ
يصدقُ فينا عاذلاً متوهماً

عروة:

ألا إنني ما كنتُ عن ذاكِ راغباً
أثالة سرُّ نحوِ الديارِ مودعاً
ولكنني خفتُ الرجوعَ مُدَّماً
وإني سأتيكم إذا الليلُ أظلماً

أثالة:

إذن في حفاظِ الله ما دمتَ ها هنا
سلام.. وإني في انتظارٍ لذي الحمى

[يخرج أثالة وينشد عروة في صوت حزين]

عروة:

حنانيكَ رحمنَ السماءِ إلى متى
سئمتُ حياتي.. أيُّ عيشٍ لواله
أعبُ كؤسَ الهمِّ صاباً وعلقماً
تكبِّدُ أهوالَ الهوى وتجشماً

يقيمُ غريبُ الدارِ . . لا أهلَ عندهُ
إذا عادَهُ الشوقُ الممضُ وهاجَهُ
معتى رماهُ الوجدُ شرقاً ومغرباً
أظُلُّ أجوبُ الأرضَ لا أسامُ الوجى
فإن أشكُ لمُ أشكُ الهوانَ بل الهوى
أسائلُ قلبي عن هواهُ الذي به
فلمُ يذقِ الهولَ الذي ذقتُ عاشقُ
فيا أرضها . . هذا فراقُ فبلغي
فبعدَ الذي شاهدتُ من نيلِ زوجها
وكنتُ أرى بالقربِ منها سعادةً
سلامٌ عليكِ اليومُ إنني لراحلُ

[ستار]

(١) أنجد : أي أتى إلى نجد، وأتهم : أتى إلى تهامة.

(٢) الوجى : الوجدع نقول : وجي الفرس (بالكسر) وهو أن يجد وجعاً في حافره.

المنظر الثاني

[وادي القرى . . ربا وأشجار ونخيل ، يدخل عروة بادي الإعياء ويتهالك جالساً
مسنداً ظهره إلى جذع نخلة .

عروة - في إعياء:

والدهرُ عدواناً عليّ يجورُ
أمشي بغير هدىً بها وأسيرُ
قيدِ الشقاوةِ للغرامِ أسيرُ
إذ ما يُؤوبُ للنهارِ هجيرُ؟
جلدٌ عليّ صرفِ الزمانِ صبورُ
البعْدُ قاسٍ والفرقُ مريّر
رقتُ ليَ البيداءَ حينَ ركبْتُها
فإلى متى؟ . . ألى المماتِ يظلُّ في
عانٍ أضرَّ بهِ السرى وأمضُّهُ
قد كان أن يردَّ الحتوفَ من الأسي

[يشتد عليه الداء]

إن جئني منه الغداة مجيرُ
تضفو بقلبٍ معذبٍ وتمورُ^(١)
لتنوء أضلاعُ بهِ وصدورُ
عنها يردُّ الطرفُ وهو حسيرُ
فلقد تُريحُ من العناءِ قبورُ
إنَّ المماتِ نهايةٌ ومصيرُ
بعدَ المماتِ لحقبةٌ ودهورُ
عفراءُ قد حَمَّ القضاءَ وليس لي
قسماً بحبِّك والمواتقُ في دمي
بالشوقِ يحرقُ في الفؤادِ وإنه
بهوىً قطعْتُ بهِ المفاوزَ جمَّةً
ما كنتُ إن نزلَ القضاءَ بجازعِ
ولقد علمتُ لتأتينَ منيَّتي
لكنني أخشى الفرقَ وإنه

(١) يقسم الشاعر بغير الله وهذا غير جائز لأنه من الشرك .

أَكْذَا أَمُوتُ عَنِ الْمَنَازِلِ نَائِيًا قَدْ فَاتَنِي خِلٌّ وَعَزَّ نَصِيرُ
لَمْ يَكُنِي أَهْلٌ وَلَمْ يَنْدُبْ عَلَيَّ قَبْرِي بَسْوَكَ دَمْعُهُنْ غَزِيرُ
مَا مِنْ خَلِيلٍ فَوْقَ غَائِرِ حَفْرَتِي يَحْثُو التَّرَابَ وَبِالْفَوَادِ سَعِيرُ

[يدخل رجلان عليهما آثار السفر]

الأول : مشيراً إلى عروة :

صاح ما هذا

الثاني : أراه قاطعاً للفلوات

متعبٌ يبغي مَقِيلًا فِي ظِلَالِ الرِّبَوَاتِ

عروة : آه ..

الأول : هل تسمع نوحاً رنَّ

الثاني : مِنْ أَيِّ الْجِهَاتِ ؟

الأول : منه

الثاني : هذا؟ .. أعليلُّ هُوَ يَشْكُو النِّكْبَاتِ

الأول : علَّه ذاك

الثاني : إِلَيْهِ قَدْ نَقِيلُ الْعِثْرَاتُ

[يقتربان من عروة فيرفع رأسه عند رؤيتهما في إعياء]

عروة : مَنْ أَرَى ؟ ..

الأول : أَخْوَا طَرِيقِ سَمِعَا رَجَعَ الشُّكَاةَ

لَكَ قَدْ جَاءَ رِدَاءُ مِنْ أَلِيمِ النَّازِلَاتِ

عروة :

لَكَ شُكْرِي يَا إِلَهِي يَا عَظِيمَ الْمَكْرَمَاتِ

جئتما كي تحفرا لي حُفْرَتِي بَعْدَ الْمَمَاتِ

فأقيما بجواري إِنَّنِي حَانَتْ وَفَاتِي

فإذا أسلمتُ رُوحِي
 فاغسّلاني بطهور
 وادرجاني في ثيابي
 واحفرا قبري بعيداً
 واجعفلا غاراً عليه
 وابكيا صباً غريباً
 وارشدا قومي إليه
 طالباً لي عند عمي
 واقصدا حياً بعيداً
 بلغا عفراء أني
 واحملا مني وداعاً

الثاني:

ويحنا.. مِمَّن الفتى؟

عروة:

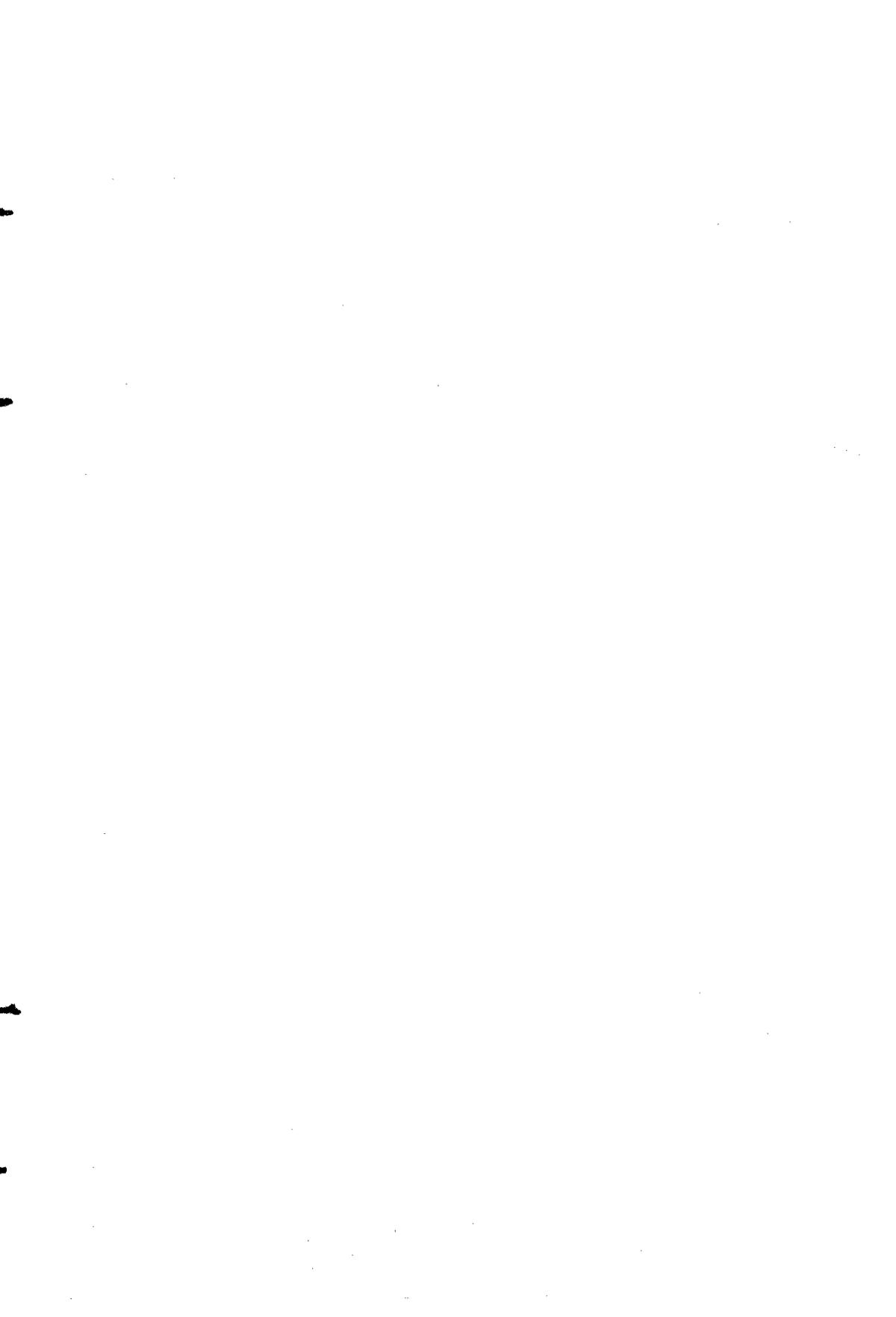
وأنا عروةُ الذي
 تحملتُ آلام الصبابةِ والأسى
 وكم زفرةً للوجد والليلُ أسحُمُ
 وآلامُ شوقٍ في الجوانحِ والحشا
 ألمًا بداري واهتفا في فنائها
 وقولا لأمي في الديار: تجلدي
 هل الموت خيرٌ.. أم حياةٌ بها الضنى
 وطوفا على الأثارِ - آثارِ حينا

من بني عُذرةِ التُّجُبِ
 ذكرهُ سار في العرب
 ولم ألقَ من جرحِ الهوى لي آسيا
 ينفسها القلبُ الذي بات صاديا
 شقيتُ بها، والدمع ينهلُ جاريا
 بأني قضيتُ اليوم في البيد نائيا
 فإن مماتي كان طباً لِمايا
 وداءٌ على الأيام يدمي فؤاديا
 ويُنثا الربا شوقي لها والمغانيا

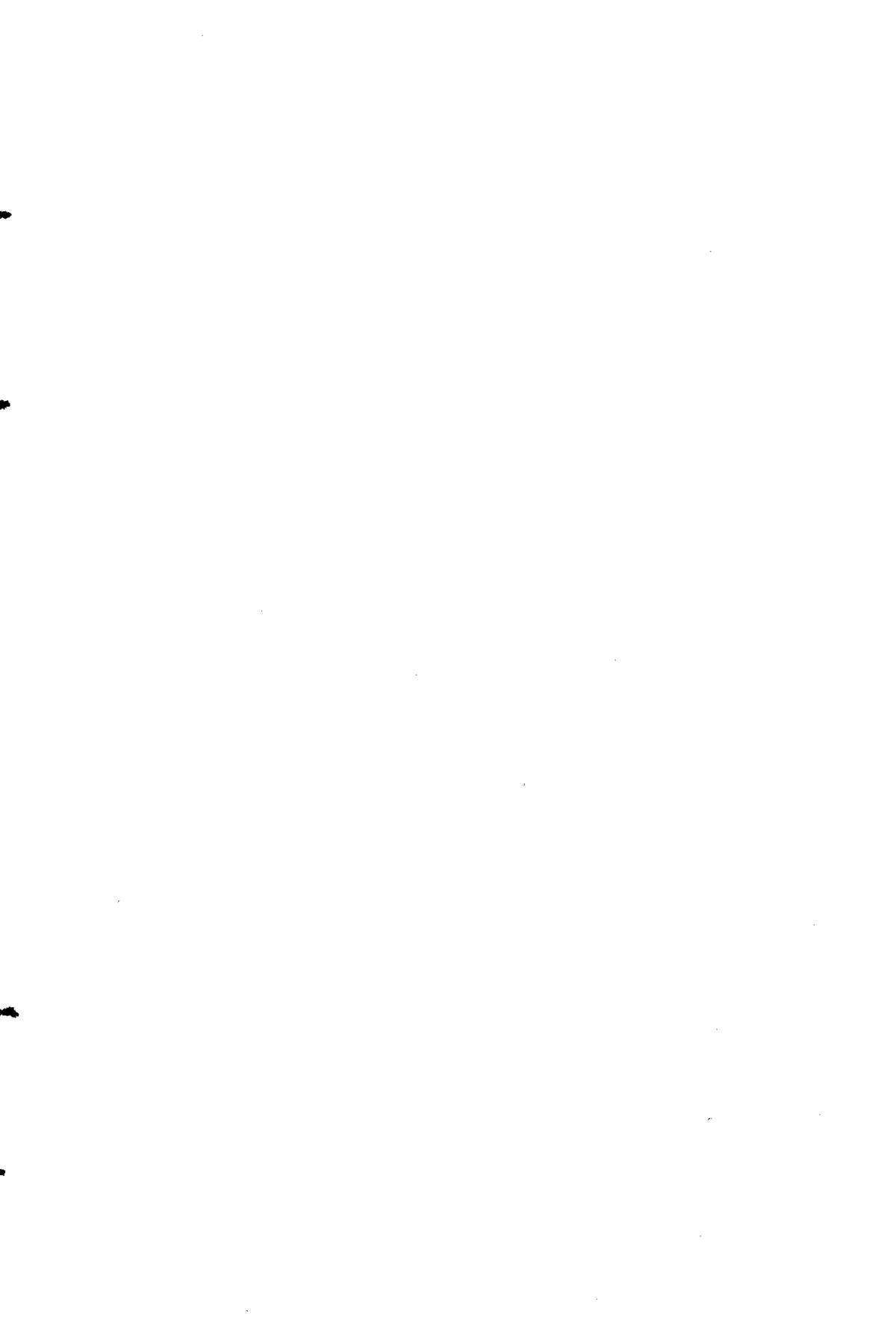
(١) الترات جمع تره وهي الثار.

ألا حيِّيا بالله عني ملاءباً
قفا بكثيبِ الرمل من أيمنِ الحمى
لقد كان لي في سحفيه عيشٌ هانيءٌ
سلامٌ على الدنيا، سلامٌ على الصبا
سلامٌ على العشاقِ، عاشوا على لظى
شربتُ بها كأسَ الصبابةِ حالياً
وقولا لمهدِ الحبِّ: أنْ لا تلاقيا
فما كان طيبُ العيشِ بالسفحِ باقياً
سلامٌ على القلبِ الذي بات دامياً
وماتوا، فلم يلقوا من الناسِ حانياً

[ستار الختام]



الفهارس



فهرس القوافي لمطالع القصائد

حرف الهمزة

رقم الصفحة عنوان القصيدة

انظر لصفاء اليوم والأرجاء
رأيت الخطب جل عن العزاء
جيد الظبا والمقلة الحوراء
نم يا صغيري إن هذا المـ
أيها الأشبال
تجد الدمار أقام في الأنحاء ٣٤٠ محنة اليمن
فغاض الدمع ينطق بالرثاء ٢٢٥ عزاء
هذان يا قلبي هما الغرماء ٣٢٧ مولد النور
هدد يحرسه الزجاء ٣٨٥ أغنية أم
مصر نادت فاستجيبوا للنداء ١٥٣ تحية الأشبال

حرف الباء

من مقلتيك يفيض اللؤلؤ الرطب
طال في اليأس والرجاء إرتقابي
ياشادي الشرق هذا الصوت من ذهب
يا قائم الليل ما للدمع ينسكب ٣٠٧ وحي المولد
يا عروس المنى وحي الشباب ٢٤٧ الشاعر والفكرة
سلمت للفن يا قيثارة الطرب ١٨٨ الموسيقار

محمد عبد الوهاب

أديروا على سمعي اليراع المثقبا
أتنبح بيننا هذي الكلاب
أظهرت جدالي سىء الأدب
وأمسية عند شاهين قد
قفوا هذا الفريق غداة خابا
أما المصاب فكان شر مصاب
ولا تمنعاني أن ألد وأطربا ٣١٧ ذكرى المولد
لعمر الحق قد جل المصاب ٢١٣ رد على رد
فرحت بالنار تبغي أخطر اللعب ٢١٤ صريع الحقد
لمست بها نبلة عن كذب ٤٣٦ زيارة
طويلاً إن لي معه حسابا ٤٣٩ آخر خيبة
يا بهجة الأقران والأتراب ٢٣٠ دمة على زميل
راحل

أيقظ الشرق وهز العربا
أكل الردى من فيض تلك السحاب
وجفن كغمد السيف، لابل كحده
ربوع قد صحبت بها الشبابا
ذكر يفيض سنا ويعبق طيبا
الغابة السمرء من حو
أيها السائر بين الغيـهـب
شعب يعانق مجده المسلوبا
بعينيك ما أصمى الفؤاد وما أصبى

فبريق المجد في الشرق خبا ٣٥٣ شرق وغرب
ولم أرها قبلاً لغير المواهب ٢٣٤ كارثة في قنا
إذا سل أصمى العابد المترها ٢٨٩ راقصة
وعشت بواكر العمر اغترابا ٤٤٦ ليالي الرقازيق
قد بات من أذن الخلود قريبا ٢٠٤ تحية طيب
لي يغلفها الضباب ٣٦٨ رسالة من أفريقيا
عائر الخطو جلي التعب ٣٧٥ دين وعروبة
ويشق آفاق الخلود وثوبا ١٧٢ شعب وقائد
وحبك ما أغرى بي الأمل الجدبا ٢٦١ حوار

حرف التاء

من مقلتي تدفقت عبراتي
نور أضواء معالم الجنيات

فنظمت من حباتها أبياتي ٣٤٧ الدستور الخالد
وسنى بهذي الأربع النضرات ١٩٨ أنور السادات

حرف الحاء

دع عنك خمرك يا نديم الراح
ترك الدنيا صلاح
أنا يا أخي في النيل
وطني العزيز غالي عليه

إني طربت بخمرة الأفراح ٣٠٤ ميلاد الرسول
ومضى عنا وراح ٢٢٨ صلاح ذهني
والظلم المخيم والجراح ٤٠٢ زفرة
أفديه بالسروح ٤٥٦ يكفي بقى هدم في مبانيه

حرف الدال

عليّ للعلا أهل وكفاء
عيد بأية حال عدت يا عيد
قفا حدثاني هل أصابكما وجد
مدح الرسول اليوم كل مرادي

جدير بالمحبة والوداد ١٠٤ صداقة
بما مضى أم لأمر فيك تجديد ٤٢١ أحزان
وهل أسهدت في الحب عينكما عند ٢٧١ آلام عاشق
فمديحه يظفي لهيب الصادي ٣٠٣ ميلاد الرسول

نحو جنات الخلود ٢٢١ الشهيد أحمد عبد العزيز	أيها السائر عنا
إن اللسان لعاجز ومقيد ١٣٢ بين عهدين	أين البيان أصوغه وأنشد
ردد وأنشد يا قريض بمجداً ١٨١ تحية	غني الفريض لكي يحيي أحمدا
وارفعوا الأعلام في يوم الفقيه ٢٢٦ الشهيد أحمد عمر	رددوا الأشعار في ذكرى الشهيد
ونلت لدى الورى عزاً وسعداً ١٨٥ النائب المحترم	علوت مكانة وعظمت مجداً
يارافعاً علم الكفاح مديداً ١٤٣ تحية الشعر للزعيم النحاس	دم للكنانة سيداً وعميدا
كذا فليتم المكر وليفلح الكيد ١٤٧ مأساة زعيم	أحقاً خلا من عزم سيده الوفد
دعنا بعون الله والعود أحمد ١٠٦ عود حميد	رجعنا وخاب المنذر المتوعد
فقد أذبل الهجران ناصر عودي ٢٧٩ أنشودة عاشق	ليالينا عند الخميعة عودي
جددوا الآمال بالعهد الجديد ١٥٣ تحية الأشبال	أيها الأشبال في النيل السعيد
وأصوغ فيك من القريض نشيداً ١١٥ تحية الشعر	أثنى عليك مردداً ومعيدا
يهنيك ما قد نلت يا جادو ٢٠٠ إبراهيم جادو	إن الخلود عزيمة وجهاد
يحرقهم شوق ويدفعهم وجد ٩٩ ذكرى مولد الرفاعي	إليك سعى الأحباب والصحب يا جد
وراح علينا بالقذائف واغتنى ١٦٢ معركة القناة	بمدفعه المغرور قد حال واعتدى
ويغضبة الشعب المجيد ١٦٥ بنت العروبة	أقسمت بالبطل الشهيد
ومات له فوق الشفاه نشيد ٤٠٠ في الربيع	ربيع أظلته الخطوب السود
إني من الحق فيها قد نفضت يدي ٤١٦ جمال الرئيس الجمهورية	لا مصر دارى ولا هذي الربا بلدي
وفي المنازل عشاق معاصيد ٢٥٩ شعراء يبعثون	طوى هريرة ركب دونه البيد

حرف الراء

ويحر من علوم لا يباري ٢٠٥ صديقي	أديب إي وربي لا يداني
كأني نزلت خريف العمر ٤٢٢ ملل وضجر	مللت الحياة أيا صاحبي
وكنا حسبناه دجاجاً محمراً ٤٣١ دعابات	أنا غنيمي بالفطير وأحضرا

قد جاءنا التحريرى
على شط من الألحا
يا زارعاً بالحقل ركن خيار
مضى للنوم سمار
إلى ربوة البشرى يا سامر
بيان كأزهار الربيع النواضر
هات الحسام وودع هذه الدارا
يا خيبة قد روها بالقناطير
ذكرى كفواح العبير
رجع الكمي إلى الحمى وأغارا
أمل تحقق في البلاد عسير
الجرح في الأعماق غائر
إذاً أن لابن النيل أن يدرك النصرا
أطل على ضفاف النهـ
ألا فليسقط العبث الحقيقير
شذى من جنة الزهر
بهواك ، بالدم فو
قف في ربوع المجدوابك الأزهر
أعيدي قصة النصر
خيال تمر عليه الصور
فقدت تجلدي ويكيت دهرا

بالويل والشبور ٤٣٢ يوم الإمتحان
ن والأزهار والعطر ٧٧ بسمه الحياة
في القطن كي يخفى عن الأنظار ٤٣٤ زارع الخيار
خلت من أنسهم دار ١٤٥ خواطر نائرة
فقد ضاق بالوحدة الشاعر ٢٤٨ همسة الليل
تبدي بها تيك الثمار البواكر ١٨٩ قلوب العذارى
فالمخطب أشعل في أحشائي النارا ٣٤٥ ثورة
جاءت لنا في نهار كالدجاجير ٢١٥ الخيبة الكبرى
هاجت بأحناء الصدور ٧٩ في ظلال الريف
متحدياً يبدي بنا استهتارا ٤٣٨ عودة المنتصرين
قد كان في خلد الفقير يدور ١٥٧ توزيع الملكية
والدمع في الأفاق ساهر ٢٥٠ الحياة
وأن لهذا الليل أن يظهر الفجرا ١٦٠ يوم الجلاء
ر صباحاً موكب النور ٤٤٢ شم النسيم
فمعهدنا له شيخ وقور ٢١٨ العميد الرجعي
ولحن فاتن السحر ٢٠٢ زفاف ابن العم
ق تريك يا جزائر ٣٦٤ الجزائر الثائرة
واندبه روضاً للمكارم أقفرا ١٢٣ الأزهر
وموعدنا مع الفجر ١٧٤ عيد الثورة
بعيد من الدهر ما قد غبر ٤١١ ذكريات عام ضائع
وعشت أردد الأنفاس حرى ٢٥٨ شعراء بيعثون

حرف الزاي

من معين لبائس
وغزال بروضة
موجع القلب يائس ٢٨١ من أغنيات الربيع
ناطق الطرق هامس ٢٨٦ في شم النسيم

حرف العين

حب البلاد عقيدة أشربتها	من ثدي أمي حين كنت رضيعاً ١٣١ عقيدة
أمن المصاب وعظمه تتوجع	والعين منك سيولها لا تقطع ٢٢٣ عزيز يفارق
عيد الأمومة والربيع تجمعا	عيدان قد طلعا على الدنيا مع ٤٢٨ عيد الأمومة
ليل تاللاً فيه نجم يلمع	وبه الرياض عبيرها يتضوع ١٣٤ مصر الجريحة
ماذا أفادك يا فتى الإقطاع	هذا التمرد غير سوء ضياع ١٤٨ عدلي لملوم
يا ثورة في ضلوعي	وما لها من هجوع ١٤٩ صيحة البعث
أيذكر سيبويه ونحن فينا	أمين ترائه عبد السميع ٢٠١ عبد السميع
أبي الله إلا أن تذلّ وتخضعاً	وشاء لركن البغي أن يتصدعاً ٤٠٩ سقوط ركن من
ليل وليس هناك غير شعاع	اركان الطغيان
يا أحمداً هلا أخذت بداعي	لم ينعه للمدجلين الناعي ٣٨١ أضواء من السماء
	فلأنت في نشر الرذيلة ساعي ٤٣٣ مناسبات ودعابات

حرف القاف

قل لي بربك هل رأيت صديقاً	للسر يسرق أو يخون رفيقاً ١٠٤ خيانة
يا إله الحب رفقا	قد وهى خيطي ورقاً ٢٧٢ غزل
بات الفؤاد صباية يتحرق	وبه إلى دار الحبيب تشوق ٨٧ مولد الرفاعي ^(١)
فجر أطل على الكنانة مشرقاً	يجلو بطلعته الظلام المفتقاً ١٥١ صوت التحرير
يد تطوي ومكرمة تعق	وحكم فيه إجحاف وحمق ٣٤٧ الأسد السجين
لست أنساك وإن لم نلتق	مذ تساقينا الهوى في زورق ٢٩٢ حنين
أنا يا بني غداً	سيطويني الغسق ٣٧٨ وصية لاجيء
السيف في كف الطغاة	مخضب بدم مراق ٤٠٣ زفرة
لم أدر أن صديقنا «ابن الزق»	دمه ثقيل الظل مثل البق ٢١١ هجاء

حرف الكاف

لا تهجريه بحق من أولاك	عرش الجمال فإنه يهواك ٢٧٤ لوعة وشحن
------------------------	-------------------------------------

وسنا الخلود يشع من ماضيك ١٣٧ مصرفي الميدان
شدا بها في الورى يا مصر شاديك ٤٤٩ نشيد الوادي

نعج الجهاد يفيض من واديك
أنشودة عطرت أرجاء واديك

حرف اللام

فأصاب مني مقتلا ١٠٣ صور ساخرة
وعلوكم صعب المنال ١٨٣ النائب المحترم
الشيخ عبد العظيم عيد

قذف الزمان بسهمه
بنبوغكم ضرب المثال

وانهار صرح العلا واستنوق الجمل ٤٢٦ هزيمة المعهد
لا ترتضي غير الجهاد سبيلا ١٣٩ جهاد ضائع
ولا تنشدا فيه الهناءة منزلا ٤٣٣ مناسبات ودعابات
يحكي الربيع بشاشة وجمالا ٣١٥ عيد الهجرة
ولقيت فيه مغفلا ٢١١ هجاء

جل المصاب وضاع المجد والأمل
سثم الفؤاد الزور والتضليلا
خليلي هذا منزل البؤس فارحلا
عيد على الوادي أتى مختالا
وإذا نزلت المنيلا

ومثلي للعلياء بين الورى أهل ٢١٦ صورة نفسية
وجنت عليك بسمة لمقبل ٩٤ مولد الرفاعي (٣)
والخطبات على النفوس جليلا ١١١ محنة المعهد
وبجفنيك فاتك من نصال ٢٨٨ فاتنة

إلى ذروة العلياء سار بي الفعل
لعبت بلبك ذات طرف أكحل
القطر يوشك أن يفيض سيولا
مك عينيك دعوة للنزال

وفؤادي مفعم بالأمل ٤٤٩ نشيد الجامعة
لن تبقى في وطني الغالي ٣٧٢ اغنية صومالية
يجدي لساني فيه يا فريال ٤٥٠ شكر

في فمي ألحان مجد رائعة
أبدأ لن تخنق آمالي
شكري إليك يسوقه قلبي ولا
مشى فأحيا لدى أبنائه الأمل

وقام ينعش زهراً للمنى ذبلا ١٢١ دار العلوم تشكو
يسوق الحب اكليلا ١٧٠ في عيد الوحدة

أرى من أمتي جيلا

ثم أطرقت في خجل ٢٩٧ قصيدة غزل

قالت العين لي أجل

لا تطمعوا في نيل الاستقلال ٣٩٣ مصر بين احتلالين
تمر بك الأعوام والليل شامل ٤٠٦ مع الثورة في ربة القيد

قالوا الجلاء فقلت حلم خيال
هو الظلم يا ابن النيل بالنيل نازل

حرف الميم

مدح الرسول كريم الخلق والشيم ٣٠١ نهج البردة

هبت رياح الصبا فاستكتبت قلبي

لتهديها التحية والسلاما ١٧٩ عودة الأبطال
برمنا بها فوضى وطال التبرم ١٤١ صوت الوطنية
ومضى بي إلى العدم ٢٤٩ آهة شريدة
كالزهر أينع بالربيع الباسم ٢٨٣ عادة الريف
فله ما أحلاه ذكراً وأكرما ٣٢١ ميلاد الرسول
من محنة أقبلت في حلكة الظلم ١٠٨ أم النواذب
فعلى المطالب جمّة وسلام ١١٤ المطالب الأزهرية
فلي نصف السيف إن لم ينصف الكلم ١٥٤ يوم الحرية
فقدومك الميمون خير قدوم ١١٧ تحية ورجاء
أني يعبر عنه وحي المرقم ١٩٦ فتحي رضوان
بأولي المكاف تذهب الأيام ٢٣٢ فقيد أنشاص
قد عطرت بأريجہ الأنسام ١٨٧ تهنيئة
فلا ذقت داءً ما حييت ولا سقما ١٩٥ فرحة الشفاء
وأشلاء ليل غاله الصبح قائم ٣٦٢ جزار الغرب
وتفتحت عن زهرها الأكمام ٣٨٩ غرام لاجيء
بلا لسان أو فم ٤٠٢ زفرة
ولمن نصبتم هذه الأعلاما ٤٠٤ جمال يعود من
باندونغ

لا يفتحون بغير ما تهوى فما ٤١٨ نواب الأمة

حرف النون

وامسك حسامك واطعن قلب صهيونا ٣٣٩ فلسطين
وأنت جهول عصرك والأوان ٤٢٣ هجاء
وما لنور الصفا قد بات يغشانا ٤٢٤ ليلة الفرح
قد بات يدميه الأنين ٢٧٦ قلب ممزق
خير الكتاب أجمعين ٣٤٢ تحية الشباب

أعد اليوم لفظك والكلاما
تقدم فأنت اليوم من يتقدم
شفتي غائل السقم
بكرت إلى النهر الوديع الحالم
أعد ذكره في الكون شدواً مرغما
أعوذ بالله رب الخلق والنسم
عام تولى في الكلام وعام
نار على جنبات النيل تحتم
أقبل رعتك عناية القيوم
بشر تدفق في الفؤاد وفي الفم
قف أيها الغادي عليك سلام
الزهر بين رياضه بسام
سلمت وعاد البرء ينتظم الجسما
سنا أمل ملء من الربا والمعالم
يا بنت عمي مرّت الأعوام
أأظل أمضي في الحياة
قومي علام تهللون علاما؟
ها هم كما تهوى، فحركهم دمي

آن الجهاد فأقدم أيها البطل
أمثلك يتغي تصحيح شعري
ما لي أرى الكون بالأعلام مزدانا
لي في الهوى قلب حزين
حي الشباب العاملين

يا حبيبي قم فهذي قرأت بديع شعرك في الزمان
يا صاح يا ذا الصبر في الأحدا رهط من الأطفال والصبيان
حسن وإن تك بالحسن يا وحي فني أعني
زعمت بأن للأدب انتسابا اعتلى القمري غصنا
يا جودة جاد الزمان لنا بها أبتاه ماذا قد يخط بناني
سلام من شمالك صيغ لحنا من جانب الخلد في ظل النبيينا
تسائلني من الجاني عهد بجلق لا نؤي ولا دمن
ملكنا هذه الدنيا قروناً على سمع الخلود تركت لحنا
أنزل بهذا الشعب كل هوان

ربوة الليل الأمين ٢٧٧ دمغ وحب
فقلت لأنت معجزة الزمان ٤٣٠ تهنته
ث قم سائل حسينا ١٠٥ انجاح كاذب
قالوا عليهم شعبة الإخوان ٢٠٩ دعوة الحبيب
فالقبح شيمة من إذن؟ ٢١١ الجهول
في القول يا وحي فني ١٩٣ زفاف صديق
يجمعنا كذلك كان ظني ١١٠ قصة كتاب
وشدا في الكون لحنا ٤٣٧ تحية
ليكون منه الجود والإحسان ٤٢٢ تحية
والجبل والجلاد منتظران ٣٥٨ رسالة في ليلة التنفيذ
إلى واديك يا أسوان منا ٤٤٤ أسوان
روح أطلت على أرجاء نادينا ٢٤٠ في ذكرى الرافعي
على قلبي ووجداني ٢٩٤ بطولة حب
مذطاب لي في مغاني أهلها سكن ٢٥٨ شعراء يبعثون
في موكب التحرير
وأخضعها جدود خالدونا ٣٨٣ شباب الإسلام
به التاريخ في الأفاق غنى ٢٤٣ حفني ناصف
وأعد عهدو الرق للأذهان ٣٩٦ جلاد الكنانة

حرف الهاء

سجلت قصتك التي مثلتها الكون أشرق أرضه وسماؤه
وحياتك عندي يا ماما أما العيون فطول الهجر يبكيها
يا فتنة مركبة كفى فتنة فليغمد السيف صاحبه

لتكون ذكرى يا وحيد وتذكرة ٤٢٧ مأساة يتيم
وتضوعت طيباً بكم أرجاؤه ١٨٢ الأستاذ الأكبر عبد
المجيد سليم

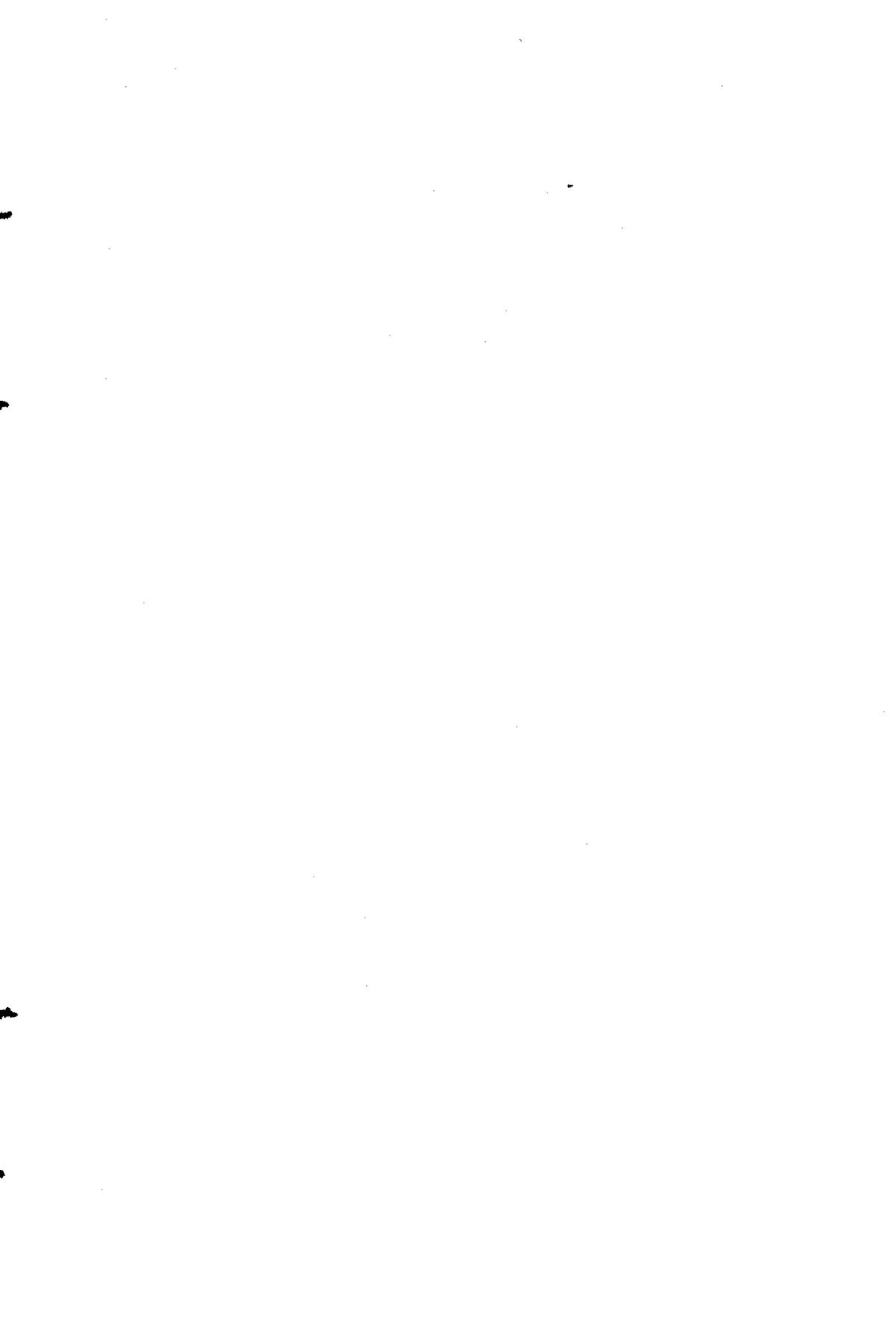
إن انتي عزيزة عليّ ٤٥٥ نشيد الأم
والدمع يلمع مدرأ في مآقيها ٣١١ الذكرى العاطرة
من نغم ما أعذبه ١٩١ موسيقى سامبا
فإن أخاه اليوم من هو ضاربه ٣٥٠ دماء في السودان

على شاطئ الترعة الجارية ٨٢ موكب الربيع	ألا حبذا جلسة السرايية
على سندس الخضرة الناضرة ٢٨٥ فتاة القرية	رويدك أيتها السائرة
ولهوك تحت أفنان الخميلا ٤٤٠ أيام الطفولة	أتذكر سحر أيام الطفولة
وزهرة عبقت بالروض رباها ٢٣٦ الزهرة الذابلة	أنشودة في فؤاد الدهر غناها
تركت بكل صحيفة آثارها ٢٥٣ حول قيود اللغة	أشعلت حرباً لم تضع أوزارها
وسحرك تقهر ألوانه ٢٥٦ زفرة	جمالك يبهر فتانه
وتغمرنا أمجاده ومفاخره ١١٨ الأزهر المكافح	هو السؤدد الماضي تدق بشائره
من ثثن ومقلة مكحولـة ٢٩١ رماد الفصيلة	لا تمدي لصيده أحبولة
وينمق أكليل تحية ١٦٧ نشيد الوحدة	البشر يعطر أعيادي
إذ الهول فرق أوصالها ١٢٦ الفزع الأكبر	تلقت يشهد زلزالها
وهب المجد روحه وشبابه ٢٩٣ كبرياء الحب	المنى مك قلبه لا الصبابة
من نشوة مركبة ٤٥١ الغانية المعذبة	فاتنة مهذبة
أحلام الرياض النائمة ١٦٨ قصيدة بورسعيد	كان الخريف يظل
يبسط السحر فوقها ألوانه ٢٦٣ الشعر والحياة	في ربوع ظلالها فتانة

حرف الياء

يا سيدي يا بدوي ٤٣٥ يوم القيامة	بكرة ، امتحان الشفوي
وما كنت لولا هزة الشوق شاديا ٩٠ مولد الرفاعي (٢)	دعاني إلى الإنشاء شوق سماليا
فما مثله إن شئت في الحق قاضيا ١٥٥ فتية التحرير	دع السيف يبدي الحق لو كان خافيا
وأشهد موت الشيخ منا المآقبا ٢٣٨ رثاء عالم	أهاج لنا الحزن العيون البواكيا

* . * . * . * . * . *



الفهرس العام

الموضوع	الصفحة
١ - مقدمة الطبعة الثانية	٥
٢ - بين يدي الديوان	٩
٣ - لوحات مصورة من مخطوطات الديوان	٤٧

الشعر

القسم الأول:

أ - في أحضان الطبيعة	٧٥
١ - بسمه الحياة	٧٧
٢ - في ظلال الريف	٧٩
٣ - موكب الربيع	٨٢
ب - في دائرة الأسرة :	٨٥
١ - مولد الرفاعي (١)	٨٧
٢ - مولد الرفاعي (٢)	٩٠
٣ - مولد الرفاعي (٣)	٩٤
٤ - ذكرى مولد الرفاعي	٩٩
ج - مع ذكريات الدراسة والتعليم :	١٠١

١٠٣	١ - صور ساخرة
١٠٤	٢ - خيانة
١٠٤	٣ - صداقة
١٠٥	٤ - نجاح كاذب
١٠٦	٥ - عود حميد
١٠٨	٦ - أم النوائب
١١٠	٧ - قصة كتاب
١١١	٨ - محنة المعهد
١١٤	٩ - المطالب الأزهرية
١١٥	١٠ - تحية الشعر
١١٧	١١ - تحية ورجاء
١١٨	١٢ - الأزهر المكافح
١٢١	١٣ - دار العلوم تشكو
١٢٣	١٤ - الأزهر
١٢٦	١٥ - الفزع الأكبر
١٢٩	د - مع الأحداث والمناسبات في مصر
١٣١	١ - عقيدة
١٣٢	٢ - بين عهدين
١٣٤	٣ - مصر الجريحة
١٣٧	٤ - مصر في الميدان
١٣٩	٥ - جهاد ضائع
١٤١	٦ - صوت الوطنية

- ٧ - تحية الشعر إلى الزعيم مصطفى النحاس ١٤٣
- ٨ - خواطر نائرة ١٤٥
- ٩ - مأساة زعيم ١٤٧
- ١٠ - عدلي لملوم ١٤٨
- ١١ - صيحة البعث ١٤٩
- ١٢ - صوت التحرير ١٥١
- ١٣ - تحية الأشبال ١٥٣
- ١٤ - يوم الحرية ١٥٤
- ١٥ - فتية التحرير ١٥٥
- ١٦ - توزيع الملكية ١٥٧
- ١٧ - يوم الجلاء ١٦٠
- ١٨ - معركة القناة ١٦٢
- ١٩ - بنت العروبة ١٦٥
- ٢٠ - نشيد الوحدة ١٦٧
- ٢١ - قصيدة بور سعيد ١٦٨
- ٢٢ - في عيد الوحدة ١٧٠
- ٢٣ - شعب وقائد ١٧٢
- ٢٤ - عيد الثورة ١٧٤
- هـ - مديح ومناسبات : ١٧٧
- ١ - عودة الأبطال ١٧٩
- ٢ - تحية ١٨١
- ٣ - الأستاذ الأكبر عبد المجيد سليم ١٨٢

الصفحة	الموضوع
١٨٣	٤ - النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد
١٨٥	٥ - النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد
١٨٧	٦ - تهنئة
١٨٨	٧ - الموسيقىار محمد عبد الوهاب
١٨٩	٨ - قلوب العذارى
١٩١	٩ - موسيقى سامبا
١٩٣	١٠ - زفاف صديق
١٩٥	١١ - فرحة الشفاء
١٩٦	١٢ - فتحي رضوان
١٩٨	١٣ - أنور السادات
٢٠٠	١٤ - إبراهيم جادو
٢٠١	١٥ - عبد السميع السنباطي
٢٠٢	١٦ - زفاف ابن العم
٢٠٤	١٧ - تحية طيب
٢٠٥	١٨ - صديقي
٢٠٧	و - مواقف وهجاء :
٢٠٩	١ - دعوة الجيب
٢١١	٢ - الجهول
٢١١	٣ - هجاء
٢١٣	٤ - رد على رد
٢١٤	٥ - صريع الحقد
٢١٥	٦ - الخيبة الكبرى

الموضوع	الصفحة
٧ - صورة نفسية	٢١٦
٨ - العميد الرجعي	٢١٨
ز - عبارات :	٢١٩
١ - الشهيد أحمد عبد العزيز	٢٢١
٢ - عزيز يفارق	٢٢٣
٣ - عزاء	٢٢٥
٤ - الشهيد أحمد عمر	٢٢٦
٥ - صلاح ذهني	٢٢٨
٦ - دمعة على زميل راحل	٢٣٠
٧ - فقيد أنشاص	٢٣٢
٨ - كارثة في قنا	٢٣٤
٩ - الزهرة الزابلة	٢٣٦
١٠ - رثاء عالم	٢٣٨
١١ - في ذكرى الرافعي	٢٤٠
١٢ - حفني ناصف	٢٤٣
ح - تأملات في الأدب والفن والحياة :	٢٤٥
١ - الشاعر والفكرة	٢٤٧
٢ - همسة الليل	٢٤٨
٣ - آهة شريدة	٢٤٩
٤ - الحياة	٢٥٠
٥ - حول قيود اللغة	٢٥٣
٦ - زفرة	٢٥٦

٢٥٨	٧ - شعراء يبعثون في موكب التحرير
٢٦١	٨ - حوار
٢٦٣	٩ - الشعر والحياة
٢٦٩	ط - العاطفة والمرأة :
٢٧١	١ - آلام عاشق
٢٧٢	٢ - غزل
٢٧٤	٣ - لوعة وشجن
٢٧٦	٤ - قلب ممزق
٢٧٧	٥ - دمع وحب
٢٧٩	٦ - أنشودة عاشق
٢٨١	٧ - من أغنيات الربيع
٢٨٣	٨ - غادة الريف
٢٨٥	٩ - فتاة القرية
٢٨٦	١٠ - في شم النسيم
٢٨٨	١١ - فاتنة
٢٨٩	١٢ - راقصة
٢٩١	١٣ - رماد الفضيلة
٢٩٢	١٤ - حنين
٢٩٣	١٥ - كبرياء الحب
٢٩٤	١٦ - بطولة حب
٢٩٧	١٧ - قصيدة غزل
٢٩٩	ي - ذكريات إسلامية :

الصفحة	الموضوع
٣٠١	١ - نهج البردة
٣٠٣	٢ - ميلاد الرسول ﷺ
٣٠٤	٣ - ميلاد الرسول ﷺ
٣٠٧	٤ - وحي المولد
٣١١	٥ - الذكرى العاطرة
٣١٥	٦ - عيد الهجرة
٣١٧	٧ - ذكرى المولد
٣٢١	٨ - ميلاد الرسول ﷺ
٣٢٧	٩ - مولد النور
٣٣٧	ك - في الكفاح الإسلامي :
٣٣٩	١ - فلسطين
٣٤٠	٢ - محنة اليمن
٣٤٢	٣ - تحية الشباب
٣٤٣	٤ - الدستور الخالد
٣٤٥	٥ - ثورة
٣٤٧	٦ - الأسد السجين
٣٥٠	٧ - دماء في السودان
٣٥٣	٨ - شرق وغرب
٣٥٨	٩ - رسالة في ليلة التنفيذ
٣٦٢	١٠ - جزار الغرب
٣٦٤	١١ - الجزائر الثائرة
٣٦٨	١٢ - رسالة من افريقية

الصفحة	الموضوع
٣٧٢	١٣ - أغنية صومالية
٣٧٥	١٤ - دين وعروبة
٣٧٨	١٥ - وصية لاجيء
٣٨١	١٦ - أضواء من السماء
٣٨٣	١٧ - شباب الإسلام
٣٨٥	١٨ - اغنية أم
٣٨٩	١٩ - غرام لاجيء
٣٩١	ل - جراح مصر :
٣٩٣	١ - مصريين احتلالين
٣٩٦	٢ - جلاد الكنانة
٤٠٠	٣ - في الربيع
٤٠٢	٤ - زفرة
٤٠٤	٥ - جمال يعود من « باندونغ »
٤٠٦	٦ - مع الثورة في ربة القيد
٤٠٩	٧ - سقوط ركن من أركان الطغيان
٤١١	٨ - ذكريات عام ضائع
٤١٦	٩ - جمال رئيس الجمهورية
٤١٨	١٠ - نواب الأمة
٤١٩	م - متفرقات وصور من الطفولة والصبا :
٤٢١	١ - أحزان
٤٢٢	٢ - ملل وضجر
٤٢٢	٣ - تحية

الموضوع	الصفحة
٤ - هجاء	٤٢٣
٥ - ليلة الفرح	٤٢٤
٦ - هزيمة المعهد	٤٢٦
٧ - مأساة يتيم	٤٢٧
٨ - عيد الأمومة	٤٢٨
٩ - تهنئة	٤٣٠
١٠ - دعابات	٤٣١
١١ - يوم الامتحان	٤٣٢
١٢ - مناسبات ودعابات	٤٣٣
١٣ - زارع الخيار	٤٣٤
١٤ - يوم القيامة	٤٣٥
١٥ - زيارة	٤٣٦
١٦ - تحية	٤٣٧
١٧ - عودة المتصرين	٤٣٨
١٨ - آخر خيبة	٤٣٩
١٩ - أيام الطفولة	٤٤٠
٢٠ - شم النسيم	٤٤٢
٢١ - أسوان	٤٤٤
٢٢ - ليالي الزقازيق	٤٤٦
٢٣ - نشيد الوادي	٤٤٩
٢٤ - نشيد الجامعة	٤٤٩
٢٥ - شكر	٤٥٠
٢٦ - الغانية المعذبة	٤٥١

القسم الثاني :

الزجل والشعر الفكاهي :

- ١ - نشيد الأم ٤٥٥
- ٢ - يكفي بقى هدم في مبانيه ٤٥٦
- ٣ - زجالي الاسكندرية ٤٥٨
- ٤ - بقك دا راح اقله ٤٥٩
- ٥ - حامي الاستعمار ٤٦١
- ٦ - أيام هواك ٤٦٣
- ٧ - هزيمة ٤٦٥
- ٨ - ليلة الفرح ٤٦٦
- ٩ - أنشاص ٤٧٠
- ١٠ - عريس المستقبل ٤٧٣
- ١١ - في المعركة الزجلية ٤٧٥
- ١٢ - الفول أكلني ما حيت ٤٧٧
- ١٣ - بلدي ٤٧٨
- ١٤ - حديث أم علي صباح العيد ٤٨٠
- ١٥ - صديق في ضيق ٤٨٢
- ١٦ - من وحي الرحلة ٤٨٣
- ١٧ - ذكرى ٤٨٤
- ١٨ - أمير الهعهم ٤٨٥
- ١٩ - مشي الهلافت ٤٨٧
- ٢٠ - هل تعرف أساتذتك ٤٨٨

الموضوع	الصفحة
---------	--------

٢١ - في المعركة الزجلية ٤٩١

القسم الثالث:

مسرحية (شهيد بني عذرة)

تعريف بالقصة	٤٩٥
أشخاص المسرحية	٤٩٩
الفصل الأول	٥٠٠
الفصل الثاني	٥١٢
الفصل الثالث	٥٢٢
الفصل الرابع	٥٣٣
فهرس القوافي لمطالع القصائد	٥٤٩
الفهرس	٥٥٩

* . * . * . * . *